(فهرسة الجزء السادس من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

٨٤ ذباب

صحيفة

صحيفة

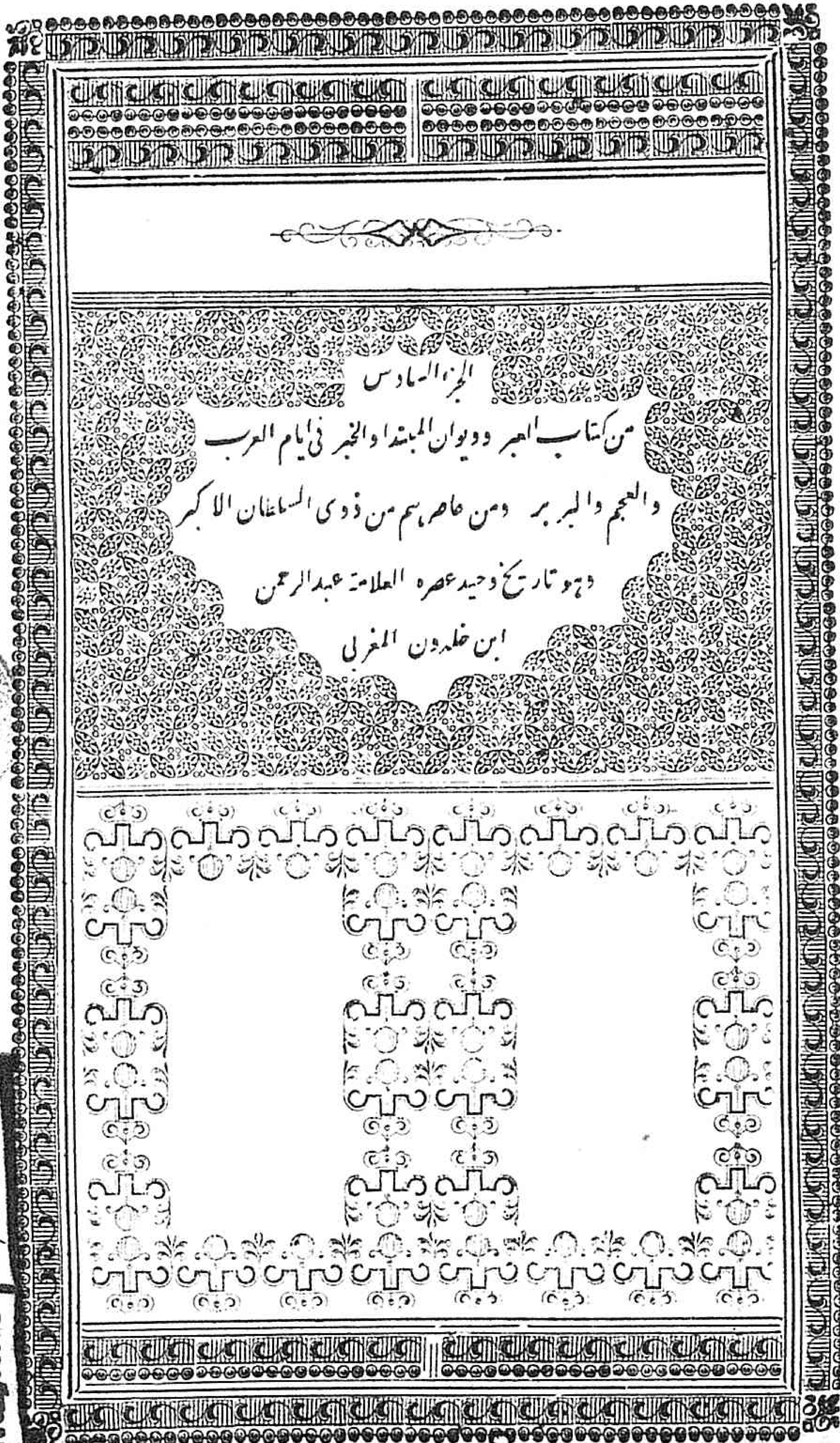
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة


الجزء السادس
من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

صحيفة

تم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشئ لهذا العهد من بقية أهل الدولة الاسلامية من العرب

لما استقلت مضر وفرسانها وأنصارها من اليمن بالدولة الاسلامية فيمن تبع دينهم من اخوانهم ربيعة ومن وافقهم من الاحياء اليمنية وغلبوا الملل والامم على أمورهم وانتزعوا الامصار من أيديهم وانقلبت أحوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة الى عز الملك وترف الحضارة ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والاقطار المتباينة عن ممالك الاسلام فنزلوا بها حامية ومرابطين عصبا وفرادى وتناقل الملك من عنصر الى عنصر ومن بيت الى بيت واستفحل ملكهم فى دولة بنى أمية وبنى العباس من بعدهم بالعراق ثم دولة بنى أمية الاخرى بالاندلس وبلغوا من الترف والبذخ مالم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم فانقسموا فى الدنيا ونبتت أجيالهم فى ماء النعيم واستأثروا مهاد الدعة واستطابوا خفض العيش وطال نومهم فى ظل الغرف والسلم حتى ألفوا الحضارة ونسوا عهد البادية وانفلتت من أيديهم الملكة التى نالوا بها الملك وغلبوا الامم من خشونة الدين وبداوة الاخلاق ومضاء

المضرب

المضرب فاستوت الحامية والرعية لولا الثقافة وشارة الجند والحضر الافى الشدة وأبوا السلطان من المساهمة فى المجد والمشاركة فى النسب فجدعوا أنوف المتطاولين اليه من أعاصيهم وعشائرهم ووجوه قبائلهم وغضوا من عنان طموحهم واتخذوا البطانة مقربهم من موالى الاعجام وصنائع الدولة حتى كثروا بهم قبيلتهم من العرب الذين أقاموا الدولة ونصروا الملة ودعموا الخلافة وأذاقوهم وبال الخلابة من القهر وساموهم خطة الخسف والذل فأنسوهم ذكر المجد وحلاوة العز وسلبوهم نصرة العصبية حتى صاروا أجراء على   وخولا لمن استعبدهم من الخاصة وأوزاعا متفرقين بين الامة وصيروا لغيرهم الحل والعقد والابرام والنقض من الموالى والصنائع فداخلتهم أريحية العز وحدثوا أنفسهم بالملك فجحدوا الخلفاء وقعدوا بدست الامر والنهى واندرج العرب أهل الحماية فى القهر واختلطوا بالهمج ولم يراجعوا أحوال البداوة لبعدها ولا تذكروا عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (وكان المولدون) لتمهيد قواعد الامر وبناء أساسه من أول الاسلام والدين والخلافة من بعده والملك قبائل من العرب موفورة العدد عزيزة الأحياء فنصروا الايمان والملة ووطدوا أكناف الخلافة وفتحوا الامصار والاقاليم وغلبوا عليها الامم والدول أما من مضر فقريش وكنانة وخزاعة وبنو أسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر وعامر ابن صعصعة ومن اليهم من الشعوب والبطون والافخاذ والعشائر والخلفاء والموالى وأما من ربيعة فبنو ثعلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بنى شكر وبنى حنيفة وبنى عجل وبنى ذهل وبنى شيبان وتيم الله ثم بنو النمر من قاسط ثم عبد القيس ومن اليهم وأما من اليمنية ثم من كهلان بن سبا منهم فأنصار الله الخزرج والأوس ابنا قيلة من شعوب غسان وسائر قبائل الازد ثم همدان وخثعم وبجيلة ثم مذحج وكافة بطونها من عنس ومراد وزبيد والنخع والاشعريين وبنى الحرث بن كعب ثم لخم وبطونها ولخم وبطونها ثم كندة وملوكها وأما من حمير بن سبا فقضاعة وجميع بطونها ومن الى هذه القبائل والافخاذ والعشائر والاحلاف هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة الاسلامية العربية فنبا منهم الثغور القصية وأكلتهم الاقطار المتباعدة واستلحمتهم الوقائع المذكورة فلم يبق منهم حى يطرف ولا حلة تنجع ولا عشير يعرف ولا قليل يذكر ولا عاقلة تحمل جناية ولا عصابة بصريخ الاسمع من ذكر أسمائهم فى أنساب أعقاب متفرقين فى الامصار التى ألحموها بجملتهم فتقطعوا فى البلاد ودخلوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا وأصبحوا خولا للامر   وربيا للواسد وعالة على الحرب

بياض بالاصل



وقام بالاسلام والملة غيرهم وصار الملك والامر فى أيدى سواهم وجابت بضائع العلوم والصنائع الى غير سوقهم فغلب أعاجم المشرق من الديلم وانسلخوا فيه والاكراد والعرب والترك على ملكه ودولته فلم يزل متناقلة فيهم الى هذا العهد وغلب أعاجم المغرب من زناتة والبربر على أمره أيضا فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما نذكره بعد الى هذا العهد وغلب أعاجم المغرب والبربر على أمره وانقرض أكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء فلم يبق لهم ذكر وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطبقة بالقفار وأقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا فى مهلكة الترف ولا غرقوا فى بحر النعيم ولا فقدوا فى غيابات الامصار والحضارة ولهذا أنشد شاعرهم

فمن ترك الحضارة أعجبته * بأى رجال بادية ترانا

وقال المتنبى يمدح سيف الدولة ويعرض بذكر العرب الذين أوقع بهم لما كثر عيثهم وفسادهم

وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا * وأن نبتت فى الماء نبت الغلافق (١)

فهاجوك أهدى فى الفلا من نجومه * وأبدى بيوتا من أداحى النقانق (٢)

(وأقامت) هذه الاحياء فى صحارى الجنوب من المغرب والمشرق بافريقية ومصر والشأم والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان فى الجاهلية وعتوا وكثروا وانقرض الملك العربى الاسلامى وطرق الدول الهرم الذى هو شأنها واعتز بعض أهل هذا الجيل غربا وشرقا فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على أحيائهم وأقطعوهم فى الضاحية والامصار والتلول وأصبحوا جيلا لعالم ناشئا كثروا سائر أهله من العجم ولهم فى تلك الامارة دول فاستحقوا أن تذكر أخبارهم وتلحق بالاحياء من العرب   وقع به الاعجاز ونزل به القرآن فثوى فيهم وتبدل اعرابه فمالوا الى العجمة   وان كانت واستحقوا أن يوصفوا بالعجمة من أجل الاعراب فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة (فلنذكر الآن) بقية هؤلاء الشعوب من هذه الطبقة فى المغرب والمشرق ونخص منهم أهل الاحياء الناجعة والاقدار النابهة ونلغى المندرجين فى غيرهم ثم نرجع الى ذكر المنتقلين من هذه الطبقة الى افريقية والمغرب فنستوعب أخبارهم لان العرب لم يكن المغرب لهم فى الايام السابقة بوطن وانما انتقل اليه فى أواسط المائة الخامسة أفاريق من بنى هلال وسليم اختلطوا فى الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها فلذلك استوعبناها وأما آخر مواطن العرب فكانت

(١) الغلفق كجعفر الطحلب أو نبت فى الماء ورقه عراض قاله المجد

(٢) وقال النقنق كزبرج الظليم اه

هذا كله بياض له فى الاصل

برقة وكان فيها بنو قرة بن هلال بن عامر وكان لهم فى دول العبيديين أخبار وحكايتهم فى الثورة أيام الحاكم والبيعة لابى ركوة من بنى أمية فى الاندلس معروفة وقد أشرنا اليها فى دولة العبيديين ولما أجاز بنى هلال وسليم الى المغرب خالطوهم فى تلك المواطن ثم ارتحلوا معهم الى المغرب كما نذكره فى دخول العرب الى افريقية والمغرب وبقى فى مواطنهم ببرقة لهذا العهد أحياء بنى جعفر وكان شيخهم أوسط هذه المائة الثامنة أبو ذئب وأخوه حامد بن حميد (١) وهم ينسبون فى المغرب تارة فى العزة ويزعمون أنهم من بنى كعب بن سليم وتارة فى سيب كذلك وتارة فى فزارة والصحيح فى نسبهم أنهم من سرانه احدى بطون هوارة سمعته من كثير من نسابتهم وبعدهم فيما بين برقة والعقبة الكبيرة أولاد سلام وما بين العقبة الكبيرة والاسكندرية أولاد مقدم وهم بطنان أولاد التركية وأولاد قائد ومقدم وسلام معا ينسبون الى لبيد فبعضهم يقول لبيد بن لعتة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وبعضهم يقول فى مقدم مقدم بن عزاز بن كعب بن سليم (وذكر لى سلام) شيخ أولاد التركية أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار ومع هؤلاء الاحياء حى محارب ينتمون بآل جعفر ويقال انهم من جعفر بن كلاب وهى رواحة ينتمون بآل زيد ويقال ابن جعفر أيضا والناجعة من هؤلاء الاحياء كلهم ينتمون فى شأنهم الى الواحات من بلاد القبلة (وقال ابن سعيد) ومن غطفان فى برقة مهيب ورواحة وفزارة فجعل هؤلاء من غطفان والله أعلم بصحة ذلك (وفيما بين الاسكندرية ومصر) قبائل رحالة ينتقلون فى نواحى البحيرة هنالك ويعمرون أرضها بالسكنى والفلح ويخرجون فى المشاتى الى نواحى العقبة وبرقة من مراية وهوارة وزنارة احدى بطون لواته وعليهم مغارم الفلح ويندرج فيهم أخلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة ونواحى الصعيد قبائل من العرب من بنى هلال وبنى كلاب من ربيعة   أحياء كثيرة ويركبون الخيل ويحملون السلاح ويعمرون الارض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان وبينهم مع ذلك من الحروب والفتن ما ليس يكون بين أحياء القفر (وبالصعيد) الاعلى من اسوان وماوراءها الى أرض النوبة الى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة كلهم من جهينة احدى بطون قضاعة ملؤا تلك القفار وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم وزاحموا الحبشة فى بلادهم وشاركوهم فى أطرافها والذين يلون اسوان هم يعرفون بأولاد الكنز كان جدهم كنز الدولة وله مقامات مع الدول مذكورة ونزل معهم فى تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن أبى طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحى المدينة وأخرجوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون

(١) قوله حميد فى نسخة [illegible]

بياض بالاصل

هذا كله ليس بالاصل

فى غالب أحوالهم بالتجارة (و بنواحى مصر) من جهة القبلة الى عقبة أيلة أحياء
جمهورهم من العائد وعليهم درك السابلة تلك
الناحية ولهم على ذلك الاقطاع والعوائد من جهة الشرق
بالكرد ونواحيها أحياء بنى عقبة من جذام أيضا ورحالة باجمعة تنتهى
وعليهم درك السابلة فيما يليهم وفيما وراء عقبة ايلة الى القلزم قبائل من قضاعة ومن
القلزم الى الينبع قبائل من جهينة ومن الينبع بدر ونواحيه من زبيد احدى بطون
مذحج ولهم مع الامراء بمكة من بنى حسن حلف ومواخاة وفيما بين مكة والمهجم مما يلى
اليمن قبائل بنى شعبة من كنانة وفيما بين الكرد وغزة شرقا قبائل جذام من قضاعة فى جموع
وافرة ولهم أمراء أعزة يقطعهم السلطان على العسكر وحفظ السابلة و ينجعون
فى المشاتى الى معان وما يليها من أسافل نجد مما يلى تيماء وبعدهم فى أرض الشأم بنو
حارثة بن سنبس و آل مراء من ربيعة اخوال فضل الملوك على العرب فى برية الشأم
والعراق ونجد وأخبرنى بعض أمراء حارثة بن سنبس عن بطون فلمنذ كر الآن خبر
أولاد فضل أمراء الشأم والعراق من طيئ فنبين أعراب الشأم جميعا

* (خبر آل فضل و بنى مهنا منهم ودولتهم بالشأم والعراق) *

هذا الحى من العرب يعرفون بآل فضل وهم رحالة ما بين الشأم والجزيرة وبرية نجد
من أرض الحجاز ينتقلون هكذا بينها فى الرحلتين و ينتهون فى طيئ ومعهم أحياء من
زبيد وكلب وهريم ومذحج أحلاف لهم باين بعضهم فى الغلب والعدد آل مراء
ويزعمون أن فضلا ومراء آل ربيعة و يزعمون أيضا أن فضلا ينقسم ولده بين آل مهنا
وآل على وأن آل فضل كلهم كانوا بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراء وأخرجوهم
منها فنزلوا حمص ونواحيها وأقامت زبيد من أحلافهم بحوران فهم بها حتى الآن
لا يفارقونها قالوا ثم اتصل آل فضل بالدولة من السلطنة وولوهم على أحياء
العرب وأقطعوهم على اصلاح السابلة بين الشأم والعراق فاستظهروا برياستهم على
آل مراء وغلبوهم على المشاتى فصار عامة رحلتهم فى حدود الشأم قريبا من التلول
والقرى لا ينجعون الى البرية الا فى الاقل وكانت معهم أحياء من أفاريق الاعراب
يندرجون فى لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان لآل فضل الآن أكثر
من كان من آل مراء أولئك الاحياء وأوفرهم عددا بنو حارثة من احدى بنى بطون
طيئ هكذا ذكر الثقة عنهم من رجالاتهم وحارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد فى
تلول الشأم لا يجاوزونها الى القفار ومواطن طيئ بنجد قد اتسعت وكانوا أول
خروجهم من اليمن نزلوا جبلى أجا وسلمى وغلبوا عليهما بنى أسد وجاوروهم وكان لهم من

ليس بالاصل

المواطن سميراء وفيد من منازل الحاج ثم انقرض بنو أسد وورثت طيئ بلادهم فيما وراء
الكرخ من أرض غفر وكذلك ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة
واليمامة وكذلك ورثوا غطفان ببطن مما يلى وادى القرى هكذا قال ابن سعيد وقال
أشهر الحجاز بين منهم الآن بنو لام و بنو نبهان والصولة بالحجاز لبنى لام بين المدينة
والعراق ولهم حلف مع بنى الحسين أمراء المدينة قال و بنو صخر منهم فى جهة تيماء بين
الشأم وخيبر قال وغربة من طيئ بنو غربة بن أفلت بن معبد بن معن بن عمرو بن عنبس بن
سلامان ومن بعد بلادهم حى الاغر والاساور ورثوها من عنزة ومنازلهم لهذا العهد
فى مصايفهم بالكبيسات وفى مشاتيهم مع بنى لام من طيئ وهم أهل غارة وصولة بين
الشأم والعراق ومن بطونهم الاجود والبطنين واخوانهم زبيد نازلون بالموصل فقد
جعل ابن سعيد هؤلاء من بطون طيئ ولم يجعلهم من مذحج
ورياسة آل فضل فى هذا العهد فى بنى مهنا و ينسبونه هكذا كان مانع بن مدسة بن
عصية بن فضل بن بدر بن على بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصية بن بدر بن سميع ويقفون
عند سميع و يقول زعماؤهم ان سميعا هذا هو الذى ولدته العباسة أخت الرشيد
من جعفر بن يحيى البرمكى وحاشا الله من هذه المقالة فى الرشيد وأخته وفى بنات كبراء
العرب من طيئ الى موالى العجم من بنى برمك وأمثالهم ثم ان الموجود تميل رياسته
مثل هؤلاء على هذا الحى اذا لم يكونوا من نسبهم وقد تقدم مثل ذلك فى مقدمات
الكتاب (وكان مبدأ رياستهم) من أول دولة بنى يعقوب قال العماد الاصبهانى نزل
العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب فى جموع كثيرة وكانت
الرياسة فيهم لعهد الفاطميين لبنى جراح من طيئ وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح
وكان من أقطاعه التى معه وهو الذى قبض على افتكين مولى بنى بويه لما انهزم مع مولاه
بختيار بالعراق وجاء الى الشأم سنة أربع وستين وثلثمائة وملك دمشق وزحف مع
القرامطة لقتال العزيز بن المعز لدين الله صاحب مصر فهزمهم العزيز وهرب افتكين
فلقيه مفرج بن دغفل وجاء به الى العزيز فأكرمه ورقاه فى دولته ولم يزل شأن مفرج
هذا وتوفى سنة أربع وأربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلى وجرار وولى
حسان بعده وعظم صيته وكان بينه و بين خلفاء الفاطميين معزة واستقامة وهو الذى
هزم الرملة وهزم قائدهم باروق التركى وقتله وسبى نساءه وهو الذى مدحه التهامى
ويذكر المسبحى وغيره أن موطئ دولة العبيديين فى قرابة حسان بن مفرج هذا فضل بن
ربيعة بن حازم وأخوه بدر بن ربيعة وابنا بدر ولعل فضلا هذا هو جد آل فضل (قال ابن
الاثير) ان فضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان

ليس بالاصل

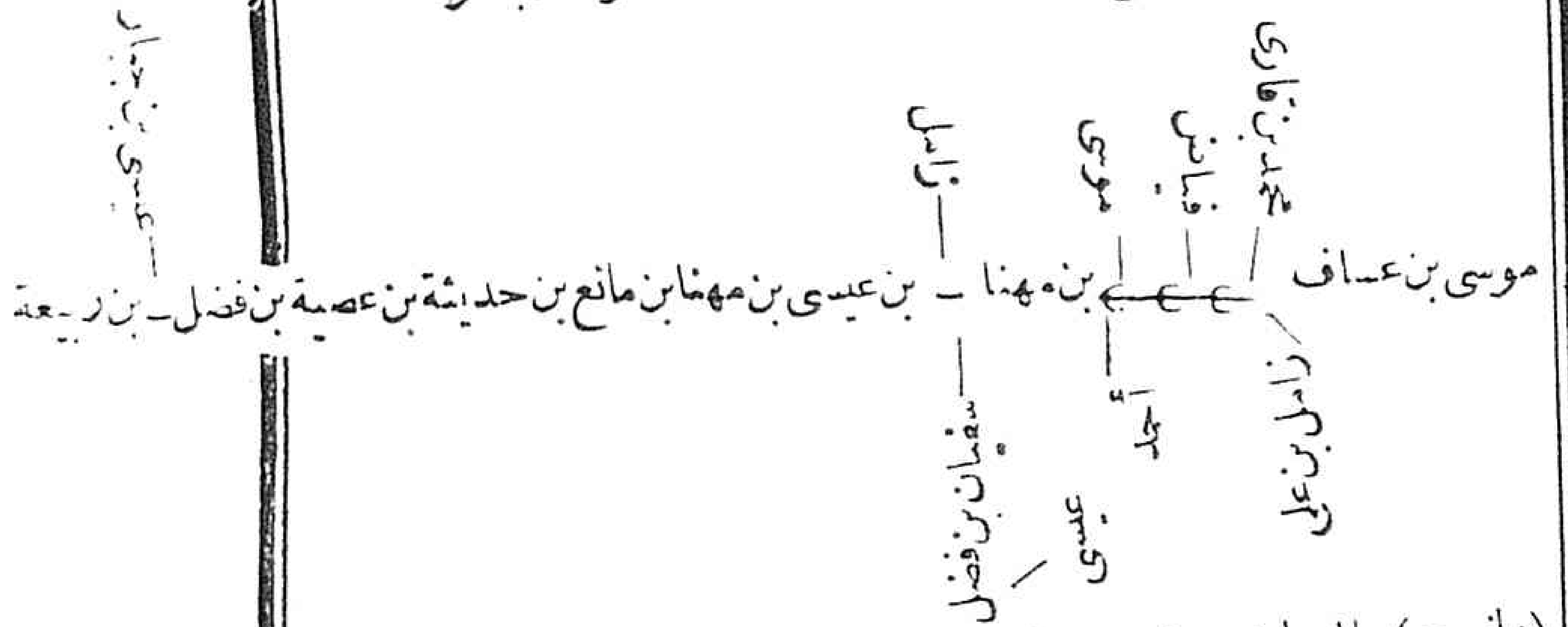
الفضل تارة مع الفرع وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغركين أتابك دمشق وكافل
بنى تتش فطرده من الشأم فنزل على صدقة بن وتربالة وحالفه ووصله صدقة بتسعة آلاف
دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملسكاب سنة خمسمائة وما بعدها
ووقعت بينهما الفتنة اجتمع له فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة من قريش صاحب
الموصل وبعض أمراء التركمان كانوا كلهم أولياء صدقة فصار فى الطلائع بين يدى
الحرب وهربوا الى السلطان فأكرمهم وخلع عليهم وأنزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن
مزيد ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة واستأذنه فضل فى الخروج الى البرية
ليأخذ بحجزة صدقة فأذن له وعبر الى الانبار فلم يراجع السلطان بعدها اه كلام ابن
الاثير ويظهر من كلامه وكلام المسبحى أن فضلا هذا وبدرا من آل جراح بلاشك ويظهر
من سياقة هؤلاء نسبهم أن فضلا هذا هو جدهم لانهم ينسبونه فضل بن ربيعة بن الجراح
فلعل هؤلاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذى هو كبير بنى الجراح لبعد العهد وقلة المحافظة
على مثل هذا من البادية القفر وأما نسبة هذا الحى من آل فضل بن ربيعة بن فلاح من
مفرج فى طيئ فبعضهم يقول ان الرياسة فى طيئ كانت لاياس بن قبيصة من بنى سبابن
عمر بن الغوث من طيئ واياس هو الذى ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر لما قتل
النعمان بن المنذر وهو الذى صالح خالد بن الوليد عن الحيرة على الجزية ولم تزل الرياسة
على طيئ الى بنى قبيصة هؤلاء صدرا من دولة الاسلام فلعل بنى الجراح وآل فضل هؤلاء
من أعقابهم وان كان انقرض أعقابهم فهم من أقرب الحى اليهم لان الرياسة على
الاحياء والشعوب انما تتصل فى أهل العصبية والنسب كما مر أول الكتاب (وقال ابن
حزم) عندما ذكر أنساب طيئ وأنهم لما خرجوا من اليمن مع بنى أسد نزلوا جبلى أجا
وسلمى وأوطنوهما وما بينهما ونزل بنو أسد ما بينهم وبين العراق وفضل كثير منهم وهم
بنو حارثة نسبة الى أمهم وتيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم رحلوا على المليين فى حرب
الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طيئ وأوطنوا تلك البلاد الا بنى رومان بن جندب بن
خارجة بن سعد فانهم أقاموا بالجبلين فكانوا جبليين ولاهل حلب وحاضر طيئ من بنى
خارجة السهيليون اه فلعل هذه الاحياء الذين بالشأم من بنى الجراح وآل فضل
من بنى خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طيئ لان هذا
الموطن أقرب الى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بنى الجراح بفلسطين من جبلى أجا
وسلمى اللذين هو موضع الآخرين فالله أعلم أى ذلك يصح من انسابهم وتحت خفارى
بنواحى الفرات ابن كلاب بن ربيعة بن عامر دخلوا مع قبائل عامر بن صعصعة بن نجد
الى الجزيرة ولما افترق بنو عامر على الممالك الاسلامية اختص هؤلاء بنواحى حلب

وملكها منهم بنو صالح بن مرداس من بنى عمر بن كلاب ثم تلاشى ملكهم ورجعوا عنها
الى الاحياء وأقاموا بالفرات تحت خفارة هؤلاء الامراء من طيئ (وأما ترتيب رياستهم)
على العرب بالشأم والعراق منذ دولة بنى أيوب العادل والى هذا العهد وهو آخر ست
وتسعين وسبعمائة فقد ذكرنا ذلك فى دولة الترك ملوك مصر والشأم وذكرناهم واحدا
بعد واحد على ترتيبهم ونذكرهم ههنا على ذلك الترتيب فنقول كان الامير لعهد بنى
أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما كان بعده حسام الدين مانع بن حارثة بمصر
والشأم * وفى سنة ثلاثين وستمائة ولى عليهم بعده ابنه مهنا ولما ارتجع قطز بن
عصية بن فضل أحد ملوك الترك بمصر الشأم من أيدى التتر وهزمهم بعين جالوت
أقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن قطفر بن شالعشاه صاحب
حماة ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولى الظاهر على احياء العرب بالشأم عند
ما استفحل ملك الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم الى
بغداد عيسى بن مهنا بن مانع وجزله الاقطاعات على حفظ السابلة وحبس ابن عمه
زامل بن على بن ربيعة من آل فضل على سعايته واغرامه ولم يزل يغير على أحياء العرب
وصلحوا فى أيامه لانه خالف أباه فى الشدة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر سنة تسع
وسبعين وكاتبوا أبغا واستحثوه لملك الشأم وتوفى عيسى بن مهنا سنة اربع وثمانين
فولى المنصور قلاون من بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاون الى الشأم ونزل
حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى فى جماعة من قومه فقبض عليه وعلى ابنه موسى
واخوته محمد وفضل ابنى مهنا وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل
كتبغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ورجع الى امارته وكان له فى أيام
الناصر نصرة واستقامة وميله الى ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيأ من وقائع
غازان ولما فر اسنقر واقوش الافرم وأصحابهما سنة عشر وسبعمائة لحقوا به وساروا من
عنده الى خربندا واستوحش هو من السلطان وأقام فى أحيائه منقبضا عن الوفادة
ووفد أخوه فضل سنة ثنتى عشرة فرعاله حق وفادته وولاه على العرب مكان أخيه مهنا
وبقى مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك التتر فأكرمه وأقطعه
بالعراق وهلك خربندا فى تلك السنة فرجع مهنا الى أحيائه ووفد ابنه أحمد وموسى
وأخوه محمد بن عيسى مستعتبين على الناصر ومتطارحين عليه فاكرم وفادتهم وأنزلهم
بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان وأعتب مهنا ورده الى امارته واقطاعه وذلك سنة
سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى وأخوه محمد وجماعة من آل فضل فى اثنى عشر
ألف راحلة ثم رجع مهنا الى ديدنه فى ممالأة التتر والاجلاء على الشأم واتصل ذلك

منه فنقم السلطان عليه وسخط عليه قومه أجمع وتقدم الى أبواب الشأم سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وأدال منهم مالكا على عدالته بينهم وولى منهم على أحياء العرب محمد بن وصرف أقطاع مهنا وولده الى محمد وولده فاقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل ابن المؤيد صاحب حماة متوسلا به ومتطارحا على السلطان فأقبل عليه ورد عليه أقطاعه وامارته (وذكرلى) بعض أمراء الكبراء بمصر فيمن أدرك وفادته أوحدث بها انه تجافى فى هذه الوفادة من قبول شئ من السلطان حتى انه ساق عنده النياق الحلوبة والعراب وانه لم يغش باب احد من ارباب الدولة ولاسأل منهم شيأ من حاجاته ثم رجع الى أحيائه وتوفى سنة اربع وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى وتوفى سنة ثنتين واربعين عقب مهلك الناصر وولى مكانه اخوه سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفى سنة اربع وأربعين بالقرس ودفن عند قبر خالد بن الوليد وولى مكانه اخوه سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل ابن الناصر سنة ست وأربعين وولى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن فضل ولقيه فياض بن مهنا بن عيسى وانهزم سيف ثم ولى السلطان حسن الناصر فى دولته الاولى وهو فى كفالة سعاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنه بينهم ثم توفى سنة سبع وأربعين فولى مكانه أخوه فياض وهلك سنة تسع وأربعين وولى مكانه أخوه حد ابن مهنا وولاه حسن الناصر فى دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين واقام سنتين بالقصر عاصيا الى أن تشيع فيه نائب حماة فأعيد الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء الى نواحى حلب واجتمع اليه بنو كلاب وغيرهم وعاثوا فى البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر المنصورى فبرز اليهم وانتهى الى خيمهم واستاق نعمهم وتخطى الى الخيام فاستجاشوا بها وهزموا وقتل قشتمر ابنه فى المعركة تولى هو قتله بيده وذهب الى القفر منتقضا فولى الاشرف مكانه ابن عمه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث ابن معيقل صاحبه سنة احدى وسبعين يستأمن بجبار فامنه ثم وفد جبار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضى عنه السلطان وأعاده الى امارته ثم توفى سنة سبع وسبعين فولى أخوه مالك الى أن هلك سنة احدى وثمانين فولى مكانه معيقل بن موسى بن عيسى وابن مهنا شريكين فى امارتهما ثم عزلا لسنة وولى بعير بن جابر بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طيئ بالشأم والسلطان الظاهر لهذه يراجعه بعجرين محمد ابن قاري حتى سخطه ثم وصل انتقاضه على السلطان وخلافه وظاهر السلطان على

بياض بالاصل

مولاه ثم محمد بن قارى فسخطه وولى مكانهما ابن عمهما محمد بن كوكتين ابن عمه موسى ابن عساف بن مهنا فقام بامر العرب وبقى بعير منتبذا بالقفر وعجز عن الميرة لقلة ما بيده واختلت أحواله وهو على ذلك لهذا العهد والله ولى الامور لارب سواه



(ولنرجع) الى ما بقى من شعوب هذه الطبقة فنقول كان بنو عامر بن صعصعة كلهم بنجد وبنو كلاب فى خناصرة والربذة من جهات المدينة وكعب بن ربيعة فيما بين تهامة والمدينة وأرض الشأم وبنو هلال بن عامر فى بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غزوان ونمير بن عامر معهم وجشم محسوبون منهم بنجد وانتقلوا كلهم فى الاسلام الى الجزيرة الفراتية مسلك نهر حران ونواحيها وأقام بنو هلال بالشأم الى أن ظعنوا الى المغرب كما نذكر فى أخبارهم وبقى منهم بقية بجبل بنى هلال المشهور بهم قبلى قلعة صرخد وأكثرهم اليوم يتعاطون الفلح وبنو كلاب بن ربيعة ملكوا أرض حلب ومدينتها كما ذكرناه وبنو كعب بن ربيعة دخلت الى الشأم منهم قبائل عقيل وقشير وحريش وجعدة فانقرض الثلاثة فى دولة الاسلام ولم يبق الا بنو عقيل (وذكر) ابن حزم أن عددهم يفى عدد جميع مضر فملك منهم الموصل بنو مالك بعد بنى حمدان وتغلب واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها ثم انقرض ملكهم ورجعوا للبادية وورثوا مواطن العرب فى كل جهة فمنهم بنو المنتفق بن عامر بن عقيل وكان بنو مالك بن عقيل فى أرض تيماء من نجد وهم الآن بجهات البصرة فى الآجام التى بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح والامارة منهم فى بنى معروف وبالمغرب من بنى المنتفق أحياء دخلوا مع هلال بن عامر يعرفون بالخلط ومواطنهم بالمغرب الاقصى ما بين فاس ومراكش (وقال الجرجانى) ان بنى المنتفق كلهم يعرفون بالخلط ويليهم فى جنوب البصرة اخوتهم بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر وعوف أخو المنتفق قد غلبوا على البحرين وغمارة وملكوها من يدى أبى الحسن الاصغر بن ثعلب وكانت هذه

بياض بالاصل

المواطن للازد وبنى تميم وعبد القيس فورث هؤلاء أرضهم فيها وديارهم (قال ابن سعيد) وملكوا أيضا أرض اليمامة من بنى كلاب وكان ملوكهم فيها العهد الخمسين والستمائة بنى عصفور وكان من بنى عقيل خفاجة بن عمرو بن عقيل كان انتقالهم الى العراق فأقاموا به وملكوا ضواحيه وكانت لهم مقامات وذكر وهم أصحاب صولة وكثرة وهم الآن ما بين دجلة والفرات ومن عقيل هؤلاء بنو عبادة بن عقيل ومنهم الاجافل لان عبادة كان يعرف بالاجفل وهم لهذا العهد بالعراق مع بنى المنتفق وفى البطائح التى بين البصرة والكوفة وواسط والامارة فيهم على ما بلغنا الرجل اسمه سيان بن صالح وهو فى عدد ومنعة وما أدرى أهو فى بنى معروف أمراء البطائح بنى المنتفق أو من عبادة الاجافل هذه أحوال بنى عامر بن صعصعة واستيلاؤهم على مواطن العرب من كهلان وربيعة ومضر (فأما بنو كهلان) فلم يبق لهم أحياء فيما يسمع (وأما ربيعة) فأجازوا بلاد فارس وكرمان فهم ينتجعون هنالك ما بين كرمان وخراسان وبقيت بالعراق منهم طائفة ينزلون البطائح والسيب الى الكوفة منهم بنو صباح ومعهم لفائف من الاوس والخزرج فأمير ربيعة اسمه الشيخ ولى وعلى الاوس والخزرج طاهر بن خضر منهم هذه شعوب الطبقة الثالثة من العرب لهذا العهد فى ديار المشرق بما أدى اليه الامكان (ونحن الآن نذكر شعوبهم الذين انتقلوا الى المغرب) فان أمة العرب لم يكن لهم المام قط بالمغرب لا فى جاهلية ولا فى اسلام لان أمة البربر الذين كانوا به كانوا يمانعون عليه الامم وقد غزاه افريقش بن صيفى الذى سميت به افريقية من ملوك التبابعة وملكها ثم رجع عنها وترك كتامة وصنهاجة من قبائل حمير فاستحالت طبيعتهم الى البربر واندرجوا فى أعدادهم وذهب ملك العرب منهم ثم جاءت الملة الاسلامية وظهر العرب على سائر الامم بظهور الدين فسارت فى المغرب وافتتحوا سائر أمصاره ومدنه وعانوا من حروب البربر شدة وقد تقدم لنا ما ذكره ابن أبى زيد من انهم ارتدوا اثنتى عشرة مرة ثم رسخ فيهم الاسلام ولم يسكنوا بأجيالهم فى الخيام ولا نزلوا أحياء لان الملك الذى حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية ويعدل بهم الى المدن والامصار فلهذا قلنا ان العرب لم يوطنوا بلاد المغرب ثم انهم دخلوا اليه فى منتصف المائة الخامسة وأوطنوه وافترقوا بأحيائهم فى جهاته كما نذكر الآن ونستوعب أسبابه

الخبر عن دخول العرب من بنى هلال وسليم
المغرب من الطبقة الرابعة وأخبارهم هنالك

الدولة العباسية

بياض بالاصل

كانت بطون هلال وسليم من مضر لم يزالوا بادين

وكانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد فبنو سليم مما يلى المدينة وبنو هلال فى جبل غزوان عند الطائف وربما كانوا يطوفون رحلة الصيف والشتاء اطراف العراق والشأم فيغيرون على الضواحى ويفسدون السابلة ويقطعون على الرفاق وربما أغار بنو سليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة وما زالت البعوث تجهز والكتائب تكتب من باب الخلافة ببغداد للايقاع بهم وصون الحاج عن مضرات هجومهم ثم تحيز بنو سليم والكثير من ربيعة بن عامر الى القرامطة عند ظهورهم وصاروا جندا بالبحرين وعمان ولما تغلب شيعة ابن عبيد الله المهدى على مصر والشأم وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشأم فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردهم على أعقابهم الى قرارهم بالبحرين ونقل أشياعهم من العرب من بنى هلال وسليم فانزلهم بالصعيد وفى العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هنالك وكان لهم اضرار بالبلاد ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان الى المعز بن باديس بن المنصور سنة ثمان وأربعمائة قلده الظاهر لدين الله على بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز لدين الله أمر افريقية على عادة آبائه كما نذكره لك بعد وكان لعهد ولايته غلاما يفعة ابن ثمان سنين فلم يكن مجربا للامور ولا بصيرا بالسياسة ولا كانت فيه عزة وأنفة ثم هلك الظاهر سنة سبع وعشرين وولى المستنصر بالله معز العاويل أمر الخلافة بما لم يله أحد من خلفاء الاسلام يقال ولى خمسا وسبعين وقيل خمسا وتسعين والصحيح ثلاث وسبعون لان مهلكه كان على رأس المائة الخامسة وكانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب أهل السنة وربما كانت شواهدها تظهر عليه وكبابه فرسه فى أول ولايته لبعض مذاهبه فنادى مستغيثا بالشيخين أبى بكر وعمر وسمعته العامة فثاروا بالرافضة وقتلوهم وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الاذان حى على خير العمل وأغضى عنه الظاهر من ذلك وابنه معز المنتصر من بعده واعتذر بالعامة فقبل واستمر على اقامة الدعوة والمهاداة وهو فى أثناء ذلك يكاتب وزيرهما وحاجب دولتهما المضطلع بأمورهما أبا القاسم أحمد بن على الجرجانى ويستميله بعرض ببنى عبيد وشيعتهم وكان الجرجانى يلقب بالاقطع بما كان أقطعه الحاكم بجناية ظهرت عليه فى الاعمال وانتهضته السيدة بنت الملك عمة المستنصر فلما ماتت استبد بالدولة سنة أربع عشرة وأربعمائة الى أن هلك سنة ست وثلاثين وولى الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن على البازوزى أصله من قرى فلسطين وكان أبوه ملاحا بها فلما ولى الوزارة خاطبه أهل الجهات ولم يولوه بالف من ذلك فعظم عليه وحنق عليه ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب افريقية وانحرفوا عنه وحلف

المعز لينقضن طاعتهم وليحولن الدعوة الى بنى عباس ويمحون اسم بنى عبيد من منابره
ولج فى ذلك وقطع أسماءهم من الطراز والرايات وبايع القائم أبا جعفر بن القادر من
خلفاء بنى العباس وخاطبه ودعا له على منابره سنة سبع وثلاثين وبعث بالبيعة الى بغداد
ووصله أبو الفضل البغدادى وحظى من الخليفة بالتقليد والخلع وقرئ كتابه بجامع
القيروان ونشرت الرايات السود وهدمت دار الاسماعيلية وبلغ الخبر الى المستنصر
معز الخليفة بالقاهرة والى الشيعة الرافضة من كتامة وصنائع الدولة فوجموا وطلع عليهم
المقيم المقعد من ذلك وارتبكوا فى أمرهم وكان أحياء هلال هؤلاء الاحياء من جشم
والاثبج وزغبة ورياح وربيعة وعدى فى محلاتهم بالصعيد كما قدمناه وقد عم ضررهم
وأحرق البلاد والدولة شررهم فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن على البازورى
باصطناعهم والتقدم لمشايخهم وتوليتهم أعمال افريقية وتقليدهم أمرها و
صنهاجة ليكونوا عند نصر الشيعة والسبب فى الدفاع عن الدولة فان صدقت المخيلة
فى ظفرهم بالمعز وصنهاجة كانوا أولياء للدعوة وعمالا بتلك القاصية وارتفع عدوانهم
من ساحة الخلافة وان كانت الاخرى فلها ما بعدها وأمر العرب البادية أسهل من
أمر صنهاجة الملوك فتغلبوا على هدية وشورانه وقيل ان الذى أشار بذلك وفعله
وأدخل العرب الى افريقية انما هو أبو القاسم الجرجانى وليس ذلك بصحيح فبعث
المستنصر وزيره على هؤلاء الاحياء سنة احدى وأربعين وأرضخ لامرائهم فى العطاء
ووصل عامتهم بعيرا ودينارا لكل واحد منهم وأباح لهم اجازة النيل وقال لهم قد
أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجى العبد الآبق فلا تفتقرون وكتب
البازورى الى المغرب اما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا
ليقضى الله أمرا كان مفعولا فطمعت العرب اذ ذاك وأجازوا النيل الى برقة ونزلوا
بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها وكتبوا لاخوانهم شرقى النيل يرغبونهم
فى البلاد فاجازوا اليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين فأخذ منهم أضعاف
ما أخذوه وتقارعوا على البلاد فحصل لسليم الشرق ولهلال الغرب وخربوا المدينة
الحمراء وأجدابية واسمرا وسرت وأقامت لهب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة
وعمرة بأرض برقة وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال الى
افريقية كالجراد المنتشر لا يمرون بشئ الا أتوا عليه حتى وصلوا الى افريقية سنة ثلاث
وأربعين وكان أول من وصل اليهم أمير رياح موسى بن يحيى الصنبرى فاستماله المعز
واستدعاه واستخلصه لنفسه وأصهر اليه وقاومه فى استدعاء العرب من قاصية وطنه
للاستغلاظ على نواحى بنى عمه فاستنفر القرى وأتى عليهم فاستدعاهم فعاثوا فى البلاد

وأظهروا

وأظهروا الفساد فى الارض ونادوا بشعار الخليفة المستنصر وسرح اليهم من صنهاجة
الاولياء فاوقعوا بها فتسخط المعز لكبره وأشاط بغضبه وتقبض على أخى موسى وعسكر
بظاهر القيروان وبعث بالصريخ الى ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حماد بن بلكين
فكتب اليه كتيبة من ألف فارس سرحهم اليه واستفزوا عن زناتة فوصل اليه
المستنصر بن حزرون المغراوى فى ألف فارس من قومه وكان بالبدو من افريقية مع
النازعة من زناتة وهو من أعظم ساداتهم وارتحل المقرف فى أولئك النفر ومن لف
لفهم من الاتباع والحشم والاولياء ومن فى ايالتهم من بقايا عرب الفتح وحشد زناتة
والبربر وصمد نحوهم فى أمم لا تحصى وحاصر عددهم فيما يذكر ثلاثون ألفا وكانت رياح
وزغبة وعدى حيدران من جهة قاس ولما تزاحف الفريقان انخذل بقية عرب
الفتح وتميزوا الى الهلاليين للعصبية القديمة وخانته زناتة وصنهاجة وكانت الهزيمة
على المعز وفر بنفسه وخاصته الى القيروان وانتهبت العرب جميع محله من المال
والمتاع والذخيرة والفساطيط والرايات وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى يقال ان
القتلى من صنهاجة بلغوا ثلاثة آلاف وثلثمائة وفى ذلك يقول على بن رزق الرياحى
كلمته ويقال انها لابن شداد وأولها

لقد زار وهنا من أميم خيال * وأيدى المطايا بالزميل عجال
وان ابن باديس لأفضل مالك * لعمرى ولكن ما لديه رجال
ثلاثون ألفا منهم قد هزمتهم * ثلاثة آلاف وذاك ضلال

ثم نازلوه بالقيروان وطال عليه أمر الحصار وهلكت الضواحى والقرى بافساد العرب
وعيثهم وانتقام السلطان منهم بانتمائهم فى ولاية العرب ولجأ الناس الى القيروان
وأكثروا النهب واشتد الحصار وفر أهل القيروان الى تونس
النهب فى البلاد والعيث فى البلاد ودخلت تلك الارض سنة خمس
وأربعين وأحاطت زغبة ورياح بالقيروان ونزل موسى قريبا من ساحة البلد
وفر القرابة والاعياص من آل زيرى فولاهم موسى قابس وغيرها ثم ملكوا بلاد
قسطينة كلها وغزا عامل بن أبى هم زناتة ومغراوة فاستباحهم
ورجع واقتسمت العرب بلاد افريقية سنة ست وأربعين وكان لزغبة طرابلس
وما يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من
تونس الى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والاثبج والخلط وسفيان
وتصرم الملك من يد المعز وتغلب عائذ بن أبى الغيث على مدينة تونس وسلبها وملك أبو
مسعود من شيوخهم مونه صلحا وعامل المعز على خلاص نفسه وصاهره ببناته ثلاثة

من أمراء العرب فارس بن أبى الغيث وأخاه عائذا والفضل بن أبى على المرادى
وقدم ابنه تميم الى المهدية سنة ثمان وأربعين ولسنة تسع بعدها بعث الى اصهاره من
العرب وترحم بهم ولحق بهم بالقيروان واتبعوه فركب البحر والساحل وأصلح أهل
القيروان فأخبرهم ابنه المنصور بخبر أبيه فساروا بالسودان والمنصور وجاء العرب
فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخربوا المبانى وعاثوا فى محاسنها
وطمسوا من الحسن والرونق معالمها واستصفوا ما كان لآل باكين فى قصورها
وشملوا بالعيث والنهب سائر حريمها وتفرق أهلها فى الاقطار فعظمت الرزية وانتشر
الداء وأعضل المطب ثم ارتحلوا الى المهدية فنزلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد
السابلة ثم حاربوا زناتة من بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحى واتصلت الفتنة بينهم
وأغزاهم صاحب تلمسان من اعقاب محمد بن خزر وجيوشه مع وزيره أبى سعدى
خليفة اليفرنى فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة واضطرب أمر افريقية وخرب
عمرانها وفسدت سابلتها وكانت رياسة الضواحى من زناتة والبربر لبنى يفرق ومغراوة
وبنى ماند وبنى تلومان ولم يزل هذا دأب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على
ضواحى افريقية والزاب وغلبوا عليها صنهاجة وقهروا من بها من البربر وأصاروهم
عبيدا وخدما بباجة وكان فى هؤلاء العرب لعهد دخولهم افريقية رجالات مذكورون
وكان من أشرفهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض وينسبون هؤلاء
فى دريد بن الاثبج وماضى بن مقرب ويونه بن قرة وسلامة بن رزق فى بنى كبير من بطون
كرفة بن الاثبج وشاقة بن الاحمر وأخوه صلصيل وينسبوهم فى بنى عطية من كرفه ودياب
ابن غانم وينسبونه فى بنى ثور وموسى بن يحيى وينسبونه فى مرداس رياح لا مرداس
سليم فاحذر من الغلط فى هذا وهو من بنى صغير بطن مرداس رياح وزيد بن زيدان
وينسبونه فى الضحاك وملحان بن عباس وينسبونه فى حمير وزيد العجاج بن فاضل
ويزعمون أنه مات بالحجاز قبيل دخولهم الى افريقية وفارس بن أبى الغيث وعامر أخوه
والفضل بن أبى على ونسبهم أهل الاخبار منهم فى مرداس المقهى كل هؤلاء يذكرون
فى أشعارهم وكان زياد بن عامر رائدهم فى دخول افريقية ويسمونه بذلك أبا مخبر
وشعوبهم لذلك العهد كما نقلناهم زغبة ورياح والاثبج وقرة وكلهم من هلال بن عامر
وربما ذكر فيهم بنو عدى ولم نقف على أخبارهم وليس لهم لهذا العهد حى معروف
فلعلهم دثروا وتلاشوا وافترقوا فى القبائل وكذلك ذكر فيهم ربيعة ولم نعرفهم لهذا
العهد الا أن يكونوا هم المعقل كما تراه فى نسبهم وكان فيهم من غير هلال كثير من فزارة
وأشجع من بطون غطفان وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول بن مرة بن

صعصعة بن معاوية والمعقل من بطون اليمنية وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار وبنى ثور
ابن معاوية بن عبادة بن ربيعة البكاء بن عامر بن صعصعة وعدوان بن عمرو بن قيس
ابن عيلان وطرود بطن من فهم بن قيس الا أنهم كلهم مندرجون فى هلال وفى الاثبج
منهم خصوصا لان الرياسة كانت عند دخولهم للاثبج وهلال فأدخلوا فيهم وصاروا
مندرجين فى جملتهم وفرقة من هؤلاء الهلاليين لم يكونوا من الذين أجازوا النيل لعهد
اليازورى أو الجرجانى وانما كانوا من قبل ذلك ببرقة أيام الحاكم العبيدى ولهم
فيها اخبار مع الصنهاجيين ببرقة ضر خطوب ونسبهم الى
عبد مناف بن هلال كما ذكر شاعرهم فى قوله

٢٠ طلبنا القرب منهم وجزيل منهم * بلا عيب من عرب هاج جودها
وبت عرت أمره منا وبينها * طرودا نكادا اللى يكودها
ماتت ثلاث آلاف مرة واربعه * بجرمه منا تداوى كبودها
وقال الآخر منهم
أيا رب جير الخلق من نائج البلا * الا القليل انجار ما لا يجيرها
٢١ وخص بها اقرة مناف وعينها * ديما الارياد البوادى تشيرها

فذكر نسبهم فى مناف وليس فى هلال مناف هكذا منفردا انما هو عبد مناف والله
تعالى أعلم وكان شيخهم أيام الحاكم مختار بن القاسم ولما بعث الحاكم يحيى بن على
الاندلسى لصريخ فلفول بن سعيد بن خزروق بطرابلس على صنهاجة كما نذكره
فى اخبار بنى خزروق أوعز اليهم فى السير معه فوصلوا الى طرابلس وجروا الهزيمة على
يحيى بن على ورجعوا الى برقة وبعث عنهم فامتنعوا ثم بعث لهم بالامان ووصل وفدهم
الى الاسكندرية فقتلوا عن آخرهم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان عندهم
معلم للقرآن اسمه الوليد بن هشام ينسب الى المغيرة بن عبد الرحمن من بنى أمية وكان
يزعم ان لديه اثارة من علم فى اختيار ملك آبائه وقبل ذلك منه البرابرة من مزاتة
وزناتة ولواتة وتحدثوا بشأنه فنصبه بنو قرة وما بعده بالخلافة سنة خمس وتسعين وتغلبوا
على مدينة برقة وزحف اليهم جيوش الحاكم فهزموهم وقتل الوليد بن هشام وقائدها
من الترك ثم رجعوا به الى مصر فانهزموا ولحق الوليد بأرض الحامن بلاد السودان
ثم أخفرت ذمته وسيق الى مصر وقتل وهدرت لبنى قرة جناياتهم هذه وعفا عنهم ولما
كانت سنة ثنتين وأربعمائة اعترضوا هدية باديس بن المنصور ملك صنهاجة من
افريقية الى مصر فأخذوها وزحفوا الى برقة فغلبوا العامل عليها وفر فى البحر
واستولوا على برقة ولم يزل هذا شأنهم ببرقة فلما زحف اخوانهم الهلاليون من زغبة

ورياح والاثبج واتباعهم الى افريقية كانوا ممن زحف معهم وكان من شيوخهم ماضى ابن مقرب المذكور فى اخبار هلال ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق فى الخبر يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبى الفتوح وأنه أصهر الى الحسن بن سرحان فى أخته الجازية فانكحه اياها وولدت منه ولدا واسمه محمد وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة وأجمعوا الرحلة عن نجد الى افريقية وتحيلوا عليه فى استرجاع هذه الجازية فطلبته فى زيارة أبويها فأزارها اياهم وخرج بها الى حللهم فارتحلوا به وبها وكتموا رحلتها عنه وموهوا عليه بانهم يباكرون به للصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة الى ان فارق موضع ملكه وصار الى حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه فرجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل وانها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه الى ان ماتت من حبه ويتناقلون من اخبارها فى ذلك ما يعفى عن خبر قيس وكثير ويروون كثيرا من اشعارها محكمة المبانى متفقة الاطراف وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع لم يفقد فيها من البلاغة شيء وانما   فقط ولا مدخل له فى البلاغة كما قررناه لك فى الكتاب الاول من كتابنا هذا الا ان الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون فى روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ويحسبون ان الاعراب هو أصل البلاغة وليس كذلك وفى هذه الاشعار كثير أدخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بآيتهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم وضبط لاسماء رجالاتهم وكثير من أحوالهم لكنا لانثق بروايتها وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها ويتهمه وهذا قصارى الامر فيه وهم متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل ويكاد القادح فيها والمستريب أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم وهذا الشريف الذى يشيرون اليه هو من الهواشم وهو شكر بن أبى الفتوح الحسن بن أبى جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبى الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس وأبو الفتوح هو الذى خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدى وبايع له بنو الجراح امراء طيئ بالشام وبعثوا عنه فوصل الى احيائهم وبايع له كافة العرب ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدى ورجع الى مكة وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة فولى بعده ابنه شكر هذا وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى ابنه محمد الذى يزعم هؤلاء الهلاليون أنه من الجازية هذه وتقدم ذلك فى اخبار العلوية هكذا نسبه ابن حزم (وقال ابن سعيد) هو من السليمانيين من ولد

بياض بالاصل

بهامش نسخة مانصه قصة أبى زيد التى تحكى فى قهاوى مصر أصلها هذه الواقعة كما أشار لذلك المؤلف وكثيرا ما كنت أتطلب لها أصلا فى التواريخ فلم أجده الا فى هذا المحل فرحم الله المؤلف فلقد بين أصولا كثيرة يحتاج اليها كل ناظر فى فن التاريخ كتبه حسن العطار اه

محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسن السبط الذى بايعه أبو الزاب الشيبانى بعد ابن طباطبا ويسمى الناهض ولحق بالمدينة فاستولى على الحجاز واستقرت امارة ملكه فى بنيه الى ان غلبهم عليها هؤلاء الهواشم جدا قريبا من الحسن والحسين واما هاشم الاعلى فمشترك بين سائر الشرفاء فلا يكون مميزا لبعضهم عن بعض واخبرنى من أثق به من الهلاليين لهذا العهد انه وقف على بلاد الشريف شكر وانها بقعة من أرض نجد مما يلى الفرات وان ولده بها لهذا العهد والله أعلم ومن مزاعمهم ان الجازية لما صارت الى افريقية وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضى بن مقرب من رجالات دريد وكان المستنصر لما بعثهم الى افريقية عقد لرجالاتهم على امصارها وثغورها وقلدهم أعمالها فعقد لموسى بن يحيى المرداسى على القيروان وباجة وعقد لزغبة على طرابلس وقابس وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة فلما غلبوا صنهاجة على الامصار وملك كل ما عقد له سمت الرعايا بالامصار عسفهم وعيثهم باختلاف الايدى اذ الوازع مفقود من أهل هذا الجيل العربى منذ كانوا فثاروا بهم وأخرجوهم من الامصار وصاروا الى ملك الضواحى والتغلب عليها وسوم الرعايا بالخسف فى النهب والعيث وافساد السابلة هكذا الى هلم ولما غلبوا صنهاجة اجتهد زناتة فى مدافعتهم بما كانوا أملك للبأس والنجدة بالبداوة فحاربوهم ورجعوا اليهم من افريقية والمغرب الاوسط وجهز صاحب تلمسان من بنى خزر قائده أبا سعدى اليفرنى فكانت بينهم وبينه حروب الى ان قتلوه بنواحى الزاب وتغلبوا على الضواحى فى كل وجه وعجزت زناتة عن مدافعتهم بافريقية والزاب وصار الملتحم بينهم فى الضواحى بجبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الاوسط فلما استقر لهم الغلب وضعت الحرب أوزارها وصالحهم الصنهاجيون على خطة خسف فى انفرادهم بملك الضواحى دونهم وصاروا الى التفريق بينهم وظاهر الاثبج على رياح وزغبة وحشد الناصر بن علناس صاحب القلعة لمظاهرتهم وجمع زناتة وكان فيهم المعز بن زيرى صاحب فاس من مغراوة ونزلوا الاربس جميعا ولقيهم رياح وزغبة بسبيبة ومكر المعز بن زيرى المغراوى بالناصر وصنهاجة بدسيسة زعموا من تميم بن المعز ومن المعز بن باديس صاحب القيروان فخرج عليهم الهزيمة واستباحت العرب وزناتة هذا من الناصر ومضاربه وقتل أخوه القاسم ونجا الى قسنطينة ورياح فى اتباعه ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها واحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الامصار ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكنيها وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغوروا المياه واحتطبوا الشجر

وأظهروا فى الارض الفساد وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها فى الامصار وملكوا عليهم الضواحى يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ويأخذون لهم الاتاوة على التصرف فى أوطانهم ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر القاصر بن علناس سكنى القلعة واختط بالساحل مدينة بجاية ونقل اليها ذخيرته وأعدها لنزله ونزلها المنصور ابنه من بعده فرارا من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحى الى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم واستقروا بها بعد وتركوا القلعة وكانوا يختصون الاثبج من هؤلاء الاحياء بالرياسة سائر أيامهم ثم افترق جمع الاثبج وذهبت بذهاب صنهاجة دولتهم ولما غلب الموحدون سائر الدول بالمغرب فى سنى احدى وأربعين وخمسمائة وزحف شيخ الموحدين عبد المؤمن الى افريقية وفد عليه بالجزائر أميران منهم لذلك العهد أبو الجليل بن شاكر أمير الاثبج وحباس بن مسيفر من رجالات جشم فتلقاهما بالمبرة وعقد لهما على قومهما ومضى لوجهه وفتح بجاية سنة تسع وخمسين ثم انتقض العرب الهلاليون على دعوة صنهاجة وكان أمير رياح فيهم محرز بن زياد بن بادخ احدى بطون بنى على بن رياح فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف وعليهم عبد الله بن عبد المؤمن فتواقفوا   علقوا فيهما رواحلهم وأثبتوا فى مستنقع الموت أقدامهم ثم انتقض فى الرابعة جمعهم واستلحقهم الموحدون وغلبوا عليهم وغنموا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم واتبعوا أدبارهم الى محصن سبتة ثم راجعوا من بعد ذلك بصائرهم واستكانوا لعز الموحدين وغلبهم فدخلوا فى دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم وأطلق عبد المؤمن اسراءهم ولم يزالوا على استقامتهم ولم يزل الموحدون يستنفرونهم فى جهادهم الاندلس وربما بعثوا اليهم فى ذلك المخاطبات الشعرية فأجازوا مع عبد المؤمن ويوسف ابنه كما هو فى اخبار دولتهم ولم يزالوا فى استقامتهم الى ان خرج عن الدولة بنو غانية المسوفيون أمراء ميورقة أجازوا البحر فى أساطيلهم الى بجاية فكبسوها سنة احدى وثمانين وخمسمائة لاول دولة المنصور وكشفوا القناع فى نقض طاعة الموحدين ودعوا العرب بها فعادت هيف الى أديانها وكانت قبائل جشم ورياح وجمهور الاثبج من هؤلاء الهلاليين أسرع اجابة اليها ولما تحركت جيوش الموحدين الى افريقية لكف عدوانهم تحيزت قبائل زغبة اليهم وكانوا فى جملتهم ولحق بنو غانية بفاس ومعهم كافة جشم ورياح ولحق بهم جل قومهم من مسوفة واخوانهم لمتونة من اطراف البقاع واستمسكوا بالدعوة العباسية التى كان أمراؤهم بنو تاشفين بالمغرب يتمسكون بها فأقاموها بمن اليهم من القبائل والممالك ونزلوا بفاس وطلبوا من الخليفة ببغداد المستنصر تجديد العهد لهم بذلك

وأوفدوا عليه كاتبهم عبد البر بن فرسان فعقد لابن غانية وأذن له فى حرب الموحدين واجتمعت اليه قبائل بنى سليم بن منصور وكانوا جاؤا على اثر الهلاليين عند اجازتهم الى افريقية وظاهره على أمره ذلك قراقوش الارمنى ونذكر أخباره فى أخبار الميورقى فاجتمع لعلى بن غانية من الملثمين والعرب والعجم عساكر جمة وغلب الضواحى وافتتح بلاد الجريد وملك قفصة وتوزر ونفطة ونهض اليه المنصور من مراكش يجر أمم المغرب من زناتة والمصامدة وزغبة من الهلاليين وجمهور الاثبج فأوقعوا بمقدمته بفحص عمرة من جهات قفصة ثم زحف اليهم من تونس فكانت الكرة عليهم وفل جمعهم واتبع آثارهم الى ان شردهم الى صحارى برقة وانتزع بلاد قسطيلة ونا سى وقفصة من أيديهم وراجعت قبائل جشم ورياح من الهلاليين طاعته ولاذوا بدعوته فنقلهم الى المغرب الاقصى وأنزل جشم ببلاد تامسنا ورياحا ببلاد الهبط وأزغار مما يلى سواحل طنجة الى سلا وكانت لحوم بلاد تاتة منذ غلبهم الهلاليون على افريقية وضواحيها أرض مصاب ما بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الاوسط وبها قصور جددها فسميت باسم من ولى خطتها من شعوبهم وكان بنو بادين وزناتة وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبقوز ودال وبنوراش شيعة الموحدين منذ اول دولتهم فكانوا أقرب اليهم من أمثالهم بنو مرين وأنظارهم كما يأتى وكانوا يتولون من رياف المغرب الاوسط وتلوله ما ليس يليه أحد من زناتة ويجوسون خلاله فى رحلة الصيف بما لم يؤذن لاحد من سواهم فى مسه حتى كأنهم من جملة عساكر الموحدين وحامتهم وأمرهم اذذاك راجع الى صاحب تلمسان من سادة القرابة ونزل هذا الحى من زغبة مع بنى بادين هؤلاء لما اعتزلوا اخوانهم الهلاليين وتميزوا الى فئتهم وصاروا جميعا قبلة المغرب الاوسط من مصاب الى جبل راشد بعد ان كانت قسمتهم الاولى بقابس وطرابلس وكانت لهم حروب مع أولاد خزروق أصحاب طرابلس وقتلوا سعيد بن خزرون فصاروا الى هذا الوطن الآخر خشية بن غانية وانحرافهم عنه الى الموحدين وانعقد ما بينهم وبين بنى بادين حلف على الجوار والذب عن الاوطان وحمايتها من معرة العدو وفى احتيال غرتها وانتهاز الفرصة فيها فتعاقدوا على ذلك واجتوروا وأقامت زغبة فى القفار وبنو بادين بالتلول والضواحى ثم فر مسعود بن سلطان بن زمام أمير الرياحيين من بلاد الهبط ولحق ببلاد طرابلس ونزل على زغب وذئاب من قبائل بنى سليم ووصل الى مرافش بن رياح أخص معه طرابلس حين افتتحها وهلك هنالك وقام الى الميورقى ولحق وانفسه بالجملة فهزمه وقتل الكثير من قومه وانهزمت طائفة من قوم محمد بن مسعود منهم ابنه عبد الله وابن عمه حركات بن أبى الشيخ بن عساكر بن سلطان وشيخ من شيوخ قرة فضرب

أعناقهم وفر يحيى بن غانية الى مسقطه من الصحراء واستمرت على ذلك أحوال هذه القبائل من هلال وسليم واتباعها ونحن الآن نذكر أخبارهم ومصائر أمورهم ونعددهم فرقة فرقة ونخص منهم بالذكر من كان لهذا العهد بحيه وناجعته ونطوى ذكر من انقرض منهم ونبدأ بذكر الاثبج لتقدم رياستهم أيام صنهاجة كما ذكرناه ثم نتبع بذكر جشم لانهم معدودون فيهم ثم نذكر رياحا وزغبة ثم المعقل لانهم من أعداء هلال ثم نأتي بعدهم بذكر سليم لانهم جاؤا من بعدهم والله الخلاق القديم

(الخبر عن الاثبج وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة)

كان هؤلاء الاثبج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم وفي دريد بطنان وعنز ويقولون بزعمهم ان أثبج هو ابن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال فكرفة هو ابن الاثبج وكان لهم جمع وقوة وكانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لافريقية وكانت مواطنهم جبال جبل أوراس من شرقيه ولما استقر أمر الاثبج بافريقية على غلب صنهاجة على الضواحي ووقعت الفتنة بينهم وذلك ان حسن ابن سرحان وهو من دريد قتل شبانة بن الاحيمر من كرفة غيلة فطوت كرفة له على الهائم ثم ان أخته الجازية غاضبت زوجها ماضي بن مقرب بن قرة ولحقت بأخيها فمنعها منه فاجتمعت قرة وكرفة على فتنة حسن وقومه وظاهرتهم عياض ولم تزل الفتنة الى ان قتل حسن بن سرحان قتله أولاد شبانة بن الاحيمر وثأروا منه بأبيهم ثم كان الغلب بعد ملدريد على كرفة وعياض وقرة واستمرت الفتنة بين هؤلاء الامالح وافترق أمرهم وجاءت دولة الموحدين وهم على ذلك الشتات والفتنة وكانت لبطونهم ولاية لصنهاجة فلما ملك الموحدون افريقية نقلوا منهم الى المغرب العاصم ومقدما وقرة وتوابع لهم من جشم وأنزلوا جميعهم بالمغرب كما نذكر واعتزت رياح بعدهم بافريقية وملكوا ضواحي قسطينة ورجع اليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز الزواودة على الامراء والدول وساء أثرهم فيها وغلبوا بقايا الاثابج فنزلوا قرى الزاب وقعدوا عن الظعن وأوطنوا بالقرى والآطام ولما نبذ بنو أبي حفص العهد للزواودة كما يأتي في أخبارهم واستجاش عليهم بنو سليم وأنزلوهم القيروان اصطنعوا كرفة من بطون الاثابج فكانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان وأقطعتهم الدولة لذلك جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية حيث كانت محلاتهم الشتوية حتى اذا اختل ريح الدولة وأخلقت جدتها واعتزت رياح عليها وملكوا

المجالات على من يظعن فيها نزل كرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه ملالا متفرقة واتخذوه وطنا وربما يظعن بعضهم الى تخوم الزاب كما نذكر عن بطونهم وهم بطون كثيرة فأولهم بنو محمد بن كرفة ويعرفون بالكلبية وأولاد سهيب بن محمد بن كلب ويعرفون بالشبه وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كلب ويعرفون بالصحة وأولاد سرحان بن فاضل أيضا ويعرفون بالسرحانية وهؤلاء هم المودعات وهم موطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهودا ثم أولاد نافت بن فاضل وهم أهل الرياسة في كرفة ولهم اقطاعات السلطان التي ذكرناها وهم ثلاثة أفخاذ أولاد مساعد وأولاد ظافر وأولاد قطيعة والرياسة أخص بأولاد مساعد في أولاد علي بن جابر بن فتاح بن مساعد بن نابت وأما بنو محمد والمروانة فهم ظواعن جائلة في القفار لملقاء مواطن أولاد نابت ويكتالون الحبوب لاقواتهم من زروع أهل الجبل وأولاد نابت وربما يستعملهم صاحب الزاب في تصاريف أمره من عسكر وأخبار وغير ذلك من اغراضه وأما دريد فكانوا أعز الاثبج وأعلاهم كعبا بما كانت الرياسة على الاثبج كلهم عند دخولهم الى افريقية لحسن بن سرحان بن وبرة احدى بطونهم وكانت مواطنهم ما بين ولد العناب الى قسنطينة الى طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التي هلك فيها حسن بن سرحان كما ذكرناه وقبره هنالك وكانوا بطونا كثيرة منهم أولاد عطية بن دريد وأولاد سرو بن دريد وأولاد جار الله من ولد عبد الله بن دريد وتوبة من ولد عبد الله أيضا وهو توبة بن عطاف بن جبر ابن عطاف بن عبد الله وكانت لهم بين هلال رياسة كثيرة ومدحهم شعراؤهم فمن ذلك قول بعض شعرائهم

دريد ذات سراة البدو للجود منقع * كما كل أرض منقع الماء خيارها
تحن الى أوطان مرة يافتى لكن معها * جملة دريد كان موارها
وهم عربوا الاعراب حتى تعربت * بنوف المعالى ما بنى في قصارها
وتركوا طريق النار برهة وقد * كان ماتقوى المطايا جارها

فأما أولاد عطية فكانت رياستهم في أولاد بني مبارك بن حباس وكانت لهم تلة بن حلوف من أرض قسطينة ثم دثروا وتلاشوا غلبتهم توبة على تلة بن حلوف زحفوا اليها من مواطنهم بطارق مصقلة بملوكها وما اليها ثم عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الابل واتخذوا الشاء والبقر وصاروا في عداد القبائل الغارمة وربما طالبهم السلطان بالعسكرة معه فيعينون له جندا منهم ورياستهم في أولاد وشاح بن عطوة بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة وفي أولاد مبارك بن عابر بن عطية بن عطوة

وهم على ذلك لهذا العهد ويجاورهم أولاد سرور وأولاد جار الله على سننهم فى ذلك فأما
أولاد وشاح فرياستهم لهذا العهد منقسمة بين مهيم بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين
أحمد بن خليفة بن رشاش بن وشاح وأما أولاد مبارك بن عابر فرياستهم أيضا منقسمة
بين ماح بن محمد بن منصور وأما أولاد جار الله فرياستهم فى ولد
عنان بن سلام منهم وأما العاصم ومقدم والضحاك وعياض فهم أولاد مشرف بن
أثبج ولطيف وهو ابن سرح بن شرف وكان لهم عدد وقوة بين الاثابج وكان العاصم
ومقدم انحرفوا عن طاعة الموحدين الى ابن غانية فأشخصهم يعقوب المنصور الى
المغرب وأنزلهم تامسنا مع جشم ويأتى خبرهم وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم
بافريقية فعياض نزلوا بجبل القلعة قلعة بنى حماد وملكوا قبائله وغلبوهم على
أمرهم وصاروا يتولون جبايتهم ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة رياح صاروا الى
المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم للسلطان وسكنوا ذلك الجبل فطوله من المشرق الى
المغرب ما بين ثنية غنية والقصاب الى وطن بنى يزيد بن زغبة فأولهم مما يلى غنية للمهاية
ورياستهم فى أولاد د يفل ومعهم بطن منهم يقال لهم الزبر وبعدهم المرتفع ثم الخراج من
بطونهم فأما المرتفع فثلاثة بطون أولاد تبار ورياستهم فى أولاد محمد بن موسى وأولاد
حناش ورياستهم فى بنى عبد السلام وأولاد عبدوس ورياستهم فى بنى صالح ويرعى أولاد
حناش وأولاد تبار جميعا أولاد حناش وأما الخراج فرياستهم لاولاد زائدة بنى عباس
ابن خصى ويجاور الخراج من جانب الغرب أولاد صخر وأولاد رحمة من بطون عياض
وهم مجاورون لبنى يزيد بن زغبة فى آخر وطن الاثابج من الهلاليين وأما الضحاك
فكانوا بطونا كثيرة وكانت رياستهم مفترقة بين أميرين منهم وهما أبو عطية
وكلب بن منيع وغلب كلب أبا عطية على رياسة قبيلتهما الاول دولة الموحدين فارتحل
فيما زعموا الى المغرب وسكن صخرتيجى بماسة وكانت له فيها آثار حتى قتله الموحدون
او غربوه الى الاندلس هكذا ينقل أصحاب أخبارهم وبقى جمعهم بالزاب حتى غلب
مسعود بن زمام والزواودة عليهم وأصاروهم فى جملتهم ثم عجزوا عن الظعن ونزلوا بلاد
الزاب واتخذوا بها المدن فهم على ذلك لهذا العهد وأما لطيف فهم بطون كثيرة منهم
اليتى وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف بن ذوى مطرف وذوى أبى الخليل وذوى
حلال بن معافى ومنهم اللقامنة أولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم أولاد جرير بن
علوان بن محمد بن لقمان ونزار بن معن بن عيا واليه يرجع نسب بنى مزنى الولاة بالزاب
لهذا العهد وكانت لهؤلاء كثرة ونجعة ثم عجزوا عن الظعن وغلبهم على الضواحى
الزواودة من بعدهم لما قل جمعهم وافترق ملوكهم وصار الى المغرب من صار

منهم

منهم من جمهور الاثبج فاهتضموا وعليهم رياح والزواودة فنزلوا بلاد الزاب واتخذوا بها
الآطام والمدن مثل الدوسن وغرسلا وتهودة وتقموه وبادس وهم لهذا العهد من
جملة الرعايا الغارمة لامير الزاب ولهم عجمة منذ رياستهم القديمة لم يفارقوها وهم على
ذلك لهذا العهد وبينهم فى قصورهم بالزاب فتن متصلة بين المتجاورين منهم وحروب
وفتنة وعامل الزاب يدرأ بعضا ببعض ويستوفى جبايته منهم جميعا والله خير الوارثين
ويلحق بهؤلاء الاثبج القرور وغلب على الظن أنهم من ولد عمرو بن عبد مناف وليسوا
من ولد عمر بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال لان رياحا وزغبة والاثبج بن أبى ربيعة ولا نجد
بينهم انتماء بالجملة ونجد بينهم وبين قرة وغيرهم من بطون هلال الانتماء فدل على أنهم
لعمرو بن عبد مناف أو يكونون من عمر بن رويبة بن عبد الله بن هلال وكلهم معروف
ذكره ابن الكلبى والله أعلم بذلك وهم بطنان قرة وعبد الله وليس لهم رياسة على أحد من
هلال ولا ناجعة تظعن لقلتهم وافتراق ملئهم انما هم ساكنون بالضواحى والجبال
وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة وموطنهم ما بين جبل أوراس شرقا الى جبل راشد
وكان كل ذلك من ناحية المصنة والصحراء وأما التلول فهم مرفوعون عنها بالتهم
وحوهم من حامية الدول فتجدهم أقرب الى موطن القفر والجدب (فأما بنو قرة) منهم
فبطن متسع الا أنهم مفترقون فى القبائل والمدن وحدانا وبنو عبد الله منهم على رياسة
فيهم وهم عبد الله بن على وبنوه محمد ومانى بطنان وولد محمد عنان وعزيز بطنان وولد
عنان شكر وفارس بطنان من ولد شكر أولاد يحيى بن سعيد بن بسيط بن شكر بطن
أيضا فأما أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد مانى فوطنهم بسفح جبل أوراس المطل
على بسكرة قاعدة الزاب متصلين كذلك غربا الى مواطن غمرة وهم فى جوار رياح وتحت
أيديهم وخول لاولاده وخصوصا من الزواودة المتولين موطنهم بالمجال واصحاب
الزاب عليهم طاعة لقرب جواره وحاجتهم الى سلطانه فى مصرفهم لذلك فى حاجته متى
عنت من أخبار العير ومقارفة مدن الزاب مع رجله وغير ذلك (وأما أولاد شكر) وهم
أكبر رياسة فيهم فنزلوا جبل راشد وكانوا فريقين فنزلوا واحتربوا أولاد ذكرى
ودفعوهم عن جبل راشد فصاروا الى جبل كسال محاذيه من ناحية الغرب وأوطنوه
واتصلت فتنتهم معهم على طول الايام وافتتحهم رجال زغبة باقسام المواطن فصار
أولاد يحيى أهل جبل راشد فى ايالة سوبر بن زغبة واحلافا لهم وأولاد ذكرى أهل
جبل كسال فى ايالة بنى عامر واحلافا لهم وربما يقتحمون بادية زغبة مع أهل المصر
احلافا لهم فى فتنتهم كما نذكر فى اخبار زغبة وكان شيخهم من أولاد يحيى فيما قرب من
عهدنا عامر بن أبى يحيى بن يحيى وكان له فيهم ذكر وشهرة وكان ينتحل العبادة وج

ولقى بمصر شيخ الصوفية لعصره يوسف الكورانى وأخذ عنه ولقى طرف هدايته ورجع الى قومه وعاهدهم على طريقته ونحلته وكان شيخ أولاد ذكرى يعمور بن موسى بن بوزير بن ذكرى وكان يسارى عامرا ويناهضه فى شرفه الا ان عامرا كان اسود منه بنحلة العبادة والله مصرّف الامور والخلق اهـ

سرحان
شبيب
بكار
ابو الجليل
الضحاك
العاصم
مقدم

هؤلاء الاحياء بالمغرب لهذا العهد فيهم بطون من قرة والعاصم ومقدم والاثبج وجشم والخلط وغلب عليهم جميعا اسم جشم فعرفوا به وهم جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان أصل دخولهم الى المغرب ان الموحدين لما غلبوا على افريقية وأذعنت لهم هؤلاء القبائل من العرب كانت فتنة ابن غانية فاجلبوا فيها وانحرفوا عن الموحدين وراجعوا الطاعة لعهد المنصور فنقل جشم هؤلاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الاحياء وأنزلهم تامسنا ونقل رياح وأنزلهم الهبط فنزل جشم بتامسنا البسيط الافيح ما بين سلا ومراكش أوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية الى القفار لاحاطة جبل درن بها وشموخه بأنفه حذاءها ووشوج اعراقه حجزا عليها فلم ينموا بعدها قفرا ولا ابعدوا رحلة وأقاموا بها أحياء حلولا وافترقت جيوشهم بالمغرب الى الخلط وسفيان وبنى جابر وكانت الرياسة لسفيان من بينهم فى أولاد جرمون سائر أيام الموحدين ولما وهن أمر بنى عبد المؤمن وفشلوا وذهبت ريحهم استكثروا بجموعهم فكانت لهم سورة غلب واسر على الدولة بكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة وخربوا ما بين الاعياص وظاهروا الخلافة وأكثروا الفساد وسائر آثارهم باقية ولما اقتحم بنومرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا فاس وقريتها لم تكن فيه حامية أشد منهم بأس ومن رياح اقرب العهد بالبداوة فكانت لهم معهم وقائع وحروب استلحمهم فيها بنومرين الى ان حق الغلب واستكانوا لعز بنى مرين وصولتهم وأعطوهم صفقة الطاعة وأصهر بنومرين منهم الى الخلط فى بنت بنى مهلهل فكان فى جملة بنى مرين وكانت لهم الجولة للملك واستقرت رياسة جشم وكثرهم فى الخلط منهم فى بنت مهلهل بعد ان كانت على عهد الموحدين فى سفيان ثم ضربت الايام ضربانها وأخلقت حدتهم وفشلوا وذهبت ريحهم ونسوا عهد البداوة والناجعة وصاروا فى عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان (ولنذكر الآن) فرقهم الاربع واحياء كل واحدة منها ونحق الكلام فى أنسابهم فليست راجعة الى جشم على ما يتبين ولكن الشهرة بهذا النسب متصلة والله أعلم بحقائق الامور

هذه قبائل معدودة فى جشم وجشم المعهود هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن أو لعله جشم آخر من غيرها وكان شيخهم المشهور لعهد المأمون وبنيه جرمون بن عيسى ونسبه فيما يزعم بعض المؤرخين أيام الموحدين فى بنى قرة وكانت بينهم وبين الخلط شيعة للمأمون وبنيه فصار سفيان لذلك شيعة يحيى بن الناصر منازعه فى الخلافة بمراكش ثم قتل الرشيد مسعود بن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد فصاروا الى يحيى ابن القاصر وصار سفيان الى الرشيد ثم ظهر بنومرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع

بياض بالاصل
بياض بالاصل

الموحدين ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق أمير بني مرين حياء مما وقع له معه وذلك سنة ثمان وثلاثين وذلك انه نادمه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران يرقص طربا ثم أفاق فندم وفر الى محمد بن عبد الحق وذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها وعلا كعب كانون ابنه من بعده عند السعيد وخالف عليه عند نهوضه الى بني مرين سنة ثلاث وأربعين ورجع الى دازمور فملكها وقت ذلك في عقد السعيد فرجع عن حركته وقصد كانون بن جرمون ففر أمامه وحضر حركته الى تامزركت وقتل قبل مهلكه بيوم قتله الخلط في فتنة وقعت بينهم في محلته السعيدة وهي التي جرت عليها تلك الواقعة وأقام بأمر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرمون وقتل محمد ابن أخيه كانون وقام بأمر سفيان وحضر مع المرتضى حركة أمان ايملولين سنة تسع وأربعين فرحل عن السلطان واختل عسكره فرجع فاتبعه بنو مرين وكانت الهزيمة ثم رجع المرتضى وعفا له عنها ثم قتله سنة تسع وخمسين مسعود وعلي ابناء أخيه كانون بثأر أبيهما ولحقا بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بأمره فقدم عمه عبيد الله بن جرمون فعجز فقدم مسعود بن كانون ولحق عبد الرحمن ببني مرين ثم نهض المرتضى على يعقوب بن قيطون شيخ بني جابر وقدم عوضا منه يعقوب بن كانون السفياني ثم راجع عبد الرحمن بن يعقوب سنة أربع وخمسين فتقبض عليه واعتقل وأقام مسعود بن كانون شيخا على سفيان وكان لبني عمه معه

بياض بالأصل

وعيسى

ابناء يعقوب بن جرمون ونزع مسعود عن يعقوب مقامه الى ان هلك سنة ست وستين ابن عبد الحق ولحق بسكورة وشب نار الفتنة والحرب وأقيم الحطو حطو

بياض بالأصل

ابن يعقوب مقامه الى ان هلك سنة تسع وستين فولى مكانه أخوه عيسى وهلك مسعود بسكورة سنة ثمانين ولحق ابنه منصور بن مسعود بالسكسيوى الى أن راجع الخدمة أيام يوسف بن يعقوب ووفد عليه بعسكره من حصار تلمسان سنة ست وسبعمائة فتقبله واتصلت الرياسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء الى عهدنا وأدركت شيخا لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون ابن عيسى وكان سفيان هؤلاء حيا حلولا باطراف تامسنا مما يلي أسفي وملك بسائطها الفسيحة عليهم الخلط وبقي من أحيائهم الحرث والكلابة ينتجعون أرض السوس وقفاره ويطلبون ضواحي بلاد حاجة من المصامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس ورماتهم في أولاد مطاوع من الحرث وطال عيثهم في ضواحي مراكش وافسادهم فلما استبد سلطان مراكش الامير عبد الرحمن بن أبي خلفوس على ابن السلطان أبي علي

سنة ست وسبعين وسبعمائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم واستقدمهم بعض أيامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة وشيخهم منصور بن يعيش من أولاد مطاع وتقبض عليهم أجمعين وقتل من قتل منهم وأودع الآخرين سجونه فذهبوا مثلا في الايام وحصدت شوكتهم والله قادر على ما يشاء

(الخلط من جشم)

هذا القبيل يعرف بالخلط وهم في عداد جشم هؤلاء لكن المعروف أن الخلط بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين ولما ضعف أمر القرامطة استولى بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة ثم غلبهم عليها بنو أبي الحسين من بطون تغلب بالدعوة العباسية فارتحل بنو سليم وبنو المنتفق من هؤلاء المسمون بالخلط الى افريقية وبقي سائر بني عقيل بنواحي البحرين الى أن غلب منهم على التغلبيين بنو عامر بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل اخوة الخلط هؤلاء لانهم في المغرب منسوبون الى جشم تخليطا في النسب ممن يحققه من العوام ولما أدخلهم المنصور الى المغرب كما قلناه استقروا ببسائط تامسنا فكانوا أولى عدد وقوة وكان شيخهم هلال بن حمدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج لا نعرف من نسبه أكثر من هذا فلما ولي العادل بن منصور خالفوا عليه وهزموا عساكره وبعث هلال ببيعته الى المأمون سنة خمس وعشرين واتبعه الموحدون في ذلك وجاء المأمون وظاهروه على أمره وتحيز أعداؤهم سفيان الى يحيى بن القاص منازعة ولم يزل هلال مع المأمون الى أن هلك في حركته سنته وبايع بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراكش وهزم سفيان واستباحهم ثم هلك هلال وولي أخوه مسعود وخالف على الرشيد عمر بن أوقاريط شيخ العساكر من الموحدين وكان صديقا لمسعود ابن حميدان فأغراه بالخلاف على أكسنز السلطان فخالف وحاول عليه الرشيد حتى قدم عليه بمراكش وقتله في جماعة من قومه سنة ثنتين وثلاثين وولي أمر الخلط بعده يحيى ابن أخيه هلال ومر بقومه الى يحيى بن القاص وحصروا مراكش ومعهم ابن أوقاريط وخرج الرشيد الى سجلماسة واستولوا على مراكش وعاثوا فيها ثم جاء الرشيد سنة ثلاث وثلاثين وغلبهم عليها ولحق ابن أوقاريط بالاندلس وأبدى على بن هود بيعة الخلط وعلموا أنها حيلة من ابن أوقاريط وأنه تخلص من الورطة فطردوا عنهم يحيى بن القاص الى معقل وراجعوا الرشيد فتقبض على علي ووشاح ابني هلال وسجنهم بأزمور سنة خمس وثلاثين ثم أطلقهم ثم غدر بعد ذلك بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم جميعا مع عمر بن أوقاريط كان أهل اشبيلية بعثوا به اليه ثم حضروا مع السعيد

فى حركته الى بنى عبد الواحد وجدوا عليه الواقعة حتى قتل فيها بفتنتهم مع سفيان يومئذ فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى ان تقبض على أشياخهم سنة ثنتين وخمسين وقتلهم ولحق عواج بن هلال ببنى مرين وقدم المرتضى عليهم على بن أبى على من بيت الرياسة فيهم ثم رجع عواج سنة أربع وخمسين واغزاه على بن أبى على فقتل فى غزاته ثم كانت واقعة أم الرجلين على المرتضى سنة ستين فرجع على بن أبى على الى بنى مرين ثم صار الخلط كلهم الى بنى مرين وكانت الرياسة فيهم بأول السلطان لبنى مرين لمهلهل بن يحيى من مقدم وأصهر اليه يعقوب بن عبد الحق فأنكحه ابنته التى كان منها ابنه السلطان أبو سعيد ولم يزل مهلهل عليهم الى ان هلك سنة خمس وتسعين ثم ابنه عطية وكان لعهد السلطان أبى سعيد وابنه أبى الحسن و بعثه سفيرا الى سلطان مصر الملك الناصر ولما هلك قام بأمره أخوه عيسى بن عطية ثم ابن أخيهما زمام بن ابراهيم بن عطية و بلغ الى المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه الى ان هلك فولى أمره ابنه أحمد بن ابراهيم ثم أخوه سليمان بن ابراهيم ثم أخوهما مبارك على مثل حالهم أيام السلطان أبى عنان ومن بعده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان أبى سالم واستولى على المغرب أخوه عبد العزيز وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراكش فكان مبارك هذا معه ولما تقبض على أبى الفضل تقبض على مبارك وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد وقتله فقتل معه مبارك هذا لما كان يعرف به من صحابته ومداخلته فى الفتن كما يذكر فى أخبار بنى مرين وولى ابنه محمد على قبيل الخلط الاان الخلط اليوم دثرت كان لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الافيح زيادة للعز والدعة فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف والله غالب على أمره

(بنو جابر بن جشم)

بنو جابر هؤلاء من عداد جشم بالمغرب وربما يقال انهم من سدراتة احدى فرق زناتة أولواتة والله أعلم بذلك وكان لهم أثر فى فتنة يحيى بن الناصر بما كانوا معه من احزابه ولما هلك يحيى بن الناصر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بعث الرشيد بقتل شيخهم قائد بن عامر وأخيه قائد وولى بعده يعقوب بن محمد بن قيطون ثم اعتقله يغلو قائد الموحدين بعثه المرتضى لذلك وقدم يعقوب بن جرموق وولى مشيخة بنى جابر اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ثم تحيز بنو جابر هؤلاء من أحياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صناكة الساكنين بقشة وهضابة من البربر فيسهلون الى السبط تارة ويأوون الى الجبل فى حلف البربر وجوارهم أخرى اذا دهمتهم مخافة

من السلطان أو ذى غلبة والرياسة فيهم لهذه العصور فى ورديغة من بطونهم أدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبى عنان حسين بن على الورديغى ثم هلك وأقيم مقامه الناصر ابنه ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن السلطان الى سالم سنة ستين وسبعمائة ونهضت اليهم عساكر السلطان فأمكنوا منه ثم لحق بهم أبو الفضل بن السلطان أبى سالم عند فراره عن مراكش سنة ثمان وستين ونازله السلطان عبد العزيز واحتط به فلحق برابرة صناكة من قومه ثم أمكنوا منه على مال حمل اليهم ولحق بهم اثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن يغلوسن على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب وطلبه عمر فأخرجوه عنهم وطال بذلك مراس الناصر هذا للفتنة فنكرته الدولة وتقبض عليه وأودع السجن فمكث فيه سنين وتجافت الدول عنه من بعد ذلك وأطلق عقالهم ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازى المستبد بالمغرب على ابن السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ونقلوا الرياسة عن بنى

على هؤلاء والله يقلب الليل والنهار وقد يزعم كثير من الناس ان ورديغة من بنى جابر ليسوا من جشم وانهم بطن من بطون سدراتة احدى شعوب لواتة من البربر ويستدلون على ذلك بمواطنهم وجوارهم للبربر والله أعلم بحقيقة ذلك

بياض بالاصل

(العاصم ومقدم من الاثبج)

هؤلاء الاحياء من الاثبج كما ذكرنا فى أنسابهم ونزلوا تامسنا معهم وكانت لهم عزة وعلياء الاان جشم أعز منهم لمكان الكثرة وكان موطنهم بسيط تامسنا وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية كان اخوانهم من جشم وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ثم عهد المأمون منهم حسن بن زيد وكان له أثر فى فتنة يحيى بن الناصر ولما هلك سنة ثلاث وثلاثين أمر الرشيد بقتل حسن بن زيد مع قائد وقائد ابنى عامر شيوخ بنى جابر فقتلوا جميعا ثم صارت الرياسة لابى عياد وبنيه وكان بينهم لعهد بنى مرين عياد بن أبى عياد وكان له تغلب فى النفرة والاستقامة فر الى تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة وفر الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ولم يزل دأبه هذا وكانت له ولاية مع يعقوب بن عبد الحق من قبل ذلك ومقاماته فى الجهاد مذكورة وبقيت رياسته فى بنيه الى ان انقرض أمرهم وأمر مقدم ودثروا وتلاشوا والله خير الوارثين

(الخبر عن رياح و بطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة)

كان هذا القبيل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم افريقية وهم فيما ذكره ابن الكلبى رياح بن أبى ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر وكانت رياستهم حينئذ

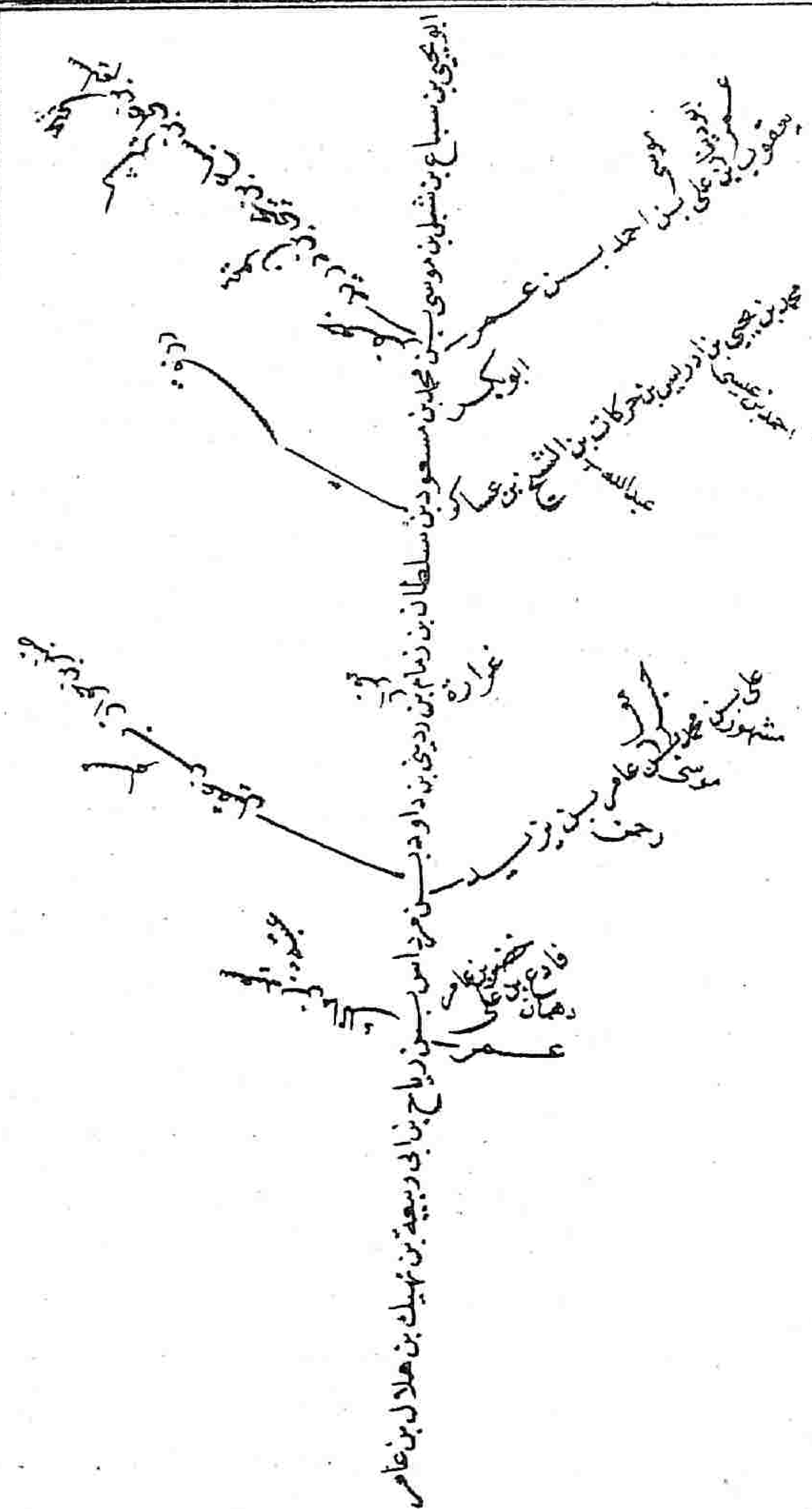
لموسى بن يحيى الضنبرى من بطون مرداس بن رياح وكان من رجالاتهم لذلك العهد
الفضل بن على مذكور فى حروبهم مع صنهاجة وكانت بطونهم عمرو ومرداس وعلى
كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح وخضر بن عامر بن رياح وهم الاخضر ولمرداس بطون
كثيرة داود بن مرداس وضنبر بن حواز بن عقيد بن مرداس واخوتهم مسلم بن عقيل
ومن أولاده عامر بن يزيد بن مرداس بطن أخرى منهم بنو موسى بن عامر وجابر بن عامر
وقد يقال انهم من لطيف كما قدمناه وسودان ومشهور وبنو محمد بن عامر من بطون
ثلاثة اسم وسودان وعلى بن محمد وقد يقال أيضا ان المشاهرة وهم بنو مشهور بن هلال
ابن عامر من غير رياح والله أعلم والرياسة على رياح فى هذه البطون كلها لمرداس وكانت
عند دخولهم افريقية فى ضنبر منهم ثم صارت للزواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح
ويزعم بنو عمر بن رياح ان أباهم كفله ورباه وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود
ابن سلطان بن زمام بن ورديغى بن داود وكان يلقب البلط لشدته وصلابته ولما نقل
المنصور رياحا الى المغرب تخلف عساكر أخو مسعود فى جماعات منهم لما بلاه السلطان
من طاعته وانحياشه وأنزل مسعودا وقومه ببلاد الهبط ما بين قصور كتامة المعروف
بالقصر الكبير الى ازغار البسيط الفيح هنالك الى ساحل البحر الاخضر واستقروا هنالك
وفر مسعود بن زمام من بينهم فى لمة من قومه سنى تسعين وخمسمائة ولحق بافريقية
واجتمع اليه بنو عساكر أخيه ولحقوا بطرابلس ونزلوا على زغب وذئاب يتقلبون
بينهم ثم نزع الى خدمة قراقش وحضر معه بقومه فتح طرابلس كما نذكره فى أخبار قراقش
ثم رجع الى ابن غانية الميروقى ولم يزل فى خلافه ذلك الى ان هلك وقام بأمره من بعده
ابنه محمد وكانت له رياسة وغناء فى فتنة الميروقى مع الموحدين ولما غلب أبو محمد بن أبى
حفص يحيى الميروقى مع الموحدين سنة ثمانى عشرة على الحمة من بلاد الجريد وقتل من
العرب من قتل كان فيمن قتله ذلك اليوم عبد الله بن محمد هذا وابن عمه أبو الشيخ بن
حركات بن عساكر ولما هلك الشيخ أبو محمد رجع محمد بن مسعود الى افريقية وغلب
عليها واجتمع اليه حلف الاثبج ظواعن من النحالك ولطيف فكاثروه واعتزوا به على
قتالهم من دريد وكرفة الى ان عجزت ظواعن النحالك ولطيف عن الرحلة وافترقوا
فى قرى الزاب وصدرة وبقى محمد بن مسعود يتغلب فى رحلته وصارت رياسة البدو
فى ضواحى افريقية ما بين قسطيلة والزاب والقيروان والمسيلة له ولقومه ولما هلك
يحيى بن غانية من العرب من بنى سليم والرياح سنة احدى وثلاثين كما نذكره انقطع
ملكهم واستغلظ سلطان أبى حفص واستقل منهم الامير يحيى بن عبد الواحد بخطبة
الخلافة عند ما فسد كرسى مراكش وافترق اتباع يحيى بن غانية من العرب من بنى سليم

والرياح فذكره آل أبى حفص هؤلاء الزواودة ومكانهم من الوطن مما سلف من
عنادهم ومشايعتهم لابن غانية فى أخبارهم واصطنعوهم لمشايعة الدولة وضربوا بينهم
وبين قبائل رياح وأنزلوهم بالقيروان وبلاد قسطيلة وكان آية لمحمد بن مسعود ووفد
عليه فى بعض السنين وفد مرداس يطلبون المكيل وينزلون عليهم فنزهوا الى نعمتهم
وقاتلوهم عليها وقتلوا رزق بن سلطان عم محمد بن مسعود فكانت بينهم وبين رياح أيام
وحروب حتى رحلوهم جانب المشرق من افريقية وأصاروهم الى جانبها الغربى وملك
الكعوب ومرداس من بنى سليم ضواحى الجانب الشرقى كلها من قابس الى بونة
ومعطة وامتاز الزواودة بملك ضواحى قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب
وريغ وواركلا وما وراءها من القفار فى بلاد القبلة وهلك محمد بن مسعود وولى رياسته
موسى بن محمد وكان له صيت وغناء فى قومه واعتزاز على الدولة (ولما هلك يحيى) بن عبد
الواحد وبويع ابنه محمد المستنصر الطائر الذكر المصنوع له فى الشهرة وخرج عليه أخوه
ابراهيم فلحق بالزواودة هؤلاء فبايعوه بجهات قسنطينة واتفقوا على تقديمه ونهض
اليه المستنصر سنة ست وستين وستمائة ففروا أمامه وافترق جمعهم وتحيز اليه بنو عساكر
ابن سلطان منهم ورياستهم يومئذ لولد مهدى بن عساكر ونبذوا العهد الى ابراهيم بن
يحيى ولحقوا بتلمسان وأجاز البحر الى الاندلس وأقام بها فى جوار الشيخ ابن الاحمر ثم
هلك موسى بن محمد وولى رياسته ابنه شبل بن موسى واستطال على الدولة وكثر عيثهم
فنبذ المستنصر عهدهم ونهض اليه بعساكره وجموعه من الموحدين والعرب من بنى
سليم وأولاد عساكر اخوانهم وعلى مقدمته الشيخ أبو هلال عياد بن محمد الهنتاتى
وكان يومئذ أميرا ببجاية وحاول عليهم فاستقدم رؤساءهم شبل بن موسى بن محمد بن
مسعود ومعهم دريد بن تازير شيخ أولاد نابت من كرفة فتقبض عليهم لحين قدومهم
وضرب أعناقهم فى سريح واخذ ابن رايه حيث بايعوا أبا اسحق أخاه والقاسم بن
بوزير بن أبى حفص القازع اليهم لطلب الخروج على الدولة وافترقت ظواعنهم وفروا
امامه واتبعهم الى آخر الزاب وترك شبل بن موسى سباعا ابنه طفلا صغيرا فكفله عمه
مولاهم ابن موسى ولم تزل الرياسة بهم وترك سباع ابنه يحيى ايضا طفلا فكفله عمه طلحة
ابن يحيى ولحق بجلهم بملوك زناتة المغرب وأولاد محمد لحقوا بيعقوب بن عبد الحق بفاس
وأولاد سباع بن يحيى لحقوا بيغمراسن بن زيان بتلمسان فكسوهم وحملوهم فارتاشوا
وقاتلوا واحتالوا وزحفوا الى مواطنهم فتغلبوا على اطراف الزاب من واركلا وقصور
ريغ وصيروها سهما بينهم وانتزعوها للموحدين فكان آخر عهدهم بملكها
ثم تقدموا الى بلاد الزاب وجمع لهم عاملها أبو سعيد عثمان بن محمد بن عثمان ويعرف

بابن عتوا من رؤساء الموحدين وكان منزله بمقرة فزحف اليهم بمكانهم من الزاب وأوقعوا به وقتلوه بقلطاوة وغلبوا على الزاب وضواحيه لهذا العهد ثم تقدّموا الى جبل أوراس فتغلبوا على من به من القبائل ثم تقدّموا الى التل وجمع لهم من كان به من أولاد عساكر وغلبهم موسى بن ماضى بن مهدى بن عساكر فجمع قومه ومن فى حلفهم من عياض وغيرهم وتزاحفوا فغلبهم أولاد مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضى وتولوا الوطن بما فيه ثم تلافت الدولة أمرهم بالاصطناع والاستمالة وأقطعوهم ماغلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب ثم الامصار التى بالبسيط الغربى من جبل أوراس المسمى عندهم بالحضنة وهى نقاوس ومقرة والمسيلة واختص أقطاع المسيلة بسباع بن شبل بن يحيى حتى صارت لعلى بن سباع بن يحيى من بعد ذلك فهى فى قسم بنيه وسهامهم واختص أقطاع مقرة بأحمد بن عمر بن محمد وهو ابن عم شبل ابن موسى بن سباع ونقاوس بأولاد عساكر ثم هلك سباع بن شبل وقام بامرهم ابنه عثمان ويعرف بالعاكر فنازعه الرياسة بنو عمه على بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود وسليمان بن على بن سباع بن يحيى ولم يزالوا كذلك لهذا العهد ولهم تغلب على ضواحى بجاية وقسنطينة ومن بها من سرديكش وعياض وأمثالهم ورياسة أولاد محمد الآن ليعقوب بن على بن أحمد وهو كبير الزواودة بمكانه وسنه وله شهرة وذكر ومحل من السلطان متوارث ورياسة أولاد سباع فى أولاد على بن سباع وأولاد على أشرف منهم وأعز بالكثرة والعدد ورياستهم فى ولد يوسف بن سليمان بن على بن سباع وترادفهم أولاد يحيى بن على بن سباع واختص أولاد محمد بنواحى قسنطينة وأقطعتهم الدول كثيرا من أريافها واختص أولاد سباع بنواحى بجاية واقطاعهم فيها قليل لمنعة بجاية وضواحيها عن ضيم العرب ولغلبهم بالجبال المطيبة بها وتوعر مسالكها على رواحل الناجعة وأمّا ريغ ووارگلا فقسمة بينهم منذ عهد سلفهم كما قلناه وأمّا الزاب فالجانب الغربى منه وقاعدته طواقة لاولاد محمد وأولاد سباع بن يحيى وكانت لابى بكر بن مسعود فلما ضعف بنوه ودثروا اشتراها منهم على بن أحمد شيخ أولاد عمر وسليمان بن على شيخ أولاد سباع واتصلت بينهم بسببها الفتنة وصارت فى مجالات أولاد سباع بن يحيى فسار غلب سليمان وبنيه عليها أكثر والجانب الوسط وقاعدته بسكرة لاولاد محمد وفى مجالاتهم وليعقوب بن على على عامله بسبب ذلك سلطان وعزة وله به تمسك واليه انحياش فى منعته من الدولة واستبداده بوطنه وحمايته ضواحيه من عيث الاعراب وفسادهم غالب الاوقات وأمّا الجانب الشرقى من الزاب وقاعدته بادس وتنومة فهو لاولاد نابت رؤساء كرفة بما هو من مجالاتهم وليس هو من مجالات رياح الان

عمال الزاب تأخذ منه فى الاكثر جباية غير مستوفاة بعسكر لها بنادية رياح باذن من كبيرهم يعقوب وانزاله فى الامر وبطون رياح كلها تبع لهؤلاء الزواودة ومقتسمون عليهم وملتمسون مما فى أيديهم وليس لهم فى البلاد ملك يستولون عليه وأشدهم قوّة وأكثرهم جمعا بطون سعيد ومسلم والاخضر يبعدون النجعة فى القفار والرمال ويحضرون الزواودة فى فتنة بعضهم مع بعض ويختصون بالحلف فريقا دون آخر فسعيد احلاف لاولاد محمد سائر أيامهم الا قليلا من الاحيان ينابذونهم ثم يراجعونهم ومسلم والاخضر احلاف لاولاد سباع وكذلك لابى حابين (فأمّا سعيد) فرياستهم لاولاد يوسف ابن زيد منهم فى ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف واردافهم أولاد عيسى بن رحاب بن يوسف وهم ينتسبون بزعمهم الى بنى سليم فى أولاد القرس من سليم والصحيح من نسبهم انهم من رياح بالحلف والموطن ومع أولاد يوسف هؤلاء افاتف من العرب يعرفون بالمخادمة والعيوث والفجور فأمّا المخادمة والعيوث من ابناء مخدم فمن ولد مشرف بن أثبج وأمّا الفجور فهم من البرابر لواتة وزناتة احدى بطونهم وفيهم من بغاث فأمّا بغاث فمن بطون حرام وسيأتى ذكرهم (وأمّا زناتة) فهم من طور لواتة كما ذكرناه فى بنى جابر وسار لا كثير منهم الى العدوة لعهد بنى الاحمر سلطان الزنادى وكانت له فى الجهاد آثار وذكروا أن منهم بأرض مصر والصعيد كثيرا وأمّا احلاف أولاد محمد من الزواودة فبطن من رقاب بن سودات بن عامر بن صعصعة اندرجوا فى أعداد رياح ولهم معهم ظعن ونجعة ولهم مكان من حلفهم ومظاهرتهم وأمّا احلاف أولاد سباع من مسلم والاخضر فقد قدّمنا ان مسلما من أولاد عقيل بن مرداس بن رياح ومرداس بن رياح بعضهم ينتسب الى الزبير بن العوام وهو خلط ويقول بعض من ينكر عليهم انما هو نسب الى الزبير بن المهاية الذين هم من بطون عياض كما ذكرناه ورياسته فى أولاد جماعة بن مسلم بن حماد بن مسلم بين أولاد تساكر بن حامد بن كسلان ابن غيسل بن رحال بن جماعة وبين أولاد زواوة بن موسى بن قطران بن جماعة وأمّا الاخضر فيقولون انهم من ولد خضر بن عامر وليس عامر بن صعصعة فان أبناء عامر ابن صعصعة معروفون كلهم عند النسابين وانما هو والله أعلم عامر آخر من أولاد رياح ولعله عامر بن زيد بن مرداس المذكور فى بطونهم أو انهم من الخضر الذين هم ولد مالك ابن طريف بن مالك بن حفصة بن قيس عيلان ذكرهم صاحب الاغانى وقال انما سموا الخضر لسوادهم والعرب تسمى الاسود أخضر قال وكان مالك شديد السمرة فأشبهه ولده ورياستهم فى أولاد تامر بن على بن تمام بن عمار بن خضر بن عامر بن رياح واختصت مرين بأولاد تامرى ولد عامر بن صالح بن عامر بن عطية بن تامر وفيهم بطن

آخر لزيادة بن تمام بن عمار وفى رياح أيضا بطن من عمرة بن أسد بن ربيعة من نزار ويظعنون مع ناديهم (وأما من نزل من رياح) ببلاد الهبط حيث أنزلهم المنصور فأقاموا هنالك بعد رحلة رئيسهم مسعود بن زمام بتلك المواطن الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون وقتله سنة ثلاثين وستمائة ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء البعث مع عساكرهم فقاموا بحماية ضواحيهم وتحيزاهم بنو عسكر بن محمد بن محمد من بنى مرين حين كانوا حربا لاخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف الملوك منهم لهذا العهد فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محمد بن أبى بكر بن جماعة أبو الملك وابنه ادريس فأوجدوا السبيل لبنى مرين على أنفسهم فى طلب الترة والدماء فأثخنوا فيهم واستلحموهم قتلا وسبيا مرة بعد أخرى وكان آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت عامر بن يوسف بن يعقوب سنة سبع وسبعمائة تتبعهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس الهضاب وأسنمة الربا المتوسطة فى المرج المستبحر بازغار فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل القادمة ثم دثروا وتلاشوا شأن كل أمة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لارب غيره ولا معبود سواه وهو نعم المولى ونعم النصير عليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم ونتوسل اليه بجاه نبيه الكريم أن يرزقنا ايمانا دائما وقلبا خاشعا وعلما نافعا ويقينا صادقا ودينا قيما والعافية من كل بلية وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية والغنى عن الناس وان يحسن عاقبتنا فى الامور كلها وان يجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وان يرزقنا من فضله وكرمه ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ومرافقة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنان الخلد بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين



* (الخبر عن سعادة العالم بالسنة فى رياح ومآل أمره وتصاريف أحواله) *

كان هذا الرجل من مسلم احدى شعوب رياح ثم من رحمان منهم وكانت أمه تدعى خصيبة وكانت فى أعلى مقامات العبادة والورع ونشأ هو منتحلا للعبادة والزهد وارتحل الى المغرب ولقى شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحى تازة أبا اسحق التسولى وأخذ عنه ولزمه وتفقه عليه ورجع الى وطن رياح بفقه صحيح وورع وافر ونزل طولقة من بلاد الزاب وأخذ بنفسه فى تغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن عرفه أو صحبه فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته لذلك من قومه وغيرهم ولزم صحابته منهم اعلام عاهدوه على التزام طريقته كان من أشهرهم أبو يحيى بن أحمد بن   شيخ بنى محمد بن مسعود من الزواودة وعطية بن سليمان بن سباع شيخ أولاد سباع بن يحيى منهم وعيسى بن يحيى بن ادريس شيخ أولاد ادريس وأولاد عساكر منهم وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيى بن دريد بن مسعود منهم وهجرس بن على من أولاد يزيد بن زغبة ورجالات من العطاف من زغبة فى كثير من اتباعهم والمستضعفين من قومهم فكثر بذلك تابعه واستظهر بهم على شأنه فى اقامة السنة وتغيير المنكر على من جاء به واشتد على قاطع الطريق من شرار البوادى ثم تخطى ذلك الى العمار فطلب عامل الزاب يومئذ منصور بن فضل بن مزنى باعفاء الرعايا من المكوس والظلامات فامتنع من ذلك واعتزم على الايقاع به فحال دونه عشائر أصحابه وبايعوه على اقامة السنة والموت دونه فى ذلك وأذنهم ابن مزنى فى الحرب ودعا لذلك أمثالهم ونظراءهم من قومهم وكان لذلك العهد على بن أحمد بن عمر بن محمد قد قام برياسة أولاد محمد وسليمان بن على بن سباع قد قام برياسة أولاد يحيى واقتسموا رياسة الزواودة فظاهروا ابن مزنى على مدافعة سعادة وأصحابه المرابطين من اخوانهم وكان أمر ابن مزنى والزاب يومئذ راجعا الى صاحب بجاية من بنى أبى حفص وهو الامير خالد ابن الامير أبى زكريا والقائم بدولته أبو عبد الرحمن بن عمر وبعث اليه ابن مزنى فى المدد فأمده بالعساكر والجيوش وأوعز الى أهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بأنحائها زاوية ونزل بها هو وأصحابه ثم جمع أصحابه المرابطين وكان يسميهم السنية وزحفوا الى بسكرة وحاصروا ابن مزنى سنة ثلاث وسبعمائة وقطعوا نخيلها وامتنعت عليهم فرحلوا عنها ثم أعادوا حصارها سنة أربع وسبعمائة وامتنعت ثم انحدر أصحاب سعادة من الزواودة الى مشاتيهم سنة خمس وسبعمائة وأقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة وجمع من كان اليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة وعن املى وحاصرها أياما وبعثوا بالصريخ الى ابن مزنى والعسكر السلطانى مقيم عندهم ببسكرة فأركبهم ليلا مع أولاد

بياض بالاصل

حرب

حرب من الزواودة وصبحوا سعادة وأصحابه على املى فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلحم الكثير من أصحابه وحمل رأسه الى ابن مزنى وبلغ الخبر الى أصحابه بمشاتيهم فظهروا الى الزاب ورؤساؤهم أبو يحيى بن أحمد بن عمر شيخ أولاد محرز وعطية ابن سليمان شيخ أولاد سباع وعيسى بن يحيى شيخ أولاد عساكر ومحمد بن حسن شيخ أولاد عطية ورياستهم جميعا راجعة لابى يحيى بن أحمد ونازلوا بسكرة وقطعوا نخيلها وتقبضوا على عمال ابن مزنى فأحرقوهم فى النار واتسع الخرق بينهم وبينه ونادى ابن مزنى فى أزيانه من الزواودة واجتمع اليه على بن أحمد شيخ أولاد محمد وسليمان بن على شيخ أولاد سباع وهما يومئذ اجلاء الزواودة وخرج ابنه على بينهم بعساكر السلطان وتزاحفوا بالصحراء سنة ثلاث عشرة فغلبهم المرابطون وقتل على بن مزنى وتقبض على على بن أحمد فقادوه أسيرا ثم أطلقه عيسى بن أحمد رعيا لاخيه أبى يحيى بن أحمد واستفحل أمر هؤلاء السنية ماشاء الله أن يستفحل ثم هلك أبو يحيى بن أحمد وعيسى بن يحيى وخلت أحياء أولاد محرز من هؤلاء السنية وتفاوض السنية فيمن يقيمونه بينهم فى الفتيا فى الاحكام والعبادات فوقع نظرهم على الفقيه أبى عبد الله محمد بن الازرق من فقهاء مقرة وكان أخذ العلم ببجاية على أبى محمد الزواوى من كبار مشيختها فقصدوه بذلك وأجابهم وارتحل معهم ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة واجتمع اليه السنية واستفحل بهم جانب أولاد سباع واجتمعوا على الزاب وحاربوا على بن أحمد طويلا وكان السلطان ابو تاشفين حين كان يجلب على أوطان الموحدين ويخبب عليهم أولياءهم من العرب يبعث الى هؤلاء السنية بالجوائز يستدعى بذلك ولايتهم ويبعث معهم للفقيه أبى الازرق بجائزة معلومة فى كل سنة ولم يزل ابن الازرق مقيما لرسمهم الى ان غلبهم على أمرهم ذلك على بن أحمد شيخ أولاد محمد وهلك حسن بن سلامة وانقرض أمر السنية من رياح ونزل ابن الازرق ببسكرة فاستدعاه يوسف بن مزنى لقضائها تفريقا لامر السنية فأجابه ونزل عنده فولاه القضاء ببسكرة الى ان هلك سنة   ثم قام على بن أحمد بهذه السنية بعد حين ودعا اليها وجمع لابن مزنى سنة أربعين وسبعمائة ونزل ببسكرة وجاءه مدد أهل ريغ وأقام محاصرا لها أشهرا وامتنعت عليه فأقلع عنها وراجع يوسف بن مزنى وصاروا الى الولاية الى ان هلك على ابن أحمد وبقى من عقب سعادة فى زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزنى الرعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا فى اجازة من يجيزونه من أهل السابلة وبقى هؤلاء الزواودة ينزع بعضهم احيانا الى اقامة هذه الدعوة فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق فى الورع بما يناسبها ويقضى حقها بل يجعلونها ذريعة

بياض بالاصل

لاخذ الزكوات من الرعايا ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسوا في ارتقاء فينحل أمرهم بذلك وتخفق مساعيهم ويتنازعون على ماتحصل بأيديهم ويعترفون على غير شئ والله متولى الامور لا اله الا هو سبحانه يحيى ويميت

(الخبر عن زغبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة)

هذه القبيلة اخوة رياح ذكر ابن الكلبي ان زغبة ورياحا أبناء أبى ربيعة بن نهيك بن هلال ابن عامر هكذا نسبهم وهم لهذا العهد يزعمون ان عبد الله يجمعهم بكسر دال عبد ولم يذكر ابن الكلبي ذلك وذكر عبد الله فى ولد هلال فلعل انتسابهم اليه بما كفلهم واشتهر دونهم وكثيرا ما يقع مثل هذا فى انساب العرب أعنى انتساب الابناء لعمهم أو كافلهم والله أعلم وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم افريقية وتغلبوا على نواحى طرابلس وقابس وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس ولم يزالوا بتلك الحال الى ان غلب الموحدون على افريقية وثار بها ابن غانية وتحيزت اليه أفاريق هلال ابن رياح وجشم فنزعت زغبة الى الموحدين وانحرفوا عن ابن غانية نزعوا والحق نزوعهم وصاروا يدا واحدة مع بنى بادس من زناتة فى حماية المغرب الاوسط من ابن غانية واتباعه واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان فى القفار وملك بنو بادين وزناتة عليهم التلول (ولما ملكت زناتة) بلاد المغرب الاوسط ونزلوا بأمصاره دخل زغبة هؤلاء التلول وتغلبوا فيها ووضعوا الاتاوة على الكثير من أهلها بما جمعهم وزناتة من البداوة وعصبية الحلف وخلا ثغرهم وحمايتهم فطرأت عرب المعقل المجاورون لهم من جانب المغرب وغلبوا على من وجدوا من مخلف زغبة هؤلاء بتلك القفار وجعلوا عليهم خفارة يأخذونها من ابلهم ويختارون عليهم البكرات منها وأنفوا بذلك وتآمروا وتعاقدوا على دفع هذه الهضيمة وتولى كبرها من بطونهم ثوابة بن جوثة من سديد كما نذكره بعد فدفعوهم عن أوطانهم من ذلك القفر ثم استفحلت دولة زناتة وهيجوا العرب عن وطن تلولهم لما تنشأ عنهم من العيث والفساد فرجعوا الى صحرائهم وملكت الدولة عليهم التلول والحبوب واستصعب المير وهزل الكراع وتلاشت أحوالهم وضربت عليهم البعوث واعطوا الاتاوة والصدقة حتى اذا فشل ريح زناتة وداخل الهرم دولتهم وانتزى الخوارج من قرابة الملك بالعاصية وجدوا السبيل بالفتن الى طروق التلول ثم الى الغلب فيها ثم غالبوا زناتة عليها فغلبوهم فى أكثر الاحايين وأقطعتهم الدولة الكثير من نواحى المغرب الاوسط وأمصاره فى سبيل الاستظهار بهم فتمشت ظعونهم فيه وملكوه من كل جانب كما نذكره وبطون زغبة هؤلاء يتعددون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة وقد اقتسموا بلاد المغرب الاوسط كما نذكر فى أخبارهم

(بنو يزيد بن زغبة)

كان لبنى يزيد هؤلاء محل من زغبة بالكثرة والشرف وكان للدول به عناية فكانوا لذلك أول من اقتطعه الدول من العرب التلول والضواحى أقطعهم الموحدون فى أرض حمزة من أوطان بجاية مما يلى بلاد رياح والاثابج فنزلوا هنالك ولحق تلك الثنايا المفضية الى تلول حمزة والدهوس وأرض بنى حسن وتلولها وبقاو صحراء وصار للدولة استظهار بهم على بجاية تلك الدعاية من صنهاجة وزواوة فلما عجزت عساكر بجاية من جبايتهم دفعوهم للقاء فأحسنوا فى اقتضائها وزادت الدول بهم تكرمة وعناية بذلك واقتطعهم الكثير من تلك الاوطان ثم غلب زناتة الموحدون على تلك الاوطان فاقتطعوه عن أوطان بجاية وأصاروها عن ممالكهم فلما فشل ريح زناتة وجاش بحر فتنتهم مع العرب استبد بنو يزيد هؤلاء بملكة تلك الاوطان وغلبوا عليها من جميع جوانبها وفرقوا بجايتها واقتضاء مغارمها وهم على ذلك لهذا العهد وهم بطون كثيرة فمنهم حميان بن عقبة بن يزيد وجواب وبنو كرز وبنو موسى والمرابعة والخشنة وهم جميعا بنو يزيد بن عيسى بن زغبة واخوانهم عكرمة بن عيسى من ظعونهم وكانت الرياسة فى بنى يزيد لاولاد لاحق ثم لاولاد معافى ثم صارت فى بيت سعد بن مالك بن عبد القوى ابن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدى بن يزيد بن عيسى بن زغبة وهم يزعمون أنه مهدى بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق نسب تأباه رياستهم على غير عصبتهم وقد مر ذلك قبل وربما نسبهم آخرون الى سلول وهم بنو مرة بن صعصعة أخى عامر بن صعصعة وليس بصحيح لما قلناه وقد يقال ان سلولا وبنى يزيد اخوة ويقال لهم جميعا أولاد فاطمة وبنو سعد هؤلاء ثلاثة بطون بنو ماضى بن رزق بن سعد وبنو منصور بن سعد وبنو زغلى بن رزق بن سعد واختصت الرياسة على الظعون والحلول ببنى زغلى وكانت لريان بن زغلى فيما علمناه ثم من بعده لاخيه ديفل ثم لاخيهما أبى بكر ثم لابنه سامى بن أبى بكر ثم لابنه معتوق بن أبى بكر ثم لموسى بن عمهم أبى الفضل بن زغلى ثم لاخيه أحمد بن أبى الفضل ثم لاخيهما على بن أبى الفضل ثم لابى النيل بن أبى موسى ابن أبى الفضل وهو رئيسهم لهذا العهد وتوفى سنة احدى وتسعين وخلفه فى قومه ابنه وكان من أحلافهم فيما تقدم بنو عامر بن زغبة يظعنون معهم فى مجالاتهم ويظاهرونهم فى حروبهم وكانت بين رياح وزغبة فتنة طويلة العهد موسى بن محمد بن مسعود وابنه شبل أيام المستنصر بن أبى حفص فكان بنو يزيد هؤلاء يتولون كبرها لمكان الجوار وكان بنو عامر احلافهم فيها وظهراءهم وكان لهم على مظاهرتهم وضيعة من الزرع تسمى الفرارة وهى ألف غرارة من الزرع وكان سببها فيما يزعمون

ان أبا بكر بن زغلى غلبته رياح على الدهوس من وطن حمزة ازمان فتنته معهم فاستنصر بنى عامر بجاءه أولاد شافع وعليهم صالح بن بالغ وبنو يعقوب وعليهم داود بن عطاف وحميد وعليهم يعقوب بن معروف واسترجع وطنه وفرض لهم على وطنه ألف غرارة من الزرع واستمرت بنو عامر فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة الى التلول والارياف كثر عيث المعقل وفسادهم فى وطنها فجاء يغمراسن ببنى عامر هؤلاء من محلاتهم بصحراء بنى يزيد وأنزلهم فى جواره بصحراء تلمسان كيادا للمعقل ومزاحمة لهم بأقيالهم فنزلوا هنالك وتبعتهم حيان من بطون بنى يزيد بما كانو بطونا وناجعة ولم يكونوا احلولا فصاروا فى عداد بنى عامر لهذا العهد وبوات بنو يزيد بلاد الريف وخصبه فأوطن فيه أكثرهم وقال أهل الناجعة منهم الافاريق من عكرمة وبعض بطون عيسى يظعنون مع أولاد زغلى فى قفرهم وأقصروا عن الظعن فى القفر الا فى القليل ومع احلافهم من ظعون رياح أوزغبة وهم على ذلك لهذا العهد ومن بطون بنى يزيد بن عيسى زغبة هؤلاء بنو خشين وبنو موسى وبنو معافى وبنو لاحق وكانت الرياسة لهم ولبنى معافى قبل بنى سعد بن مالك وبنو جواب وبنو كرز وبنو مربع وهم المرابعة وهؤلاء كلهم بطن حمزة لهذا العهد ومن المرابعة حى ينجعون بضواحى تونس لهذا العهد وغلب عليهم بسبب زغبة والله الخلاق العليم

أبو الفضل بن موسى بن زغلى بن رزق بن سعد بن مالك بن عبد القوى بن عبد الله بن سعد بن محمد بن عبد الله

(حصين بن زغبة)

وأمّا أولاد حصين بن زغبة فكانت مواطنهم بجوار بنى يزيد الى المغرب عنهم كانوا حيا حلوا هنالك وكان الريف الحامى لهم من تيطرى ونواحى المدينة مواطن للثعالبة من بطون البعوث ويأخذون منهم الاتاوات والصدقات حتى اذا ذهب سلطان بنى توجين من أرض المدينة وغلبهم عليهم بنو عبد الواد ساموا حصينا هؤلاء خطة الخسف والذل وألزموهم الوضائع والمغارم واستلحموهم بالقتل وهضموهم بالتكاليف وصيروهم فى عداد القبائل بالمقاومة وما آثر ذلك كان تغلب بنى مرين على جميع زناتة كما نذكره فكانوا لهم أطوع ولدولتهم أذل فلما عاد بنو عبد الواد الى ملكهم لعهد أبى حمو موسى بن يوسف بعد مهلك السلطان أبى عنان هبت ريح العز للعرب وفشل ريح زناتة ولحق دولتهم ما يلحق الدول من الهرم ونزل حصين هؤلاء بتيطرى وهو جبل أشير وملكوه وتحصنوا به وكان أبو زيان ابن عم السلطان أبى حمو لما ملك من قبله لحق بتونس مقتطعا حبالة بنى مرين وخرج طالبا الملك ابيه ومنازلا لابن عمه هذا ونزل فى خبر طويل نذكره بقبائل حصين هؤلاء اعوج ما كانوا لمثلها لما راوه من خلع ما كان بأعناقهم من الدول وطرق الاهتضام والعسف فتلقوه بما يجب له ونزل منهم بأكرم قول وأحسن مثوى وبايعوه وراسلوا اخوانهم وكبراءهم من رؤساء زغبة بنى سويد وبنى عامر فأصفقوا عليه وترددت عساكر السلطان أبى حمو وبنى عبد الواد اليهم فتحصنوا بجبل تيطرى وأوقعوا بهم ونهض اليهم السلطان أبو حمو بعساكره فقتلوه ونالوا منه ونالت زغبة بذلك ما أرادوه من الاعتزاز على الدولة آخر الايام وتملكوا البلاد اقطاعات وسهمانا ورجع أبو زيان الى رياح فنزل بهم على سلم عقده مع ابن عمه وبقى لحصين أثر الاعتزاز من حرات واقطعتهم الدولة ما ولوه من نواحى المدينة وبلاد صنهاجة لحصين ولهؤلاء بطنان عظيمان جندل وخراش فمن جندل أولاد سعد خنفر بن مبارك بن فيصل بن سنان ابن سباع بن موسى بن كمام بن على بن جندل ورياستهم فى بنى خليفة بن سعد لعلى وسيدهم أولاد خشعة بن جندل وكانت رياستهم على جندل قبل أولاد خليفة من رئيسهم الآن على بنى صالح بن دياب بن مبارك بن يحيى بن مهلهل ابن شكر بن عامر بن محمد بن خشعة ومن خراش أولاد مسعود بن مظفر بن محمد الكامل ابن خراش ورياستهم لهذا العهد فى ولد رحاب بن عيسى بن أبى بكر بن زمام بن مسعود وأولاد فرج بن مظفر ورياستهم فى بنى خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج وأولاد طريف بن معبد بن خراش ويعرفون بالمعابدة ورياستهم فى أولاد عريف وربما انتسب أولاد مظفر من خراش الى بنى سليم ويزعمون ان مظفر بن محمد الكامل جاء من بنى سليم ونزل بهم والله أعلم بحقيقة ذلك

على بن صالح بن ذياب بن مبارك بن مهلهل بن شكر بن عامر بن محمد بن خنفة

على بن خليفة بن معدل بن حمقر بن مبارك بن فضل بن سنان بن سباع بن موسى بن كاظم بن على بن خذال بن حصين بن زغبة

سلام

رحاب بن عيسى بن ابى بكر بن زمام بن مسعود بن مظفر بن محمد الكامل بن خراش

بن معبد

سباد بن عبد الله بن كثير بن عمر بن ظريف

ابن يزيد بن مسعود بن معرف

(بنو مالك بن زغبة)

وأمّا بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة سويد بن عامر بن مالك وهم بطنان العطاف ابن ولد عطاف بن روى بن حارث والديالم من ولد ديلم بن حسن بن ابراهيم بن روى مابل

سويد فكانوا احلافا لبنى يادين قبل الدولة وكان لهم اختصاص ببنى عبد الواد وكانت لهم لهذا العهد اتاوات على بلد سراة و البطحاء وهوارة ولما ملك بنو يادين تلول المغرب الاوسط وامصاره كان قسم بنى توجين منه شياخا لتلول القفلى ومابين قلعة سعيدة فى الغرب الى المدينة فى الشرق فكان لهم قلعة بن سلامة ومنداس وأنشريس وورنية ومابينهما فاتصل جوارهم لبنى مالك هؤلاء فى القفر والتل ولما ملك بنو عبد الواد تلمسان ونزلوا بساحتها وضواحيها كان سويد هؤلاء أخص بحلفهم وولايتهم من سائر زغبة وكانت لسويد هؤلاء بطون مذكورون من فلية وشبابة ومجاهر وجوثة كلهم من بنى سويد والحساسة بطن من شبابة الى حسان بن شبابة وغفير وشافع ومالف لهم بنو سليمة بن مجاهر وبورحمة وبوكامل وحمدان بنو مقرر بن مجاهر ويزعم بعض نسابتهم ان مقرر اليس بجد لهم وانما وضع ذلك أولا بوكامل وكانت رياستهم لعهد هم ويغمراسن وماقبله فى أولاد عيسى بن عبد القوى بن حمدان وكانوا ثلاثة مهدى وعطية وطراد واختص مهدى بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدى ثم أخوه عمر بن مهدى واقطع يغمراسن يوسف بن مهدى ببلاد البطحاء وسيرات وأقطع عنتر بن طراد بن عيسى مرارى البطحاء وكان يقتضون اتاوتهم على الرعايا ولا ينا كرهم فيها وربما خرج فى بعض خروجه واستخلف عمر بن مهدى على تلمسان وما اليها من ناحية المشرق وفى خلال ذلك خلت مجالاتهم بالقفر من ظعونهم وناجعتهم الاحياء من بطونهم قليلى العدد من الجوثة وفلية ومالف وغفير وشافع وأمثالهم فغلب عليهم ذنالك المعقل وفرضوا عليهم اتاوة من الابل يعطونها ويختارونها عليهم من البكرات وكان المتولى لاخذها منهم من شيوخ المعقل ابن الريشر بن نهار بن عثمان بن عبيد الله وقيل على بن عثمان أخو نهار وقيل ان البكرات انما فرضها المعقل على قومه عامر بن جميل لاجل مظاهرته له على عدوه وبقيت للمعقل عادة الى ان تمشت رجالات من زغبة فى نقض ذلك وغدروا برجال المعقل ومنعوا تلك البكرات (اخبرنى يوسف) بن على ثم غانم عن شيوخ قومه من المعقل ان سبب البكرات وفرضها على زعمه كما ذكرناه وأمّا سبب رفعها فهو ان المعقل كانوا يقولون غراستها ادالة بينهم فلما دالت لعبيد الله الدولة فى غراستها جمع ثوابه فى جوثة قومه وحرضهم على منعها فاختلفوا واختبروا مع عبيد الله ودفعوهم الى جانب الشرق وحالوا بينهم وبين أحيائهم وبلادهم وطالت الحرب ومات فيها بنو جوثة وابن مريح من رجالاتهم وكتب بنو عبد الله الى قومهم من قصيدة بنى معقل

ان لم يصرخونا على العدو * فلا يذكم تذكر ماطر النا

قتلنا ابن جونه والهمام مربح * على الوجه مكتوب وذا من فعالنا

فاجتمعوا وجاؤا الى قومهم وفرت أحياء زغبة واجتمع بنو عبد الله واخوانهم من ذوى منصور وذوى حسان وارتفع أمر البكرات من زغبة لهذا العهد ثم حدث بين يغمراسن وبينهم فتنة هلك فيها عمر بن مهدى وابن حلوا وانزلوهم عن التلول والارياف من بلاد عبد الواد الى القفر المحاذى لاوطان بنى توجين على المهادنة والمصاهرة فصاروا لهم حلفاء على بنى عبد الواد ومن عجز منهم عن الظعن نزل ببسائط البطحاء وسارت بطونهم كلها من شبابة ومجاهر وغفير وشافع ومالف وبورحمة وبوكامل ونزل محيسن ابن عمارة وأخوه سويد بضواحى وهران فوضعت عليهم الاتاوات والمغارم وصاروا من عداد الرعايا أهل الجباية وولى عثمان بن عمر أمر الظاعنين من سويد ثم هلك وقام بأمره ابنه ميمون وغلب عليه اخوه سعيد واستبد وكان بين سويد وبين بنى عامر بن زغبة فتنة اتصلت على الايام وثقلت وطأة الدولة الزيانية عليهم وزحف يوسف بن يعقوب الى منازلة تلمسان وطال مقامه عليها فوفد عليه سعيد بن عثمان بن عمر بن مهدى شيخهم لعهده فأنى مجلسه وكرم وفادته ثم أجمع قتله ففر ولحق بقومه وأجلب على اطراف التلول وملك السرسو قبلة بلاد توجين ونزعت اليه طائفة من عكرمة بنى يزيد وعجزوا عن الظعن وأنزلهم بجبل كريكرة قبلة السرسو ووضع عليهم الاتاوة ولم يزل كذلك الى ان هلك يوسف بن يعقوب واتصل سلطان آل يغمراسن ولما ولى أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن استخلص عريف بن يحيى لديه صحابة كانت له معه قبل الملك ثم آسفه ببعض النزعات الملوكية وكان هلال مولاه المستولى عليه يغص بما كان عريف منه فنزع عريف بن يحيى الى بنى مرين ملوك المغرب الاقصى ونزل على السلطان أبى سعيد منهم سنة عشرين وسبعمائة واعتقل أبو تاشفين عمه سعيد بن عثمان الى ان هلك فى محبسه قبيل فتح تلمسان ولحق أخوه ميمون بن عثمان وولده بملك المغرب وأنزل عريف بن يحيى من سلطان بنى مرين أكرم نزل وأدنى مجلسه وأكرم مثواه ثم اتخذه ابنه السلطان أبو الحسن من بعده بطانة لشوراه ونجيا لخلواته ولم يزل يحرضهم على آل زيان بتلمسان ونفس ميمون بن عثمان وولده عريف رتبته عند السلطان أبى الحسن فنزعوا الى أخيه أبى على بتافيلالت فلم يزالوا بها الى ان هلك ميمون ثم السلطان أبو الحسن على أخيه أبى على وصار أولاد ميمون فى جملته وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان بجر أمم المغرب وأجحر الى زيان بتلمسان ثم اقتحمها عليهم عنوة وأبترهم ملكهم وقتل السلطان أبا تاشفين عند شدونه وبعث كلمته فى أقطار المغرب الاقصى والادنى الى تخوم الموحدين من اندلس وبعث وجمع كلمة زناتة واستتبعهم تحت لوائه وفر بنو عامر

من زغبة أولياء بنى عبد الواد الى القفر كما نذكره ورفع السلطان أبو الحسن قوم عريف بن يحيى بمحلته على كل عربى فى ايالته من زغبة والمعقل وكان عقد لسعون بن سعيد على المناجعة من سويد وهلك أيام نزول السلطان بتاسالة سنة ثنتين وثلاثين قبل فتح تلمسان وولى من بعده أخوه عطية وهلك لاشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فعقد السلطان لونزمار بن عريف على سويد وسائر بنى مالك وجعل رياسة البدو حيث كان من أعماله وأخذ الصدقات منهم والاتاوات فعكفت على هيئة أمم البدو واقتدى بشوراه رؤساؤهم وابن عمه المسعود بن سعيد ولحق ببنى عامر وأجلبوا على السلطان بدعاء صرارشة ابنه أبى عبد الرحمن فجمع لهم ونزمار وهزمهم كما نذكره وسفر عريف بين السلطان أبى الحسن وبين الملوك لعهده من الموحدين بافريقية وبنى الاحمر بالاندلس والترك بالقاهرة ولم يزل على ذلك الى ان هلك السلطان أبو الحسن (ولما تغلب السلطان أبو عنان على تلمسان كما سنذكره رعى لسويد ذمة الانقطاع اليه فرفع ونزمار بن عريف على سائر رؤسا البدو من زغبة وأقطعه السرسو وقلعة ابن سلامة وكثيرا من بلاد توجين وهلك أبو عريف بن يحيى فاستقدمه من البدو وأجلسه بمكان أبيه من مجلسه جوارا ركينة ولم يزل على ذلك وعقد لاخيه عيسى على البدو من قومه ثم بنى عبد الواد بعد ملك السلطان أبى عنان عادت لهم الدولة بأبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن أبى يغمراسن من أعياص ملوكهم وتولى كبر ذلك صغير ابن عامر وقومه لما لهم مع آل زيان من الولاية وما كان لبنى مرين فيهم من النعمات فملكوا تلمسان ونواحيها وعقدوا على سويد لميمون ابن سعيد بن عثمان ونزتاب ونزمار بن عريف ورأى الترهب والخروج عن الرياسة فبنى حصنا بوادى ملوية من تخوم بنى مرين ونزل به وأقام هنالك لهذا العهد وملوك بنى مرين يرعون له ذمة اختصاصه سلفهم فيؤثرونه بالشورى والمداخلة فى الاحوال الخاصة مع الملوك والرؤساء من سائر النواحى فتوجهت اليه بسبب ذلك وجوه أهل الجهات من الملوك وشيوخ العرب ورؤساء الاقطار ولحق أخواه أبو بكر ومحمد بقومهم فكروا بالميمون ودسوا عليه من قتله غيلة من ذويهم وحاشيتهم واستبدوا برياسة البدو ثم لما نصب بنو حصين بن زيان ابن عم السلطان أبى حمو للملك كما نذكره ورشحوه للمنازعة سنة سبع وستين وسبعمائة هبت من يومئذ ريح العرب وجاش مرجلهم على زناتة ووطؤا من تلول بلادهم بالمغرب الاوسط فأعجزوا عن حمايته وولجوا من فروجها ما قصروا عن سده ودبوا فيها دبيب الظلال فى الفيوء فتملكت زغبة سائر البلاد بالاقطاع من السلطان طوعا وكرها رعيا لخدمته وترغيبا فيها وعدة وتمكينا لقوته حتى

أفرجت لهم زناتة عن كثيرها ولجؤا الى سيف البحر وحصل كل منهم فى الفلول
على مايلى موطنه من بلاد القفر فاستولى بنو يزيد على بلاد حمزة وبنى حسن كما كانوا
من قبل ومنعوا المغارم واستولى بنو حسين على ضواحى المدينة اقطاعا والعطاف
على نواحى مليانة والديالم على وزينة وسويد على بلاد بنى توجين كلها ماعدا جبل
ونشريس لتوعره بقيت فيه لمة من توجين رياستهم لاولاد عمر بن عثمان من الحشم بنى
تيغرين كما نذكره وبنى عامر على تاسالة وميلانة الى صيرور الى كيدزة الجبل المشرف
على وهران وتماسك السلطان بالامصار وأقطع منها كلميتو لابى بكر بن عريف ومازونة
لمحمد بن عريف ونزلوا لهم عن سائر الضواحى فاستولوا عليها كافة وأوشك بهم أن
يستولوا على الامصار وكل أول فالى آخر ولكل أجل كتاب وهم على ذلك لهذا العهد
ومن بطون سويد هؤلاء بطن بنواحى البطحاء يعرفون بهبرة ينسبهم الناس الى مجاهد بن
سويد وهم يزعمون انهم من قوم المقداد بن الاسود وهم بهذا من قضاعة ومنهم من
يزعم أنهم من تجيب احدى بطون كندة والله أعلم ومن ظواعن سويد هؤلاء ناجعة
يعرفون بصبيح وينسبهم الى صبيح بن علاج بن مالك ولهم عدد وقوة وهم يظعنون بسويد
ويقيمون بمقامهم (وأما الحرث بن مالك) وهم العطاف والديالم فوطن العطاف قبلة
مليانة ورياسة ظعونهم لولد يعقوب بن نصر بن عروة من منصور بن أبى الذئب بن حسن
ابن عياض بن عطاف بن زيان بن يعقوب وابن أخيه على بن أحمد وبنيهم ومعهم طائفة
من براز احدى بطون الاثبج وأقطعهم السلطان مغارم جبل دراك وما اليه من وادى
شلب وحال بينهم وبين موطن سويد ونشريس ولهم بلاد وزينة فى قبلة الجبل رياستهم
فى ولد ابراهيم بن زروق بن رعاية من مزروع بن صالح بن ديلم والسعد بن العباس بن
ابراهيم منهم لهذا العهد وكانت من قبل لعمه أبى يحيى بن ابراهيم وتقبض عليه
السلطان أبو عثمان باشره عريف بن يحيى وأغرى به وهلك فى محبسه (وفيهم بطون كثيرة)
منهم بنو زيادة بن ابراهيم بن روى والدهابقة أولاد هلال بن حسن وبنو نوال بن حسن
أيضا وكلهم اخوة ديلم بن حسن وابن عكرمة من مزروع بن صالح ويعرفون بالعكارمة
وهؤلاء العطاف والديالم أقل عددا من سويد وأولياؤهم فى فتنتهم مع بنى عامر لمكان
العطية من نسب مالك ولسويد عليهم اعتزاز بالكثرة والديالم أبعد مجالا منهم فى القفر
ويحاذيهم فى مواطنهم من جانب التلول بطن من بطون الحرث يعرفون بغريب نسبهم
الى غريب بن حارث حى حلول مالك المواطن يطلبهم السلطان فى العسكرة ويأخذ منهم
المغارم وهم أهل شاء وبقر ورياستهم فى أبناء مزروع بن خليفة بن خلوف بن يوسف بن
كرة بن منهاب بن مكتوب بن منيع بن مغيث بن محمد الغريب وهو جدهم بن حارث

وترادفهم فى رياستهم على غريب أولاد يوسف وهم جميعا أولاد بنى منيع وسائر غريب
من الاحلاف شيوخهم أولاد كامل والله مالك الخلق والامر

بنو عامر

سعد بن العباس ﴿ بن ابراهيم بن رزوق بن ريحانة | بن حسن | بن ابراهيم

دمهنان

بنو احمد بن يعقوب بن موسى بن يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن أبي الذئب بن حسن بن عياض بن عطاف ﴿ بن ادى ﴿ بن الحارث

اولان

بنو مزاع بن مخلوف بن يوسف بن بركة بن مناهب بن مكفوف ﴿ بن منيع بن مغيث بن محمد بن العريب

وتغار بن عريف بن يحيى ﴿ بن عثمان بن عمر ﴿ بن مهدى بن عيسى ﴿ بن عبد القوى بن حمدان بن معزز ﴿ بن مجاهد بن سويد بن عامر | بن مالك بن زغبة

سعيد
المسعودى
الميمون
عنتر بن طراد
موسى
بديل
بورجة
حسان بن سماية
بليتة
نجيس

عفير

(بنو عامر بن زغبة)

وأمّا بنو عامر بن زغبة فمواطنهم فى آخر مواطن زغبة من المغرب الاوسط قبلة تلمسان مما يلى المعقل وكانت مواطنهم من قبل ذلك فى آخرها مما يلى المشرق وكانوا مع بنى يزيد حيا جميعا وكانوا يغلبون غيرهم فى وطن حمزة والدهوس وبنى حسن لميرة اقواتهم فى المصيف ولهم على وطن بنى يزيد ضريبة من الزرع متعارفة بين أهله لهذا العهد يقال انها كانت لهم أزمان تغلبهم فى ذلك الوطن وقيل ان أبا بكر بن زغبى فى فتنته مع رياح غلبوه على الدهوس من وطنه فاستصرخ بنى عامر فجاؤا الصريخه وعلى بنى يعقوب داود بن عطاف وعلى بنى حميد يعقوب بن معروف وعلى شافع بن صالح ابن بالغ وغلبوا رياحا بعز كان وفرض لهم على وطن بنى يزيد ألف غرارة واستمرت لهم عادة عليهم ولما نقلهم يغمراسن الى مواطنهم هذه لمحاذاة تلمسان ليكونوا حجزا بين المعقل وبين وطنها استقروا هنالك يتقلبون فى قفارها فى المشاتى ويظهرون الى التلول فى المرابع والمصايف وكان فيهم ثلاثة بطون بنو يعقوب بن عامر وبنو حميد ابن عامر وبنو شافع بن عامر وهم بنو شقارة وبنو مطرف ولكل واحد من البطنين الآخرين أفخاذ وعمائر ولبنى حميد فصائل أخرى فمنهم بنو حميد ومن عبيد الحجز وهم بنو حجاز بن عبيد وكان له من الولد جرش وجيش ابنى حجاز وجوش حامد ومحمد ورياب ومن محمد الولالدة بنو ولاد بن محمد ومن رياب بنو رياب وهم معروفون لهذا العهد ومن عبيد أيضا العقلة بنو عقيل بن عبيد والمحارزة بنو محرز بن حمزة بن عبيد وكانت الرياسة على حميد لعلاق من هؤلاء المحارزة وهم الذين قبل جوش جد بنى رياب وكانت الرياسة على بنى عامر كافة لبنى يعقوب على عهد يغمراسن وابنه لداود بن هلال بن عطاف بن رداد بن زكيش بن عياد بن منيع بن يعقوب منهم وكان بنو حميد أيضا برئيسهم وشيخهم الا انه رديف لشيخ بنى يعقوب منهم وكانت رياسة حميد لاولاد رياب بن حامد بن جوش بن حجاز بن عبيد بن حميد ويسمون الحجز وعلى عهد يغمراسن لمعرف بن سعيد بن رياب منهم وهو رديف لداود كما قلناه ووقعت بين عثمان وبين داود بن عطاف مغاضبة وسخطه عثمان لما أجاز الامير أبا زكريا ابن السلطان أبى اسحق من آل أبى حفص حين فر من تلمسان طالب الخروج على الخليفة بتونس وكان عثمان بن يغمراسن فى بيعته فاعتزم على رجعة أبى داود من اخفار ذمته فى ذلك ورحل معه حتى لحق بعطية بن سليمان من شيوخ الزواودة وتغلب على بجاية وقسنطينة كما نذكر فى أخباره وأقطع داود بن هلال رعيا الفعلته وطنا من بلاد حمزة يسمى كدارة وأقام داود هنالك فى مجالاتهم الاولى الى ان نازل يوسف بن يعقوب تلمسان

وطال حصاره لها فوفد عليه داود متلاصلاح حاله لديه وحمله صاحب بجاية رسالة
الى يوسف بن يعقوب فاستراب به من أجلها فلما قفل من وفادته بعث فى اثره خيالة من
زناتة بيتوه ببنى يبق فى سد وقتلوه وقام بأمره فى قومه ابنه سعيد ونفس مخنق الحصار
عن تلمسان وكان قبل بنى مرين وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن فرجعوهم الى
مواطنهم ومع قومهم وقد اعتزأولاد معرف بن سعيد فى غيبتهم تلك يساجلونهم
فى رياسة بنى عامر وغص كل واحد بمكان صاحبه واختص بنو معرف باقبال الدولة
عليهم لسلامتهم من الحزازة والخلاف ونزع سعيد بن داود لاجل هذه الغيرة الى بنى
مرين ووفد على السلطان أبى ثابت من ملوكهم يؤمل به الكرة فلم يصادف لها محلا
ورجع الى قومه وكانوا مع ذلك حيا جميعا ولم تزل السعاية بينهم تدب حتى عدا ابراهيم
ابن يعقوب بن معرف على سعيد بن داود فقتله وتناول قتله ماضى بن ردان من أولاد
معرف بن عامر بمجالاته وتعصب عليه أولاد رياب كافة فافترق أمر بنى عامر وصاروا
حيين بنو يعقوب وبنو حميد وذلك لعهد أبى حمو موسى بن عثمان من آل زيان وقام بأمر
بنى يعقوب بعد سعيد ابنه عثمان ثم هلك بعد حين ابراهيم بن يعقوب شيخ بنى حميد وقام
مقامه من قومه ابنه عامر بن ابراهيم وكان شهما حازما وله ذكر ونزل المغرب قبل
عريف بن يحيى ونزل على السلطان أبى سعيد وأصهر اليه ابنته فأنكحه عامر اياها
وزفها اليه ووصله بمال له خطر فلم يزل عثمان يحاول أن يثأر منه تارة والصلح والاجتماع
أخرى حتى غدره فى بيته وقتله بياض بالأصل
فيه الشنعاء التى تنكرها العرب فتقاطع الفريقان لذلك آخر الدهر وصارت بنو
يعقوب احلافا لسويد فى فتنتهم مع بنى حميد هؤلاء ثم تلاحقت ظواعن سويد بعريف
ابن يحيى فى مكانه عند بنى مرين واستطال ولد عامر بن ابراهيم بقومهم على بنى يعقوب
فلحقوا بالمغرب ولم يزالوا به الى ان جاؤا فى عساكر السلطان ابى الحسن وهلك شيخهم
عثمان قتله أولاد عريف بن سعيد بثار عامر بن ابراهيم وولى بعده ابن عمه هجر بن غانم بن
هلال فكان رديفا له فى حياته ثم هلك وقام بأمرهم بعده عمه سليمان بن داود ولما تغلب
السلطان أبو الحسن على تلمسان فر بنو عامر بن ابراهيم الى الصحراء وكان شيخهم لذلك
العهد صغير ابنه واستأنف السلطان على يد عريف بن يحيى سائر بطون حميد وأولاد
رياب فخالف صغيرا اخوانه الى السلطان وولى عليهم شيخا من بنى عمهم عريف بن
سعيد وهو يعقوب بن العباس بن ميمون بن عريف ووفد بعد ذلك عمر بن ابراهيم عم
صغير فولاه عليهم واستخدمهم ولحق بنو عامر بن ابراهيم بالزواودة ونزلوا على يعقوب بن
على ولم يزالوا هنالك حتى شبوا نار الفتنة بالدعى بن هيدور الملبس بشبه أبى عبد الرحمن

ابن

ابن السلطان أبى الحسن وأعانه على ذلك أهل الحقود على الدولة والاضغان من الديالم
وأولاد ميمون بن غنم بن سويد نقموا على الدولة مكان عريف وابنه ونزمار منها فاجتمعا
وبايعا لهذا الداعى وأوعز السلطان الى ونزمار بحربهم فنهض اليهم بالعرب كافة
وأوقع بهم وفضهم وفرق جموعهم وطال مفر مقير بن عامر واخوته فى القفار وأبعدوا
فى الهرب قطعوا العرق الرمل الذى هو سياج على مجالات العرب ونزل قليعة
والذوا وطنها ووفد من بعد ذلك على السلطان أبى الحسن منذنبى به فقبل واستوهن
أخاه أبا بكر وصحب السلطان الى افريقية وحضر معه واقعة القيروان ثم رجع
الى قومه وعادوا جميعا الى لواتة بنى يغمراسن واستخدموا قبائلهم لابى سعيد عثمان
ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الدائل بتلمسان بعد واقعة القيروان أعوام
خمسين وسبعمائة فكان له ولقومه فيها مكان ولحق سويد وبنو يعقوب بالمغرب حتى
جاؤا فى مقدمة السلطان أبى عنان ولما هلك بنو عبد الواد وافترق جمعهم فر صغير الى
الصحراء على عادته وأقام بالقفر يترقب الخوارج ولحق به أكثر قومه من بنى معرف بن
سعيد فأجلب بهم على كل ناحية وخالف أولاد حسين بالمعقل على السلطان أبى عنان
أعوام خمسة وخمسين ومابعدها ونازلوا سجلماسة فكاثرهم وكان معهم وأوقعت بهم
عساكر بنى مرين فى بعض سنى خلافهم وهم بنكور يمتارون فاكتسحوا عامة
أموالهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ولم يزالوا كذلك شريدا فى الصحراء وسويد وبنو
يعقوب بمكانهم من المجالات وفى حظهم عند السلطان حتى هلك السلطان أبو عنان
وجاء أبو حمو موسى بن يوسف اخو السلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن لطلب ملك
قومه بتلمسان وكان مستقرا بتونس منذ غلبهم أبو على على أمرهم فرحل مقير الى
وطن الزواودة ونزل على يعقوب بن على ازمان خلافه على السلطان أبى عنان وداخله
فى استخلاص أبى حمو هذا من ايالة الموحدين للاجلاب على وطن تلمسان وبنى مرين
الذين به فأرسلوا معه الآلة ومضى به مقير وصولة بن يعقوب بن على وزيان بن عثمان
ابن سباع وشبل بن أخيه ملوك بنى عثمان ومن بادية رياح دعار بن عيسى بن رحاب
بقومه من سعيد وبلغوا معهم الى تخوم بلادهم فرجع عنهم رياح دعار بن عيسى وشبل
ابن ملوك ومضوا لوجههم ولقيتهم جموع سويد وكان الغلب لبنى عامر وقتل يومئذ شيخ
سويد بن عيسى بن عريف واسر اخوه أبو بكر ثم من عليه على بن عمر بن ابراهيم
وأطلقه ولم يتصل الخبر بفاس الا والناس منصرفون من جنازة السلطان أبى عنان
ثم أجلب أبو حمو بالمغرب على تلمسان فأخذها وغلب عساكر بنى مرين عليها واستوسق
ملكه بها ثم هلك مقير لسنتين أو نحوهما حمل نفسه فى جولة فتنة فى الحى يروم تسكينها

على بعض الفرسان فاعترضه سنان رمح على غير قصد فأنفذه وهلك لوقته وولى رياستهم من بعده أخوه خالد بن عامر يرادفه عبد الله ابن أخيه مقير وخلصت زغبة كلها للسلطان أبى حمو فأساء بنى مرين لما كان بينهم من الفتنة واستخدمهم جميعا على مضاربهم وعوائدهم من سويد وبنى يعقوب والديالم والعطاف حتى اذا كانت فتنة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو كما نذكره فى خبرهم جاش مرجل الفتنة من زغبة واختلفوا على أبى حمو وتقبض على محمد بن عريف أمير سويد لاتهامه اياه بالادهان فى أمره فنزع أخوه أبو بكر وقومه الى صاحب المغرب عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن سنة سبعين وسبعمائة وجاؤا فى قومته واستولى على مواطنهم ولحق بنو عامر وأبو حمو بالصحراء وطال ترددهم فيها وسعى عند أبى حمو فى خالد من عمومته وأقاربه عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب ومعرف هو أخو ابراهيم بن يعقوب وكان عبد الله حذاء بطانة للسلطان وعينا فاستفسد بذلك قلب خالد وتغير ونبذ اليه عهده ونزع عنه الى السلطان عبد العزيز وجاءت به عساكر بنى مرين فأوقع بالسلطان أبى حمو ومن معه من العرب وهلك عبد العزيز سنة أربع وسبعين فارتحل الى المغرب هو وعبد الله ابن أخيه مقير ولحقهم ساسى بن سليم بن داود شيخ بنى يعقوب كان قومه بنى يعقوب قتلوا أبناء محمد بن عريف فحدثت بينهم فتنة ولحق ساسى هذا وقومه بالمغرب وصحب خالدا يؤمل به الكرة ويئسوا من صريخ بنى مرين لما بينهم من الفتنة فرجعوا الى أوطانهم سنة سبع وسبعين وأضرموا نار الفتنة وخرجت اليهم عساكر السلطان أبى حمو مع ابنه أبى تاشفين وزحف معه سويد والديالم والعطاف فأوقعوا بهم على وادى سيناقبلة القلعة وقتل عبد الله بن مقير وأخوه ملوك فى قرابة لهم آخرين وسار فلهم شريدا الى الصحراء ولحقوا بالديالم والعطاف واجتمعوا جميعا الى سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة وصاحب وطن تيجه وكان يتوحش لابى حمو لخنقه فاتفقوا على الخلاف وبعثوا الى الامير أبى زيان بمكان من وطن رياح فجاءهم وتابعوه وأمكنه سالم من الجزائر ثم هلك خالد فى بعض تلك الايام فافترق أمرهم وولى على بنى عامر المسعود بن مقير وزحف اليهم أبو حمو فى سويد وأوليائه من بنى عامر واستخدم سالم بن ابراهيم وخرج أبو زيان الى مكانه من وطن رياح ولحق المسعود بن عامر وقومه بالقفر ولحق ساسى بن سليم بيعقوب بن على وقومه من الزواودة ثم راجعوا جميعا خدمة السلطان وأوفدوا عليه فأمنهم وقدموا عليه وأظهروا البر والرحب بالمسعود وساسى وطوى لهم على السوء ثم داخل بطانة من بنى عامر وسويد فى نكبتهم فأجابوه ومكر بهم وبعث ابنه أبا تاشفين لقبض الصدقات من قومهم حتى

اجتمع له ما أراد من الجموع فتقبض على المسعود وعشرة من اخوانه بنى عامر بن ابراهيم ونهض أبو تاشفين والعرب جميعا الى أحياء بنى يعقوب وكانوا اسراة وقد أرصد لهم سويد بوادى مينا فصبحهم بنو عامر بمكانهم واكتسحوهم وصار فلهم الى الصحراء فاعترضهم أبو تاشفين ببنى راشد فلم يبق لهم باقية ونجا ساسى بن سليم الى الصحراء فى فل قليل من قومه ونزل على النضر بن عروة واستبد برياسة بنى عامر سليمان بن ابراهيم بن يعقوب عم مقير ورديفه عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب وهو أقرب مكانا من السلطان وخلعه ثم بعث صاحب المغرب السلطان أبو العباس أحمد بن الولى أبا سالم بالشفاعة فى المسعود واخوانه بوسيلة من ونزمار بن عريف بعد ان كان مداخلا لابى حمو ولاخوانه فى نكبتهم فأطلقهم أبو حمو بتلك الشفاعة فعادوا الى الخلاف وخرجوا الى الصحراء واجتمع اليهم الكثير من أولاد ابراهيم بن يعقوب واجتمع أيضا فل بنى يعقوب من مصداحهم الى شيخهم ساسى بن سليم ونزلوا جميعا مع عروة وأوفدوا اخوانه على السلطان أبى العباس صاحب افريقية لهذا العهد منتدبا به وصريخا على عدوه فتلقاه من البر والاحسان ما يناسبه وأفاض فى وفده العطاء وصرفه بالوعد الجميل وشعر بذلك أبو حمو فبعث من عيونه من اغتاله ووفد بعدها على السلطان أبى العباس صاحب افريقية على بن عمر بن ابراهيم وهو ابن عم خالد بن محمد وكبير النفر المخالفين من بنى عامر على أبى حمو ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس يطلبون صريخه فأجابهم ووعدهم وأحسب الاحسان والمبرة أمامهم ورجعوا الى قومهم ثم راجع على بن عمر خدمة أبى حمو وقدمه على بنى عامر وأدال به من سليمان بن ابراهيم بن عامر فخرج سليمان الى أهل بيته من ولد عامر بن ابراهيم الذين بالصحراء ونزلوا مع بنى يعقوب بأحياء أبى بكر بن عريف وهو على ذلك لهذا العهد والله مقدر الليل والنهار اه

خالد

سليمان

عريف بن زيان

عثمان بن سعيد

يعقوب بن العباس

علي بن عثمان بن سلطان

بن وانود بن عبد الله

عمر بن زيان

بن مسعود بن شداد بن محمد

أحمد

هجيش

علاق بن المحاوزة بن حمزة

العقلة

الدوقة

ذوي عيسى

شقارة بن شافع

مقدر بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معرف بن سعد بن رباب بن حامد بن محرش بن مجار بن عبد بن جابر بن عامر

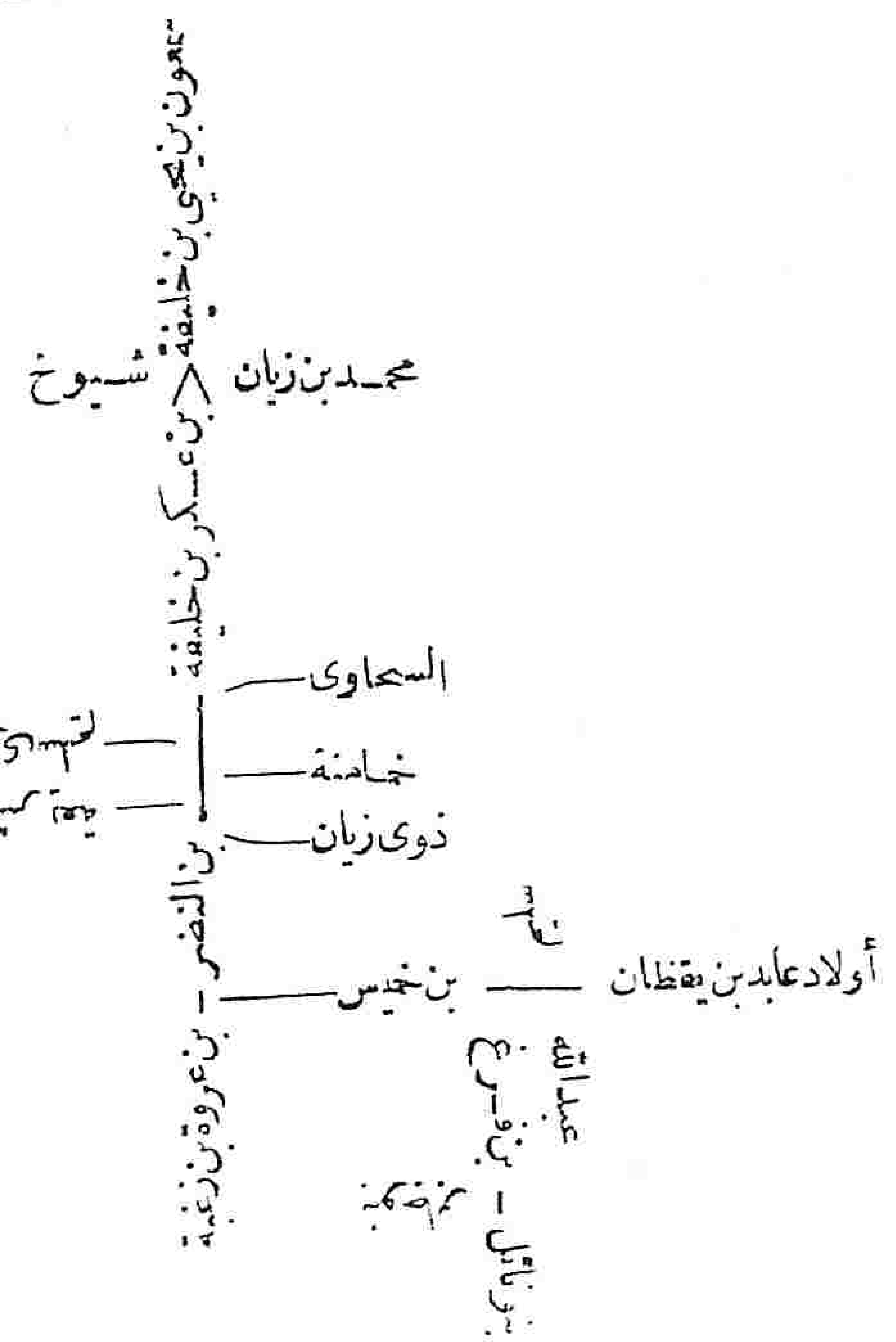
ساسي بن سليم بن داود بن هلال بن عطاف بن رداد بن عسكر بن عمار بن منيع بن يعقوب

جعفر بن [illegible] بن زيان بن عيسى بن جابر

(عروة بن زغبة)

وأما عروة بن زغبة فهم بطنان النضر بن عروة وخميس بن عروة وبطون خميس ثلاثة عبيد الله وفرغ ويقظان من بطون فرغ بنو قائل احلاف أولاد يحيى من المعمور القاطنين بجبل راشد وبنو يقظان وعبيد الله احلاف أ. ويدبطعنون لظعنهم ويقيمون لاقامتهم ورياستهم لاولاد عابد من بطن راشد وأما النضر بن عروة فمتبذون بالقفر ينتجعون في رماله ويصعدون الى اطراف التلول في ايالة الديالم والعطاف وحصين ونخوم أوطانهم وليس لهم ملك ولا اقطاع لعجزهم عن دخول التلول بلغتهم وممانعة بطون زغبة الآخرين عنها الا ما تغلبوا عليه في أذناب الوطن بجبل المستند مما يلي وطن رياح يسكنه قوم من عمرة وزناتة استمر عليهم غلب العرب منذ سنين فوضع النضر هؤلاء عليهم الاتاوة وأصاروهم خولا ورعية وربما نزل منهم مع هؤلاء البرابر من يعجز عن الظعن في بيوتهم ولهم بطون مذكورة أولاد خليفة والحمانية وشريعة والصحاوى وذوى زيان وأولاد سليمان ورياستهم جميعا في أولاد خليفة بن النضر بن عروة وهي لهذا العهد لمحمد بن زيان بن عسكر بن خليفة ورديفه سمعون بن أبي يحيى بن خليفة بن عسكر وأكثر الصحارى موطنون بجبل المستند الذي ذكرناه ورياستهم في أولاد   وناجعة هؤلاء النضر أحلاف لزغبة دائما فتارة للعرب وحصين جيرانهم في المواطن وتارة لبني عامر في فتنتهم مع سويد وندبتهم مع بني عامر فيما يزعمون بأبي قحافة ونعت من مشايخهم انه ليس بأب لهم وانما هو اسم واد كان به حلفهم قديما وربما سودوا على بني عامر الا أنه في الاقل والندرة وهم الى حلف بني عامر أقرب وأسرع لما ذكرناه وربما ظاهروا رياحا بعض المرات في فتنتهم لجوار الوطن الا أنه قليل أيضا وفي النادر ويتناولون في الاكثر مع البادية من رياح مثل مسلم وسعيد وربما وقعت بينهم حروب في القفر يصيب فيها بعض من دماء بعض هذه بطون زغبة وما تأدى الينا من أخبارهم ولله الخلق والامر وهو رب العالمين

بياض بالاصل



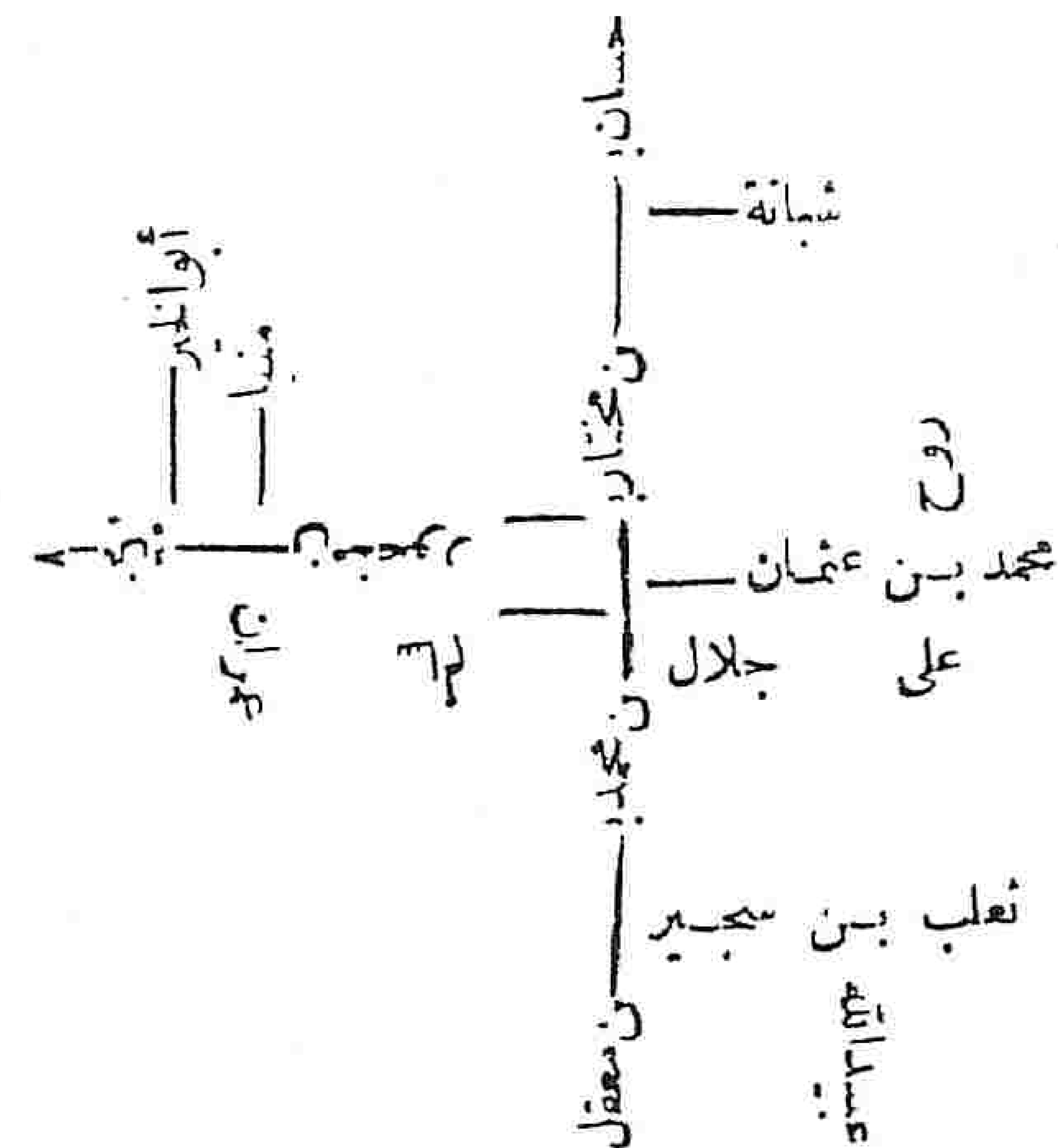
(الخبر عن المعقل من بطون هذه الطبقة الرابعة وانسابهم وتصاريف أحوالهم)

هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبنى عامر من زغبة فى مواطنهم بقبلة تلمسان وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب وهم ثلاثة بطون ذوى عبيد الله وذوى منصور وذوى حسان فذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبنى عامر ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت فى التل وما يواجهها من القبلة ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وعلى ما يحاذيها من التل مثل تازى وغساسة ومكناسة وفاس وبلاد تادلا والمقدر ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط وينزل شيوخهم

بلاد قول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم فى الرمال الى مواطن الملثمين من كدالة ومسوفة ولمتونة وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل يقال انهم لم يبلغوا المائتين واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم وتحيزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلى ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة فى القفار والقربية فعفوا وكثروا وأسروا فى صحارى المغرب الاقصى فعمروا رماله وتغلبوا فى فيافيه وكانوا هنالك احلافا لزناتة أيامهم وبقى منهم بافريقية جمع قليل اندرجوا فى جملة بنى كعب بن سليم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم فى الاستخدام للسلطان واستئلاف العرب فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن قام هؤلاء المعقل فى القفار وتفردوا فى البيداء فنموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء التى اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم جودة ثم تامنطيت ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وانهار وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فتن وحروب على رياستها فجاز عرب المعقل هؤلاء الاوطان فى مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وكانوا دون تلك السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونهم بالدماء والصوائل ويسمونها جمل الرحيل وكان لهم الخيار فى تعيينها ولم يكن هؤلاء العرب يستحمون من أطراف المغرب وحلوله حمى ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية ولا مكروه لما كان بالمغرب من اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزناتة بعدهم وكان لهم بازاء ذلك أقطاع من الدول يعدون الى أخذه اليد السفلى وفيهم من مسلم سعيد بن رياح والعمور من الاثبج وعددهم كما قلنا قليل وانما كثروا بمن اجتمع اليهم من القبائل من غير نسبهم فان فيهم من فزارة ومن أشجع أحياء كبيرة وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين والصباح من الاخضر ومن بنى سليم وغيرهم (وأما انسابهم عند الجمهور) فخفية ومجهولة وسلافة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال وهو غير صحيح وهم يزعمون أن نسبهم فى أهل البيت الى جعفر بن أبى طالب وليس ذلك أيضا بصحيح لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة والصحيح والله أعلم من أمرهم انهم من عرب اليمن فان فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بالمعقل ذكرهما ابن الكلبى وغيره فأحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير وهو معقل بن كعب بن عليم بن جناب بن بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد بن اللات بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان

بياض بالاصل

ابن عمران بن الحاف بن قضاعة والآخر من بنى الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة من كعب بن الحرث والانسب أن يكونوا من هذا البطن الآخر الذى من مذحج كان اسمه ربيعة وقد عده الاخباريون فى بطون هلال الداخلين الى افريقية لان مواطن بنى الحرث بن كعب قريب من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع العراقة قبل دخولهم الى افريقية ويؤيده ان ابن سعيد لما ذكر مذحج وأنهم بجهات الجبال من اليمن وذكر من بطونهم زبيد ومراد ثم قال وبافريقية منهم فرقة وبريه ترتحل وتنزل وهؤلاء الذين ذكر انما هم المعقل الذين هم بافريقية وهم فرقة من هؤلاء الذين بالمغرب الاقصى (ومن املاء نسابتهم) أن معقل جدهم له من الولد سجير ومحمد فولد سجير عبد الله وثعلب فمن عبيد الله ذوى عبيد الله البطن الكبير منهم ومن ثعلب الثعالبة الذين كانوا ببسيط متيجة من نواحى الجزائر وولد محمد مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان فولد مختار بن محمد حسان وشبانة فمن حسان ذوى حسان البطن المذكور أهل السوس الاقصى ومن شبانة الشبانات جيرانهم هنالك ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية لذوى حسان ينتجعون معهم وولد منصور بن محمد حسين وأبو الحسين وعمران وشب يقال لهم جميعا ذوى منصور وهو أحد بطونهم الثلاثة المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه وأحكم



(ذوى عبيد الله)

فأما ذوى عبيد الله فهم المجاورون لبنى عامر بن زغبة من سلطان بنى عبد الواد من زناتة فمواطنهم من بين تلمسان الى وجدة الى منصب وادى ملوية فى البحر ومنبعث وادى صا من القبلة وتنتهى رحلتهم فى القفار الى قصور توات وتمنطيت وربما عاجوا الى ذات الشمال الى تاسايت وتوكرارين وهذه كلها رقاب القفر الى بلد السودان وبينهم وبين بنى عامر فتن وحروب موصولة وكان لهم مع بنى عبد الواد مثلها قبل السلطان والدولة فما كانوا أحلافا لبنى مرين وكان المنبات من ذوى منصور أحلافا لبنى عبد الواد فكان يغمراسن يوقع بهم أكثر أوقاته وينال منهم الى أن صحبوا بسبب الجوار واعتزت عليهم الدولة فأعطوا الصدقة والطوائل وعسكروا مع السلطان فى حروبه ولم يزل ذلك الى ان لحق الدولة الهرم الذى يلحق مثلها فوطنوا التلول وتملكوا وجدة وندرومة وبنى يزناسن ومديونة وبنى سنوس اقطاعا من السلطان الى ما كان لهم عليها قبل من الاتاوات والوضائع فصار معظم جبايتها لهم وضربوا على بلد هنين بالساحل ضريبة الاجازة منها الى تلمسان فلا يسير ما بينهما مسافر أيام حلولهم بساحتها الا باجازتهم وعلى ضريبة يؤديها اليهم وهم بطنان الهراج والخراج فالخراج من ولد فراج بن مطرف بن عبيد الله ورياستهم فى أولاد عبد الملك وفرج بن على بن أبى الريش بن نهار بن عثمان بن خراج لا ولاد عيسى بن عبد الملك ويعقوب بن عبد الملك ويغمور بن عبد الملك وكان يعقوب بن يغمور شيخهم لعهد السلطان أبى الحسن ولما تغلب على تلمسان استخدم له عبيد الله هؤلاء وكان يحيى بن العز من رجالة بنى يزناسن أهل الجبل المطل على وجدة وكان له قدم فى خدمة الدول فاتصل بالسلطان أبى الحسن ورغبه فى ملك قصور هذه الصحراء فبعثه مع هؤلاء العرب فى عسكر ودخل معهم الى الصحراء وملك تلك القصور واستولى عليها وأسف عبيد الله بانتزاع أملاكهم وسوء المعاملة لهم فوثبوا به وقتلوه فى خبائه وانتهبوا عسكر السلطان الذين معه ونقضوا الطاعة وفر يعقوب بن يغمور فلم يزل شريدا بالصحراء سائر أيامه ورجع بعد ذلك ثم عادت دولة بنى عبد الواد فصدوا فى ولايتها فلم يزل على ذلك وخلفه ابنه طلحة وكان أيام خلاف يعقوب وانتقاضه رأس على الخراج من أهل بيته منصور بن يعقوب بن عبد الملك وابنه رحو من بعده وجاء أبو حمراء فكان له فى خدمته ومخالطته قدم فقدمه شيخا عليهم فرياستهم لهذا العهد منقسمة بين رحو بن منصور بن يعقوب بن عبد الملك وبين طلحة بن يعقوب المذكور آنفا وربما نازعه ولهم بطون كثيرة فمنهم الجعاونة من جعوان بن خراج والغسل من غاسل بن خراج والمطارفة من مطرف بن

خراج والمهايا من عثمان بن خراج وفيهم رياستهم كما قلناه ومعه الناجعة يسمون بالمهايا ينتسبون تارة الى المهايا بن عياض وقدمنا ذكرهم وتارة الى مهايا بن مطرف وأما الهراج فمن ولد الهراج بن مهدى بن محمد بن عبد الله ومواطنهم فى ناحية المغرب عن الخراج فيجاورون بنى منصور دوابهم تاوريرت وملوؤها وخدمتهم فى الغالب لبنى مرين واقطاعاتهم من أيديهم ومواطنهم تحتهم ورجوعهم الى عبد الواد فى الاقل وفى بعض الاحايين ورياستهم فى ولد يعقوب بن هبا بن هراج لاولاد مرين بن يعقوب وأولاد مناد ابن رزق الله بن يعقوب وأولاد فكرون بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب من ولد حريز ابن يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز كان شيخا عليهم أيام السلطان عبد العزيز وهلك عقبه ورأس عليهم ابنه ومن ولد مناد أبو يحيى الكبير بن مناد كان شيخا قبل أبى يحيى الصغير وبالاضافة اليه وصف بالصغير ومنهم أبو حمدة محمد بن عيسى بن مناد وهو لهذا العصر رديف لشيخهم من ولد ابى يحيى الصغير وهو كثير التقلب فى القفار والغزو للقاصية ولاهل الرمال والملثمين والله مالك الملوك لا رب غيره ولا معبود سواه وهو نعم المولى ونعم النصير

عبد الملك بن عيسى

علي بن حمو بن معمر

ابو يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز بن يعقوب بن اهبا بن هراج بن مهدي بن محمد بن عبد الله

رحو ابو منصور بن يعقوب بن عبد الملك بن فرج بن علي بن ابي الرشن بن نهار بن عثمان بن خراج

بن محمد

أبو حمة بن محمد بن عيسى بن مناد بن عمران بن رزق الله

ابو يحيى

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن فكرون بن لعبة

غاسل

جعران

بن عبد الله

(الثعالبة)

وأما الثعالبة اخوتهم من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير أخي عبد الله بن صغير فهو المنهى لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزائر وكانوا قبلها بتطيرون ومواطن حصين لهذا العهد نزلوها منذ عصور قديمة وأقاموا بها حيا حلولا ويظهر أن نزولهم لها حين كان ذوي عبيد الله في مواطن بني عامر لهذا العهد وكان بنو عامر في مواطن بني سويد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا في المواطن الى ضواحي المدينة ونزلوا جبل تيطري وهو جبل اشير الذي كانت فيه المدينة الكبيرة فلما بلغت بنو برحين على التلول وملكوا ونشريس زحف محمد بن عبد القوي الى المدينة فملكها وكانت بينهم وبينه حروب وسلم الى أن وفدت عليه مشيختهم فتقبض عليهم وأغزى من وراءهم من بقية الثعالبة واستلحمهم واكتسح أموالهم وغلبهم بعدها على تيطري وأزاحهم عنها الى متيجة وأنزل قبائل حصين تيطري وكانوا معه في عداد الرعايا يؤدون اليه المغارم والوظائف ويأخذهم بالعسكرة معه ودخل الثعالبة هؤلاء في ايالة ملكيش من صنهاجة ببسيط متيجة وأوطنوا تحت ملكتهم وكان لهم عليهم سلطان كما نذكره حتى اذا غلب بنو مرين على المغرب الاوسط واذهبوا املاك ملكيش منها استبد الثعالبة هؤلاء بذلك البسيط وملكوه وكانت رياستهم في ولد سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغير ويزعمون ان سباعا هذا كان اذا وفد على الموحدين يجعلون من فوق عمامته دينارا من عدد من الدنانير سابقة في تكرمته وترفيعه (وسمعت) من بعض مشيختنا ان ذلك لما كان من كرامته للامام المهدي حين أجاز بهم فانه مر بهم ساعيا فحملوه واستقرت الرياسة في ولد سباع هذا في بني يعقوب بن سباع أولا فكانت لهم مددا ثم في عقب حنيش منهم ثم غلب السلطان أبو الحسن على ممالك بني عبد الواد ونقلهم الى المغرب وصارت الولاية لهم لابي الحلات ابن عائذ بن ثابت وهو ابن عم حنيش وهلك في الطاعون الجارف أواسط هذه المائة الثامنة لعهد نزول السلطان أبي الحسن بالجزائر من تونس فولى عليهم ابراهيم بن نصر ولم تزل رياستهم اليه الى أن هلك بعد استيلاء السلطان أبي عنان عن المغربين كما نذكره في أخباره وقام برياستهم ابنه سالم وكانوا أهل مغارم ووضيعة للبكش ومن بعدهم من ولاة الجزائر حتى اذا هبت ريح العرب أيام خروج أبي زيان وحصين على أبي حمو أعوام ستين وسبعمائة كما ذكرناه وكان شيخهم لذلك العهد سالم بن ابراهيم بن نصر بن حنيش بن أبي حميد بن ثابت بن محمد بن سباع فأخبث في تلك الفتنة وأوضع وعاقد أبو حمو وانتقض عليه مرارا وغلب بنو مرين على تلمسان فتحيز اليهم وكانت رسله ووفده

تقدموا اليهم بالمغرب ثم هلك السلطان عبد العزيز ورجع أبو حمو الى ملكه ونزلت الغوائل فخشيه سالم واستدعى أبا زيان ونصبه بالجزائر وزحف اليه أبو حمو سنة تسع وسبعين ففض جمعه وراجع سالم خدمته وفارق أبا زيان كما نذكره في أخباره ثم زحف اليه أبو حمو وحاصره بجبال متيجة أياما قلائل واستنزله على عهده ثم أخفره وتقبض عليه وقاده الى تلمسان أسيرا وقتله قعصا بالرماح وذهب أثره وما كان له من الرياسة التي لم تكن الثعالبة لها بأهل ثم تتبع اخوانه وعشيره وقبيله بالقتل والسبي والنهب الى ان دثروا والله يخلق ما يشاء

سالم بن ابراهيم بن نصر بن حنيش بن محمد بن ثابت بن محمد بن سباع بن ثعلب بن علي بن بكر بن صغير بن معقل

ثابت
سليم
الزعيم بن أبي القاسم
عبد الرحمن بن الحلات بن عامر
المرسوم
عبد الله
محمد

(ذوى منصور)

وأما أولاد منصور بن محمد فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم ومواطنهم تخوم المغرب الاقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة وبطونهم أربعة أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان والعمارية أولاد عمران والمنبات أولاد منبا وهما شقيقان أيضا ويقال لهذين البطنين جميعا الاحلاف فأما أولاد أبي الحسن فعجزوا عن الظعن ونزلوا قصورا اتخذوها بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين وأما أولاد حسين فهم جمهور ذوى منصور ولهم العزة عليهم ورياستهم أيام بني مرين في أولاد خالد بن جرمون ابن جرار بن عرفة بن فارس بن علي بن عبد الواحد بن يحيى ثم لاخيه زكريا ثم لابن عمه أحمد بن رحو بن غانم ثم لاخيه يعيش ثم لابن عمه يوسف بن علي بن غانم لهذا العهد وكانت لبني مرين فيهم وقائع أيام يعقوب بن عبد الحق وابنه يوسف وسيأتي في أخبار بني مرين غزوة يوسف بن يعقوب من مراكش اليهم وكيف أوقع بهم بصحراء درعة ولما أقام بالشرق على تلمسان محاصرا لها أحلف هؤلاء العرب من المعقل على أطراف المغرب ما بين درعة وملوية الى تاوريرت وكان العامل يومئذ بدرعة عبد الوهاب بن صاعد من صنائع الدولة وكبار ولاتها فكانت بينه وبينه حروب قتل في بعضها ثم هلك يوسف بن يعقوب ورجع بنو مرين الى المغرب فأخذوا منهم بالثأر حتى استقاموا على الطاعة وكانوا يعطون الصدقة أطوع ما يكون الى أن فشل ريح الدولة واعتزت العرب فصاروا يمنعون الصدقة الا في الاقل يغلبهم السلطان على اعطائها ولما استولى السلطان أبو عنان على تلمسان أعوام خمسين وسبعمائة وفر صغير بن عامر الى الصحراء ونزل عليهم واستجار بهم فأجاروه ونزل السلطان عليهم ذلك فأجمعوا نقض طاعته وأقاموا معه بالصحراء وصغير متولي كبر ذلك الخلاف حتى اذا هلك أبو عنان وكان من سلطان أبي حمو بتلمسان ما نحن ذاكروه وزحف بنو مرين الى تلمسان ففر منها أبو حمو وصغير ونزلوا عليهم فأوقعوا بعسكر بني مرين بنواحي تلمسان واتسع الخرق بينهم وبين بني مرين فانحازوا الى أبي حمو وسلطانه واقطعهم بضواحيه ثم رجعوا الى أوطانهم بعد مهلك السلطان أبي سالم أعوام ثلاث وستين على حين اضطراب المغرب بفتنة أولاد السلطان أبي علي ونزولهم بسجلماسة فكان لهم في ذلك الفتنة آثار الى أن انقشعت ثم كان لاحمر بن رحو مع أبي حمو جولة وأجلب عليه بأبي زيان حافد أبي تاشفين فقتل في تلك الفتنة كما نذكره ثم اعتمدوا على الدولة من بعد ذلك وأكثر مغارم درعة لهذا العهد وأقطع بلاد تادلا والمعدر من تلك البنايا التي منها دخولهم الى المغرب للمربع والمصيف ولميرات الاقوات وسجلماسة من مواطن اخوانهم الاحلاف كما نذكره وليست من

مواطنهم فأما درعة فهي من بلاد القبلة موضوعة حفافي الوادي الاعظم المنحدر من جبل درن من بوهة يخرج منها وادي أم ربيع ويتساهل الى البسائط والتلول ووادي دريعة ينحدر الى القبلة مغربا الى أن يصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور درعة وواد آخر كبير أيضا ينحدر الى القبلة مشرقا بعض الشئ الى ان يصب في الرمل دون تيكورارين وفي قبلتها وعليه من جهة المغرب قصور توات ثم بعدها تمنطيت ثم بعدها وركلان وعندها يصب في الرمل وفي الشمال عن ركان قصور تسابيت وفي الشمال عنها الى الشرق قصور تيكورارين والكل وراء عرب الرمل وجبال درن هي الجبال العظيمة الحائمة سياجا على المغرب الاقصى من آسفي الى تازى وفي قبلتها جبل نكيسة لصنهاجة وآخره جبل ابن حميدي من طرف هسكورة ثم ينعطف من هنالك جبال أخرى متوازية حتى تنتهي الى ساحل بادس من البحر الرومي وصار المغرب لذلك الجزيرة أحاطت الجبال به من القبلة والشرق والبحر ومن المغرب والجوف واعتمر هذه الجبال والبسائط التي بينها أمم من البربر لا يحصيهم الا خالقهم والمسالك بين هذه الجبال الى المغرب منحصرة ثم معدودة وبازاء القبائل المعتمرين لها كافة ومصب وادي درعة هذا الى الصحراء والرمال ما بين سجلماسة وبلاد السوس ويمتد الى أن يصب في الحجر ما بين نون ووادان وحفافيه قصور لا تحصى شجرتها النخل وقاعدتها بلد تادنست بلد كبير يقصده التجر للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة ولاولاد حسين هؤلاء استيلاء على هذا الوطن ومن بازائه في فسيح جبله من قبائل البربر صناكة وغيرهم ولهم عليهم ضرائب وخفرات ووضائع ولهم في مجابي السلطان اقطاعات ويجاورهم الشبانات من أولاد حسان من ناحية الغرب فلهم بسبب ذلك على درعة بعض الاتاوات (وأما الاحلاف) من ذوى منصور وهم العمارية والمنبات فمواطنهم مجاورة لاولاد حسين من ناحية الشرق وفي مجالاتهم بالقفر تافيلالت وصحراؤها وبالتل ملوية وقصور وطاط وتازى وبطوية وعساسة لهم على ذلك كله الاتاوات والوضائع وفيها الاقطاعات السلطانية وبينهم وبين أولاد حسين فتنة ويجمعهم العصبية في فتنة من سواهم ورياسة العمارية في أولاد مظفر بن ثابت بن مخلف بن عمران وكان شيخهم لعهد السلطان أبي عنان طلحة بن مظفر وابنه الزبير ولهذا العهد محمد بن الزبير وأخوه موسى ويرادفهم في رياستهم أولاد عمارة بن قلان بن مخلف فكان منهم محمد العائد ومنهم لهذا العهد سليمان بن ناجي بن عمارة ينتجع في القفر ويكثر الغزو الى اعتراض العير وقصور الصحراء ورياسة المنبات لهذا العهد لمحمد بن عبد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منبا وكانت أيام السلطان أبي عنان لاخيه علي من قبله

وترادفهم فى رياستهم ابن عمهم عبد الله بن الحاج عامر بن أبى البركات بن منبا والمنبات والعمارية اليوم اذا اجتمعوا جميعا يكثر أولاد حسين وكان للمنبات كثرة لاول دولة بنى مرين وكان خلفهم مع بنى عبد الواد وكان مقدمه يغمراسن بن زيان فى افتتاح سجلماسة وتملكها من أيدى الموحدين ثم تغلب بنو مرين عليها وقتلوا من حاربها من مشيختهم مع بنى عبد الواد ثم أوقعوا بالمنبات من بعد ذلك فى مجالاتهم بالقفر واستلحموهم فنقص عددهم لذلك آخر الايام والله مالك الامور لارب سواه

الزبير بن طلحة بن مظفر بن ثابت < بن مخلف بن عمران

سليمان بن ناجى بن عثمان

أحمد ^ بن روح

عبد الله

يوسف < بن تغلب < بن خالد بن جرمون بن جرار بن عرفة بن فارس < بن حسن < بن محمد بن عبد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منبا

أبو الحسن

بن على بن فارس

محمد بن عبد بن حسين < بن أبى البركات بن شعبان بن منصور

* (ذوى حسان عرب السوس) *

وأما بنو مختار بن محمد فهم كما قدمناه ذوى حسان والشبانات والرقيطات ومنهم أيضا الجياهنة وأولاد أبوريه وكانت مواطنهم بنواحى ملوية الى مصبة فى البحر مع اخوانهم ذوى منصور وعبيد الله الى أن استصرخهم على بن يدر الزكندرى صاحب السوس من بعد الموحدين ونسبه ابن عمه فى عرب الفتح وكانت بينه وبين كزولة الظواعن ببسائط السوس وجباله فتنة طويلة استصرخ لها بنى مختار هؤلاء فصارخوه وارتحلوا اليه بظعونهم وجدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فيها فأوطنوها وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كزولة وأصاروهم فى جملتهم ومن ظعونهم وغلبوا على القصور التى بتلك المواطن فى سوس ونول ووضعوا عليها الاتاوات مثل تارودانت من سوس وهى ضفة وادى سوس حيث يهبط من الجبل وبين مصبه ومصب وادى ماسة حيث الرباط المشهور مرحلة الى القبلة ومن هنالك الى زوايا أولاد بنى نعمان مرحلة أخرى فى القبلة على سيف البحر وتواصت على وادى نول حيث يندفع من جبل نكيسة غربا وبينها وبين ايفرى مرحلة والعرب لا يغلبونها وانما يغلبون على البسائط فى نواحيها وكانت هذه المواطن لعهد الموحدين من جملة ممالكهم وأوسع عمالاتهم فلما انقرض أمر الموحدين حجبت عن ظل الدولة وخرجت عن ايالة السلطان الا ما كان بها لبنى يدر هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم وكان على ابن يدر مالكا لقصورها وكان له من الجند نحو ألف فارس وولى من بعده عبد الرحمن بن الحسن بن يدر وبعده أخوه على بن الحسن وكان لعبد الرحمن معهم حروب وفتن بعد استظهاره بهم وهزموه مرات متتابعة أعوام خمس وسبعمائة وما بعده وغدروه بمشيختهم وقتلهم بتارودانت سنة ثمان من بعد ذلك وكان لبنى مرين على هؤلاء المعقل السوس وقائع وأيام وظهر يعقوب بن عبد الحق بنى مرين فى بعضها الشبانات على بنى حسان واستلحم منهم عددا وحاصرهم يوسف بن يعقوب بعدها فأمسكوها وأغرمهم ثمانية عشر ألفا وأثخن فيهم يوسف بن يعقوب ثانية سنة ست وثمانين وحاربتهم جيوشه أيضا أياما لحق بهم بنو كمى من بنى عبد الواد وخالفوا على السلطان فترددت اليهم العساكر واتصلت الحروب كما نذكر فى أخباره (ولما استفحل) أمر زناتة بالمغرب وملك أبو على ابن السلطان أبى سعيد سجلماسة واقتطعها عن ملك أبيه بصلح وقع على ذلك انضوى اليه هؤلاء الاعراب أهل السوس من الشبانات وبنى حسان ورغبوه فى ملك هذه القصور فأغزاها من تخوم وطنه بدرعة ودخل القرى عنوة وفر على بن الحسن وأتته الى جبال نكيسة عمد صنهاجة ثم رجع ثم غلب السلطان أبو الحسن

واستولى على المغرب كله ورغبه العرب فى مثلها من قصور السوس فبعث معهم عساكره وقائده حسون بن ابراهيم بن عيسى من بنى يرنيان فلكها وجبى بلاد السوس وأقطع فيه للعرب وساهم فى الجباية فاستقامت حاله مدة ثم انقرض أمر السلطان أبى الحسن فانقرض ذلك ورجع السوس الى حاله وهو اليوم ضاح من ظل الدولة والعرب يقتسمون جبايته ورعاياه من قبائل المصامدة وصنهاجه قبائل الجباية والظواعن منهم يقتسمونهم خولا للعسكرة مثل كزولة مع بنى حسان وزكرز ولخس من لمطة مع الشبانات هذه حالهم لهذا العهد ورياسة ذوى حسان فى أولاد أبى الخليل بن عمر بن عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن مختار لمخلوف بن أبى بكر بن سليمان بن الحسن بن زيان بن الخليل ولاخوانه ولا أدرى رياسة الشبانات لمن هى منهم الا أنهم حرب لبنى حسان آخر الايام والرقيطات فى غالب أحوالهم أحلاف للشبانات وهم أقرب الى بلاد المصامدة وجبال درن وذوى حسان أبعد فى القفر والله تعالى يخلق ما يشاء لا اله الا هو

عبد المؤمن بن مخلوف بن أبى بكر
مسعود
بن سليمان بن حسن
عبد المؤمن بن يخلف بن سمامة
بن زيان بن أبى الخليل بن عمر بن عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد
بن حسان
بن مختار
يحيى
سلام
جلال
حسن بن محمد بن معقل
شبانة

{الخبر عن بنى سليم بن منصور من هذه الطبقة الرابعة وتعديد}
{بطونهم وذكر أنسابهم وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم}

ونبدأ أولا بذكر بنى كعب وأخبارهم وأما بنى سليم هؤلاء فبطن متسع من اوسع بطون

مضر وأكثرهم جموعا وكانت منازلهم بنجد وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة
ابن خصفة بن قيس وفيهم شعوب كثيرة ورياستهم فى الجاهلية لبنى الشريد بن
رياح لبنى ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وعمرو بن الشريد
عظيم مضر وأبناؤه صخر ومعاوية فصخر أبو الخنساء وزوجها العباس بن مرداس
صحابى حضرت معه القادسية (ومن بطون سليم) عطية ورعل وذكوان الذان
دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا باصحابه نحمد ذكرهم وكان بنو
سليم لعهد الخلافة العباسية شوكة بغى وفتنة حتى لقد أوصى بعض خلفائهم ابنه
أن لا يتزوج فيهم وكانوا يغيرون على المدينة وتخرج الكتائب من بغداد اليهم وتوقع
بهم وهم منتبذون بالقفر ولما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفاء لابى الطاهر وبنيه
أمراء البحرين من القرامطة مع بنى عقيل بن كعب ثم لما انقرض أمر القرامطة غلب
بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة لما أن القرامطة كانوا على دعوتهم ثم غلب بنو
الاصفر بن تغلب على البحرين بدعوة العباسية أيام بنى بويه وطردوا عنها بنى سليم فلحقوا
بصعيد مصر وأجازهم المستنصر على يد الاروزى وزيره الى افريقية لحرب المعز بن
باديس عند خلافته عليهم كما ذكرنا ذلك أولا فأجازوا مع الهلاليين وأقاموا ببرقة
وجهات طرابلس زمانا ثم صاروا الى افريقية كما يذكر فى الخبر عنهم وبافريقية وما اليها
من هذا العهد من بطونهم أربعة بطون زغب وذياب وهبيب وعوف * فاما زغب فقال
ابن الكلبى فى نسبته زغب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وقال أبو
محمد التجانى من مشيخة التونسيين فى رحلته انه زغب بن ناصر بن خفاف بن جرير
ابن ملاك بن خفاف وزعم أنه أبو ذياب وزغب الاصغر الذين هم الآن من أحياء بنى سليم
بافريقية وقال أبو الحسن بن سعيد هو زغب بن مالك بن بهثة بن سليم كانوا بين الحرمين
وهم الآن بافريقية مع اخوانهم ونسب ذياب بن مالك بن بهثة فالله أعلم بالصحيح من ذلك
ونسب ابن سعيد والتجانى لهؤلاء قريب بعضه من بعض ولعله واحد وسقط لابن سعيد
جد * وأما هبيب فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم من أول أرض برقة مما يلى افريقية
الى العقبة الصغيرة من جهة الاسكندرية أقاموا هنالك بعد دخول اخوانهم الى
افريقية وأول ما يلى الغرب منهم بنو حميد لهم اجرابية وجهاتها وهم عديد يرهبهم الحاج
ويرجعون الى شماخ لها عدد ولهم العز فى هيت لكونها صارت خصب برقة الذى منه
المرج وفى شرقيهم الى العقبة الكبيرة شمال ومحارب والرياسة فى هاتين القبيلتين لبنى
عزاز وهم المعروفون بالعزة وجميع بطون هبيب هذه ما استولت على اقليم طويل خربوا
مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية الا لاشياخهم وفى خدمتهم برابرة يهود يحترفون

بالفلاحة

بالفلاحة والتجر ومعهم من رواحة وفزارة أمم واشتهر لهذا العهد ببرقة من شيوخ
أعرابها أبو ذؤيب ولا أدرى نسبه فيمن هو وهم يقولون من العزة وقوم يقولون من بنى
احمد وقوم يجعلونه من فزارة هنالك قليل عددهم والغلب لهيب فكيف تكون
الرياسة لغيرهم * وأما عوف فهو ابن بهثة بن سليم ومواطنهم من وادى قابس الى أرض
بونة ولهم جرمان عظيمان مرداس وعلاق بطنان بنو يحيى وحصن وفى أشعار هؤلاء
المتأخرين منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعوب وغيره أن يحيى وعلاقا أخوان وابنى
يحيى ثلاثة بطون حمير ودلاج ولحمير بطنان ترحم وكردم ومن ترحم الكعوب بنو كعب
ابن أحمد بن ترحم ولحصن بطنان بنو على وحكيم ونحن نأتى على الحكاية عن جميعهم
بطنا بطنا وكانوا عند اجازتهم على اثر الهلاليين مقيمين ببرقة كما ذكرناه وهنالك نزل عليهم
القاضى أبو بكر بن العربى وأبوه حين غرقت سفينتهم ونجوا الى الساحل فوجدوا
هنالك بنى كعب فنزل عليهم فاكرمه شيخهم كما ذكر فى رحلته ولما كانت فتنة ابن غانية
وقراقش الغزى بجهات طرابلس وقابس وضواحيها كما نذكر فى أخبارهم كان بنو سليم
هؤلاء فيمن تجمع اليهم من حوبان العرب وأوشاب القبائل فاعصوصبوا عليهم وكان لهم
معهم حروب وقتل قراقش ثمانين من الكعوب وهربوا الى برقة واستصرخوا برياح
من بطون سليم ودبكل من حمير فصارخوهم الى أن تجلب علينا به تلك الفتنة بهلك قراقش
وابن غانية من بعده وكان رسوخ الدولة الحفصية بافريقية ولما هلك قراقش واتصلت
فتنة ابن غانية مع أبى محمد بن أبى حفص ورجع بنو سليم الى أبى محمد صاحب افريقية
وكان ابن غانية الزواودة من رياح وشيخهم مسعود البلط فر من المغرب ولحق به فكان
معه هو وبنوه وبنو عوف هؤلاء من سليم مع الشيخ أبى محمد فلما استبد ابنه الامير أبو زكريا
بملك افريقية رجعوا جميعا اليه واشفوف للزواودة فلما انقطع دابر ابن غانية صرف
عزمه الى اخراج رياح من افريقية لما كانوا عليه من العبث بها والفساد فجاء بمرداس
وعلاق وهما بنو عوف بن سليم هؤلاء من بطونهم بنواحى السواحل وقابس واصطنعهم
ورياسة مرداس يومئذ فى أولاد جامع وبعده لابنه يوسف وبعده هنان بن جابر بن
جامع ورياسة علاق فى الكعوب لاولاد شيخه ابن يعقوب بن كعب وكانت رياسة علاق
عند دخولهم افريقية لعهد هذا المعز وبنيه لرافع بن حماد وعنده راية جده التى حضر
بها مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو جد بنى كعب فيما يزعمون فاستظهر بهم السلطان
على شأنه وأنزلهم بساح القيروان وأجزل لهم الصلات والعوائد وزاحموا الزواودة من
رياح بمنكب بعد أن كانت لهم استطالة على جميع بلاد افريقية وكانت لهم آية
اقطاع لمحمد بن مسعود بن سلطان أيام الشيخ أبى محمد بن أبى حفص فأقبل اليه

مرداس فى بعض السنين غيرهم للكيد ونزلوا به فرأوا نعمة الزواودة فى تلولهم تلك فشرهوا اليها وأجمعوا طلبها فحاربوهم فغلبوهم وقتلوا رزق بن سلطان واتصلت الفتنة فلما سخط مرهم الامير أبو زكريا صادف عندهم القبول لتحريضه فاعصوصبوا جميعا على فتنة الزواودة وتأهبوا لها وتكررت بينهم وبين رياح الحروب والوقائع حتى أزاحوهم عن افريقية الى مواطنهم لهذا العهد بتلول قسنطينة وبجاية الى الزاب وما اليه ثم وضعوا أوزار الحرب وأوطن كل حيث قسمت له قومه وملك بنو عوف سائر ضواحى افريقية وتغلبوا عليه واصطنعهم السلطان وأثبتهم فى ديوان العطاء ولم يقطع شيأ من البلاد واختص بالولاية منهم أولاد جامع وقومه فكانوا له خالصة وتم تدبيره فى غلب الزواودة ورياح فى ضواحى افريقية وازعاجهم عنها الى ضواحى الزاب وبجاية وقسنطينة وطال بالدولة واختلف حالهم فى الاستقامة معها والنفرة وضرب السلطان بينهم ابن علاق فنشأت الفتنة وسخط عنان بن جابر شيخ مرداس من أولاد جامع مكانه من الدولة فذهب مغاضبا عنها وأقام بناجعته من مرداس ومن اليهم بنواحى المغرب فى بلاد رياح من زاع الى ما يقاربها وخاطبه أبو عبد الله بن أبى الحسن خالصة السلطان أبى زكريا صاحب افريقية يومئذ يؤنبه على فعلته فى مراجعة السلطان بقصيدة منها قوله وهى طويلة

قدوا المهامه بالمهرية القود * واطووا فلاة بتصويب وتصعيد

وبقوله

سلوا دمنة بين الغضى والسواجر * هل استن فيها واكفات المواطر

فأجاب عن هذه عنان بقوله

خليلى عوجا بين سلع وحاجر * بهوج عناجيج نواج ضوامر

يقيم عروة فى النزوع عنهم

السلطان بعض الشئ كما نذكره فى أخبار الدولة الحفصية ثم لحق بمراكش بالخليفة السعيد من بنى عبد المؤمن محرضا له على افريقية وآل أبى حفص وهلك فى سبيله وقبر بسلا ولم يزل حال مرداس بين النفرة والاصحاب الى أن هلك الامير أبو زكريا واستفحل ملك ابنه المستنصر من بعده وعلا الكعوب بذمة قومه من السلطان وكان شيخهم لعهده عبد الله بن شيخة فسعى عند السلطان فى مرداس وكان أبو جامع مبلغا سعايته واعصوصبت عليه سائر علاق فحاربوا المرداسيين هؤلاء وغلبوهم على الاوطان والحظ من السلطان وأخرجوهم عن افريقية وصاروا الى القفر وهم اليوم به من جهة بادية الاعراب أهل الفلاة ينزعون الى الرمل ويمتارون من أطراف التلول تحت

أحكام

أحكام سليم أو رياح ويختصون بالتغلب على ضواحى قسنطينة أيام مرابع الكعوب ومصاجهم بالتلول فاذا انحدروا الى مشاتيهم بالقفر أجفلت احياء مرداس الى القفر البعيد او يخالطونهم على حلف ولهم على توزر ونفطة وبلاد قصطيلة اتاوة يؤدونها اليهم بما هى مواطنهم ومجالاتهم وتصرفهم ولانها فى الكثير من أعراضهم وصاروا لهذا العهد الى تملك القفار بها فاصطفوا منه كثيرا واصبح منه عمران قسطينة لهم مرتابا واستقام أمر بنى كعب من علاق فى رياسة عوف وسائر بطونهم من مرداس وحصين ورياح ودلاج ومن بطون رياح وعلا شأنهم عند الدولة واعتزوا على سائر بنى سليم ابن منصور واستقرت رياستهم فى ولد يعقوب بن كعب وهم بنو شيخة وبنو طاهر وبنو على وكان التقدم لبنى شيخة بن يعقوب لعبد الله أولا ثم لابراهيم أخيه ثم لعبد الرحمن ثالثهما على ما يأتى وكان بنو على يرادفونهم فى الرياسة وكان منهم بنو كثير بن يزيد ابن على وكان كعب هذا يعرف بينهم بالحاج لما كان قضى فرضه وكانت له صحابة مع أبى سعيد العود الرطب شيخ الموحدين لعهد السلطان المنتصر أفادته جاها وثروة وأقطع له السلطان أربعا من القرى أصارها لولده كان منها بناحية صفاقس وبافريقية وبناحية الجريد وكان له من الولد سبعة أربعة لام وهم احمد وماضى وعلى ومحمد وثلاثة لام وهم بريد وبركات وعبد الغنى فنازع أحمد أولاد شيخة فى رياستهم على الكعوب واتصل بالسلطان أبى اسحق وأحفظهم ذلك فلحقوا بالدعى عند ظهوره وكان من شأنه ما قدمنا وهلك أحمد واستقرت الرياسة فى ولده وكان له من الولد جماعة فى عرفة احدى نساء بنى قاسم أبو الليل وأبو الفضل ومن الحكمية قائد وعبيد ومنديل وعبد الكريم السمرى كلب وعساكر وجهد الملك وعبد العزيز ولما هلك أحمد قام بأمرهم بعده ابنه أبو الفضل ثم من بعده أخوه أبو الليل بن أحمد وغلب رياسة بنى أحمد هؤلاء على قومهم وتألفوا ولد اخوتهم جميعا وعرفوا ما بين أحيائهم بالاعشاش الى هذا العهد ولما كان شأن الدعى بن أبى عمارة و بئس الفضل بن يحيى المخلوع وأوقع بالسلطان ابى اسحق وقتله وأكثر منه كما نذكره فى موضعه لحق أبو حفص أخوه الاصغر بقلعة سنان من حصون افريقية وكان لابى الليل بن أحمد فى نجاته ثم فى القيام بأمره اثر وقع منه أحسن المواقع فاصطنعه به وشيد من رياسته على قومه عندما أدال الله به من الدعى فاصطنع أبو الليل هذا أمرهم وزاحم أولاد شيخة بمنكب قوى ولحق آخرهم عبد الرحمن بن شيخة ببجاية عندما اقتطعها الامير أبو زكريا بن سلطان أبى اسحق على ملك عمه السلطان أبى حفص فوفد عليه مستجيشا به ومرغبا له فى ملك تونس يرجو بذلك كثرة رياسته فهلك دون مرامه وقبر ببجاية وانقرضت رياسة أولاد شيخة بمهلكه

واستبد أبو الليل بالرياسة فى الكعوب ووقع بينه وبين السلطان أبى حفص وحشة فقدم على الكعوب مكانه محمد بن عبد الرحمن بن شيخة وزاحمه به أياما حتى استقام على الطاعة ولما هلك قام بأمرهم ابنه أحمد واتصل أمر رياسته ونكبه السلطان أبو عصيدة فهلك فى سجنه وولى بعده أخوه عمر بن أبى الليل وزاحمه هراج ابن عبيد بن أحمد بن كعب الى أن هلك هراج كما نذكر ولما هلك عمر قام بأمره فى قومه أخوه محمد بن أبى الليل وكفل مولاهم وحمزة ابنى أخيه عمر وكان عمر ضعيفا عاجزا فنازعه أولاد مهلهل ابن عمه قاسم وهم محمد ومسكيا ومرغم وطالب وعون فى آخرين لم يحضرنى أسماؤهم فترشحوا للاستبداد على قومهم ومجاذبة محمد ابن عمهم أبا الليل حبل الرياسة فيهم ولم يزالوا على ذلك سائر أيامهم ولما ظهر هراج بن عبيد بن أحمد بن كعب وعظم ضغائنه وعتوه وافساد الاعراب من احيائه السابلة وساء أثره فى ذلك وأسف السلطان بالاعتزاز عليه والاشتراط فى ماله وتوغلت له صدور الغوغاء والعامة فوفد على تونس عام خمسة وسبعمائة ودخل المسجد يوم الجمعة لابسا خفيه وتنكر الناس عليه وطأه بيت الله بخف لم ينزعه وربما قال له فى ذلك بعض المصلين الى جنبه فقال انى أدخل بها بساط السلطان فكيف الجامع فاستعظم الناس كلمته وثاروا به لحينه فقتلوه فى المسجد وارضوا الدولة بفعلهم وكان أمره مذكورا وقتل السلطان بعد ذلك أخاه كيسان وابن عمه شبل بن منديل بن أحمد وقام بامر الكعوب هريد محمد ابن أبى الليل وهراج بن عبيد مولاهم وحمزة أبناء عمر واستبد برياسة البدو من سليم بافريقية على مزاحمة من بنى عمهم مهلهل بن قاسم وأمثالهم وخول سواهم وانتقض أحمد بن أبى الليل وابن أخيه مولاهم ابن عمر على السلطان سنة سبع وسبعمائة واستدعى عثمان بن أبى دبوس من مكانه بوطن ذباب نجاءه واجلب له على تونس ونزل كدية الصعتر بظاهرها وبرز اليهم الوزير أبو عبد الله بن برزيكن فهزمهم واستخدم أحمد بن أبى الليل ثم تقبض عليه واعتقل بتونس الى أن هلك ووفد بعد ذلك مولاهم ابن عمر سنة ثمان فاعتقل معه ولحق أخوه حمزة بالامير أبى البقاء خالد ابن الامير زكريا صاحب الثغر الغربى من افريقية بين يدى مهلك السلطان أبى عصيدة ومعه أبو على ابن كثير ويعقوب بن الفرس وشيوخ بنى سليم هؤلاء ورغبوا الامير أبا البقاء فى ملك الحضرة وجاؤا فى صحبته وأطلق أخاه مولاهم من الاعتقال منذ دخول السلطان تونس سنة عشر وسبعمائة كما نذكره فى خبره ثم لحق حمزة بالسلطان أبى يحيى زكريا ابن اللحيانى واتصلت به يده فرفعه على سائر العرب حتى لقد نفس ذلك عليه أخوه مولاهم ونزع الى السلطان أبى يحيى الطويل أمر الخلافة ولى سبعا بجاية وثلاثين

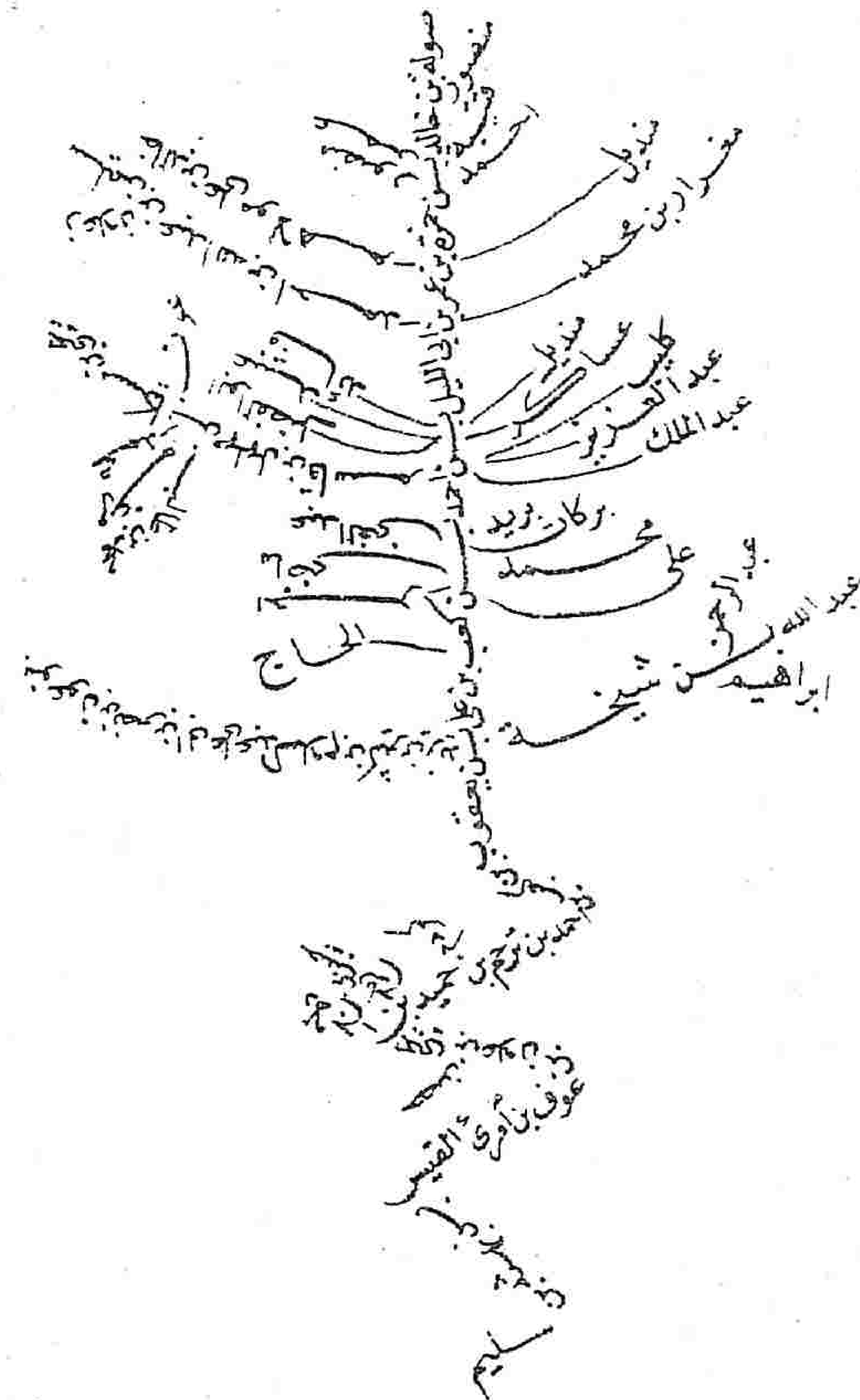
بعد استيلائه على الحضرة وسائر بلاد افريقية فاستخلصه السلطان لدولته ونابذه حمزة فأجلب عليه بالقرابة واحدا بعد واحد كما نذكره وداهن أخوه مولاهم فى مناصحة السلطان ومالأ حمزة على شأنه وربما نمى عنه الغدر فتقبض عليه السلطان وعلى ابنه منصور وعلى ربيبه زغدان ومغرار بن محمد بن أبى الليل وكان الساعى بهم الى السلطان ابن عمهم عون بن عبد الله بن أحمد وأحمد بن عبد الواحد أبو عبيد وأبو هلال بن محمود ابن فائد وناجى بن أبى على بن كثير ومحمد بن مسكين وأبو زيد بن عمر بن يعقوب ومن هوارة فيصل بن زعزاع فقتلوا لحينهم سنة ثنتين وعشرين وبعث أشلاؤهم الى حمزة فاشتد حنقه ولحق صريخا بأبى تاشفين بعساكر تلمسان لعهده من آل يغمراسن ومعه محمد ابن السلطان اللحيانى المعروف بأبى ضربة قد نصبه للملك وأمدهم أبو تاشفين بعساكر زناتة وزحفوا الى افريقية فخرج اليهم السلطان وهزمهم برغيش ولم يزل حمزة من بعدها مجلبا على السلطان أبى يحيى بالمرشحين من أعياص البيت الحفصى وأبو تاشفين صاحب تلمسان يمدهم بعساكره وتكررت بينهم الوقائع والايام سجالا كما نذكره فى مواضعه حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن وقومه من بنى مرين على تلمسان والمغرب الاوسط سنة سبع وثلاثين وسبعمائة واستتبعوا بنى عبد الواد وسائر زناتة أقصى حمزة من فتنته وانقطع حبلها فى يده ولحق بالسلطان أبى الحسن مستشفعا به فتقبل السلطان أبو يحيى شفاعته وعفا له عن جرائمه وأحله محل الاصفياء والخلوص فشمر عن نصحه واجتهاده وظاهر قائده محمد بن الحكيم على تدويخ افريقية وظهر البدو من الاعراب فاستقام أمر الدولة وتوثر مهادها وهلك حمزة سنة أربعين وسبعمائة بيد أبى عون نصر بن أبى على عبد السلام من ولد كثير بن زيد المتقدم الذكر فى بنى على من بطون بنى كعب طعنه فى بعض الحروب فأشواه وكان فيها مهلكه وقام بأمرهم من بعده ابنه عمر بظاهر شقيقه قتيبة ولكن أبا الليل تغلب على سائر الاخوة والقرابة واستبد برياسة بنى كعب وسائر بنى يحيى وأقتاله بنو مهلهل ينافسونه ويرتقبون الادالة منه وكان مساهمه فى أمره معن بن مطاعن من فزارة وزير أبيه وخرجوا على السلطان بعد مهلك حمزة أبيهم واتهموا ان قتل أبى عون اباهم انما كان بممالأة الدولة فنازلوا تونس وجمعوا لمحاصرتها أولاد مهلهل أمثالهم ثم اختلفوا ورحلوا عن البلد وانخذل طالب بن مهلهل وقومه الى السلطان ونهض فى أثرهم فأوقع بهم فى القيروان ووفدت مشيختهم على ابنه الامير أبى العباس بقصره يداخلونه فى الخروج على ابنه وكان فيهم معن بن مطاعن وزيرهم فتقبض عليه وقتله وأفلت الباقون وراجعوا الطاعة وأعطوا الرهن (ولما هلك) السلطان أبو يحيى وقام بالامر ابنه عمر انحرفوا عنه وظاهروا أخاه أبا

العباس صاحب الجريد وولي العهد وزحفوا معه بظواعنهم الى تونس فدخلها وقتله أخوه عمر كما نذكره في موضعه وقتل معه أخاهم أبا الهول بن حمزة فأسعفهم بذلك ووفد خالد على صاحب المغرب السلطان أبي الحسن فيمن وفد عليه من وجوه الدولة وكافة المشيخة من افريقية وجاء في جملته حتى اذا استولى على البلاد قبض أيديهم عما كانت تمتد اليه من افساد السابلة وأخذ الاتاوة وانتزع الامصار التي كانت مقتطعة بأيديهم وألحقهم بأمثالهم من اعراب بلاد المغرب الاقصى من المعقل وزغبة فثقلت وطأته عليهم وتنكروا له وساء ظنه بهم وفشت غارات المفسدين من بداويهم بالاطراف فنسب ذلك اليهم ووفد عليه بتونس من رجالاتهم خالد بن حمزة وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن أبي زيد من شيوخ حليم فسعى بهم عنده انهم داخلوا بعض الاعياص من أولاد اللحياني من بني أبي حفص كما في رحلته كما نذكره في موضعه فتقبض عليهم وبلغ خبرهم الى الحي فناشبوا بقسطيلة والجريد فظفروا بزنابي من بقية آل عبد المؤمن من عقب أبي العباس ادريس الملقب بأبي ادريس آخر خلفائهم بمراكش واستيلاؤه على المغرب وهو أحمد بن عثمان بن ادريس فنصبوه وبايعوه واجتمعوا عليه وناشبت معهم بنو عمهم مهلهل أقتالهم وكان طالب هلك وقام مكانه فيهم ابنه محمد فصرخهم بقومه واصفقوا جميعا على حرب زناته ونهض اليهم السلطان أبو الحسن من تونس فاتح تسع وأربعين فأجفلوا امامه حتى نزل القيروان ثم ناجزوه ففضوا جموعه وملؤا حقائبهم باسلابه واسلابهم وخضدوا من شوكة السلطان وألانوا من حد الملك وخفضوا من أمر زناتة وغلبهم الامم وكان يوم له ما بعده في اعتزاز العرب على الدول آخر الايام وهلك أبو الليل بن حمزة فعجز عمر عن مقاومة اخوته واستبد بالرياسة عليه أخوه خالد ثم من بعده أخوهما منصور واعتز على السلطان أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى صاحب تونس لعهده اعتزاز الاكفاء له وانبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى غلبوا على الضاحية وقاسموهم في جبايات الامصار بالاقطاع ريفا وصحراء وتلولا وجريدا ويحرضون بين اعياص الدولة ويجلبون بهم على الحضرة لما يعطونه طعمة من الدولة ويرميهم السلطان باقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد يديل به منهم حتى احفظوها ويحرش بينهم بقضاء أوطارها حتى اذا أراد الله انقاذ الامة من هوة الخسف وتخليصهم من مكاره الجوع والخوف واداتهم من ظلمات الموت بنور الاستقامة بعث همة السلطان أمير المؤمنين أبي العباس أحمد ايده الله لطلب ارثه من الخلافة فبعث من بالحضرة فانبعث لها من مكان امارته بالثغر الغربي ونزل اليه أمير البدو

ومنصور

ومنصور ابن حمزة هذا وذلك سنة احدى وسبعين وسبعمائة على حين مهلك السلطان أبي اسحق مقتعد كرسي الحضرة وصاحب عصا الخلافة والجماعة وقام ابنه خالد بالامر من بعده فنهض الى افريقية ودخل تونس عنوة واستولى على الحضرة سنة ثنتين بعدها وارهف حده للعرب في الاعتزاز عليهم وقبض أيديهم عن المفاسد وذويهم فحدثت لمنصور نفرة عن الدولة ونصب الامير أبو يحيى زكريا ابن السلطان ابن أبي يحيى جدهم الاكبر كان في احياء العرب منذ سنين كما نذكر ذلك كله في اخبار الدولة وأجلب به على تونس سنة ثلاث وسبعين فامتنعت عليهم ولم يظفروا بشيء وراجع منصور حاله عند السلطان وكشف عن وجه المناصحة وكان عشيرته قد ملوا منه حسدا ومنافسة بسوء ملكته عليهم فغدا عليه محمد ابن أخيه أبي الليل وطعنه فأشواه وهلك ليومه سنة خمس وسبعين وافترق جمعهم وقام بأمرهم من بعده صولة ابن أخيه خالد بن حمزة ويرادفه أولاد مولاهم ابن عمر بخهد بعض الشيء في خدمة السلطان ومناصحته ثم رجع الى العصيان وكشف القناع في الخلاف واتصل حاله على ذلك ثلاثا وادال السلطان منه من قومه باقتالهم أولاد مهلهل ورياستهم لمحمد بن طالب فرجع اليهم رياسة البدو وجعل لهم المنع والاعطاء فيهم ورفع رتبهم على العرب وتحيز اليه معهم أولاد مولاهم ابن عمر بن أبي الليل ونقلت أولاد حمزة سائر هذه الايام في الخلاف ونهض السلطان سنة ثمانين الى بلاد الجريد لتقديم رؤسائها عن المراوغة وحملهم على جادة الطاعة فتعرضوا لمدافعته عنها باملاء هذه الرؤساء ومشارطتهم لهم على ذلك وبعدا رجعوا اليه الجموع من دومان العرب الاعراب وذياب البدو فغلبهم عليها جميعا وازاحهم عن ضواحيها وظفر بفرائسه من أولئك الرؤساء وأصحوا بين معتقل ومشرد واستولى على قصورهم وذخائرهم وأبعد أولاد حمزة وأحلافهم من حكيم القفر وجاوزوا تخوم بلادهم من جهة المغرب واعتزت بعد الفساد وانفتحت أبواب الرحمة على العباد وقد كان اعتزاز هؤلاء العرب على السلطان والدولة لا ينتهي اليه اعتزاز والهم عنجهية وابايه وخلق في التكبر الذي هو غريزة لما انهم لم يعرفوا عهد الاول ولا يسامون باعطاء الصدقات لهذا العهد الاول اما في دولة بني أمية فللعصبية التي كانت للعرب بعضها مع بعض يشهد بذلك اخبار الردة والخلفاء معهم مع أمثالهم مع أن الصدقة كانت لذلك العهد تحري الحق بجانب الاعتزاز والغلظة فليس في اعطائها كثير غمط ولا مذلة واما أيام بني العباس حين استفحال الملك وحدوث الغلظة على أهل العصابة فلابعادهم بالقفر من بلاد نجد وتهامة وما وراءهما وأما أيام العبيديين فكانت الحاجة تدعو الدولة الى استمالتهم للفتنة التي كانت بينهم وبين بني العباس واما حين خرجوا بعد ذلك الى فضاء برقة

وافريقية فكانوا ضاحين من ظل الملك ولما اصطنعهم بنو أبي حفص كانوا معهم بمكان من الذل وسوم الخسف حتى كانت واقعتهم بالسلطان أبي الحسن وقومه من زناتة بالقيروان فنهجوا سبيل الاعتزاز لغيرهم من العرب على الدول بالمغرب فتحامل المعقل وزغبة على ملوك زناتة واستطالوا في طلابهم بعد ان كانوا مكبوحين بحكمة الغلب عن التطاول الى مثلها والله مالك الامور



الخبر

الخبر عن قاسم بن مرا من الكعوب القائم بالسنة في سليم وما آل أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من الكعوب من أولاد أحمد بن كعب منهم وهو قاسم بن مرا بن أحمد نشأ بينهم ناسكا منتحلا للعبادة ولقي بالقيروان شيخ الصلحاء بعصره أبا يوسف الدهاني وأخذ عنه ولزمه ثم خرج الى قومه مقتفيا طريقة شيخه في التزام الورع والاخذ بالسنة ما استطاع ورأى ما العرب عليه من افساد السابلة والخروج عن الجادة فأخذ نفسه بتغيير المنكر فيهم واقامة السنة لهم ودعا الى ذلك عشيره من أولاد أحمد وان يقاتلوا معه على ذلك فأشار عليه أولاد ابي الليل منهم وكانوا عيبة له تنصح له أن يستكف عن طلب ذلك من قومه مخافة ان يلحوا في عداوته فيفسد أمره ودفعوه الى مطالبة غيرهم من سليم وسائر الناس بذلك وانهم منعة له ممن يرومه خاصة فجمع اليه أوباشا من البادية تبعوه على شأنه والتزموا طريقته والمرابطة معه وكانوا يسمون بالجنادة وبدا بالدعاء الى اصلاح السابلة بالقيروان وما اليها من بلاد الساحل وتتبع المحاربين بقتل من يعثر عليه منهم بالطرق وغزوا المشاهير منهم في بيوتهم واستباحة أموالهم ودمائهم حتى شردهم كل مشرد وعلت بذلك كلمته على آل حصن وصلحت السابلة بافريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الجريد وطار له ذكر نفسه عليه قومه وأجمع عداوته واغتياله بنو مهلهل قاسم بن أحمد وتنصحوا ببعض ذلك للسلطان بتونس الامير ابن حفص وأن دعوة هذا الرجل قادحة في أمر الجماعة والدولة فأغضى لهم عن ذلك وتركهم وشأنهم فخرجوا من عنده مجمعين قتله ودعوه في بعض أيامهم الى المشاورة في شؤنهم معه على عادة العرب ووقفوا معه بساحة حيهم ثم خلصوا معه نجيا وطعنه من خلفه محمد بن مهلهل الملقب بأبي عذبتين فخر صريعا لليدين والفم وامتعض له أولاد أبي الليل وطلبوا بدمه فافترقت أحياء بني كعب من يومئذ بعد ان كانت جميعا وقام بأمره من بعده ابنه رافع على مثل طريقته الى ان هلك في طلب الامر على يد بعض رجالات آل حصن سنة ست وسبعمائة ولم يزل بنو أبي الليل على الطلب بثار قاسم بن مرا الى ان ظهر فيهم حمزة ومولاهم ابنا عمر بن أبي الليل وصارت اليهم الرياسة على أحيائهم واتفق في بعض الايام اجتماع أولاد مهلهل بن قاسم في سيدي حمزة ومولاهم في مشاتيهم بالقفر فاجمع اغتيالهم وقتلهم عن آخرهم شاق ابن عمهم قاسم بن مرا ولم يفلت منهم الا طالب بن مهلهل لم يحضر معهم وعظمت الفتنة من يومئذ بين هذين الحيين وانقسمت عليهم أحياء بني سليم وصاروا يتعاقبون في الخلاف والطاعة على الدولة وهم على ذلك لهذا العهد والرياسة في بني مهلهل اليوم لمحمد بن طالب بن مهلهل وأخيه يحيي والله وارث الارض

ومن عليها وهو خير الوارثين

(بنو حصن بن علاق)

بنو حصن هؤلاء من بطون علاق وحصن أخو يحيى بن علاق كما مر فهم بطنان أيضا بنو علي وحكيم وقد يقال ان حكيما ليس لحصن وانما ربي في حجره فانتمى اليه واما حكيم فلهم بطون منهم بنو ظريف بن حكيم وهم أولاد عامر والشراعبة ونعير وجرين المقدام ابن ظريف وزياد بن ظريف ومنهم بنو وائل بن حكيم ومنهم بنو طرود بن حكيم وقد يقال ان طرود ليس لسليم وانهم من منبس احدى بطون هلال بن عامر ويقال ان منهم زيد العجاج بن فاضل المذكور في رجالات هلال والصحيح في طرود انهم من بني فهم ابن عمرو بن قيس بن عيلان بن عدوان وفي تعدادهم وكانت طرود أحلاف الدلاج ثم قاطعوهم وحالفوا آل ملاعب ومن بطون حكيم آل حين ونوال ومقعد والجمعات ولا أدري كيف يتصل نسبهم ومنهم بنو نمير بن حكيم ولنمير بطنان ملاعب وأحمد فمن أحمد بنو محمد والبطين ومن ملاعب بنو هيكل بن ملاعب وهم أولاد زمام والفزيات وأولاد ميماس وأولاد فائد ومن أولاد فائد الصرح والمدافعة وأولاد يعقوب بن عبد الله بن كثير بن حرقوص بن فائد واليهم رياسة حكيم وسائر بطونهم ومواطن حكيم هؤلاء لهذا العهد ما بين سوسة والاجم والناجعة منهم احلاف لبني كعب تارة لاولاد ابي الليل وتارة لاقتالهم أولاد مهلهل ورياستهم في بني يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب شيخا عليهم واقتص أيام اللحياني ووفد على السلطان أبي يحيى بالثغر الغربي من افريقية في بجاية وقسنطينة وجاء في جملته فلما ملك تونس عقد له على قومه ورفعه على أنظاره وغص به بنو كعب فحرض عليه حمزة من الاعشاش محمد بن حامد بن يزيد فقتله في موقف شوارهم وولي الى الرياسة فهم من بعده ابن عمه محمد ابن مسكين بن عامر بن يعقوب بن القوس وانتهت اليه رياستهم وكان يرادفه أو ينازعه جماعة من بني عمه فنهم بنو سليمان بن يعقوب وحضر واقعة طريف مع السلطان أبي الحسن وكان له فيها ذكر ومنهم أبو الهول وأبو القاسم ابنا يعقوب ابن عبد السلام وكان لابي الهول مناصحة للسلطان أبي الحسن حين احلف عليه بنو سليم بالقيروان وأدخله مع أولاد مهلهل في الخروج على القيروان فخرج معهم جميعا الى سوسة ومنهم بنو يزيد بن عمر بن يعقوب وابنه خليفة ولم يزل محمد بن مسكين على رياسته أيام السلطان أبي يحيى كلها وكان مخالطا له ومتهالكا في نصيحته والانحياش اليه ولما هلك خلفه في رياسته ابن أخيه خليفة بن عبد الله بن

مسكين وهو أحد الاشياخ الذين تقبض عليهم السلطان ابو الحسن بتونس بدعاء واقعة القيروان ثم أطلقه وهو محصور بالقيروان فكان له به اختصاص من بعد ذلك ولما تغلب العرب على النواحي بعد واقعة القيروان تغلب بنو مسكين هؤلاء على سوسة فأقطعها السلطان خليفة هذا وبقيت في ملكته وهلك خليفة فقام برياستهم في حكيم ابن عمه عامر ابن محمد بن مسكين ثم قتله محمد بن بشنة بن حامد من بني كعب قتله يعقوب بن عبد السلام ثم قتله محمد هذا غدرا بجهاد الجريد سنة خمس وخمسين وسبعمائة ثم افترق أمرهم واستقرت رياستهم لهذا العهد بين أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين وتلقب أبا معنونة وهو ابن أخي خليفة المذكور وعبد الله بن محمد بن يعقوب وهو ابن أخي أبي الهول المذكور ولما تغلب السلطان أبو العباس على تونس وملكها انتزع سوسة من أيديهم فامتعض أحمد لذلك وصار الى ولاية صولة بن خالد بن حمزة من أولاد أبي الليل وسلكوا سبيل الخلاف والفتنة وأبعدوا في شأوها وهم لهذا العهد مشردون عن الضواحي والارياف منزاحون الى القفر واما عبد الله بن محمد ويلقب الرواي فتحيز الى السلطان وأكد حلفه مع أولاد مهلهل على ولايته ومظاهرته فعظمت رياسته في قومه وهو على ذلك لهذا العهد ثم راجع أبو معنونة خدمة السلطان وانقسمت رياسة حكيم بينهما وهم على ذلك لهذا العهد واما بنو علي اخوة حكيم فلهم بطون أولاد صورة ويجمعهما معا عوف بن محمد بن علي حصن ثم أولاد نمي والبدرانة وأولاد أم أحمد والحضرة أو الرجلان وهو مقعد والجمعات والحمر والمشابهة آل حسين وجري وقد يقال ان جري ليسوا لسليم وانهم من بطون كندة صاروا معهم بالحلف فانتسبوا بنسبهم ورياسة بني علي في أولاد صورة وشيخهم لهذا العهد أبو الليل بن أحمد بن سالم بن عقبة بن شبل بن صورة بن مرعي بن حسن بن عوف ويرادفهم المراعية من أهل نسبهم أولاد مرعي ابن حسن بن عوف ومواطنهم ما بين الاجم والمباركة من نواحي قابس وناجعتهم أحلاف الكعوب اما لاولاد أبي الليل أو لاولاد مهلهل وغالب أحوالهم لاولاد مهلهل والله مقدر الامور لا رب سواه

(ذباب بن سليم)

قد ذكرنا الخلاف فى نسبهم من انهم من ذباب بن ربيعة بن زعب الاكبر وان ربيعة
أخو زعب الاصغر وضبط هذه اللفظة لهذا العهد بضم الزاى وقد ضبطها الاجل

أبى والرشاطى بكسر الزاى كذا نقل أبو محمد التجانى فى رحلته ومواطنهم ما بين
قابس وطرابلس الى برقة ولهم بطون فنهم أولاد أحمد بن ذباب ومواطنهم غربى قابس
وطرابلس الى برقة عيون رجال مجاورون لحصن ومن عيون رجال بلاد زعب من بطون
ذباب بنو يزيد مشاركون لاولاد أحمد فى هذه المواطن وليس هذا أبالهم ولا اسم رجل
وانما هو اسم حلفهم انتسبوا به الى مدلول الزيادة كذا قال التجانى وهم بطون أربعة
الصهب بسكون الهاء بنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن ذباب واخوتهم الحمادية
بنو حمدان بن جابر والخرجة بسكون الراء بطن من آل سليمان منهم أخرجهم آل
سليمان من مواطنهم بمسلاتة فحالفوا هؤلاء ونزلوا معهم والاصابعة نسبة الى رجل ذى
اصبع زائدة ولم يذكر التجانى فى أى بطن من ذباب ينتسبون ومنهم النوائل بنو نائل بن
عامر بن جابر واخوتهم أولاد سنان بن عامر واخوتهم أولاد وشاح بن عامر وفيهم رياسة
هذا القبيل من ذباب كلهم وهم بطنان عظيمان المحاميد بنو محمود بن طوب بن بقية بن
وشاح ومواطنهم ما بين قابس ونفوسة وما الى ذلك من الضواحى والجبال ورياستهم
لهذا العهد فى بنى رحاب ابن محمود لاولاد سباع بن يعقوب بن عطية بن رحاب والبطن
الآخر الجوارى بنو حميد بن جارية بن وشاح ومواطنهم طرابلس وما اليها مثل تاجورا
وهزاعة وزنزور وما اليها من ذلك لهذا العهد ورياستهم لهذا العهد فى بنى مرغم بن
صابر بن عسكر بن على بن مرغم ومن أولاد وشاح بطنان آخران صغيران مندرجان مع
الجوارى والمحامد وهما الجوارية بنو جراب بن وشاح والعمور بنو عمر بن وشاح هكذا
زعم التجانى فى العمور هؤلاء وفى هلال بن عامر بطن العمور كما ذكرناه وهم يزعمون
ان عمور ذباب هؤلاء منهم وانهم انما جمعهم مع ذباب الموطن خاصة وليسوا من سليم
والله أعلم بحقيقة ذلك وكان من أولاد وشاح بنو حريز بن تميم بن عمر بن وشاح
كان منهم فائد بن حريز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم لهذا العهد سمرا
وفكاهة المجالس ويقال انه من المحاميد فائد بن حريز بن حربى
ابن محمود بن طوب وكان بنو ذباب هؤلاء شيعة لقراقش الغزى وابن غانية ولهما فيه
أثر وقتل قراقش مشيخة الجوارى فى بعض أيامه ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية الى
خدمة الامير أبى زكريا وأهل بيته من بعده وهم الذين أقاموا أمر الداعى بن أبى
عمارة وعليهم كان تلبيسه لان يصير أميرا بدل المخلوع وكان فر اليهم بعد مهلك مولاه
و بنيه ونزل عليهم حتى اذا مر بهم ابن أبى عمارة فعرفه الخبر فاتفقوا على التلبيس
وتم بنوا ذلك لهؤلاء العرب فقبلوه وتولى كبر ذلك مرغم بن صابر وتبعه قومه
وداخلهم فى الامر أبو مروان عبد الملك بن مكى رئيس قابس فكان من قدر

الله ما كان من تمام أمره وتلويث كرسى الخلافة بدمه حسبما نذكر فى أخبار الدولة الحفصية وكان السلطان أبو حفص يعتمد عليهم فغلبهم فى دعوة عمارة فخالفوا عليه ونزح لحربهم قائده أبا عبد الله الفزارى واستصرخوا بالامير أبى زكريا ابن أخيه وهو يومئذ صاحب بجاية والثغر الغربى من افريقية ووفد عليه منهم عبد الملك بن رحاب ابن محمود فنهض لصريخه سنة سبع وثمانين وستمائة وحاربوا أهل قابس وهزموهم وأثخنوا فيهم ثم غلبهم الفزارى ومانعهم عن وطن افريقية ورجع الامير أبو زكريا الى الثغرة وكان مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجوارى قد أسره أهل صقلية من سواحل طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه لاهل برشلونة فاشتراه ملكهم وبقى أسيرا عندهم الى ان زعم اليه عثمان بن ادريس الملقب بأبى دبوس بقية الخلفاء من بنى عبد المؤمن وأراد الاجازة الى افريقية لطلب حقه فى الدعوة الموحدية فعقد ملك برشلونة بينه وبين مرغم حلفا وبعثهما ونزل بساحل طرابلس وأقام مرغم الدعوة لابن دبوس وحمل عليها قومه وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين أياما ثم تركوا عسكرا لحصارها وارتحلوا لجباية الوطن فاستفرغوه وكان ذلك غاية أمرهم وبقى أبو دبوس يتقلب فى أوطانهم مدة واستدعاه الكعوب لاول المائة الثامنة وأجلبوا به على تونس أيام السلطان أبى عصيدة من الحفصيين وحاصروها أياما فلم يظفروا ورجع الى نواحى طرابلس وقام بها مدة ثم ارتحل الى مصر وأقام بها الى أن هلك كما يأتى ذكره فى خبر ابنه مع السلطان أبى الحسن بالقيروان ولم يزل هذا شأن الجوارى والمحاميد الى ان تقلص ظل الدولة عن أوطان قابس وطرابلس فاستبد برياسة ضواحيها واستعبدوا سائر الرعايا المعتمرة فى جبالها وبسائطها واستبد أهل الامصار برياسة أمصارهم بنو مكى بقابس وبنو ثابت بطرابلس على ما نذكر فى أخبارهم وانقسمت رياسة أولاد وشاح بانقسام المصرين فتولى الجوارى طرابلس وضواحيها وزنزور وغريان ومغر وتولى المحاميد بلد قابس وبلاد نفوسة وحرب وفى ذباب هؤلاء بطون أخرى ناجعة فى القفر ومواطنهم منزاحة الى جانب الشرق عن مواطن هؤلاء الوشاحين فمنهم آل سليمان بن هبيب بن رابع بن ذباب ومواطنهم قبلة مغر وغريان ورياستهم فى ولد نصر بن زائد بن سليمان وهى لهذا العهد لهائل بن حماد بن نصر وبينه وبين البطن الآخر الى سالم بن وهب أخى سليمان ومواطنهم بلد مسراتة الى لهد ومسلاتة وشعوب آل سالم هؤلاء الاحمد والعمائم والعلاونة وأولاد مرزوق ورياستهم فى أولاد ولد مرزوق وهو ابن معلى بن معراق بن قليتة بن قماص بن سالم وكانت فى أول هذه المائة الثامنة لغلبون بن مرزوق واستقرت فى بنيه وهى اليوم لحميد بن سنان بن عثمان

بياض بالأصل

ابن

ابن غلبون والعلاونة منهم مجاورون للعدة من عرب برقة والمشابنة من هوارة المقيمين وتجاذب ذباب هؤلاء فى مواطنهم من جهة القبلة ناصرة وهم من بطون ناصرة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم فان كان زعب أبو ذباب الملك بن خفاف كما زعم التجانى فهم اخوة ناصرة ويبعد أن يسمى قوم باسم اخوانهم وان كانوا الناصرة كما زعم ابن الكلبى وهو أقرب فيكون هؤلاء اختصوا باسم ناصرة دون ذباب وغيرهم من بنيه وهذا كثير من بطون القبايا والله أعلم ومواطنهم بلاد فزان وودان هذه اخبار ذباب هؤلاء وأما لغرة جيرانهم فى الشرق الذين مناذكرهم بهم برقة خلفاء لاستيلاء الخراب على أمصارها وقرارها من دولة صنهاجة تمرنت بعرانها بادية العرب وناجعتهم فتجمعوا اغارة ونهبا الى ان فسدت فيها مذاهب المعاش وانتقض العمران فخربت وصار معاش الاكثر من هؤلاء العرب الموطنين بها لهذا العهد من الملح يثيرون له الارض بالعوامل من الجمال والحمير وبالنساء اذا ضاق كسبهم عن العوامل واوتكبوا ضرورة المعاش وينجعون الى بلاد النخل فى جهة القبلة منهم من اجلة وسنترية الواحات وماوراء ذلك من الرمال والقفر الى بلد السودان المجاورين لهم وهم كانوا قسمى بلادهم يرنق وشيخ هؤلاء العرب ببرقة يعرف لهذا العهد بأبى ذئب من بنى جعفر وركاب الحج من المغرب يحمدون مساطتهم فى مرهم وحسن نيتهم فى التجافى عن جامع بيت الله وارفادهم بجلب الاقوات لسربهم وحسن الظن بهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وأما نسبهم فما أدرى فيمن هو من العرب وحدثنى الثقة من ذباب عن خريص بن شيخهم أبى ذباب أنهم من بقايا الكعوب ببرقة وتزعم نسابة الهلاليين انهم لربيعة بن عامر اخوة هلال بن عامر وقد مر الكلام فى ذلك فى أول ذكر بنى سليم ويزعم بعض النسابة أنهم والكعوب من العزة وان العزة من هيث وان رياسة العزة لاولاد أحمد وشيخهم أبو ذئب وان المسابنة جيرانهم من هوارة وذكر لى سلام بن التركية شيخ أولاد مقدم جيرتهم بالعقبة انهم من بطون مسراتة من بقية هوارة وهو الذى رأيت النسابة المحققين عليه بعد ان دخلت مصر ولقيت كثيرا من المترددين اليها من أهل برقة وهذا آخر الطبقة الرابعة من العرب وبانقضائه انقضى الكتاب الثانى فى العرب وأجيالهم منذ بدء الخليقة فلنرجع الى أحوال البربر فى الكتاب الثالث والله ولى العون اهـ

بياض بالأصل

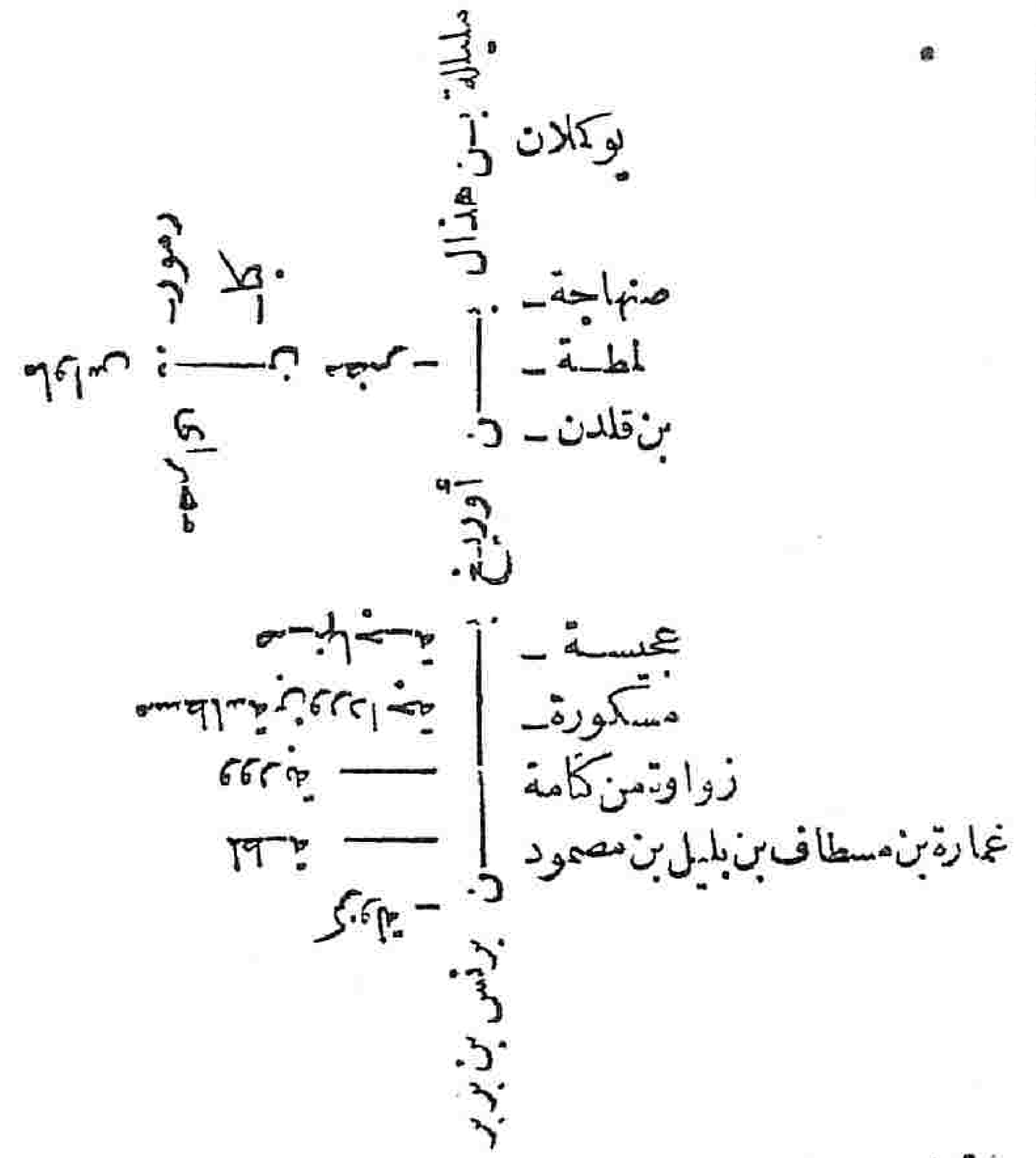
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الكتاب الثالث فى أخبار البربر والامة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس فى أنسابهم

هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ملؤا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعى فيما قرب من الرحلة لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفار الاملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل فى الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظعان فى نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤسهم فى الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها وهى التى اختصوا من أجلها بهذا الاسم يقال ان افريقش ابن قيس بن صيفى من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار وباسمه زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجيل من الاعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها تعجب من ذلك وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر والبربرة بلسان العرب هى اختلاط الاصوات غير المفهومة ومنه يقال بربر الاسد اذا زأر بأصوات غير مفهومة * وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر وبين النسابين خلاف هل هما لاب واحد فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبى يزيد صاحب الحمار أنهما لاب واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق وقال سالم بن سليم المطماطى وصابى بن مسرور الكومى وكهلان بن أبى لو وهم نسابة البربر ان البرانس بتر وهم من نسل مازيغ بن كنعان والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبى يزيد الا ان رواية ابن حزم أصح لانه أوثق (وأما) شعوب البرانس فعند النسابين انهم يجمعهم سبعة اجذام وهى ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة

وكتامة وصنهاجة وأوريغة وزاد سابق بن سليم وأصحابه لمطة وهسكورة وكزولة وقال أبو محمد بن حزم يقال أن صنهاج ولمط انما هما ابنا امرأة يقال لها بصكى ولا يعرف لهما أب تزوجها أوريغ فولدت له هوار فلا يعرف لهما أكثر من انهما اخوان لهوار من أمه قال وزعم قوم من أوريغ أنه ابن المثنى بن السكاك من كندة وذلك باطل وقال الكلبي ان كتامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر وانما هما من شعوب اليمانية تركهما افريقش بن صيفي بافريقية مع من نزل بها من الحامية هذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم فمن ازداجة مسطاطه ومن مصمودة غمارة بنو غمار بن مصطاف بن مليل بن مصمود ومن أوريغة هوارة وملك ومغد وقلدن فمن هوار بن أوريغ مليلة وبنو كهلان ومن ملك بن أوريغ صطط وورفل واسيل ومسراتة ويقال لجميعهم لهانة بنو لهان بن ملك ويقال ان مليلة منهم ومن مغد بن أوريغ ماواس وزمور وكبا ومصراى ومن قلدن بن أوريغ مصاتة وورسطيف وبيانة وفل مليلة

قوله وأما شعوب الخ من هنا الى الشجرة أسماء بعضها مخالف لما في الشجرة وهو في جميع النسخ التي بأيدينا اه مصححه



(وأما شعوب البتر) وهم بنو مادغيس الابتر فيجمعهم أربعة جذام اداسة ونفوسة وضرية وبنو لوا الاكبر وكلهم بنو زحيك بن مادغيس فأما اداسة بنو اداس بن

زحيك فبطونهم كلها في هوارة لان كل اداس تزوجها بعد زحيك ابن أوريغ ابن عمه برنس ز الدهوارة فكان اداس أخا لهوارة ودخل نسب بنيه كلهم في هوارة وهم وسفارة واندارة وهنزولة وضرية وهداغة واوطيطة وترهنة هؤلاء كلهم بنو اداس بن زحيك بن باذغيس وهم اليوم في هوارة وأما لوا الاكبر فمنه بطنان عظيمان وهما نفزاوة بنو نفزاو بن لوا الاكبر ولواتة بنو لوا الاصغر ومن لواتة سرداتة بنو نيطط بن لوا الاصغر ودخل نسب سرداتة في مغراوة قال أبو محمد بن حزم كان مغراوة تزوج أم سرداتة فسار سرداتة أخا بني مغراوة لامهم واختلط نسبه بهم ومن نفزاوة أيضا بطون كثيرة وهم ولهاصة وغساسة وزهلة وسوماتة وورسيف ومن نيزة وزاتيمة ووركول ومرسينة وورد غروس ووردن كلهم بنو تطوفت من نفزاو وزاد ابن سابق وأصحابه مجر ومكلاتة وقال ويقال ان مكلاتة ليس من البربر وانه من حمير وقع الى تطوفت صغيرا فتبناه وهو مكلاتن رعان بن كلاع حاتم بن سعد بن حمير ولولهاصة من نفزاوة بطون كثيرة من بيزغاش ودحية ابني ولهاص فمن بزغاش بطون ورنجوسة وهم رحال وطوو بورغيش وانجذ وكرطيط وما انجول سينتت بنو مجوح بن بيزغاش بن ولهاص بن تطوفت بن نفزاو قال ابن سابق وأصحابه وبنو بيزغاش من لواتة كلهم بجبال أوراس ومن دحية ورترين وتر يروورتبونت ومكرا ولقوس بنو دحية بن ولهاص بن تطوفت بن نفزاو وأما ضرية وهم بنو ضرى بن زحيك بن مادغيس الابتر فيجمعهم جذمان عظيمان بنو تمصيت بن ضرى وبنو يحيى بن ضرى وقال سابق وأصحابه ان بطون تمصيت اختصوا بنسب ضرية دون بطون يحيى فمن بطون تمصيت مطماطة وصطفورة وهم لحومسة ولماية ومطغرة ومديونة ومغيلة ومعزوزة وكشاتة ودوتة ومديونة كلهم بنو فاتن ابن تمصيت بن ضرى ومن بطون يحيى زنانة كلهم وسمكان وورصطف فمن ورصطف مكناسة وأوكنة وورتناج بنو ورصطف بن يحيى فمن مكناسة ورشيفة وودير ومن معلت قنصارة وموالات وحراب ورفلابس ومن ملزلولالين ولرتر ويصلتن وجرير وفرغان ومن ورتناج مكنسة ومطاسة وكرسطة وسمردجة وهناطة وفولال بنو ورتناج بن ورصطف ومن سمكان زواغة وزواوة بنو سمكان بن يحيى وابن حزم يعد زواوة التي بالواو في بطونها وهو أظهر ويشهد له الوطن فالغالب ان زواوة بنو سمكان بن يحيى وعد ابن حزم بعد زواوة التي بالواو في بطون كتامة والتي تعد في سمكان هي التي بالزاي وهي قبيلة معروفة ومن زواغة بنو ماجر وبنو واطيل وسمكين وسيأتي الكلام فيهم مستوفى عند ذكرهم ان شاء الله تعالى هذا آخر الكلام في شعوب هذا الجيل مجملا ولا بد من تفصيل فيه عند تفصيل أخبارهم اه

٠ (وأمّا) * الى من يرجع نسبهم من الامم الماضية فقد اختلف النسابون فى ذلك اختلافا كثيرا وبحثوا فيه طويلا فقال بعضهم انهم من ولد ابراهيم عليه السلام من نقشان ابنه وقد تقدم ذكره عند ذكر ابراهيم عليه السلام وقال آخرون البربر يمنيون وقالوا أوزاع من اليمن وقال المسعودى من غسان وغيرهم تفرقوا عندما كان من سيل العرم وقيل تخلفهم ابرهة ذو المنار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا الى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا فى البلاد وقال أبو عمر بن عبد البر ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبا قال ورأيت فى كتاب الاسعد اذا الحكيم ان النعمان بن حمير بن سبا كان ملك زمانه فى الفترة وأنه استدعى ابناءه وقال لهم أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره فراجعوه فى ذلك وزعم عليهم وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفو ابا مسوفة ومرطا ابا هسكورة وأصناك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وايلان ابا هيلانه فنزل بعضهم بجبل دون وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعه ونزل لمط عند كزول وتزوج ابنته ونزل جانا وهو أبو زناتة بوادى شلف ونزل بنو ورنجين ومغراو باطراف افريقية من جهة المغرب ونزل مقرون بتقربة من طنجة والحكاية أنكرها أبو عمرو بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقال آخرون انهم كلهم من قوم جالوت وقال على بن عبد العزيز الجرجانى النسابة فى كتاب الانساب له لا أعلم قولا يؤدى الى الصحة الا قول من قال انهم من ولد جالوت ولم ينسب جالوت ممن هو وعند ابن قتيبة انه وتود بن هربيل ابن حديلان بن جالود بن رديلان بن خطى بن زياد بن زحيك بن مادغيس الابتر ونقل عنه أيضا أنه جالوت بن هريال بن جالود بن ديال بن قحطان بن فارس قال وفارس مشهور وسفك أبو البربر كلهم قالوا والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمة وهى هوارة وزناتة وضرية ومغيلة وزيحوحة ونفزة وكامة ولواتة وغمارة ومصمودة وصدينه ويزدران ودنجين وصنهاجة ومجكسة ووار كلان وغيرهم وذكر آخرون منهم الطبرى وغيره ان البربر أخلاط من كنعان والعماليق فلما قتل جالوت تفرقوا فى البلاد وأغزى افريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشأم وأسكنهم افريقية وسماهم بربر وقيل ان البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام وقال الصولى هم من ولد بربر بن كسلاجيم بن مسرايم بن حام وقيل من العمالقة من بربر بن تملا ابن مارب بن قاران بن عمر بن عملاق بن ولاد بن ارم بن سام وعلى هذا القول فهم عمالقة وقال مالك بن المرحل البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا بالشأم ولغطوا فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم وسبب

خروجهم عند المسعودى والطبرى والسهيلى ان افريقش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر وينشدون من شعره

بربرت كنعان لما سقتها * من أراضى الضنك للعيش الخصيب

وقال ابن الكلبى اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام فقيل داود بالوحى وقيل باداود أخرج البربر من الشام فاتهم جذام الارض وقيل يوشع بن نون وقيل افريقش وقيل بعض الملوك التبابعة وعند البكرى ان بنى اسرائيل أخرجوهم عند قتل جالوت وللمسعودى والبكرى انهم فروا بعد موت جالوت الى المغرب وأرادوا مصر فأجلتهم القبط فسكنوا برقة وافريقية والمغرب على حرب الافرنج والافارقة وأجازوهم على صقلية وسردانية وميورقة والاندلس ثم اصطلحوا على ان المدن للافرنجة وسكنوا القفار عصورا فى الخيام وانتجاع الامصار من الاسكندرية الى البحر والى طنجة والسوس حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهود ومن تنصروا خرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام ولهم ملوك ورؤساء وكان بينهم وبين المسلمين حروب مذكورة وقال الصولى البكرى ان الشيطان نزغ بين بنى حام وبنى سام فانجلى بنو حام الى المغرب ونسلوا به وقال أيضا ان حام لما اسود بدعوة أبيه فر الى المغرب حياء واتبعه بنوه وهلك عن اربعمائة سنة وكان من ولده بربر بن كسلاجيم فنسل بنوه بالمغرب قال وانضاف الى البربر حيان من المغرب يمنيان عند خروجهم من مارب كتامة وصنهاجة قال وهوارة ولمطة ولواتة بنو حمير بن سبا وقال هانئ بن بكور الضريسى وسابق بن سليمان المطماطى وكهلان بن أبى لؤى وأيوب بن أبى يزيد وغيرهم من نسابة البربر فرقتان كما قدمناه وهما البرانس والبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان والبرانس بنو بربر وهو بن ابزج بن جواح بن ويل بن شراط بن تاح بن دويم بن داح بن ماريغ بن كنعان بن حام وهذا هو الذى يعتمده نسابة البربر قال الطبرى خرج بر بن قيس ينشد ضالة بأحياء البربر وهى جارية وتزوجها فولدت وعند غيره من نسابة البربر انه خرج فارا من أخيه عمر بن قيس وفى ذلك تقول تماضر وهى أخته

لتبكى كل باكية أخاها * كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فأضحى * ودون لقائه انضاء عيس

ومما ينسب الى تماضر أيضا

وشطت ببر داره عن بلادنا * وطوح بر نفسه حيث يمما
وازرت ببر لكنة أعجمية * وما كان بر فى الحجاز بأعجما
كأنا وبرا لم نقف بجيادنا * بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وانشد

وأنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلى

الا أيها الساعى بعرفة بيننا * توقف هداك الله سبل الاطايب
فاقسم انا والبرابر اخوة * نمانا وهاجد كريم المناصب
ابونا أبوهم قيس عيلان فى الورى * وفى حومة يشفى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخوة * على رغم أعداء لئام المناقب
فان البر ما بقى الناس ناصرا * وبر لنا ركن منيع المناكب
تعد لمن عادى شوازب جمرا * وبيضا تقص الهام يوم التضارب
وبر بن قيس عصبة مضرية * وفى الفرع من أحسابها والذوائب
وقيس قوام الدين فى كل بلدة * وخير معد عند حفظ المناسب
وقيس لها المجد الذى يقتدى به * وقيس لها سيف حديد المضارب

وينشد أيضا أبيات ليزيد بن خالد يمدح البربر

أيها السائل عنا اصلنا * قيس عيلان بنو العز الاول
نحن ما نحن بنو بر القوى * عرف المجد وفى المجد دخل
وابتنى المجد فاورى زنده * وكفانا كل خطب ذى جلل
ان قيسا يعتزى بر لها * ولبر يعتزى قيس الاجل
ولنا الفخر بقيس انه * جدنا الاكبر فكالك الكيل
ان قيسا قيس عيلان هم * معدن الحق على الخير دلل
حسبك البربر قومى انهم * ملكوا الارض باطراف الاسل
وببيض نضرب الهام بها * هام من كان عن الحق نكل
أبلغوا البربر عنى مدحا * حيك من جوهر حيك منتحل

وعند نسابة البربر وحكاه البكرى وغيره انه كان لمضر ولدان الياس وعيلان أمهما الرباب بنت جيدة بن عمر بن معد بن عدنان فولد عيلان بن مضر قيسا ودهمان اما دهمان فولده قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو امامة وكانت لهم بنت تسمى البهاء بنت دهمان وأما قيس بن عيلان فولد له أربعة بنين وهم سعد وعمرو أمهما مزنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار وبر وتماص وأمهما تمريغ بنت مجدل ومجدل بن عمار بن مصمود وكانت قبائل البربر يومئذ يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن ويشاركونهم فى المياه والمراعى والمسارح ويصهرون اليهم فتزوج بر بن قيس بنت عمه وهى البهاء بنت دهمان وحسده اخوته فى ذلك وكانت أمه تمريغ من دهاة النساء فخشيت منهم عليه وبعثت بذلك الى أخوالها سرا ورحلت معهم بولدها وزوجته الى

أرض البربر وهم اذ الشا كنون بفلسطين واكناف الشام فولدت البهاء لبر ابن قيس ولدين علوان ومادغيس فمات علوان صغيرا وبقي مادغيس فكان يلقب الابتر وهو أبو البتر من البربر ومن ولده جميع زناتة قال وتزوج مادغيس بن بر وهو الابتر باحال بنت واطاس بن محمد بن مجدل بن عمار فولدت له رحيك بن مادغيس وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد في الانساب اختلف الناس في انساب البربر اختلافا كثيرا وأنسب ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام لما نزل مصر خرج ابنه يريد المغرب فسكنوا عن اخر عمالة مصر وذلك ما وراء برقة الى البحر الاخضر مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان فمنهم لواتة بأرض طرابلس ونزل قوم بقربها وهم نفزة ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها الى تاهرت الى طنجة وسجلماسة الى السوس الاقصى وهم طوائف صنهاجة وكتامة وركالة وركلاوة وفطواكة ومزطاوة وذكر بعض أهل الآثار ان الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فوقعت بينهم مناوشات كانت الدبرة فيها لسام وبنيه وخرج سام الى المغرب وقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ السوس الاقصى وخرج بنوه في اثره يطلبونه فكل طائفة من ولده بلغت موضعا وانقطع عنهم خبره فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ووصلت اليهم طائفة فأقاموا معهم وتناسلوا هنالك وكان عمر حام أربعمائة وثلاثا وأربعين سنة فيما ذكره البكري وقال آخرون كان عمره خمسمائة واحدى وثلاثين سنة وقال السهيلي بن هو يعرب بن قحطان قال وهو الذي أجلى سام الى المغرب بعد ان كان ابجرمي من ولد قوط بن يافث هذا اخر الخلاف في انساب البربر * واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب فأما القول بأنهم من ولد ابراهيم فبعيد لان داود الذي قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحق بن ابراهيم أخي نعشان الذي زعموا أنه الا نحو عشرة آباء ذكرناهم أول الكتاب ويبعد أن يتشعب النسل فيهم مثل التشعب وأما القول بانهم من ولد جالوت أو العماليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة اذ مثل هذه الامة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الارض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحقاب المتطاولة قبل الاسلام فما الذي يحوجنا الى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم ويحتاج الى مثله في كل جيل وأمة من العجم والعرب وافريقش الذي يزعمون انه نقلهم قد ذكروا انه وجدهم بها وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال ما أكثر بربرتكم فكيف يكون هو الذي نقلهم وليس بينه وبين ذي المنار من يتشعبون فيه الى

مثل ذلك ان قالوا انه الذي نقلهم وأما القول أيضا بأنهم من حمير من ولد النعمان أو من مضر من ولد قيس بن عيلان فمنكر من القول وقد أبطله امام النسابين والعلماء أبو محمد ابن حزم وقال في كتاب الجمهرة ادعت طوائف من البربر أنهم من اليمن ومن حمير وبعضهم ينسب الى بر بن قيس وهذا كله باطل لا شك فيه وما علم النسابون لقيس بن عيلان ابنا اسمه بر أصلا وما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن وأما ماذهب اليه ابن قتيبة أنهم من ولد جالوت وان جالوت من ولد قيس بن عيلان فابعد عن الصواب فان قيس عيلان من ولد معد وقد قدمنا أن معدا كان معاصرا لبختنصر وان أرمياء النبي خلص به الى الشام حذرا عليه من بختنصر حين سلط على العرب وبختنصر هو الذي خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان اياه بأربعمائة وخمسين سنة ونحوها فيكون معد بعد داود بمثل هذا الامد فكيف يكون ابنه قيس أبا لجالوت المعاصر لداود وهذا في غاية البعد وأظنها غفلة من ابن قتيبة ووهما والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في انساب الخليقة وان اسم أبيهم مازيغ واخوتهم اركيش وفلسطين (١) اخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام وملكهم جالوت سمة معروفة له وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني اسرائيل بالشام حروب مذكورة وكان بنو كنعان وواركيش شيعا لفلسطين فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذي قدمنا ذكرهم كلهم من البربر الا صنهاجة وكتامة فان بين نسابة العرب خلافا والمشهور أنهم من اليمنية وان أفريقش لما غزا افريقية أنزلهم بها وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة يزعمون أنهم من حمير ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك ومثل زناتة تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة فروا أمام بني اسرائيل وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة ومثل عمارة أيضا وزواوة ومكلاتة يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير حسبما نذكره عند تفصيل شعوبهم في كل فرقة منهم وهذه كلها مزاعم والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب الا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة وعندي أنهم من اخوانهم والله أعلم وقد انتهى بنا الكلام الى أنسابهم وأوليتهم فلنرجع الى تفصيل شعوبهم وذكرهم أمة بعد أمة ونقتصر على ذكر من كانت له منهم دولة ملك أو سالف شهرة أو تشعب نسل في العالم وعدد لهذا العهد وما قبله من صنفي البرانس والبتر منهم وترتيبهم شعبا شعبا حسبما تأدى الينا من ذلك واشتمل عليه محفوظنا والله المستعان

(١) ماذكره هنا مخالف لما تقدم له في انساب الخليقة اهـ مصححه

(الفصل الثانى فى ذكر مواطن هؤلاء البربر بافريقية والمغرب)

اعلم أن لفظ المغرب فى أصل وضعه اسم اضافى يدل على مكان من الامكنة باضافته الى جهة المشرق ومشرق بالاضافة الى جهة المغرب لان العرف قد يخصص هذه الاسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الارض وقسمتها باقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبحارها ومساكن أهلها مثل بطليموس ورجاوز وصاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد فى هيئة الارض والبلدان وأمثالهم أن المغرب قطر واحد مميز بين الاقطار فحده من جهة المغرب بحر المحيط وهو عنصر الماء وسمى محيطا لاحاطته بما انكشف من الارض كما قدمنا أول الكتاب ويسمى أيضا البحر الاخضر لتلونه غالبا بالخضرة ويسمى بحر الظلمات لما أنه تقل فيه الاضواء من الاشعة المنعكسة على سطح الارض من الشمس لبعده عن الارض فيكون مظلما ولفقدان الاضواء تقل الحرارة المحللة للابخرة فلا تزال السحب والغيوم متكاثفة على سطحه منعقدة هنالك متراكمة وتسميه الاعاجم بحرا وقيانوس يعنون به والله أعلم ما نعنى نحن بالعنصر ويسمونه أيضا بحر البلاية بتفخيم اللام الثانية وهو بحر كبير غير منحصر لا تبعد فيه السفن عن مرأى العين من السواحل للجهل بسموت الرياح هنالك ولنهاياتها اذ لا غاية من العمران وراءه والبحار المنحصرة انما جرت فيها السفن بالرياح المعروفة الهوائية بكثرة تجاربهم فتبعث الريح من الاماكن وغاية سهبها فى سمتها فكل ريح عندهم معروفة الغاية فاذا علم ان جريته بالريح المنبعثة من مكان كذا وبما خرج من ريح الى ريح بحسب مقصوده وجهته وهذا مفقود فى البحر الكبير لانه غير منحصر ومنبعث الريح وان كان معروفا فيه فغايته غير معروفة لفقدان العمران وراءه فتضل السفن اذا جرت به وتذهب فتهلك وأيضا فاذا أوغل فيه فربما وقع فى المتكاثف من الغيوم والابخرة كما قلناه فيهلك فلهذا كان راكبه على غرر وخطر فحد الغرب من جهة المغرب البحر المحيط كما قلناه وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأزمور وانفى واسفى وهى من مدن الغرب وحواضره وعليه أيضا مسجد ماسة وبلد تاكاوصت ونول من بلاد السوس وهى كلها من مساكن البربر وحواضرهم وتنتهى المراكب الى وراء ساحل نول ولا تجاوزه الا على خطر كما قلناه وأما حده من جهة الشمال فالبحر الرومى والمتفرع من هذا البحر المحيط يخرج فى خليج متضايق بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الاندلس ويسمى هذا الخليج الزقاق وعرضه ثمانية أميال فما فوقها وكانت عليه قنطرة ركبها ماء البحر ثم يذهب هذا البحر الرومى فى سمت الشرق الى أن ينتهى الى

سواحل الشأم وثغوره وما اليها مثل انطاكية والعلايا وطرسوس والمصيصة وطرابلس وصوريا والاسكندرية ولذلك سمى البحر الشامى وهو اذا خرج من الخليج ينفسح فى ذهابه عرضا وأكثر انفساحه الى جهة الشمال ولا يزال انفساحه ذلك متصاعدا الى الشمال الى أن ينتهى الى غايته وطوله فيما يقال خمسة آلاف ميل وستة وفيه جزائر ميورقة ومنورقة وياسة وصقلية واقريطش وسردانية وقبرس وأما عرضه من جهة الجنوب فانه يخرج عن سمت واحد ثم يختلف فى ذهابه فتارة يبعد فى الجنوب وتارة يرجع الى الشمال واعترض ذلك بعروض البلدان التى بساحله وذلك أن عرض البلد هو ارتفاع قطبه الشمالى على أفقه وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤس أهله ودائرة معدل النهار والسبب فى ذلك أن الارض كرية الشكل والسماء من فوقها مثلها وأفق البلد هو فرق بين ما يرى وبين ما لا يرى من السماء ومن الارض والفلك ذو قطبين اذا ارتفع أحدهما على رؤس معمور انخفض الآخر بقدره عنهم والعمارة فى الارض كلها هى الى الجانب الشمالى أكثر وليس فى الجنوب عمران لما تقرر فى موضعه فلهذا ارتفع القطب الشمالى على أهل العمران دون الجنوب والمار على سطح الكرة كلما أبعد فى جهة ظهر له من سطح الكرة ومن السماء المقابل لها ما لم يكن يظهر فيزيد بعد القطب على الافق كما أبعد فى الشمال وينقص كلما رجع الى الجنوب فعرض سبتة وطنجة التى هى على زقاق هذا البحر وخليجه (له) ودقائق ثم يتصاعد البحر الى الجنوب فيكون عرض تلمسان (لد) ونصف فتزيد فى الجنوب فيكون عرض وهران (لب) أبعد من فاس يسيرا لان عرض فاس (لج) ودقائق ولهذا كان العمران فى المغرب الاقصى أعرض فى الشمال من عمران المغرب الاوسط بقدر ما بين فاس وسبتة وصار ذلك القطر كالجزيرة بين البحار لانعطاف البحر الرومى الى الجنوب ثم يرجع البحر بعد وهران عن سمته ذلك فيكون عرض تونس والجزائر (له) على مثل سمته الاول عند منبعثه من الزقاق ثم يزيد فى الشمال فيكون عرض بجاية وتونس يوم على مثل سمت غرناطة ومرية ومالقة ثم يرجع الى الجنوب فيكون عرض طرابلس وقابس (له) على مثل السمت الاول بطنجة وسبتة ثم يزيد فى الجنوب فيكون عرض برقة (لج) على مثل سمت فاس وتوزر فيكون عرض الاسكندرية (لا) على مثل مراكش واغمات ثم يذهب فى الشمال الى القطافة الى منتهى سمته بسواحل الشأم وهكذا اختلافه فى هذه العدوة الجنوبية ولسنا على علم من حاله فى العدوة الشمالية وينتهى بسواحل عرض هذا البحر فى انفساحه الى سبعمائة ميل أو نحوها ما بين سواحل افريقية وجنوة من العدوة الشمالية والبلاد الساحلية من المغرب الاقصى والاوسط وافريقية من

لدن الخليج حيث منبعثه كلها عليه مثل طنجة وسبتة وبادس وعساسة وهنين ووهران والجزائر وبجاية وبونة وتونس وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وطرابلس وسواحل برقة والاسكندرية هذا وصف هذا البحر الرومى الذى هو حد المغرب من جهة الشمال واما حده من جهة القبلة والجنوب فالجبال المتهيلة المائلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدئ من البحر المحيط وذاهب فى جهة الشرق على سمت واحد الى أن يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى مصر فهنالك ينقطع وعرضه ثلاثة مراحل وأزيد ويعترضه فى جهة المغرب الاوسط أرض محجرة تسمى عند العرب الحمادة من دون

بياض بالاصل

الى بلاد ريغ ووراءه من جهة الجنوب وبعض بلاد الجزيرة ذات نخيل وأنهار معدودة فى جملة بلاد المغرب مثل بلاد بودة وتمنطيت فى قبلة المغرب الاقصى وتسابيت وتيكورارين فى قبلة المغرب الاوسط وغدامس وفزان وودان فى قبلة طرابلس كل واحد من هذه اقليم يشتمل على بلدان عامرة ذات قرى ونخيل وأنهار ينتهى عدد كل واحد منها الى المائة فاكثر والى هذه العدوة الجنوبية من هذا العرق ينتهى فى بعض السنين مجالات أهل اللثام من صنهاجة ومتقلبهم الجائلون هنالك الى بلاد السودان وفى العدوة الشمالية منه مجالات البادية من الاعراب الظواعن بالمغرب وكانت قبلهم مجالات للبربر كما نذكره بعد هذا حد المغرب من جهة الجنوب ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلى التلول منه وهى الجبال التى هى تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط فى الغرب الى برنيق من بلاد برقة وهنالك تنقطع هذه الجبال ويسمى مبدؤها من المغرب جبال درن وما بين هذه الجبال المحيطة بالتلول وبين العرق الذى وصفناه آنفا بسائط وقفار أكثر نباتها الشجر وفيما يلى التلول منها ويقاربها بلاد الجريد ذات نخل وأنهار ففى أرض السوس قبلة مراكش ترودانت والقرى قويان وغيرهما بلاد ذات نخل وأنهار ومزارع متعددة عامرة وفى قبلة فاس سجلماسة وقراها بلد معروف ودرعة أيضا وهى معروفة وفى قبلة تلمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار وفى قبلة تاهرت القصور أيضا بلاد متتالية على سطر من المشرق الى المغرب أقرب ما اليها جبل راشد وهى ذات نخل ومزارع وأنهار ثم قصور معينات تناهز المائة وأكثر قبلة الجزائر ذات نخل وأنهار ثم بلد واركلى قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل وفى سمته الى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلثمائة منتظمة على حفافى واد ينحدر من المغرب الى المشرق يناهز مائة من البلاد فاكثر قاعدتها بسكرة من كبار الامصار بالمغرب وتشتمل كلها على النخل والانهار والفدن

والقرى

والقرى والمزارع ثم بلاد الجريد قبلة تونس وهى نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها بلاد قسطيلة مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والانهار ثم قابس قبلة سوسة وهى حاضرة البحر من أعظم أمصار افريقية وكانت دار ملك لابن غانية كما نذكره بعد وتشتمل على النخل والانهار والمزارع ثم فزان وودان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وأنهار وهى أول ما افتتح المسلمون من أرض افريقية لما أغزاها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص ثم الواحات قبلة برقة ذكرها المسعودى فى كتابه وما وراء هذه كلها فى جهة الجنوب فقفار ورمال لا تنبت زرعا ولا مرعى الى أن تنتهى الى العرق الذى ذكرناه ومن ورائه مجالات الملثمين كما قلناه مفاوز معطشة الى بلاد السودان وما بين بلاد هذه والجبال التى هى سياج التلول بسائط متلون مزاجها تارة بمزاج التلول وتارة بمزاج الصحراء بهوائها ومياهها ومنابتها وفيها القيروان وجبل أوراس معترض وسطها وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل وفيها مغرة والمسيلة وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت فيها جبل دير وقبلة فاس معترض فى تلك البسائط هذا حد المغرب من جهة القبلة والجنوب وأما من جهة الشرق فيختلف باختلاف اصطلاحات فعرف أهل الجغرافيا انه بحر أهل القلزم المنفجر من بحر اليمن هابط على سمت الشمال وباغراب يسير الى المغرب حتى ينتهى الى القلزم والسويس ويبقى بينهم من هنالك وبين سمته من البحر الرومى مسيرة يومين وينقطع عند السويس والقلزم وبعده عن مصر فى جهة الشرق ثلاثة أيام هذا آخر المغرب عندهم ويدخل فيه اقليم مصر وبرقة وكان المغرب عندهم جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه وأما العرف الجارى لهذا العهد بين سكان هذه الاقاليم فلا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب فى هذا العرف لهذا العهد وهذا الذى كان فى القديم ديار البربر ومواطنهم فأما المغرب الاقصى منه وهو ما بين وادى ملوية من جهة الشرق الى اسفى حاضرة البحر المحيط وجبال درن من جهة الغرب فهى فى الاغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة وغمارة وآخر غمارة بطوية مما يلى غساسة ومعهم عوالم من صنهاجة ومضغرة وأوربة وغيرهم يحيط به البحر الكبير من غربيه والرومى من شماليه والجبال الصاعدة المتكاثفة مثل درن وجانب القبلة وجبال تازا من جهة الشرق لان الجبال أكثر ما هى وأكنف قرب البحار بما اقتضاه التكوين من ممانعة البحار بها فكانت جبال المغرب لذلك أكثر ساكنها من المصامدة فى الاغلب وقيل من صنهاجة وبقيت البسائط من الغرب مثل ازغاو وتامسنا وتادلا ودكالة واعتمرها الظواعن من البربر الطارئين

عليه من جشم ورياح بعض المغرب ساكنه من الامم لا يحصيهم الا خالقهم وصار كانه جزيرة وبلد واحد أحاطت به الجبال والبحار وقاعدته لهذا العهد فاس وهي دار ملكه ويمر فيه النهر العظيم المعروف بوادي أم ربيع وهو نهر عظيم يمتنع عبوره أيام الامطار لاتساعه ويعظم مده الى البحر فينتهي الى سبعين ميلا أو ما يقاربها ومصبه في البحر الكبير عند أزمور ومنبعه من جبال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهل الى بسيط المغرب وينبع منها أيضا نهر آخر وينحدر الى القبلة ويمر ببلاد درعة ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج وصناعة استخراجه من شجره وهي قصور ذات نخل موضوعة في سفح جبل درن من آخره وبها يسمى هذا النهر ويجاورها الى أن يغوص في الرمل قبلة بلاد السوس وأما نهر ملوية آخر المغرب الاقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى ويصب في البحر الرومي عند غساسة وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم ويسكنها لهذا العهد أمم أخرى من زناتة في قصور منتظمة الى أعلى النهر يعرفون بوطاط ويجاورهم هنالك وفي سائر نواحيه أمم من البربر أشهرهم فيهم بطالسة أخوة مكناسة وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا الى القبلة مشرقا بعض الشئ ويقطع العرق على سمته الى أن ينتهي الى البردة ثم بعدها الى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها ثم يمر الى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ويغور في رمالها وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى وركلان وفي شرق بوده مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحراء وفي شرقي تسابيت الى ما يلي الجنوب قصور تيكورارين تنتهي الى ثلثمائة أو أكثر في واد واحد ينحدر من المغرب الى المشرق وفيها أمم من قبائل زناتة وأما المغرب الاوسط فهو في الاغلب ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم لبني ومانو وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان وهي دار ملكه ويجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمرية وما يليها الى بجاية وقبائله كلهم لهذا العهد مغلوبون للعرب من زغبة ويمر في وادي شلف بني واطيل النهر الاعظم منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء ويدخل الى التل من بلاد حصين لهذا العهد ثم يمر مغربا ويجتمع فيه سائر أودية المغرب الاوسط مثل مينا وغيره الى أن يصب في البحر الرومي ما بين كلمتين ومستغانم وينبع من فوهته نهر آخر يذهب مشرقا من جبل راشد ويمر بالزاب الى أن يصب في شيحة ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك ويسمى هذا النهر وادي شدى وأما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة وهي اليوم ديار

للعرب الجبال وفيها بقاياهم وأما افريقية كلها الى طرابلس فبسائط فيح كانت ديارا لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر وكانت قاعدتها القيروان وهي لهذا العهد مجالات للعرب من سليم وبني يفرن وهوارة مغلوبون تحت أيديهم وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الاعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم وقاعدتها لهذا العهد تونس وهي دار ملكها ويمر فيها النهر الاعظم المعروف بوادي مجرد يجتمع فيه سائر الاودية بها ويصب في البحر الرومي على مرحلة من غربي تونس بموضع يعرف بينزرت وأما برقة فدرست وخربت أمصارها وانقرض أمرها وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت دار اللواتة وهوارة وغيرهم من البربر وكانت بها الامصار المستبحرة مثل لبدة وزويلة وبرقة وقصر حسان وامثالها فعادت يبابا ومفاوز كان لم تكن والله أعلم

بياض بالأصل

الفصل الثالث في ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الانسانية والخصائص الشريفة الراقية بهم الى مراقي العز ومعارج السلطان والملك

قد ذكرنا ما كان من أمر هذا الجيل من البربر ووفور عدده وكثرة قبائلهم وأجيالهم وما سواه من مغالبة الملوك ومزاحمة الدول عدة آلاف من السنين من لدن حروبهم مع بني اسرائيل بالشأم وخروجهم عنه الى افريقية والمغرب وما كان منهم لاول الفتح في محاربة الطوالع من المسلمين أولا ثم في مشايعتهم ومظاهرتهم على عدوهم ثانيا من المقامات الحميدة والآثار الجميلة وما كان لوهيا الكاهنة وقومها بجبل أوراس من الملك والعز والكثرة قبل الاسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب وما كان لمكناسة من مشايعة المسلمين أولا ثم ردتهم ثانيا وتحيزهم الى المغرب الاقصى وفرارهم أمام عقبة بن نافع ثم غلبهم بعد ذلك طوالع هشام بارض المغرب (قال ابن أبي زيد) ان البربر ارتدوا بافريقية المغرب اثنتي عشرة مرة وزحفوا في كلها للمسلمين ولم يثبت اسلامهم الا في أيام موسى بن نصير وقيل بعدها وتقدم ذكر ما كان لهم في الصحراء والقفر من البلاد وما شيدوا من الحصون والآطام والامصار من سجلماسة وقصور توات وتجورارين وفيجيج ومصاب وواركلا وبلاد ريغة والزاب ونفزاوة والحمة وغدامس ثم ما كان لهم من الايام والوقائع والدول والممالك ثم ما كان بينهم وبين طوالع العرب من بني هلال في المائة الخامسة بافريقية وما كان لهم مع دولة آل حماد بالقلعة ومع لمتونة بتلمسان وتاهرت من الموالاة والانحراف وما استولى عليه بنو بادين آخرا بسهام الموحدين واقطاعهم من بلاد المغرب وما كان لبني مرين في الاجلاب على عبد المؤمن من الآثار وما تشهد أخباره كلها بانه جيل عزيز على الايام وأنهم

قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم مظاهرون لامم العالم واجياله من العرب والفرس ويونان والروم لكنهم لما أصابهم الفناء وتلاشت عصابتهم بما حصل لهم من ترف الملك والدول التى تكررت فيهم قلت جموعهم وفنيت عصابتهم وعشائرهم وأصبحوا خولا للدول وعبيدا للجباية واستنكف كثير من الناس عن النسب فيهم لاجل ذلك والافقد كانت أوربة أميرهم كسيلة عند الفتح كما سمعت وزناتة أيضا حتى أسر أميرهم وزمار بن مولات وحمل الى المدينة الى عثمان بن عفان ومن بعد ذلك هوارة وصنهاجة وبعدهم كتامة وما أقاموا من الدولة التى ملكوا بها المغرب والمشرق وزاحموا بنى العباس فى ديارهم وغير ذلك منهم كثير وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم فى الخلال الحميدة وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الامم ومراعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعى الاذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم والثبات فى الشدائد وحسن الملكة والاغضاء عن العيوب والتجافى عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو الهمة واباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله فى نصر دينه فلهم فى ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم الى مراقى العز وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الايدى أيديهم ومضت فى الخلق بالقبض والبسط أحكامهم وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الاولى فلكين بن زيرى الصنهاجى عامل افريقية للعبيديين ومحمد من خزر والخير ابنه وعروبة بن يوسف الكتامى القائم بدعوة عبد الله الشيعى ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب وعبد المؤمن بن على شيخ الموحدين وصاحب الامام المهدى وكان عظماؤهم من أهل الطبقة الثانية السابقون الى الراية بين دولهم والمعاهدون لملكهم بالمغرب الاقصى والاوسط كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين ويغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد ومحمد بن عبد القوى ووزمار كبير بنى توجين وثابت بن منديل أمير مغراوة أهل شلف ووزمار بن ابراهيم زعيم بنى راشد المتعارضين فى ازمانهم المتناغين فى تأثيل عزهم والتمهيد لقومهم على شاكلته بقوة جمعه فكانوا من أرسخهم فى تلك الخلال قدما وأطولهم فيها يدا وأكثرهم لها اجماعا طارت عنهم فى ذلك قبل الملك وبعده أخبار عنى بنقلها الاثبات من البربر وغيرهم وبلغت فى الصحة والشهرة منتهى التواتر وأما اقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم

لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء فى فروض أعيانهم واقتفاء الائمة للصلوات فى بواديهم وتدارس القرآن بين احيائهم وتحكيم حملة الفقه فى نوازلهم وقضاياهم وصاغيتهم الى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة فى آثارهم وسؤال الاعداد عن صالحيهم واغشائهم البحر أفضل المرابطة والجهاد وبيعهم النفوس من الله فى سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ ايمانهم وصحة معتقداتهم ومتين دياناتهم التى كانت ملاكا لعزهم ومقادا الى سلطانهم وملكهم وكان المبرز منهم فى هذا المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن على وبنوهم ثم يعقوب ابن عبد الحق من بعدهم وبنوه فقد كان لهم فى الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط الزوايا والربط وسد الثغور وبذل النفس فى ذات الله وانفاق الاموال فى سبيل الخيرات ثم مخالطة اهل العلم وترفيع مكانهم فى مجالستهم ومفاوضتهم فى الاقتداء بالشريعة والانقياد لاشاراتهم فى الوقائع والاحكام ومطالعة سير الانبياء وأخبار الاولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم والتعرض بالمعاقل لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال والضرب على يد أهل الجور واتخاذ المساجد بصحن دورهم وشدة خلافهم وملكهم يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتبين لتلاوة كتاب الله احزابا بالعشى والاشراق على الايام وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيد والكتائب المجهزة وانفاق الاموال العريضة شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين فى النوع الانسانى من أشخاصهم فقد كان فيهم من الاولياء المحدثين أهل النفوس القدسية والعلوم الموهوبة ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الائمة والكهان المفطورين على المطلع للاسرار المغيبة ومن الغرائب التى خرقت العادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيل وكرامته لهم بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ينقل ذلك فى أخبارهم عجائب فكان من مشاهير حملة العلم فيهم سعيد بن واسول جد بنى مدرار ملوك سجلماسة أدرك التابعين واخذ عن عكرمة مولى العباس ذكره عريب بن حميد فى تاريخه ومنهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى صاحب الحمار الخارج على الشيعة سنة ثنتين وثلثمائة الدائن بدين الخارجية أخذ العلم بتوزر عن مشيختها ورأس فى الفتيا وقرأ مذاهب الاضافية من الخوارج وصدق فيه ثم لقى عمارا الاعمى الصفرى النكار فتلقن عنه من مذاهبهم ما انتحل من آية السعادة بانتحاله وهو مع ذلك من الشهرة فى هذا الجيل بحيث لا يغفل ومنهم منذر بن سعيد قاضى الجماعة بقرطبة من ظواعن

ولهاصة ثم من سوماتة منهم مولده عام عشرة ووفاته عام ثلاثة وثمانين وثلثمائة كان من البتر من ولد ماد غيس هلك على عهد عبد الرحمن الناصر ومنهم أيضا أبو محمد بن أبى زيد عالم الملة وهو من قفزة أيضا ومنهم علماء بالنسب والتاريخ وغير ذلك من فنون العلوم ومن مشاهير زناتة أيضا موسى بن صالح الغمرى معروف عند كافتهم معرفة وضوح وشهرة وقد ذكرناه عند ذكر غمرة من شعوب زناتة وهو وان لم توقفنا الاخبار الصحيحة على الجلى من أمره فى دينه فهو من محاسن هذا الجيل الشاهدة بوجود الخواص الانسانية فيهم من ولاية وكهانة وعلم وسحر وكل نوع من آثار الخليقة ولقد تحدث أهل هذا الجيل فيما يتحدثون به ان أخت يعلى بن محمد اليفرنى جاءت بولد من غير أب سموه كلمام ويذكر له أخبار فى الشجاعة خرقت العوائد ودلت على انه موهبة من الله استأثره بها لم يشاركه فيها غيره من أهل جلدته وربما ضاقت حوامل الخواص منهم عن ملتقط هذه الكائنة ويجهلون ما يتسع لها ولامثالها من نطاق القدرة وينقلون أن حملها كان اثر استحمامها فى عين حامية هنالك غب ما صدر عنها بعض السباع كانت تردفيها على الناس ويردون عليها ويرون أنها علقت من فضل ولوغه ويسمون ذلك المولود ابن الاسد لظهور خلعة الشجاعة فيه وكثير من أمثال هذه الاخبار التى لو انصرفت اليها عناية الناقلين لملأت الدواوين ولم يزل هذا دأبهم وحالهم الى أن مهدوا من الدول وأثلوا من الملك ما نحن فى سبيل ذكره

الفصل الرابع فى ذكر أخبارهم على الجملة من قبل الفتح الاسلامى ومن بعده الى ولاية بنى الاغلب

هؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى حسبما هو معروف فى تاريخ الفتح بافريقية والمغرب وفى أخبار ردتهم وحروبهم فيما نقل ابن أبى الرقيق أن موسى ابن نصير لما فتح سقوما كتب الى الوليد بن عبد الملك انه صار لك من سبى سقوما مائة ألف رأس فكتب اليه الوليد بن عبد الملك ويحك انى أظنها من بعض كذباتك فان كنت صادقا فهذا محشر الامة ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومى وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها وكان دينهم دين المجوسية شأن الاعاجم كلهم بالمشرق والمغرب الا فى بعض الاحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم فان الامم اهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مرارا على ماذكر مؤرخوهم فاستكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم ذكر ابن الكلبى أن حميرا بالقبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذى ابتنى مدائنه مثل افريقية وصقلية واتفق المؤرخون على غزو افريقش صيفى من التبابعة

الى المغرب كما ذكرناه فى أخبار الروم واختطوا بسبب البحر وما يليه من الارياف مدنا عظيمة الخطة وثيقة المبانى شهيرة الذكر باقية المعالم والآثار لهذا العهد مثل سبطلة وجلولاء ومرناق وطاقة وزناتة وغيرها من المدن التى خربها المسلمون من العرب لاول الفتح عند استيلائهم عليها وقد كانوا دانوا لعهدهم بما تعبدوهم به من دين النصرانية وأعطوهم المهادنة وأدوا اليهم الجباية طواعية وكان للبربر فى الضواحى وراء ملك الامصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء واقيال وأمراء لا يرامون بذل ولا ينالهم الروم والافرنج فى ضواحيهم تلك بسخطة الاساءة وقد صبحهم الاسلام وهم فى مملكة قد استولوا على رومة وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية كما كان المقوقس صاحب الاسكندرية وبرقة ومصر يؤدون الجباية له وكما كان صاحب طرابلس ولبدة وصبرة وصاحب صقلية وصاحب الاندلس من القوط لما كان الروم غلبوا على هؤلاء الامم اجمع وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية فكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر افريقية ولم يكن للروم فيها شئ من ولاية وانما كان كل من كان منهم بها جند الافرنج ومن حشودهم وما يسمع فى كتب الفتح من ذكر الروم فى فتح افريقية فمن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج وما قاتلوا فى الشام الا الروم فظنوا انهم هم الغالبون على أمم النصرانية فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية ونقلت الاخبار عن العرب كما هى فجرجير المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم وكذا الامة الذين كانوا بافريقية غالبين على البربر ونازلين بمدنها وحصونها انما كانوا من الفرنجة وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بنى اسرائيل عند استفحال ملكهم لقرب الشأم وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لاول الفتح وكما كانت نفوسة من برابرة افريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو بازاز من برابرة المغرب الاقصى حتى محا ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بنى حسن ابن الحسن جميع ما كان فى نواحيه من بقايا الاديان والملل فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية الذى اجتمعوا عليه مع الروم كما ذكرناه حتى اذا كان الفتح وزحف المسلمون الى افريقية زمان عمر رضى الله عنه سنة تسع وعشرين وغلبهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى فجمع لهم جرير ملك الفرنجة يومئذ بافريقية من كان بامصارها من الفرنج والروم ومن بضواحيها من جموع البربر وملوكهم وكان ملك ما بين طرابلس وطنجة وكانت دار ملكه سبيطلة فلقوا المسلمين فى زهاء مائة وعشرين ألفا والمسلمون يومئذ فى عشرين

ألف فكان من هزيمة العرب لهم وفتحهم لسبيطلة وتخريبهم اياها وقتلهم جرجير ملكهم وما نفلهم الله من أموالهم وبناتهم التي اختصت منهن ابنته بقاتله عبد الله بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد الهزيمة وخلوصه بخبر الفتح الى الخليفة والملا من المسلمين بالمدينة ما هو كله مذكور مشهور ثم أرزت الفرنجة ومن معهم من الروم بعد الهزيمة وخلوصه بخبر الفتح الى حصون افريقية وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف وقتل وسبي حتى لقد حصل في أسرهم يومئذ من ملوكهم وزمار بن صقلاب جد بني خزر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة ورفعوه الى عثمان بن عفان فأسلم على يده ومن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ويقال انما وصله وافدا وحصن المسلمين عليهم ولاذ الفرنج بالسلم وشرطوا لابن أبي سرح ثلثمائة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ويخرج بهم من بلادهم ففعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية بن أبي سفيان وبعث معاوية بن خديج السكوني من مصر لافتتاح افريقية سنة خمس وأربعين وبعث ملك الروم من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم في البحر فلم تغن شيأ وهزمهم العرب بساحل أجم وحاصروا جلولاء وفتحوها وقفل معاوية بن خديج الى مصر فولى معاوية بن أبي سفيان على افريقية بعده عقبة بن نافع فاختط القيروان وافترق أمر الفرنجة وصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم الى أن ولي يزيد ابن معاوية وولى على افريقية أبا المهاجر مولى وكانت رياسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لمزم وهو رأس البرانس ومرادفه سكرديد بن رومي بن مازرت من أوربة وكان على دين النصرانية فأسلما الاول الفتح ثم ارتدا عند ولاية أبي المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاه ثم جاء عقبة بعد أبي المهاجر فنكبه غيظا على صحابته لابي المهاجر ثم استفتح حصون الفرنجة مثل باغاية ولميس ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت ففضهم جمعا بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعته غمارة وأميرهم يومئذ بليان ثم أجاز الى ولي ثم الى جبال درن وقتل المصامدة وكانت بينهم وبينه حروب وحاصروه بجبال درن ونهضت اليهم جموع زناتة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوة فافرجت المصامدة عن عقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فأثخن فيهم وانتهى الى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس وسباهم وقفل راجعا وكسيلة اثناء هذا كله في اعتقاله يجمعه معه

في

في عسكره سائر غزواته فلما قفل من السوس سرح العساكر الى القيروان حتى بقي في خف من الجنود وتراسل كسيلة وقومه فأرسلوا له شهودا وانتهزوا الفرصة فيه وقتلوه ومن معه وملك كسيلة افريقية خمس سنين ونزل القيروان وأعطى الامان لمن بقي بها ممن تخلف من العرب أهل الذراري والاثقال وعظم سلطانه على البربر وزحف قيس بن زهير البلوي في ولاية عبد الملك للثأر بدم عقبة سنة سبع وستين وجمع له كسيلة سائر البربر ولقيه بجيش من نواحي القيروان فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم وأتبعهم العرب الى محنة الى ملوية وفي هذه الواقعة ذل البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحل أمر الفرنجة فلم يعد وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفا شديدا فلجؤا الى القلاع والحصون ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد ببرقة كما ذكرناه واضطرمت افريقية نارا وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم وكان من أعظمهم شأنا يومئذ الكاهنة دهيا بنت ماتية بن تيفان ملكة جبل أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وزعمائهم فبعث عبد الملك الى حسان بن النعمان الغساني عامله على مصر ان يخرج الى جهاد افريقية وبعث اليه بالمدد فزحف اليها سنة تسع وسبعين ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة وذهب من كان بقي بها من الافرنجة الى صقلية والى الاندلس ثم سأل عن أعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها جراوة فمضى اليها حتى نزل وادي مسكيانة وزحفت اليه فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير وأسر خالد بن يزيد القيسي ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابس ولحق حسان بعمل طرابلس ولقيه كتاب عبد الملك بالمقام فأقام وبنى قصوره وتعرف لهذا العهد ثم رجعت الكاهنة الى مكانها واتخذت عهدا عند أسيرها خالد بالرضاع مع ابنيها وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد فرجع الى افريقية سنة أربع وسبعين وخربت الكاهنة جميع المدن والضياع وكانت من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا في قرى متصلة وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسان فأمنهم ووجد السبيل الى تفريق أمرها وزحف اليها وهي في جموعها من البربر فانهزموا وقتلت الكاهنة بمكان البئر المعروف بها لهذا العهد بجبل أوراس واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة وعلى أن يكون منهم اثنا عشر ألفا مجاهدين معه فأجابوا وأسلموا وحسن اسلامهم وعقد للاكبر من ولدا الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل أوراس فقالوا لزمنا الطاعة له سبقناها اليها وبايعناه عليها وأشارت عليهم بذلك لاثارة من علم كانت لديها بذلك من

ج

شياطينها وانصرف حسان الى القيروان فدون الدواوين وصالح من التجئ بيده الى البربر على الخراج وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية من البربر والبرانس واختلفت أيدى البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فخلت أكثر البلاد وقدم موسى بن نصير الى القيروان واليا على افريقية ورأى ما فيها من الخلاف وكان ينقل العجم من الاقاصى الى الادانى وأثخن فى البربر ودوخ المغرب وأدى اليه البربر الطاعة وولى على طنجة طارق بن زياد وأنزل معه سبعة وعشرين ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر سنة احدى ومائة * وذكر أبو محمد بن أبى زيدان البربر ارتدوا اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير الى الاندلس بعد ان دوخ المغرب وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد فاستقروا هنالك من لدن الفتح فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقلة ممن سمعها بالعراق وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية كما ذكرنا فى أخبار الخوارج وفشت هذه البدعة وعقدها رؤس النفاق من العرب وجرت اليهم الفتنة من البربر ذريعة الانتزاء على الامر فاختلوا فى كل جهة ودعوا الى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها ويلبسون الحق بالباطل فيها الى ان رسخت فيهم عروق من غرائسها ثم تطاول البربر الى الفتك بأمر العرب فقتلوا يزيد بن أبى مسلم سنة ثنتين ومائة لما نقموا عليه فى بعض الفعلات ثم انتقض البربر بعد ذلك سنة ثنتين وعشرين ومائة فى ولاية عبد الله بن الحبحاب أيام هشام بن عبد الملك لما أوطأ عساكره بلاد السوس وأثخن فى البربر وسبى وغنم وانتهى الى مسوفة فقتل وسبى وداخل البربر منه رعب وبلغه أن البربر احسوا بانهم فئ للمسلمين فانتقضوا عليه وثار ميسرة المطغرى بطنجة على عمرو بن عبد الله فقتله وبايع لعبد الاعلى بن جريج الافريقى رومى الاصل ومولى العرب كان مقدم الصفرية من الخوارج فى انتحال مذهبهم فقام بأمرهم مدة وبايع ميسرة لنفسه بالخلافة داعيا الى نحلته من الخارجية على مذهب الصفرية ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به فقتلوه وقدموا على أنفسهم خالد بن حميد الزناتى (قال ابن عبد الحكم) هو من هتورة احدى بطون زناتة فقام بامرهم وزحف الى العرب وسرح اليهم عبد الله بن الحبحاب العساكر فى مقدمته ومعهم خالد بن أبى حبيب فالتقوا بوادى شلف وانهزم العرب وقتل خالد بن أبى حبيب ومن معه وسميت وقعة

الاسراب وانتقضت البلاد ومرج أمر الناس وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك فعزل ابن حبحاب وولى كلثوم بن عياض القشيرى سنة ثلاث وعشرين وسرحه فى اثنى عشر ألفا من أهل الشأم وكتب الى ثغور مصر وبرقة وطرابلس أن يمدوه فخرج الى افريقية والمغرب حتى بلغ وادى طنجة وهو وادى سبسر فزحف اليه خالد بن حميد الزناتى فيمن معه من البربر وكانوا خلقا لا يحصى ولقوا كلثوم بن عياض من بعد أن هزموا مقدمته فاشتد القتال بينهم وقتل كلثوم وانهزمت العساكر فمضى أهل الشأم الى الاندلس مع بلج بن بشر القشيرى ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبى فقدم القيروان سنة أربع وعشرين وأربعمائة وهوارة يومئذ خوارج على الدولة منهم عكاشة بن أيوب وعبد الواحد بن يزيد فى قومهما فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة بن المعز وظاهر القيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد الهوارى وأخذ عكاشة أسيرا وأحصيت القتلى فى هذه الوقيعة فكانوا مائة وثمانين ألفا وكتب بذلك حنظلة الى هشام وسمعها الليث بن سعد فقال ما غزوة كنت أحب ان أشهدها بعد غزوة بدر أحب الى من غزوة القرن والاصنام ثم خفت الخلافة بالمشرق والتاث أمرها لما كان من بنى أمية من الفتنة وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان وأفضى الامر الى الادالة ببنى العباس من بنى أمية وأجاز النفر عبد الرحمن بن حبيب من الاندلس الى افريقية فملكها وغلب حنظلة عليها سنة ست وعشرين ومائة فعادت لفيف الى أديانها واستشرى داء البربر وأعضل أمر الخارجية ورؤسها فانتقضوا من أطراف البقاع وتواثبوا على الامر بكل ما كان داعين الى بدعتهم وتولى كبر ذلك يومئذ صنهاجة وتغلب أميرهم ثابت ابن وريدون وقومه على باجة وثار معه عبد الله بن سكرديد من أمرائهم فيمن تبعه وثار بطرابلس عبد الجبار والحرث من هوارة وكانا يدينان برأى الاباضية فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسى لما خرج اليهم يدعوهم الى الصلح وبقى الامر على ذلك مدة وثار اسمعيل بن زياد فى قتل البربر وأثخن فيهم وزحف الى تلمسان سنة خمس وثلاثين فظفر بها ودوخ المغرب واذل من كان فيه من البربر ثم كانت بعد ذلك فتنة وربجومة وسائر قبائل نفزاوة سنة أربعين ومائة وذلك لما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبى جعفر وقتله أخواه الياس وعبد الوارث فولى مكانه ابنه حبيب وطالبهما بثار أبيه فقتل الياس ولحق عبد الوارث وربجومة فأجاره أميرهم عاصم بن جميل وتبعه على شأنه يزيد بن سكوم أمير ولهاصة واجتمعت لهم كلمة نفزاوة ودعوا لابى جعفر المنصور وزحفوا الى القيروان ودخلوها عنوة وفر حبيب بن قابس

فأتبعه عاصم فى نفزاوة وقبائلهم وولى على القيروان عبد الملك بن أبى الجعد وجموع
نفزاوة الذين كانوا بالقيروان وقتلوه واستولت وربجومة على القيروان وسائر افريقية
وقتلوا من كان بها من قريش وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع واشتد البلاء على أهل
القيروان وأنكرت ذلك من فعل وربجومة ومن اليهم من نفزاوة برابرة طرابلس
الاباضية من هوارة وزناتة فخرجوا واجتمعوا الى أبى الخطاب عليها واجتمع اليه سائر
البربر الذين كانوا هنالك من زناتة وهوارة وزحف بهم الى القيروان فقتل عبد الملك بن
أبى الجعد وسائر وربجومة ونفزاوة واستولى على القيروان سنة احدى وأربعين ثم ولى
على القيروان عبد الرحمن بن رستم وهو من أبناء رستم أمير فارس بالقادسية كان من
موالى العرب ومن رؤس هذه البدعة ورجع أبو الخطاب الى طرابلس واضطرم المغرب
نارا وانتزى خوارج البربر على الجهات فملكوها واجتمعت الصفرية من مكناسة بناحية
المغرب سنة أربعين ومائة وقدموا عليهم عيسى بن يزيد الاسود واسسوا مدينة سجلماسة
ونزلوها وقدم محمد بن الاشعث واليا على افريقية من أبى جعفر المنصور فزحف اليه
أبو الخطاب ولقيه بسرت فهزموا ابن الاشعث وقتل البربر بلا دريفا وفر عبد الرحمن بن
رستم من القيروان الى تاهرت بالمغرب الاوسط واجتمعت اليه طوائف البربر الاباضية
من لماية ولواتة ورجالة ونفزاوة فنزل بها واختط مدينتها سنة أربع وأربعين وضبط
ابن الاشعث افريقية وخاف البربر ثم انتقل بنو يفرن من زناتة ومغيلة من البربر بنواحى
تلمسان وقدموا على أنفسهم أبا قرة من بنى يفرن ويقال انه من مغيلة وهو الاصح
فى شأنه وبويع له بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة وزحف اليه الاغلب بن سود
التميمى عامل طبنة فلما قرب منه هرب أبو قرة فنزل الاغلب الزاب ثم اعتزم على تلمسان
ثم طنجة ورجع اليه الجند فرجع ثم انتقض البربر من بعد ذلك أيام عمر وبن حفص
من ولد قبيصة بن أبى صفرة أخى المهلب وكان تغلب هوارة منذ سنة احدى
وخمسين واجتمعوا بطرابلس وقدموا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب بن مرين بن
يسطوفت من أمراء مغيلة ويسمى أبا قادم وزحفت بجنود عمر بطبنة فى اثنى عشر
عسكرا وكان منهم أبو قرة فى أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم فى ستة
آلاف من الاباضية والمسور بن هانئ فى عشرة آلاف كذلك وجرير بن مسعود فيمن
تبعه من مديونة وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجى فى ألفين منهم من الصفرية واشتد
الحصار على عمر بن حفص فاعمل الحيلة فى الخلاف وأعطى ابنه فى اتمام ذلك أربعة
آلاف وافترقوا وارتحلوا عن طبنة ثم بعث بعثا الى ابن رستم فهزمه ودخل تاهرت
مفلولا وزحف عمر بن حفص الى أبى حاتم والبربر الاباضية الذين معه ونهضوا اليه

نخالفهم الى القيروان وشحنها بالاقوات والرجال ثم لقى أبا حاتم والبربر وهزموه ورجع
الى القيروان وحاصروه وكانوا فى ثلثمائة وخمسين ألفا الخيل منها خمسة وثلاثون ألفا
وكانوا كلهم أباضية وطال الحصار وقتل عمر بن حفص فى بعض أيامه سنة أربع
وخمسين ومائة وصالح أهل القيروان أبا حاتم على ما أحب وارتحل وقدم يزيد بن
قبيصة بن المهلب سنة أربع وخمسين ومائة واليا على افريقية فزحف اليه أبو حاتم بعد أن
خالف عليه عمر بن عثمان الفهرى وافترق أمرهم فلقيه يزيد بن حاتم بطرابلس فقتل أبو
حاتم وانهزم البربر ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من أصحاب أبى حاتم بكتامة
وبعث المخارق بن غفار الطائى فحاصره ثمانية أشهر ثم غلب عليه فقتله ومن كان معه
من البربر وهربوا الى كل ناحية وكانت حروبهم مع الجند من لدن قتل عمر بن حفص
بطبنة الى الفضاء ثلثمائة وخمسة وسبعين حربا وقدم يزيد افريقية فزال فسادها ورتب
القيروان ولم تزل البلاد هادئة وانتقض ورفجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلا
منهم اسمه أبو زرجونة فسرح اليهم يزيد من عشيرة ابن محراة المهلبى فهزموه واستأذنه
ابنه المهلب وكان على الزاب وطبنة وكتامة فى الزحف الى ورفجومة فأذن له وأمده
بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبى من عشيرتهم أيضا فأوقع بهم وقتلهم أبرح قتل
وانتقض نفزاوة من بعد ذلك فى سلطنة ابنه داود من بعد مهلكه سنة احدى وستين
ومائة وولوا عليهم صالح بن نصير السفرى ودعوا الى رأيهم رأى الاباضية فسرح
اليهم ابن عمه سليمان بن الصمة فى عشرة آلاف فهزمهم وقتل البربر أبرح قتل ثم تحيز
الى صالح بن نصير ولم يشهد الاولى من البربر الاباضية واجتمعوا بشغنبارية فهزمهم
لها سليمان ثانية وانصرف الى القيروان وركدت ريح الخوارج من البربر من
افريقية وتداعت بدعتهم الى الاضمحلال ورغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت
سنة احدى وسبعين فى موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قبيصة بن
المهلب فوادعه وانخضدت شوكة البربر واستكانوا للغلب وأطاعوا للدين فضرب
الاسلام بجرانه وألقت الدولة الضربية على البربر بكلكلها وتقلد ابراهيم بن الاغلب
التميمى أمر افريقية والمغرب من قبل الرشيد هرون سنة خمس وثمانين ومائة فاضطلع
بأمر هذه الولاية وأحسن السيرة وقوم القناة ورأب الصدع وجمع الكلمة
ورضيت الكافة واستقل بولايتها غير منازع ولا متشوه وتوارثها بنوه خالفا عن سالف
وكانت لهم بافريقية والمغرب الدولة التى ذكرناها من قبل الى ان انقرض أمر العرب
بافريقية على زيادة الله عاقبتهم الفار الى المشرق أمام كتامة سنة ست وتسعين ومائتين
كما نذكره وخرج كتامة على بنى الاغلب بدعوة الرافضية قام فيهم أبو عبد الله المحتسب

الشيعى داعية عبيد الله المهدى فكان ذلك آخر عهد العرب بالملك والدولة بافريقية واستقل كتامة بالامر من يومئذ ثم من بعدهم من برابرة المغرب وذهبت ريح العرب ودولتهم من المغرب وافريقية فلم يكن لهم بعد دولة الى هذا العهد وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلا بعد آخر تارة يدعون الى الاموين الخلفاء بالاندلس وتارة الى الهاشميين من بنى العباس وبنى الحسن ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم آخرا حسبما نذكر ذلك كله مفصلا عندما يعرض لنا من ذكر دول زناتة والبربر الذين نحن فى سياقة أخبارهم

(الخبر عن البرابرة البتر وشعوبهم ونبدأ منهم أولا بذكر نفوسة وتصاريف أحوالهم)

كان مادغيس الابتر جد البرابرة البتر وكان ابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم فكان له من الولد فيما يذكر نسابة البربر أربعة نفوس واداس وضرا ولوا فاما اداس فصار فى هوارة لما يقال ان هوارة خلف أباه زحيك على أمه قبل فصاله فانتسب اليه واختلط بولده واندرجت بطون اداس فى هوارة كما ذكرناه وأما ضرا ولوا فسنأتى بذكر بطونهم واحدا واحدا وأما نفوس فهم بطن واحد تنسب اليه نفوسة كلها وكانوا من أوسع قبائل البربر فيهم شعوب كثيرة مثل بنى زمور وبنى مكسور وماطوسة وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما اليها وهنالك الجبل المعروف بهم وهو على ثلاث مراحل من قبلة طرابلس يسكنه اليوم بقاياهم وكانت مدينة صبرة قبل الفتح فى مواطنهم وتعزى اليهم وهى كانت باكورة الفتح لاول الاسلام وخرب المغرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منهم الا الاطلال ورسوم خافية وكان من رجالاتهم اسمعيل ابن زياد المتغلب على قابس سنة ثنتين وثلاثين ومائة لاول الدولة العباسية ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون فى الاقطار بعمالات مصر والمغرب والله وارث الارض ومن عليها وأما لوا فمن ولده نفزاوة ولواتة كما نذكر

(الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحوالهم)

وهم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الاكبر بن زحيك وبطونهم كثيرة مثل غساسة ومرنيسة وزهيلة وسومانة وزاتيمة وولهاصة ومجره وورسيف ومن بطونهم مكلاتة ويقال ان مكلاتة من عرب اليمن وقع الى تطوفت صغيرا فتبناه وليس من البربر ولمكلاتة بطون متعددة مثل بنى ورياغل وكزناية وبنى يصلتن وبنى ديمان وريحوق وبنى يزناسن ويقال ان غساسة منهم هكذا عند نسابة البربر مثل سابق المطماطى

وغيره ومن بطون ولهاصة ورتدين بن داحية بن ولهاصة وورفجومة بن تيرغاس بن ولهاص ومن بطون ورفجومة زكوله رجالة لذكالين ورفجوم الى بطون أخرى كثيرة وكان ورفجومة هؤلاء أوسع بطون نفزاوة وأشدهم بأسا وقوة ولما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبى جعفر المنصور وقتله اخواه عبد الوارث والياس وطالبهما ابنه حبيب بالثار فلحق عبد الوارث بورفجومة ونزل على أميرهم عاصم بن جميل بأوراس وكان كاهنا فأجاره وقام بدعوة أبى جعفر المنصور واجتمعت اليه نفزاوة وكان من رجالاتهم عبد الملك بن أبى الجعد ويزيد بن سكوم وكانوا يدينون بدين الاباضية من الخوارج وزحفوا الى القيروان سنة أربعين ومائة وفر عنها حبيب بن عبد الرحمن ودخلها عبد الملك بن أبى الجعد وقتل حبيبا واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من قريش وسائر العرب وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم ونكر ذلك عليهم الاباضية من برابرة طرابلس وتولى كبرها زناتة وهوارة فاجتمعوا الى الخطاب بن السمح ورجالات العرب واستولوا على طرابلس ثم على القيروان سنة احدى وأربعين وقتلوا عبد الملك بن أبى الجعد وأثخنوا فى قومه من نفزاوة وورفجومة ورجعوا الى طرابلس بعد ان استعمل أبو الخطاب على القيروان عبد الرحمن بن رستم واضطرم المغرب نارا وعظمت فتنة ورفجومة هؤلاء الى ان قدم محمد بن الاشعث سنة ست وأربعين من قبل المنصور فأثخن فى البربر وأطفأ نار هذه الفتنة كما قدمناه ولما اختط عمر بن حفص مدينة طبنة سنة احدى وخمسين أنزل ورفجومة هؤلاء بها بما كانوا اشيعاله وعظم غناؤهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن ثم انتقضوا بعد مهلك عمر على يزيد بن حاتم عند قدومه على افريقية سنة سبع وخمسين وولوا عليهم أبا زرجونة منهم وسرح اليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فأثخنوا فيهم ثم انتقضت نفزاوة على أبيه داود ودعوا الى دين الاباضية وولوا عليهم صالح بن نصر منهم فرجعت العساكر اليهم مترادفة وقتلوهم أبرح قتل وعليها كان ركود ريح الخوارج بافريقية واذعان البربر وافترق بنو ورفجوم بعد ذلك وانقرض أمرهم وصاروا أوزاعا فى القبائل وكان رجالة منهم بطنا متسعا وكان منهم رجالات مذكورون فى أول العبيديين وبنى أمية بالاندلس منهم الرجالى أحد الكتاب بقرطبة وبقى منهم لهذا العهد فرق بمرماجنة وشمال قرية بسيطها تنسب اليهم وأما سائر ولهاصة من ورفجومة وغيرهم فهم لهذا العهد أوزاع لذلك أشهرهم قبيلة بساحل تلمسان اندرجوا فى كومية وعدوا منهم بالنسب والخلط وكان منهم فى أواسط هذه المائة الثامنة ابن عبد الملك استقل برياستهم وتملك بدعوى السلطان بعد استيلاء بنى عبد الواد على تلمسان

ونواحيها وتغلب على سلطانهم لذلك العهد كما نذكره عثمان بن عبد الرحمن وحبسه بالمطبق بتلمسان ثم قتله ومن أشهر قبائل ولهاصة أيضا قبيلة أخرى ببسيط بونة يركبون الخيل ويأخذون بمذاهب العرب فى زيهم ولغتهم وسائر شعارهم كما هو شأن هوارة وهم فى عداد القبائل الغارمة ورياستهم فى بنى عريف منهم وهى لهذا العهد فى ولد حازم ابن شداد بن حزام بن نصر بن مالك بن عريف وكانت قبلهم لعسكر بن بطنان منهم هذه أخبار ولهاصة فيما علمناه (وأما بقية بطون نفزاوة) فمنهم زاتيمة وبقية منهم لهذا العهد بساحل برسك ومنهم غساسة وبقية منهم لهذا العهد بساحل بوطة حيث القرية التى هنالك حاضرة البحر ومرسى لأساطيل المغرب وهى مشهورة باسمهم وأما زهيلة فبقيتهم لهذا العهد بنواحى بادس مندرجون فى غمارة وكان منهم لعهد مشيختنا أبو يعقوب البادسى أكبر الاولياء وآخرهم بالمغرب وأما مرنيسة فلا يعلم لهم موطن ومن أعقابهم أوزاع بين أحياء العرب بافريقية وأما سوماتة فمنهم بقية من نواحى القيروان كان منهم منذر بن سعيد القاضى بقرطبة لعهد الناصر والله أعلم وأما بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم لهذا العهد حى ولا موطن الا القرى الظاهرة المقدرة السير المنسوبة اليهم ببلاد قسطينة وبها معاهدون من الفرنجة أوطنوهم على الجزية واعتقاد الذمة عند عهد الفتح وأعقابهم بها لهذا العهد وقد نزل معهم كثير من بنى سليم من الشريد وزغبة وأوطنوها وتملكوا بها العقار والضياع وكان أمر هذه القرى راجعا الى عامل توزر أيام استبداد الخلافة فلما تقلص ظل الدولة عنهم وحدثت العصبة فى الامصار استبدت كل قرية بأمرها وصار مقدم توزر يحاول دخولهم فى ايالته فمنهم من يعطيه ذلك ومنهم من يأباه حتى أظلتهم دولة مولانا السلطان أبى العباس وأدرجوا كلهم فى طاعته واندرجوا فى حبله والله ولى الامور لا رب غيره اه

(الخبر عن لواتة من البرابرة البتر وتصاريف أحوالهم)

وهو بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى لوا الاصغر بن لوا الاكبر ابن زحيك ولوا الاصغر هو نفزاو كما قلناه ولوا اسم أبيهم والبربر اذا أرادوا العموم فى الجمع زادوا الالف والتاء فصار لوات فلما عربته العرب حملوه على الافراد وألحقوا به هاء الجمع وذكر ابن حزم أن نسابة البربر يزعمون ان سدراتة ولواتة ومزاتة من القبط وليس ذلك بصحيح وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر فى ذلك وفى لواتة بطون كثيرة وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوا ومثل عرورة بن ماصلت بن لوا وعد سابق وأصحابه فى بنى ماصلت بطونا أخرى غير عروزة وهم أكرة وجرمانة ونقاعة مثل بنى زائد بن لوا وأكثر بطونهم مزاتة ونسابة البربر يعدون فى مزاتة

بطونا كثيرة مثل ملايان ومرنه ومحيصه ودكمه وحمره ومدونه وكان لواتة هؤلاء ظواعن فى مواطنهم بنواحى برقة كما ذكر المسعودى وكان لهم فى فتنة أبى يزيد آثار وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة ظاهروا أبا يزيد مع بنى كملان على أمره ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم الفا وتجاوز رجالاتهم العدة وتستكفى بهم الدولة فى جباية من تحت أيديهم بجبل أوراس من القبائل الغارمة فيحسنون الغناء والكفاية وكانت البعوث مضروبة عليهم ينفرون بها فى معسكر السلطان فلما تقلص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم فى أقطاع أولاد محمد من الزواودة فاستعملوهم فى مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه فأصاروهم خولا للجباية وعسكرا للاستنفاق وأصبحوا من جملة رعاياهم وقد كان بقى جانب منهم لم تستوفه الاقطاعات وهم بنو زنجان وبنو باديس فاستضافهم منصور بن مزنى الى عمله فلما استبد مزنى عن الدولة واستقلوا بالزاب صاروا يبعدونهم بالجباية بعض السنين ويعسكرون عليهم لذلك بأفاريق الاعراب وهم لهذا العهد معتصمون بجبلهم لا يجاوزونه الى البسيط خوفا من عادية الاعراب ولبنى باديس منهم اتاوات على بلد نقاوس المحيطة فى فسيح الجبل بما تغلبوا على ضواحيها فاذا انحدر الاعراب الى مشاتيهم اقتضوا منها اتاواتهم وخفاراتهم واذا أقبلوا الى مصايفهم رجع لواتة الى معاقلهم الممتنعة على الاعراب وكان من لواتة هؤلاء أمة عظيمة بضواحى تاهرت الى ناحية القبلة وكانوا ظواعن هنالك على وادى ميناس ما بين جبل يعود من جهة الشرق والى وان حلف من جهة الغرب يقال ان بعض أمراء القيروان نقلهم معه فى غزوة وأنزلهم هنالك وكان كبيرهم أورع بن على بن هشام قائد العبد الله الشيعى ولما انتقض حميد بن مصل صاحب تاهرت على المنصور ثالث خلفاء الشيعة ظاهروه على خلافه وجاوروه فى مذاهب ضلاله الى ان غلبه المنصور وأجاز حميد الى الاندلس سنة ست وثلاثين وزحف المنصور يريد لواتة فهربوا أمامه الى الرمال وهرب عنهم ونزل الى وادى ميناس ثم انصرف الى القيروان (وذكر) ابن الرقيق ان المنصور وقف هنالك على أثر من آثار الاقدمين بالقصور التى على الجبال الثلاثة مبنية بالحجر المنحوت يبدو للناظر على البعد كأنها أسنمة قبور ورأى كتابا فى حجر فسره له أبو سليمان السردغوس خالف أهل هذا البلد على الملك فأخرجنى اليهم ففتح لى عليهم وبنيت هذا البناء لاذكر به هكذا ذكر ابن الرقيق وكان بنو وجديجن من قبائل زناتة بمواطنهم من منداس جيرانا للواتة هؤلاء والعجم بينهما وادى ميناس وتاهرت وحدثت بينهما فتنة بسبب امرأة أنكحها بنو وجديجن فى لواتة فعيروا بالقفر فكتبت بذلك الى قومها

ورئيسهم يومئذ غسان فتدامروا واستمدوا من وراءهم من زناتة فأمدوهم بعلى بن محمد اليفرنى وزحفت مطماطة من الجانب الآخر فى مظاهرتهم وعليهم عزانة أميرهم وزحفوا جميعا الى لواتة فكانت بينهم وقائع وحروب هلك فى بعضها علاق وأزاحوا عن الجانب الغربى السرسو والجؤهم الى الجبل الذى فى قبلة تاهرت المسمى لهذا العهد دارك وانتشرت عمائرهم بنواحيه وماوراءه الى الجبال المطلة على متيجة وهم لهذا العهد فى عداد القبائل الغارمة وجبل دارك فى أقطاع ولد يعقوب بن موسى مشيخة العطاف من ورغة ولواتة أيضا بطون بالجبل المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقس ومنهم بنو مكى رؤساء قابس لهذا العهد ومنهم أيضا الواحات مصر فيما ذكره المسعودى أمة عظيمة بالجيزة التى بينها وبين مصر وكان لما قرب من هذه القصور شيخهم هنالك بدر بن سالم وانتقض على الترك وسرحوا اليه العساكر فاستلحموا كثيرا من قومه وفر الى ناحية برقة وهو الآن فى جوار العرب بها ومن زناتة هؤلاء أحياء بنواحى تادلا قرب مراكش من الغرب الاقصى ولهم هنالك كثرة ويزعم كثير من الناس انهم بنواحى جابر من عرب جشم واختلطوا بهم وصاروا فى عدادهم ومنهم أوزاع مفترقون بمصر وقرى الصعيد شاوية وفلاحين ومنهم أيضا بضواحى بجاية قبيلة يعرفون بلواتة ينزلون بسيط تاكرارت من أعمالها ويعتمرونها فدنا لمزارعهم ومسارح لانعامهم ومشيختهم لهذا العهد فى ولد راجح بن صواب منهم وعليهم للسلطان جباية مفروضة وبعث مضروب هؤلاء المعروفون من بطون لواتة ولهم شعوب أخرى كثيرة اندرجوا فى البطون وتوزعوا بين القبائل والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن بنى فاتن من ضريسة احدى بطون البرابرة البتر وتصاريف أحوالهم)

وهم بطون مضغرة ولماية وصدينة وكرمية ومديونة ومغيلة ومطماطة وملزوزة ومكناسة ودونة وكلهم من ولد فاتن بن تمصيب بن حريس بن زحيك بن مادغيس الابتر ولهم ظهور من البرابر وأخبار نسردها بطنا بطنا الى آخرها مضغرة وهم من أوفر هذه الشعوب وكانوا خصاصين آهلين وكان جمهورهم بالمغرب منذ عهد الاسلام انشبوا فى نشر الردة وضربوا بها وكان لهم فيها مقامات ولما استوسق الاسلام فى البربر أجازوا الى فتح الاندلس وأجازت منهم أمم واستقروا هنالك ولما سرى دين الخارجية فى البربر أخذ مضغرة هؤلاء برأى الصفرية وكان شيخهم ميسرة ويعرف بالحقير مقدما فيه ولما ولى عبيد الله بن الحجاب على افريقية من قبل هشام بن عبد الملك وأمره أن يمضى اليها من مصر فقدمها سنة اربع عشرة واستعمل عمر بن عبد الله المرادى على

طنجة والمغرب الاقصى وابنه اسمعيل على السوس وماوراءه واتصل أمر ولاتهم وساء سيرتهم فى البربر ونقموا عليهم أحوالهم وما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية من الاردية العسلية الالوان وأنواع طرف المغرب فكانوا يتغالون فى جمعهم ذلك وانتحاله حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه فكثر عيثهم بذلك فى اموال البربر وجورهم عليهم وامتعض لذلك ميسرة الحسن زعيم مضغرة الحسن وحمل البرابرة على الفتك بعمر بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه سنة خمس وعشرين وولى ميسرة مكانه عبد الاعلى من خديج الافريقى الرومى الاصل كان من موالى العرب واصل خارجيتهم وكان يرى رأى الصفرية فولاه ميسرة على طنجة وتقدم الى السوس فقتل عامله اسمعيل ابن عبد الله واضطرم المغرب نارا وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد وزحف بعض الحجاب اليه من القيروان فى العساكر على مقدمة خالد بن أبى حبيب الفهرى فلقيهم ميسرة فى جموع البرابرة فهزم المقدمة واستلحمهم وقتل خالد وتسامع البربر بالاندلس بهذا الخبر فثاروا بعاملهم عقبة بن الحجاج السلولى وعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن الفهرى وبلغ الخبر بذلك الى هشام بن عبد الملك فسرح كلثوم بن عياض المرى فى اثنى عشر الفا من جنود الشام وولاه على افريقية وأدال به من عبيد الله بن الحجاب وزحف كلثوم الى البرابرة سنة ثلاث وعشرين حتى انتهت مقدمته الى اسبو من أعمال طنجة فلقيه البرابرة هنالك مع ميسرة وقد فحصوا عن أوساط رؤسهم ونادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ثم هزموه وقتلوه وكان كيدهم فى لقائهم اياه وملؤا الشنان بالحجارة وربطوها بأذناب الخيل يناد بها فتقعقع الحجارة فى شنانها وسربت بمصاف العساكر من العرب فنفرت خيولهم واختل مصافهم وانجزب عليهم الهزيمة فافترقوا وذهب بلج مع الطلائع من اهل الشام الى سبتة كما ذكرناه فى أخبارهم ورجع الى القيروان أهل مصر وافريقية وظهرت الخوارج فى كل جهة واقتطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى ان هلك ميسرة وقام برياسة مضغرة من بعده يحيى بن حارث منهم وكان خلفا لمحمد بن خزر ومغراوة ثم كان من بعد ذلك ظهور ادريس بالمغرب فقدم بها البرابرة وتولى كبرها واربة منهم كما ذكرناه وكان على مضغرة يومئذ شيخهم بهلول بن عبد الواحد فانحرف مالك عن ادريس الى طاعة هرون الرشيد بمداخلة ابراهيم بن الاغلب عامل القيروان فصالحه ادريس وأنبأه بالسلم ثم ركد ريح مضغرة من بعد ذلك وافترق جمعهم وجرت الدول عليهم اذيالها واندرجوا فى عمال البربر الغارمين لهذا العهد بتلول المغرب وصحرائه فمنهم ما بين فاس وتلمسان أمم

يتصلون بكومية ويدخلون حلفهم واندرجوا من لدن الدعوة الموحدية منهم ورياستهم لولد خلفة كان شيخهم على عهد الموحدين بني لهم حصنا بمواطنهم على ساحل البحر يسمى تاونت ولما انصرفت دولة بنى عبد المؤمن واستولى بنو مرين على المغرب قام يعرون بن موسى بن خلفة بدعوة يعقوب بن عبد الحق سلطانهم وتغلب على ندرومة وزحف اليه يغمراسن بن زيان فاسترجع ندرومة من يده وغلبه على مارتب ثم زحف يعقوب بن عبد الحق اليهم وأخذها من أيديهم وشحنها بالاقوات واستعمل يعرون ورجع الى المغرب محمد بن هرون نفسه بالاستبداد فدعا لنفسه معتصما بذلك الحصن خمس سنين ثم صاهره يغمراسن وأسدله على صلح سنة ثنتين وسبعين وستمائة ولحق هرون يعقوب بن عبد الحق ثم أجاز الى الجهاد فأذنه واستشهد هنالك وقام بأمر مضغرة من بعده أخوه تاشفين الى ان هلك سنة ثلاث وسبعمائة واتصلت رياستهم على عقبه لهذا العهد ومن قبائل مضغرة أمة بجبل قبلة فاس معروف بهم ومنهم أيضا قبائل كثيرون بنواحى سجلماسة وأكثر أهلها منهم وربما حدثت بها عصبية من جراهم ومن قبائل مضغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخل لى طريقة العرب فنهم بتوات قبلة سجلماسة الى تمنطيت اخر عملها قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من أصناف البربر ومنهم فى قبلة تلمسان وعلى ستة مراحل منها وهى قصور متقاربة بعضها من بعض ائتلف منها مصر كبير مستبحر بالعمران البدوى معدود فى آحاد الامصار بالصحراء ضاح من ظل الملك والدول لبعده فى القفر ورياسته فى بنى سيد الملك منهم وفى شرقيها وعلى مراحل منها قرى أخرى متتابعة على سمتها متصاعدة قليلا الى الجوف آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد وهى فى مجالات بنى عامر من زغبة وأوطانهم من القفر وقد تملكوها لحظ أبنائهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت اليهم فى الشهرة وفى جهة الشرق على هذه القصور وعلى خمس مراحل منها دامعة متوغلة فى القفر تعرف بقليعة والى يعتمرها رهط من مضغرة هؤلاء وينتهى اليها المنتهى من أهل الصحراء بعض السنين اذا لفحهم الهجير يستبردون فى تلولها لتوغلها فى ناحيتهم ومن مضغرة هؤلاء أوزاع فى أعمال المغرب الاوسط وافريقية ولله الخلق جميعا

(لماية) وهم بطون كما ذكرناه أخوه مضغرة ولهم بطون كثيرة عد منها سابق وأصحابه هوز كرمار مزيزة ومليزة بنو مدنيين كلهم من لماية وكانوا ظواعن بافريقية والمغرب وكان جمهورهم بالمغرب الاوسط موطنين بسحومة مما يلى الصحراء ولما سرى دين الخارجية فى البربر أخذوا برأى الاباضية ودانوا به وانتحلوه

بياض بالاصل

وانتحله

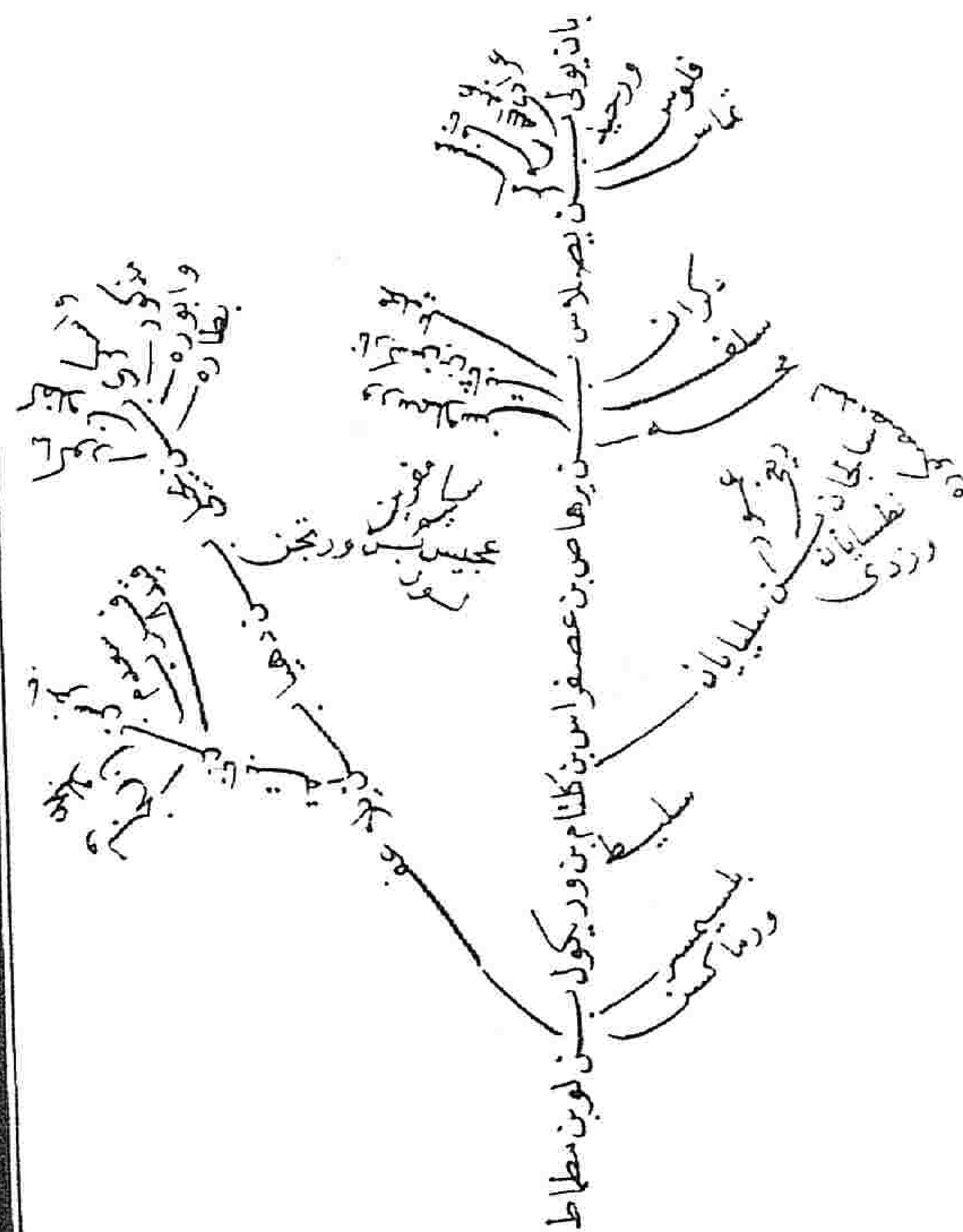
وانتحله جيرانهم من مواطنهم تلك من لواتة وهوارة وكانوا بأرض السرسو قبلة منداس وزواغة الغرب عنهم وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة جميعا فى ناحية الجوف والشرق فكانوا جميعا على ناحية الخارجية وعلى رأى الاباضية منهم وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية وقدم الى افريقية مع طوالع الفتح فكان بها وأخذ بدين الخارجية والاباضية منهم وكان صنيعة للمتة وحليفا لهم ولما تحزب الاباضية بناحية طرابلس منكرين على ورفجومة فعلهم فى القيروان كما مر واجتمعوا الى ابن الخطاب عبد الاعلى بن السمح المغافرى امام الاباضية فملكوا طرابلس ثم ملكوا القيروان وقتلوا اليها من بجومة عبد الملك بن أبى الجعد وأثخنوا فى ورفجومة وسائر مغراوة سنة احدى وأربعين ورجع أبو الخطاب والاباضية الذين معه من زناتة وهوارة وغيرهم بعد ان استخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم وبلغ الخبر بفتنة ورفجومة هذه واضطراب الخوارج من البربر بافريقية والمغرب وتسلقهم على الكرسى للامارة بالقيروان الى المنصور أبى جعفر فسرح محمد بن الاشعث الخزاعى فى العساكر الى افريقية وقلده حرب الخوارج بها فقدمها سنة أربع وأربعين ولقيهم أبو الخطاب فى جموعه قريبا من طرابلس فأوقع به ابن الاشعث وبقومه وقتل أبو الخطاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته فى القيروان فاحتمل أهله وولده ولحق باباضية المغرب الاوسط من البرابرة الذين ذكرناهم ونزل على لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا اليه وبايعوا له بالخلافة واسفروا فى مدينة منصور بها كرسى لامارتهم فشرعوا فى بناء مدينة تاهرت فى سفح جبل كزول السياج على تلول منداس واختطوها على وادى ميناس النابعة منه عيون بالقبلة وتمر بها وبالبطحاء الى أن تصب فى وادى شلف فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع وأربعين ومائة فمدنت واتسعت خطتها الى أن هلك عبد الرحمن وولى ابنه عبد الوهاب من بعده وكان رأس الاباضية وزحف سنة ست وسبعين مع هوارة الى طرابلس وبها عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من قبل أبيه فحاصره فى جموع الاباضية من البربر الى أن هلك ابراهيم بن الاغلب واستقدم عبد الله بن الاغلب لامارته بالقيروان فصالح عبد الوهاب على أن تكون الصاحية لهم وانصرف الى نفوسة ولحق عبد الله بالقيروان وولى عبد الوهاب ابنه ميمونا وكان رأس الاباضية والصفرية والواصلية وانصرف الى نفوسة والصفرية والواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفا ظواعن ساكنين بالخيام ولم يزل الملك فى بنى رستم هؤلاء بتاهرت وحازتهم جيرانهم من

مغراوة وبنى يفرن على الدخول فى طاعة الادارسة لما ملكوا تلمسان وأخذت بها زناتة
من لدن ثلاث وسبعين ومائة فامتنعوا عليهم سائر أيامهم الى ان كان الاستيلاء الى عبد
الله الشيعى على افريقية والمغرب سنة ست وسبعين فغلبهم على مدينة تاهرت وأسرهم
ملكهم بها وبث دعوة عبد الله فى أقطار المغربين فانقرض أمرهم بظهور هذه الدولة
وعهد عروبة بن يوسف الكتامى فاتح المغرب للشيعة على تاهرت لابى حميد دراس بن
صولان الهيصى فغدا الى المغرب سنة ثمان وتسعين فأمحى فى مؤامرتها الاباضية من
لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة وحملهم على دين الرافضة وشيخ بها دين
الخارجية حتى استحكم فى عقائدهم ثم وليها أيام اسمعيل المنصور بن صلاص بن
حبوس ثم نزع الى دعوة الاموية وراء البحر ولحق بالخير بن محمد بن خزر صاحب
دعوتهم فى زناتة واستعمل المنصور بعده على تاهرت ميسورا الخصى مولاه أحمد بن
الرحالى من صنائعه فزحف اليها حميد والخير وانهزم ميسور واقتحموا تاهرت عنده
وتعصبوا على أحمد الرحالى وميسور الى ان أطلقوهما بعد حين ولم تزل تاهرت هذه بعد
لاعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم وتغلب عليها زناتة مرارا ونازلها عسكر بنى أمية
راجعة فى اثر زيرى بن عطية أمير المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبى عامر من
العدوة الى حربه ولم يزل الشأن هذا الى أن انقرض أمر تلك الدول وصار أمر المغرب
الى لمتونة ثم صار الى دولة الموحدين من بعدهم وملكوا الفرس وخرج عليهم بنو غانية
بناحية قابس ولم يزل يحيى منهم جلب على ثغور الموحدين وشن الغارات على بسائط
افريقية والمغرب الاوسط وتكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد أخرى الى أن احتمل
سكانها وخلا جوها وعفا رسمها لما تناهى عشرون من المائة السابعة والارض لله
(وأما قبائل لماية) فانقرضوا وهلكوا بهلاك مصرهم الذى اختطوه وحازوه وملكوه
سنة الله فى عباده وبقيت فرق منهم اوزاعا فى القبائل ومنهم جربة الذين سميت بهم
الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس وهم بها لهذا العهد وقد كان النصرانية من أهل
صقلية ملكوها على من بها من المسلمين وهى قبائل لماية وكتامة مثل جربة وسدويكس
ووضعوا عليهم الجزية وشيدوا على ساحل البحر بها معقلا كافيا سموه القشتيل وطال
تمرس العساكر به من حضرة الدولة الحفصية حتى كان افتتاحها أعوام ثمان
وثلاثين من المائة الثامنة فى دولة مولانا السلطان أبى بكر وعلى يد مخلوف بن الكماد
من صنائعه واستقرت بها الدعوة الاسلامية الى هذا العهد الا أن القبائل الذين
بها من البربر لم يزالوا يدينون بدين الخارجية ويتدارسون مذاهبهم مجلدات تشتمل
على تآليف لائمتهم فى توحيد ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها

ويعكفون على دراستها وقراءتها والله خلقكم وما تعملون (مطماطة) وهم اخوة
مضغرة ولماية من ولد فارس تمطيت الذين مر ذكرهم وهم شعوب كثيرة وعن سابق
المطماطى وأصحابه من النسابة أن اسم مطماط مصكاب ومطماط أقماله وأن شعوبهم
من لوا من مطماطة وانه كان له ولد آخر اسمه وا ونشيط ولم يذكروا له عقبا قالوا وكان للوا
أربعة من الولد ورماس وميلاغر ووريكول ويلمص ولم يعقب يلمص واعقب
الثلاثة الباقون ومنهم افترقت شعوب مطماطة كلها فأما ورماس فمنه مصمود ويونس
ونفرين وأما وريكول فكان له من الولد كالدام وسيده وقيدر ولم يعقب سيده ولا قيدر
وكان لكالدام عصفراص وسليمان سافحان ووريق ووصدى وقطمايان
عمر ويقال لهؤلاء الخمسة بنو سموا بأمهم وكان لعصفراص زهاص
ونهراص فمن عصفراص ورهل وحامد وسكوم ويقال لهم بنو تليكشان سموا بأمهم
وكان من زهاص بلست وبصلاتين فمن بلست ورسقلاسن وسكر ومحمد
ومكريل ودكوال ومن بصلاسن بان يولى وسماسن ومسامن وملوسن ويحمد
ونافع وعبد الله وعردابين واما يلاعب بن لوا بن مطماط فكان له من الولد دحيا
وتاينة فمن تاينة ماحرسكن وريغ وعجلان ومقام وقرة وكان لدحيا ورتجى
ومحديل فمن ورتجى مغرين وبور ورسيكم ومجيس ومن محديل ماكور وأشكول
وكفلان ومذكور وفطارة وأبورة هذه شعوب مطماطة كما ذكر نسابة البربر
سابق وأصحابه وهم مفرقون فى المواطن فمنهم من نواحى من قبلتها فى جبل
هنالك معروف بهم ما بين فاس وصفرو ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين
الحامية من جهة غربها منسوب اليهم ولهذا العهد يقال حمة مطماطة ويأتى ذكرها
فى الدولة الحفصية وممالك افريقية وبقاياهم أوزاع من القبائل وكانت مواطن
جمهورهم بتاول منداس عند جبل وانشريس وجبل كزول من نواحى تاهرت
ولهم بتلك المواطن عزم بدولة صنهاجة استفحل وصولة وفى فتنة حماد بن بلكين
مع باديس المنصور مقامات وآيات وكان كبيرهم يومئذ عزانة وكانت لهم مع البرابرة
المجاورين له من لواتة وغيرهم حروب وأيام (ولما هلك) عزانة قام بأمره فى مطماطة
ابنه زيرى فمكث فيهم أياما ثم غلبت صنهاجة على أمره فأجاز البحر الى العدوة ونزل على
المنصور بن أبى عامر فاصطنعه ونظمه فى طبقة الامراء من البربر الذين كانوا فى جملته
واستظهره على أمره فكان من أوجه رجالهم عنده وأعظمهم قدرا لديه الى أن هلك
واجراه ابنه المظفر من بعده وأخوه عبد الرحمن الناصر سيداها فى ترفيع مكانه
واخلاص ولايته وكان عند ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار غائبا مع أبى عامر

بياض بالأصل

فى أعراب النعمان مع من كان معه من أمراء البربر وعرفائهم فلما رأوا انتقاض أمره وسوء تدبيره لحقوا بمحمد بن هشام المهدى فكانوا معه الى أن كانت الفتنة البربرية بالاندلس الى ان هلك هنالك ولا أدرى اى السنين كان مهلكه وأجاز الى الاندلس أيضا من فصالهم بهلابهلا من أبى لواى يصلاس ونزل على الناصر وهو من أهل العلم بانساب البربر (وكان من مشاهيرهم) أيضا النسابة سابق بن سليمان بن حراث بن مولات بن دوياسر وهو كبير نسابة البربر ممن علمناه (وكان منهم) أيضا عبد الله بن ادريس كاتب الخراج لعبيد الله المهدى فى آخرين يطول ذكرهم اه



وهذا ما تلقيناه من أخبار مطماطة (وأما موطن مندا س) فزعم بعض الاخباريين من البربر ووقفت على كتابه فى ذلك انه سمى بمنداس بن مغر بن أوريغ بن لهرد بن المسار وهو هوارة وكانه والله أعلم يشير الى اداس بن زحيك الذى يقال انه ربيب هوار كما يأتى فى ذكرهم الا أنه اختلط عليه الامر وكان لمنداس من الولد شرارة وكلتوم وتبكم قال ولما استفحل أمر مطماطة وكان شيخهم لهذا العهد ارهاص بن عصفراص فأخرج منداس من الوطن وغلبه على أمره واعتمر بنوه موطن منداس ولم يزالوا به اه كلامه ولقيه هؤلاء القوم لهذا العهد بجبل أوتبتيش لحقوا به لما غلبهم بنو توجين من زناتة على منداس وصاروا فى عداد قبائل الغارمة والله وارث الارض ومن عليها * (مغيلة) * وهم اخوة مطماطة ولماية كما قلناه واخوتهم ملزورة معد ودون منهم وكذلك دونة وكشانة ولهم افتراق فى الوطن وكان منهم جمهوران أحدهما بالمغرب الاوسط عند مصب شلف فى البحر من صوادر ما دونه المصر لهذا العهد ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ونزل بالمنكب فكان منهم أبو قرة المغيلى الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك أربعين سنة وكانت بينه وبين امراء العرب بالقيروان لاول دولة بنى العباس حروب ونازل طبنة وقد قيل ان اباقرة هذا من بنى مطماطة وهذا عندى صحيح فلذلك أخرت ذكر أخباره الى أخبار بنى يفرن من زناتة (وكان) منهم أيضا أبو حسان ثار بافريقية لاول الاسلام وأبو حاتم يعقوب بن لبيب بن مرين ابن يطوفت من مازوز الثائر مع أبى قرة سنة خمسين ومائة وتغلب على القيروان فيما ذكر خالد بن خراش وخليفة بن خياط من علمائهم وذكروا من رؤسائهم أيضا موسى ابن خليد ومليح بن علوان وحسان بن زروال الداخل مع عبد الرحمن وكان منهم أيضا دلول بن حماد أميرا عليهم فى سلطان يعلى بن محمد اليفرنى وهو الذى اختط تلك ايكرى على اثنى عشر ميلا من البحر وهى لهذا العهد خراب لم يبق منها الا الاطلال ماثلة ولم يبق من مغيلة بذلك الوطن جمع ولا حى وكان جمهورهم الآخر بالمغرب الاقصى وهم الذين تلوا مع أوربة وصدينة القيام بدعوة ادريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب واجازه وحملوا قبائل البربر على طاعته والدخول فى أمره ولم يزالوا على ذلك الى أن اضمحلت دولة الادارسة وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفرون ومكناسة والله وارث الارض ومن عليها * (مديونه) * وهم من اخوة مغيلة ومطماطة من ولد فاس كما قلناه وكانت مواطن جمهورهم بنواحى تلمسان ما بين جبل بنى واشد لهذا العهد الى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة يتقلبون بظواعنهم فى ضواحيه وجهاته وكان بنو يلومى وبنو يفرن من قبلهم يجاورونهم من ناحية المشرق ومكناسة من ناحية

المغرب وافتتح امصاره واستولى على مراكش استدعى قومه للرحلة اليها والعسكرة عليه بحبب جمهورهم الى المغرب واستوطن مراكش لحمل سرير الخلافة والقيام بأمر الدعوة والذب عن ثغورهم والمدافعة فاعتضد بهم عبد المؤمن وبنوه سائر الدولة وكانوا بمكانتهم فاتحة الكتاب وتداركها الجماعة وتقدموا فى الفتوح والعساكر وأكلتهم الاقطار فى تجهز الكتائب وتوزع الممالك فانقرضوا وبقى بمواطنهم الاولى بقايا منهم بنو عابد وهم فى عداد القبائل الغارمة قد انقلب زمانهم فأمهلهم فحملوا المغرم وألفوا نهوضهم بالتكاليف ونظموا مع جيرانهم ولهاصة فى سوم الخسف والذل واقتضاء الخراج بالنكال والعذاب والله مبدل الامر ومالك الملك سبحانه

{الخبر عن زواوة وزواغة من بطون ضرسة} {من البرابر البتر والالمام ببعض أحوالهم}

هؤلاء البطون من بطون البرابرة البتر من ولد سمكان بن يحيى بن ضرى بن زحيك بن مادغيس الابتر وأقرب ما اليهم من البرابر زناتة لان أباهم جانا هو أخو سمكان ابن أبيه فلذلك كانوا ذوى قربى لهم *(زواوة)* فأما زواوة فهم من بطونهم وقد يقال ان زواوة من قبائل كتامة ذكر ذلك ابن حزم ونسابة البربر انما يعدونهم من ولد سمكان كما قلناه والصحيح عندى ما ذكره ابن حزم ويشهد له الموطن ونحلة التشيع مع كتامة لعبد الله وعد نسابة البربر ولهم بطون كثيرة بنو مجسطة وبنو مليكش من صنهاجة والله أعلم ومن قبائلهم المشهورة لهذا العهد بنو يجرو وبنو مابكلات وبنو مترون وبنو مانى وبنو بوعردان وبنو يتورغ وبنو بو يوسف وبنو عيسى وبنو بوشعيب وبنو صدقة وبنو غبرين وبنو كشطولة ومواطن زواوة بنواحى بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة أوطنوا عنها جبالا شاهقة متوعرة تنذعر منها الابصار ويضل فى غمرها السالك مثل بنى غبرين بجبل زيرى وفيه شعراء من شجر الزان يشعر بها لهذا العهد ومثل بنى فرلوسن وبنى سراوجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعظم معاقلهم وأمنع حصونهم فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار عليها فى اعطاء المغرم مع أن كلهم لهذا العهد قد امتنع لساهمه واعتز على السلطان فى ابناء طاعته وقانون مزاجه وكانت لهم فى دولة صنهاجة مقامات مذكورة فى السلم والحرب بما كانوا أولياء لكتامة وظهر أولهم على أمرهم من أول الدولة وقتل باديس بن المنصور فى احدى وقائعه بهم وشيخهم زيرى ابن اجانا لاتهامه أباه عامر حماداتهم واختط بنو حماد بعد ذلك بجاية وتمرسوا بهم فانقادوا واذعنوا لهم الى آخر الدولة واتصل اذعانهم الى هذا العهد أيضا ويحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم وكانت رياسة بنى يراين منهم فى بنى عبد الصمد من بيوتاتهم

وكاتب عبد ثعلب السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط شيخة عليهم من بنى عبد الصمد هؤلاء اسمها شمسى وكان لها عشرة من الولد فاستفحل شأنها بهم وملكت عليهم أمرهم ولما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه يعقوب المكنى بأبى عبد الرحمن عندما فر من معسكره بمتيجة سنة ثمان أوسبع وثلاثين وسرح فى أثره الخيالة فرجعوه واعتقله ثم قتله من بعد ذلك حسبما نذكر فى أخبارهم لحق حينئذ بنى يراتن هؤلاء خازن من بطعة فوه عليهم باسمه وسند سمتاله ودعا الى الخروج على ابنه بزعمه فشمرت شمسى هذه عزائمها فى اجازته وحملت قومها على طاعته وسرب السلطان أبو الحسن أمواله فى قومها وهما على السلامة فأتته ثم نمى اليها الخبر بمكره وتمويهه فنبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب كما نذكر بعض ذلك فى أخبارهم وقدمت على السلطان أبى الحسن فى وفد من قومها وبعض بنيها فاستبلغ السلطان من تكريمها وأحسن صلتها وأجاز الوفد ورجعت بهم الى موطنها ولم تزل الرياسة فى هذا البيت *(زواغة)* وأما زواغة فلم يتأد الينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل فيه الاقلام ولهم ثلاثة بطون وهى دمر بن زواغ وهرا وطيل بن زحيك بن زواغ وبنو ماخر يتغون من زواغة ومن دمر س سمكان وهم أوزاع فى القبائل ومنهم بنواحى طرابلس مفترقون فى براديه ولهم هنالك الجبل المعروف بدمر وفى جهات قسنطينة أيضا ارهط من زوغة وكذلك بجبال شلف هرا وطيل منهم وبنواحى فاس آخرون ولله الخلق والامر

{الخبر عن مكناسة وسائر بطون بنى ورصطف وما كان} {لمكناسة من الدول بالمغرب وأولية ذلك وتصاريفه}

كان لورصطف بن يحيى وهو أخو جانا بن يحيى وسمكان بن يحيى ثلاثة من البطون وهم مكناسة وورتناجة وأوكته ويقال مكنه وبنو ورتناجة أربعة بطون سدرجة ومكنه ومطاسة وكرسطه وزاد سابق وأصحابه فى بطونهم هناطة وفولالة وكذلك عدوا فى بطون مكنه بنى درطين وبنى فولالين وبنى يزين وبنى جرين وبنى بوعال ولمكناسة عندهم أيضا بطون كثيرة منها بصولات وبوحاب وبنو ويفلاس وبنو وردنوس وقيصاره ونبعه وورقطنة وبطون ورصطف كلهم مندرجون فى بطون مكناسة وكانت مواطنهم على وادى ملوية من ولدن أعلاه بسجلماسة الى مصبه فى البحر وما بين ذلك من نواحى تازا وتسول وكانت رياستهم جميعا فى بنى ابى يزول واسمه مصدول بن تاقريس بن فراديس ابن ونيف بن مكناس وأجاز منهم الى العدوة عند الصلح أمم وكانت لهم بالاندلس رياسة وكثرة وخرج منهم على عبد الرحمن الداخل شقيا بن عبد الواحد سنة احدى وخمسين واعتصم بشنتمرية ودعا لنفسه منتسبا الى الحسين بن على ويسمى عبد الله بن محمد

يلقب الشيعة ومصاله بن حبوس من منازل اتصل بعبيد الله الشيعي وكان من أعظم قواده وأوليائه وولاه بالغرب وافتتح له المغرب وفاس وسجلماسة ولما هلك أقام أخاه يرصلتين بن حبوس مقامه في ولاية تاهرت والمغرب ثم هلك وأقام ابنه حميد امقامه فانحرف عن الشيعة ودعا لعبد الرحمن الناصر واجتمع مع بنى خزر امن أحزابه على ولايته المروانية ثم أجاز الى الاندلس وولى الولايات أيام الناصر وابنه الحكم وولى في بعضها تلمسان بدعوتهم ثم هلك وأقام ابنه يصل بن حميد وأخوه يطاوين ابن يرصلتين وعلى ابن عمه من ماله في ظل الدولة الاموية الى أن أجاز المظفر بن أبى عامر الى المغرب فولى يصل بن حميد سجلماسة كما نذكر ثم رياسة مكناسة بالعدوة انقسمت في بنى أبى نزول وانقسمت مسايل مكناسة بانقسامها وصارت رياسة مكناسة في مواطن سجلماسة وما اليها من بنى واسول بن مصلان بن أبى نزول ورياسة مكناسة بجهات تازا وتسول وملوية ومليلة لبنى أبى العافية بن أبى نائل بن أبى الضحاك بن أبى نزول ولكل واحد من هذين الفريقين في الاسلام دولة وسلطان صاروا به في عداد الملوك كما نذكره

(الخبر عن دولة بنى واسول ملوك سجلماسة وأعمالها من مكناسة)

كان أهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لاول الاسلام بدين الصفرية من الخوارج لقنوه عن أئمتهم ورؤسهم من العرب لما لحقوا بالمغرب وأسروا على الامتناع وماجت أقطار المغرب لتلك الفتنة مدة فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالى العرب ورؤس الخوارج واختطوا مدينة سجلماسة لاربعين ومائة من الهجرة ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم ثم سخطوا أميرهم عيسى ونقموا عليه كثيرا من أحواله فشدوه كتافا ووضعوه على قنة جبل الى أن هلك سنة خمس وخمسين واجتمعوا بعده على كبيرهم أبى القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبى نزول كان أبوه يزقو من حملة العلم ارتحل الى المدينة فادرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ذكره عريب بن حميد في تاريخه وكان صاحب ماشية وهو الذى بايع لعيسى بن يزيد وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده وقاموا بأمره الى أن هلك سنة سبع وستين ومائة لثلاث عشرة سنين من ولايته وكان أباضيا صفريا وخطب في عمله للمنصور والمهدى من بنى العباس ولما هلك ولوا عليهم ابنه الياس وكان يدعى بالوزير ثم انتقضوا عليه سنة أربع وتسعين فخلعوه وولوا مكانه أخاه اليسع بن أبى القاسم وكنيته أبو منصور فلم يزل أميرا عليهم وبنى سور سجلماسة لاربع وثلاثين سنة من ولايته وكان صفريا وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة وهو الذى أتم بناءها وتشييدها واختط بها

المصانع والقصور وانتقل اليها آخر المائة الثانية ودوخ بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة وأصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار فى ابنته أروى فانكحها اياها ولما هلك سنة ثمان ومائتين ولى بعده ابنه مدرار ولقبه المنتصر وطال أمر ولايته وكان له ولدان اسم كل واحد منهما ميمون أحدهما لاروى بنت عبد الرحمن بن رستم وقيل ان اسمه أيضا عبد الرحمن والآخر لبغى وتنازعا فى الاستبداد على أبيهما ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين وكانت لابيهما مدرار صاغية الى ابن أروى فداخل معه حتى غلب فأخذه وأخرجه من سجلماسة ولم يلبث أن خلع أباه واستبد بأمره ثم ساءت سيرته فى قومه ومدينته فخلعوه وصار الى درعة وأعادوا مدرارا الى أمره ثم حدث نفسه باعادة ابنه ميمون بن الرستمية الى امارته بصاغية اليه فخلعوه وولوا ابنه ميمونا من البغى وكان يعرف بالامير ومات مدرار اثر ذلك سنة ثلاث وخمسين لخمس وأربعين من ملكه وأقام ابنه ميمون فى استبداده الى أن هلك سنة ثلاث وستين وولى ابنه محمد وكان أباضيا وتوفى سنة سبعين فولى اليسع بن المنتصر وقام بأمره ولحق عبيد الله الشيعى وابنه أبو القاسم بسجلماسة لعهده وأوعد المعتضد اليه فى شأنهما وكان على طاعته فاستراب بهما وحبسهما الى أن غلب الشيعى بنى الاغلب وملك رقادة فزحف اليه لاستخراج عبيد الله وابنه من محبسه وخرج اليه اليسع فى قومه مكناسة فهزمه أبو عبد الله الشيعى واقتحم عليه سجلماسة وقتله سنة ست وتسعين واستخرج عبيد الله وابنه من محبسهما وبويع لهما وولى عبيد الله المهدى على سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتى من رجالات كتامة وانصرف الى افريقية ثم انتقض أهل سجلماسة على واليهم ابراهيم فقتلوه ومن كان معه من كتامة سنة ثمان وتسعين وبايعوا الفتح بن ميمون الامير ابن مدرار ولقبه واسول وميمون ليس هو ابن البغى الذى تقدم ذكره وكان أباضيا وهلك قريبا من ولايته لرأس المائة الثالثة فولى أخوه أحمد واستقام أمره الى أن زحف مصالة بن حبوس فى جموع كتامة ومكناسة الى المغرب سنة تسع وثلثمائة فدوخ المغرب وأخذهم بدعوة صاحبه عبيد الله المهدى وافتتح سجلماسة وتقبض على صاحبها أحمد بن ميمون بن مدرار وولى عليها ابن عمه المعتز بن محمد ابن ساور بن مدرار فلم يلبث ان استبد وبلغها المعتز وهلك سنة احدى وعشرين قبيل ملك المهدى وولى من بعده ابنه أبو المنتصر محمد بن المعتز فمكث عشرا ثم هلك وولى من بعده ابنه المنتصر سمكو شهرين وكانت جدته تدبر أمره لصغره ثم ثار عليه ابن عمه محمد ابن الفتح بن ميمون الامير وتغلب عليه وشغب عليه بنو عبيد الله لفتنة ابن أبى العافية وتاهرت ثم نقلته الى أبى يزيد بعدهما فدعا محمد بن الفتح لنفسه بحواغا بالدعوة لبنى

العباس وأخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية ولقب الشاكر لله واتخذ السكة
باسمه ولقبه وكانت تسمى الدراهم الشاكرية كذا ذكره ابن حزم وقال فيه وكان
غاية العدل حتى اذا افرغ له بنو عبيد وحمت الفتنة زحف جوهر الكاتب أيام المعز
لدين الله فى جموع كتامة وصنهاجة وأوليائهم الى المغرب سنة سبع وأربعين فغلب على
سجلماسة وملكها وفر محمد بن الفتح الى حصن تاسكرات على أميال من سجلماسة وأقام
به ثم دخل سجلماسة متنكرا فعرفه رجل من مضغرة وأنذر به فتقبض عليه جوهر
وقاده أسيرا الى القيروان مع أحمد بن بكر صاحب فاس كما نذكره وقتل الى القيروان
فلما انتقض المغرب على الشيعة فشت دعوة الاموية وأخذ زناتة بطاعة الحكم المنتصر
ثار بسجلماسة قائم من ولد الشاكر وتسمى المنتصر بالله ثم وثب عليه أخوه أبو محمد سنة
ثنتين وخمسين فقتله وقام بالامر مكانه وتلقب المعتز بالله وأقام على ذلك مدة وأمر
مكناسة يومئذ قد تداعى الى الاضمحلال وأمر زناتة قد استفحل بالمغرب عليهم الى أن
زحف خزرون بن فلفول من ملوك مغراوة الى سجلماسة سنة ست وستين وأبرز اليه
أبو محمد المعتز فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته وبعث برأسه الى قرطبة
مع كتاب الفتح وكان ذلك لاول حجابة المنصور بن أبي عامر فنسب اليه واحتسب له هذا
بقية وعقد لخزرون على سجلماسة فأقام دعوة هشام بأنحائها فكانت أول دعوة أقيمت
لهم بالامصار فى المغرب الاقصى وانقرض أمر بنى مدرار ومكناسة من المغرب أجمع
وأدال منهم بمغراوة وبنى يفرن حسبما يأتى ذكرهم فى دولتهم والامر لله وحده وله البقاء
سبحانه وتعالى

المنتصر بن الشاكر
أبو عمر المعتز
أخوه جوهر
محمد بن الفتح
أحمد
أخوه مصاله
الامير ابن البغى
بن ميمون
سمكون بن أبي المنتصر محمد بن المعتز محمد بن ساور
بن مدرار
قتله عبد الله المهدى
بن اليسع
بن أبي القاسم بن سمكو بن واسول بن مصلان بن ماطوة بن نافرس
الياس
بن قراديس بن ونيف بن مكناس

الخبر عن دولة بنى أبى العافية ملوك تسول من مكناسة وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مكناسة من أهل مواطن ملوية وكرسيف ومليلة وما اليها من التلول بنواحى
تازا وتسول والكل يرجعون فى رياستهم الى بنى أبى باسل بن أبى الضحاك بن أبى نزول
وهم الذين اختطوا بلد كرسيف ورباط تازا ولم يزالوا على ذلك من أول الفتح
وكانت رياستهم فى المائة الثالثة لمصالة بن حبوس وموسى بن أبى العافية بن أبى باسل
واستفحل أمرهم فى أيامه وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبائل البربر بأنحاء تازا الى
الكاى وكانت بينهم وبين الادارسة ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب وكانوا
يقتلونهم على كثير من ضواحيها لما كان نزل بدولتهم من الهرم ولما استولى عبيد
الله على المغرب واستفحل أمره كانوا من أعظم أوليائه وشيعه وكان مصالة بن حبوس
من أكبر قواده لانحياشه اليه وولاه على مدينة تاهرت والمغرب الاوسط ولما زحف
مصالة الى المغرب الاقصى سنة خمس وثلثمائة واستولى على فاس وعلى سجلماسة
وفرغ من شأن المغرب واستنزل يحيى بن ادريس من امارته بفاس الى طاعة عبيد الله
وأبقاه أميرا على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى بن أبى العافية أمير مكناسة على سائر
ضواحى المغرب وأمصاره مضافه الى عمله من قبل تسول وتازا وكرسيف وقفل مصالة
الى القيروان وقام موسى بن أبى العافية بامر المغرب وناقضه يحيى بن ادريس صاحب
فاس لما يظن له من المظاهرة عليه فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة تسع أغراه ابن أبى
العافية بيحيى بن ادريس فتقبض عليه واستصفاه وطرده عن عمله فلحق ببنى عمه بالبصرة
والريف وولى مصالة على فاس ريحان الكتامى وقفل الى القيروان فهلك وعظم ملك ابن
أبى العافية بالمغرب ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس
وكان مقداما شجاعا وتلقب لطعنه فى المحاجم دخل فاس على حين غفلة من أهلها وقتل
ريحان واليها واجتمع الناس على بيعته ثم خرج لقتال ابن أبى العافية فتزاحفوا الحفص
بفحص اذاماد بين تازا وفاس ويعرف لهذا العهد بوادى المطاحن واشتدت الحرب
بينهم وهلك منهال بن موسى بن أبى العافية فى الفتن من مكناسة ثم كانت العاقبة لهم
وانتقض عسكر الحسن ورجع مفلولا الى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين حامد
ابن حمدان الهمدانى واستمكن من عاقله واستحث ابن أبى العافية للقدوم وأمكنه
من البلد وزحف الى عدوة الاندلس فملكها وقتل عاملها عبد الله بن ثعلبة بن محارب
ابن محمود وولى مكانه أخاه محمدا وطالب حامدا بصاحبه الحسن فدس اليه حامد
بالفرار تجافيا عن دماء أهل البيت وتدلى الحسن من السور فسقط وانكسر ساقه

ومات مستخفيا بعدوة الاندلس لثلاث ليال منها وحذر حامد من سطوة أبى العافية
فلحق بالمهدية واستولى ابن أبى العافية على فاس والمغرب أجمع وأجلى الادارسة
عنهم وألجأهم الى حصنهم بقلعة حجر النسر مما يلى البصرة وحاصرهم بها مدة ثم
خرجت العساكر وخلف فيهم قائده أبا الفتح فحاصرهم ونهض الى تلمسان سنة
تسع عشرة بعد ان استخلف على المغرب الاقصى ابنه مدين وأنزله بعدوة القرويين
واستعمل على عدوة الاندلس طول بن أبى يزيد وعزل به محمد بن ثعلبة وزحف الى
تلمسان فملكها وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبى العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد
ابن سليمان من عقب سليمان بن عبد الله أخى ادريس الاكبر الداخل الى المغرب بعده
فغلب موسى بن أبى العافية الحسن على تلمسان وأزعجه عنها الى مليلة من جزائر ملوية
ورجع الى فاس وقد كان الخليفة الناصر لما فشت دعوته بالمغرب خاطبه بالمقاربة والوعد
فسارع الى اجابته ونقض طاعة الشيعة وخطب للناصر على منابر عمله فسرح اليه
عبيد الله المهدى قائده ابن أخى مصالة وهو حميد بن يصلت المكناسى قائد تاهرت فزحف
فى العساكر الى حربه سنة احدى وعشرين ولقيه موسى بن أبى العافية بفحص مسون
فتزاحفوا أياما ثم لقيه حميد فهزمه ولحق ابن أبى العافية بتسول فامتنع بها وأفرج
قائده أبو الفتح عن حصن الادارسة فاتبعوه وهزموه ونهبوا معسكره ثم نهض حميد
الى فاس ففر عنها أعزل بن موسى الى ابنه واستعمل عليها حامد بن حمدان كان فى جملته
وقفل حميد الى افريقية وقد دوخ المغرب ثم انتقض أهل المغرب على الشيعة بعد مهلك
عبيد الله وثار أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الجذامى على حامد بن حمدان فقتله
وبعث برأسه الى ابن أبى العافية فأرسله الى الناصر بقرطبة واستولى على المغرب
وزحف ميسور الخصى قائد أبى القاسم الشيعى الى المغرب سنة ثلاث وعشرين وخام
ابن أبى العافية عن لقائه واعتصم بحصن الكاى ونهض ميسور الى فاس فحاصرها
واستنزل أحمد بن بكر عاملها ثم تقبض عليه وأشخصه الى المهدية وبدر أهل فاس بغدره
فامتنعوا وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتى وحاصرهم ميسور مدة حتى رغبوا
الى السلم واشترطوا على أنفسهم الطاعة والاتاوة فتقبل ميسور ورضى وأقر حسن بن
قاسم على ولايته بفاس وانتقل الى حرب بن أبى العافية فكانت بينهما حروب الى أن
غلبه ميسور فتقبض على ابنه البورى وغرب به الى المهدية وأجلى موسى بن أبى العافية
عن أعمال المغرب الى نواحى ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقفل الى
القيروان ولما مر بارشكول خرج اليه صاحبها ملاطفا له بالتحف وهو ادريس بن
ابراهيم من ولد سليمان بن عبد الله أخى ادريس الاكبر فتقبض عليه واصطلم نعمته

وولى مكانه أبا العيش بن عيسى منهم وأغذ السير الى القيروان سنة أربع وعشرين ورجع موسى بن أبى العافية من الصحراء الى أعماله بالمغرب فملكها وولى على الاندلس أبا يوسف بن محارب الازدى وهو الذى مدن عدوة الاندلس وكانت حصونا وأجمل موسى بن أبى العافية قلعة كرماط وخاطب الناصر فبعث اليه مددا من أسطوله وزحف الى تلمسان فنزعها أبو العيش واعتصم بارشكول عبارله وغلبه عليها سنة خمس وعشرين ولحق أبو العيش بتكور واعتصم بالقلعة التى بناها هنالك لنفسه ثم زحف ابن أبى العافية الى مدينة تكور فحاصرها مدة ثم تغلب عليها وقتل صاحب عبد البديع بن صالح وخرب مدينتهم ثم سرح ابنه مدين فى العساكر فحاصر أبا العباس بالقلعة حتى عقد له السلم عليها واستفحل أمر ابن أبى العافية فى المغرب الاقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الاوسط وبث دعوة الاموية فى أعمالها وبعث ابنه مدين بأمره فى قومه وعقد له الناصر على أعمال ابنه بالمغرب واتصلت يده بيد الخير بن محمد كما كان بين آبائهما ثم فسد ما بينهما وتزاحفا للحرب وبعث الناصر قاضيه منذر بن سعد لمشارفة أحوالهما واصلاح ما بينهما فتم ذلك كما أراده ولحق به سنة خمس وثلاثين أخوه البورى فارا من عسكر المنصور ومع أحمد بن بكر الجذامى عامل فاس بعد أن لحق بالبريد فسار أحمد بن أبى بكر الى فاس وأقام بها متنكرا الى ان وثب بعاملها حسن بن قاسم اللواتى وتخلى له عن العمل وصار البورى الى أخيه مدين واقتسم أعمال ابنه معه ومع ابنه الآخر منقذ فكانوا ثلاث الاثافى وأثار الثورى الى الناصر سنة خمس وأربعين فعقد الناصر لابنه منصور على عمله وكانت وفاته وهو محاصر لاخيه مدين بفاس وأجاز ابناه أبو العيش ومنصور الى الناصر فاجزل لهما الكرامة على سنن أبيهما ثم هلك مدين فعقد الناصر لاخيه أبى منقذ على عمله سنة ثم غلب مغراوة على فاس وأعمالها واستفحل أمرهم بالمغرب وأزاحوا مكناسة عن ضواحيه وأعماله وساروا الى مواطنهم وأجاز اسمعيل بن الثورى ومحمد بن عبد الله بن مرين الى الاندلس فنزلوا بها الى أن جازوا مع واضح أيام المنصور كما مر عندما نهض زيرى بن عطية طاغيتهم سنة ست وثمانين فملك واضح المغرب وردهم الى أعمالهم وتغلب ملكين بن زيرى على المغرب الاوسط وغلب عليه ملوكه بنى خزر من مغراوة فاتصلت يد مكناسة ولم يزالوا فى طاعة بنى مزيدى ومظاهرتهم وهلك اسمعيل بن الثورى فى حروب حماد مع باديس بشلف سنة خمس وأربعمائة وتوارث سلطانهم فى اعقاب موسى الى أن ظهرت دولة المرابطين وغلب يوسف بن تاشفين على أعمال المغرب فزحف اليهم القاسم بن محمد بن عبد الرحمن

بياض بالأصل

ابن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية فاستدعى أهل فاس وصريخ زناتة بعد مهلك معنصرة المغراوى فلقى عساكر المرابطين بوادى صفر فهزمهم وزحف اليه يوسف ابن تاشفين من مكانه فحاصر قلعة فازاز فهزم القاسم بن محمد وجموع مكناسة وزناتة ودخل فاس عنوة كما ذكرناه فى أخباره ثم زحف الى أعمال مكناسة فاقتحم الحصن وقتل القاسم وفى بعض تواريخ المغرب أن مهلك ابراهيم بن موسى كان سنة خمس وأربعمائة وولى ابنه عبد الله أبو عبد الرحمن وهلك سنة ثلاثين وولى ابنه محمد وهلك سنة ست وأربعين وولى ابنه القاسم وهلك سول عند اقتحام لمتونة عليه سنة ثلاث وستين وانقرض ملك مكناسة من المغرب بانقراض ملك مغراوة والامر لله وحده وهى من قبائل مكناسة لهذا العهد بهذه المواطن افاريق فى جبال تازا بعد ما شرست بهم الدول وأناخت بساحتهم الامم وهم موصوفون بوفور الجمالية وقوة الشكيمة ولهم عناء فى مظاهرة الدولة وحقوق عند الحشد والعسكرة وفيهم ميدان من الجمالية ومن مكناسة غير هؤلاء أوزاع فى القبائل لهذا العهد مفترقون فى نواحى افريقية والمغرب الاوسط ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وهذا آخر الكلام فى بنى ورصطيف فلنرجع الى من بقى علينا من البربر وهم زناتة والله ولى العون وبه المستعان

القاسم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول بن تافرسين بن فراديس بن ينفت بن مكناس

{ أخبار البرانس من البربر ولنبدأ أولا بالخبر عن هوارة من شعوبهم وذكر بطونهم وتصاريف أحوالهم وافتراق شعوبهم في عمالات افريقية والمغرب }

وهوارة هؤلاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب والبربر ولد هوارة بن أوريغ ابن برنس الا ما يزعم بعضهم أنهم من عرب اليمن تارة يقولون من عاملة احدى بطون قضاعة وتارة يقولون من ولد المسور بن السكاسك بن وايل بن حمير واذا حرروا الصواب المسور بن السكاسك بن أشرس بن كندة وينسبونه هكذا هوار بن أوريغ بن خنون بن المثنى بن المسور وعند هؤلاء هوارة وصنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة يعرف جميعهم بني ينهل وان المسور جدهم جميعا وانه وقع الى البربر ونزل على بني زحيك ابن مادغيس الابتر وكانوا أربعة اخوة لوا وضرا واداس ونفوس وانهم زوجوه أختهم بصكي العرجاء بنت زحيك فولدت منها المثنى أبا هوارة وتزوجها بعد المسور بن عاقيل ابن زعزاع أبو صنهاجة ولمطة وكزولة وهسكورة كما يأتي فيما بعد أنهم اخوة المثنى لامه وبها عرف جميعهم قالوا وولد المثنى بن المسور خبوز وولد خبوز بن المثنى ريغ الذي يقال فيه أوريغ بن برنس ومنه عرفت قبائل هوارة قالوا انما سميت هوارة لان المسور لما جال البلاد ووقع في المغرب قال لقد تهورنا هكذا عند بعض نسابة البربر وعندي والله أعلم ان هذا الخبر مصنوع وان أثر الصنعة باد عليه ويعضد ذلك ان المحققين ونسابتهم مثل سابق وأصحابه قالوا ان بطون اداس بن زحيك دخلت كلها في هوارة من أجل ان هوار خلف زحيك على أم اداس فربي اداس في حجره وزحيك على ما في الخبر الاول هو جد هوار لان المثنى جده الاعلى هو ابن بصكي وهي بنت زحيك فهو الخامس من زحيك فكيف يخلفه على امرأته هذا بعيد والخبر الثاني أصح عند نسابتهم من الاول *(وأما بطون)* هوارة فكثيروا كثرهم بنو نبه وأوريغ أشهروا النسبة لشهرته وكبر سنه من بينهم فانتسبوا جميعا اليه وكان لاوريغ أربعة من الولد هوار وهو أكبرهم ومغر وقلدن ومندر واكل واحد منهم بطون كثيرة وكلهم ينسبون الى هوار فمن بطون مغر ماوس وزمور وكياد وسواي ذكر هذه البطون الاربعة الى حزم وزاد سابق المطماطي وأصحابه ورجين ومنداسة وكركوده من بطون قلدن خاصه وورصطيف وبيانة ولم يذكر هذه الاربعة ابن حزم وسابق ومن بطون مادر مليلة وسطط وورفل واسيل ومسراتة ذكرها ابن حزم وقال جميعهم بنو لهان بن ملك وكذا عند سابق ويقال ان ورنيفن أيضا من نهانه ومن بطون هوارة بنو كهلان ويقال ان مليلة من بطونهم وعند نسابة البربر من بطونهم عريان وورغة وزكارة ومسلاتة ومجريس ويقال ان ونيفن منهم ومجريس لهذا العهد ينتسبون الى ونيفن وعند سابق وأصحابه

أن بنى كهلان وورجين احدى بطون مغرو أن من بطون بنى كهلان بنى كسى ورتناكط ولشوه وهيوار وأمابطون اداس بن زحيك بن مادغيس الامراء الذين دخلوا فى هوارة فكثير فنهم هراعة وترهونة وشتاتة واندا وة وهيز ونة وأوطيعة وضبرة هؤلاء باتفاق من ابن حزم وسابق وأصحابه

ورتناكط بن كهلان بن هوار بن أوريغ بن برنس بن بر
هيوار
وتيف بن مجريس
ورغه
سلانة
مجريس
زكارة
عريان
ورجين
كركوده
منداس
يكاد
اوزر
مراى
قلدن
بل
خماصة
بيانه
ورصطيف
هوار بن المثنى
لمطة
صنهاجة
كزولة
هسكورة

وكانت مواطن الجمهور من هوارة هؤلاء ومن دخل فى نسبهم من اخوانهم البرانس والبتر لاول الفتح بنواحى طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودى والبكرى وكانوا ظواعن وآهلين ومنهم من قطع الرمل الى بلاد القفر وجاوز والمطة من قبائل الملثمين فيما يلى بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية ويعرفون بنسبهم هكارة قلبت العجمة واوه كافا أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف وكان لهم فى الردة وحروبها آثار ومقامات ثم كان لهم فى الخارجية والقيام بها ذكر وخصوصا بالاباضية منها وخرج على حنظلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشة الفزارى فكانت بينهما وبين حنظلة حروب شديدة ثم هزمهما وقتلهما وذلك سنة أربع وعشرين ومائة أيام هشام بن عبد الملك وخرج على يزيد بن حاتم سنة ست وخمسين ومائة يحيى بن فوناس منهم واجتمع اليه كثير من قومه وغيرهم وزحف اليه قائد طرابلس عبد الله بن السمط الكندى على شاطئ البحر بسواريه من سواحلهم فانهزم وقتل عامة هوارة وكان منهم مع عبد الرحمن بن حبيب مجاهد بن مسلم من قواده ثم أجازه منهم الى الاندلس مع طارق رجالات مذكورون واستقروا هنالك وكان من خلفهم بنو عامر بن وهب أمير ولده أيام لمتونة وبنو ذى النون الذين ملكوها من أيديهم واستضافوا معها طليطلة وبنو رزين أصحاب السهلة ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ست وتسعين ومائة وحاصروا طرابلس وافتتحوها فخربوها وتولى كبر ذلك منهم عياض ووهب وسرح ابراهيم اليهم ابنه أبا العباس فهزمهم وقتلهم وبنى طرابلس وحاجا هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم بتاهرت فجلاهم واجتمعوا اليه ومعهم قبائل نفوسة وحاصروا أبا العباس بن الاغلب بطرابلس الى أن هلك أبوه ابراهيم بالقيروان وقد عهد اليه فصالحهم على أن يكون الصحراء لهم وانصرف عبد الوهاب الى نفوسة ثم أصبحوا بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية وشهد فتحها منهم زواوة من يعم الخلفاء ثم كان لهم مع أبى يزيد النكارى وفى حروبه مقامات مذكورة اجتمعوا اليه من مواطنهم بجبل أوراس ومرماجنة لما غلب عليه وأخذ أهلها بدعوته فانحاش الى ولايته وفعلوا الافاعيل وكان من أظهرهم فى تلك الفتنة بنو كهلان ولما هلك أبو يزيد كما نذكره سطا اسمعيل المنصور بهم وأثخن فيهم وانقطع ذكر بنى كهلان ثم جرت الدول عليهم اذيالها وأناخت بكلاكلها وأصبحوا فى عداد القبائل الغارمة من كل ناحية فنهم لهذا العهد بمصر أوزاع متفرقون أوطنوها أكرة وعباره وشاوية وآخرون موطنون ما بين برقة والاسكندرية يعرفون بالمثانية ويظعنون مع الحرة من بطون لهيعة من سليم بأرض التلول من افريقية ما بين تبسة الى مرماجنة الى باجة ظواعن صاروا فى عداد الناجعة

عرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الابل وممارسة الحروب وايلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تلولهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم فأولهم مما يلى تبسة قبيلة ونيفن ورياستهم لهذا العهد فى ولد يفرن بن حناش لا ولاد دحمان بن فلان بعده وكانت الرياسة قبلهم سارية من بطون ونيفن ومواطنهم ببسائط مرماجنة وتبسة وما اليهما وبينهم قبيلة أخرى فى الجانب الشرقى منهم يعرفون بقيصرون ورياستهم فى بيت بنى مرمن ما بين ولد زعازع وولد حركات ومواطنهم بفحص آبه وما اليها من نواحى الاربس وتليهم الى جانب الشرق قبيلة أخرى منهم يعرفون بنصورة ورياستهم فى بيت الرمامنة لولد سليمان بن جامع منهم ويرادبهم فى رياسة نصرة قبيلة ورغمة ومواطنهم ما بين تبسة الى صامتة الى جبل الزنجار الى اطار على ساحل تونس وبسائطها ويجاورهم متساحلين الى ضواحى باجة قبيلة أخرى من هوارة يعرفون ببنى سليم ومعهم بطن من عرب نصر من هذيل من مدركة بن الياس جاؤا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهلاليين عند دخولهم الى المغرب وأوطنوا بهذه الناحية من افريقية واختلطوا بهوارة وحلوا فى عدادهم ومعهم أيضا بطن آخر من بطون رياح من هلال ينتمون الى عتبة بن مالك ابن رياح صاروا فى عدادهم وجروا على مجراهم والظعن والمغرم ومعهم أيضا بطن من مرداس بنى سليم يعرفون ببنى حبيب ويقولون هو حبيب بن مالك وهم غارمة مثل سائر هوارة وضواحى افريقية من هذا العهد معهودة لهؤلاء الظواعن ومعظمهم من هوارة وهم أهل بقر وشاء وركوب للخيل وللسلطان بافريقية عليهم وظائف من الجباية وضعها عليهم دهاقين العمال بديوان الخراج قوانين مقررة وتضرب عليهم مع ذلك البعث فى غزوات السلطان بعسكر مفروض يحضر بعسكر السلطان متى استنفروا لذلك ولرؤسائهم آراء ذلك قاطعات ومكان فى الدول بين رجالات البدو وبربطون هوارة بمواطنهم الاولى من نواحى طرابلس ظواعن وآهلين توزعتهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على أمرهم منذ ضحا عنهم من ظل الدولة فتملكوهم تملك العبيد للجباية منهم والاستكثار منهم فى الانتجاع والحرب مثل برهونة وورقلة الظواعن ومجريس الموطنين بزنزور ومن ونيفن وهى قرية من قرى طرابلس ومن هوارة هؤلاء بآخر عمل طرابلس مما يلى بلد مسرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة وكثيرا ما ينقلون فى سبيل التجارة ببلاد مصر والاسكندرية وفى بلاد الجريد من افريقية وبأرض السودان الى هذا العهد (واعلم) ان فى قبلة قابس وطرابلس جبالا متصلا بعضها ببعض من المغرب

الى المشرق فأولها من جانب الغرب جبل دمر يسكنه أمم من لواتة ويتصلون فى بسطه الى فاس وصفاقس من جانب الغرب وأمم أخرى من نفوسة من جانب الشرق وفى طوله سبع مراحل ويتصل به شرقا جبل نفوسة تسكنه أمة كبيرة من نفوسة ومغراوة وسدراتة وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل عنها وفى طوله سبع مراحل ويتصل به من جانب الشرق جبل مسلاتة ويعتمره قبائل هوارة الى بلد مسراتة وبرقة وهو آخر جبال طرابلس وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسة ولواتة وكانت هنالك مدينة صغيرة بلد نفوسة قبل الفتح وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء ومنهم مكان بنى خطاب ملوك زويلة احدى أمصار برقة كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم فكان يقال زويلة بن خطاب ولما خربت انتقلوا منها الى فزان من بلاد الصحراء وأوطنوها وكان لهم بها ملك ودولة حتى اذا جاء قراقوش الغزى الناصرى مملوك تقى الدين ابن أخى صلاح الدين كما نذكر فى مكانه عند ذكر الغورى بن مسوفة وأخباره وافتتح ولدوا وجله افتتح فزان بعدها وتقبض على عاملها محمد بن خطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب آخر ملوكهم وامتحنه وطالبه بالاموال وبسط عليه العذاب الى ان هلك وانقرض أمر بنى خطاب هؤلاء الهواريين

سارى بن سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن بعرة بن حناش بن ويفن بن لهانة بن هوار

بعرة بنوامون

(ومن قبائل) هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة فى مواطن من أعمال تعرف بهم وظواعن شاوية تنتجع لمسرحها فى نواحيها وقد صاروا عبيد المغارم فى كل ناحية وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمنعة أيام الفتوحات بسبب الكثرة وصاروا الى الافتراق فى الاودية بسبب القلة والله مالك الامور ومن أشهرهم بالمغرب الاوسط أهل الجبل المطل على البطحاء وهو مشهور باسم هوارة وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم ويعرف رؤساؤهم من بنى اسحق وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا لبنى يلومين فلما انقرضوا صار اليه هوارة وأوطنوه وكانت رياستهم فى بنى عبد العزيز منهم ثم ظهر من بنى عمهم رجل اسمه اسحق واستعمله ملوك القلعة وصارت رياستهم فى عقبه بنى اسحق وحفظ كبيرهم محمد بن اسحق القلعة المنسوبة اليهم وورث رياسته فيهم أخوه حيول وصارت فى عقبه واتصلوا بالسلطان أيام ملك بنى عبد الواد على المغرب الاوسط وانتظموا فى شرائعهم واستعمل أبو تاشفين من ملوكهم يعقوب بن يوسف بن حيون قائدا على بنى توجين عند ما غلبهم على أمرهم وفرض المغارم عليهم فقام بها أحسن قيام ودوخ بلادهم واذل من عزهم وبعد أن غلب بنو مرين بنى عبد الواد على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هؤلاء ثم استعمل بعده عمه عبد الرحمن ثم ابنه محمد ابن عبد الرحمن بن يوسف ثم تلاشى حال هذا القبيل وخف ساكن الجبل بما اضطرم بهم دولة بنى عبد الواد وأصبحت لهم فى الظلامات وانقرضت بنت بنى اسحق والامر على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن ازداجة ومسطاسه وعجيسة من بطون البرانس ووصف أحوالهم)

اما ازداجة ويعرفون أيضا وزداجة فمن بطون البرانس وكثير من نسابة البربر يعدونهم فى بطون زناتة وقد يقال ان ازداجة من زناتة ووزداجة من هوارة وانهما بطنان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة وكانت مواطنهم بالمغرب الاوسط بناحية وهران وكان لهم اعتزاز وآثار فى الفتن والحروب ومسطاسة مندرجون معهم فيقال انهم من عداد بطونهم ويقال انهم اخوة مسطاس اخى وزداج والله أعلم وكان من رجالتهم المذكورين شجرة بن عبد الكريم المسطاسى وأبو دليم بن خطاب وأجاز أبو دليم الى الاندلس من ساحل تلمسان وكان لبنيه بها ذكر وافى معها قرطبة وكان من بطون ازداجة بنو مشقق وكانا يجاوران مهران ونزل مرس وهران من رجال الدولة الاموية محمد بن أبى عون ومحمد بن عبدون فداخلوا بنى مسكن وملكوا وهران سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الاموية فلما ظهرت دعوة الشيعة وملك عبد الله المهدى تاهرت وولى عليها دواس بن مولات للقيط من كتامة وأخذت البرابرة بدعوتهم أوعز دواس بحصار

وهران فرجعوا اليها سنة سبع وتسعين وأدخلوا بنى مسكن فى ذلك فأجابوهم وفر محمد بن أبى عون فلحق بدواس وصولات والسهب ومعراق وأضرمت نارا ثم جدد بناءها دواس وأعاد محمد بن أبى عون الى ولايتها فعادت أحسن ما كانت وأمراء تلمسان لذلك العهد ثم ولى على تاهرت أيام أبى القاسم بن عبد الله أيام ملك يغمراسن بن أبى سحمة وانتقض عليه البربر فحاصروه عند زحف ابن أبى العافية الى المغرب الاوسط بدعوة المروانية وكان ممن أخذ بها محمد بن أبى عون صاحب وهران وأبو القاسم ميسور مولاه الى المغرب وراجع طاعته الى المروانية ثم كان شأن أبى يزيد وانتقاض سائر البرابرة على العبيديين واستفحل أمر زناتة وأخذ بدعوة المروانيين وكان الناصر عقد لعلى بن أبى محمد النفزى على المغرب فخاطبه بمراوغة محمد بن ابى عون وقبائل ازداجة فى الطاعة للعداوة بين القبيلتين بالمجاورة وزحف الى ازداجة فحصرهم بجبل كمدرة ثم تغلب عليهم واستأصلهم وفرق جماعتهم وذلك لسنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ثم زحف الى وهران ونازلها ثم افتتحها عنوة وأضرمها نارا واستلحم ازداجة ولحق رياستهم بالاندلس فكانوا بها وكان منهم حزرون بن محمد من كبار أصحاب المنصور بن أبى عامر وابنه المظفر وأجاز الى المغرب وبقى ازداجة بعد ذلك على حال من الهضيمة والمذلة وانتظموا فى عداد الغارم من القبائل

(وأما العجيسة) وهم من بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس ومدلول هذا الاسم البطن فان البربر يسمون البطن بلغتهم عدس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة وكان لهم بين البربر كثرة وظهور وكانوا مجاورين فى بطونهم لصنهاجة وبقاياهم لهذا العهد فى ضواحى تونس والجبال المطلة على المسيلة وكانت منهم يسكنون جبل القلعة وكان لهم فى فتنة أبى يزيد ولما هزمهم المنصور لجأ اليهم واعتصم بقلعة كتامة من حصونهم حتى اقتحم عليه ثم بادر حماد بن بلكين من بعد ذلك مكانا البناء مدينة فاختطها بينهم ونزلها ووسع خطتها واستبحر عمرانها وكانت حاضرة لملك آل حماد فاخلفت هذه المدينة من مدة عجيسة لما تمرست بهم وخضدت من شوكتهم وراموا كيد القلعة مرارا وأجلبوا على ملوكها بالاعياص منهم فاستلحمهم السيف ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورثت مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفاريق العرب الهلاليين وسعى الحمل منهم وفى القبائل بالمغرب كثير من عجيسة هؤلاء مفترقون فيهم والله أعلم

{الخبر عن أوربة من بطون البرانس وما كان لهم من}
{الردة والثورة وما صار لهم من الدعاء لادريس الاكبر}

كانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتر كلهم لعهد الفتح أوربة وهوارة وصنهاجة من البرانس ونفوسة وزناتة ومطغرة ونفزاوة من البتر وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عددا وأشد بأسا وقوة وهم من ولد أورب بن برنس وهم بطون كثيرة فمنهم بجاية ونفاسة ونجد وزهكوجة ومزياتة ورغيوتة وديقوسة وكان أميرهم بين يدى الفتح ستردير بن رومى بن بارزت بن بزريات ولى عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة وأدرك الفتح الاسلامى ومات سنة احدى وسبعين وولى عليهم من بعده كسيلة بن لزم الاوربى فكان أميرا على البرانس كلهم ولما نزل ابن المهاجر تلمسان سنة خمس وخمسين كان كسيلة بن لزم مرتادا بالمغرب الاقصى فى جموعه من أوربة وغيرهم فظفر به أبو المهاجر وعرض عليه الاسلام فأسلم واستنقذه وأحسن اليه وصحبه وقدم عقبة فى الولاية الثانية أيام يزيد سنة ثنتين وستين فاضطغن عليه صحابته لابى المهاجر وتقدم أبو المهاجر فى اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوى فدوخه ولقيه ملوك البربر ومن انضم اليه من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم واستباحهم وأذعن له بليان أمير غمارة ولاطفه وهاداه ودله على عوارات البرابرة ورد أه بوايلة والسوس وما والاهما من مجالات الملثمين فغنم وسبى وانتهى الى ساحل البحر وقفل ظافرا وكان فى غزاته تلك يستهين كسيلة ويستخف به وهو فى اعتقاله وأمره يوما بسلخ شاة بين يديه فدفعها الى غلمانه وأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه وانتهره فقام اليها كسيلة مغضبا وجعل كلما دس يده فى الشاة مسح بلحيته والعرب يقولون ماهذا يابربرى فيقول هو أجير فيقول لهم شيخ منهم ان البربرى يتوعدكم وبلغ ذلك أبا المهاجر فنهى عقبة عنه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب وأنت تعمد الى رجل جبار فى قومه بدار عزه قريب عهد بالشرك فتفسد وأشار عليه بأن يوثق منه وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله فلما قفل عن غزاته وانتهى الى طبنة صرف العساكر الى القيروان أفواجا ثقة بما دوخ من البلاد وأذل من البربر حتى بقى فى القليل وسار الى تهودة لينزل بها الحامية فلما نظر اليه الفرنجة طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لزم ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وراسل بنى عمه ومن تبعهم من البربر واتبعوا عقبة وأصحابه رضى الله عنه حتى اذا غشوه بتهودة ترجل القوم وكسروا أجفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة وأصحابه رضى الله عنهم ولم يفلت منهم أحد وكانوا زهاء ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا فى مصرع واحد وفيهم أبو المهاجر كان أصحابه فى اعتقاله فأبلى رضى الله عنه فى ذلك اليوم البلاء الحسن وأجداث الصحابة رضى الله عنهم أولئك الشهداء عقبة وأصحابه

بمكانهم

بمكانهم ذلك من أرض الزاب لهذا العهد وقد جعل على قبر عقبة اسنمة ثم جصص واتخذ عليه مسجد عرف باسمه وهو فى عداد المزارات ومظان البركة بل هو أشرف مزور من الأجداث فى بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مد احدهم ولا نصيفه وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أوس الانصارى ويزيد بن خلف العبسى ونفر معهم ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة وكان زهير بن قيس البلوى بالقيروان وبلغه الخبر فخرج هاربا وارتحل بالمسلمين ونزل برقة وأقام بها ينتظر المدد من الخلفاء واجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجة وزحف الى القيروان فخرج العرب منها ولحق بزهير بن قيس ولحق بها أصحاب الذرارى والاثقال فامنهم ودخل القيروان وأقام أميرا على افريقية ومن بقى بها من العرب خمس سنين وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع المروانية بمرج راهط وحروب آل الزبير فاضطرب أمر الخلافة بعض الشئ واضطرم المغرب نارا وفشت الردة فى زناتة والبرانس ثم استقل عبد الملك بن مروان من بعد ذلك وأذهب بالمشرق آثار الفتنة وكان زهير بن قيس مقيما منذ مهلك السلطان عقبة فبعث اليه بالمدد وولاه حرب الجبابرة والثأر بدم عقبة فزحف اليها فى آلاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيلة البرانس وسائر البربر ولقيه بجيش من نواحى القيروان واشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم واتبعهم العرب الى مرماجنة ثم الى ملوية وذل البربر ولجأوا الى القلاع والحصون وحدت شوكة أوربة من بينهم واستقر جمهورهم بديار المغرب الاقصى فلم يكن بعدها لهم ذكر واستولوا على مدينة وليلى بالمغرب كانت ما بين موضع فاس ومكناسة بجانب جبل زرهون وأقاموا على ذلك والجيوش من القيروان تدوخ المغرب مرة بعد أخرى الى أن خرج محمد بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن على أيام المنصور وقتل بالمدينة سنة خمس وأربعين ثم خرج بعده ابن عمه حسين بن على بن حسن المثلث ابن حسن المثنى ابن حسن السبط أيام الهادى وقتل بفخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة واستلحم كثير من أهل بيته وفر ادريس بن عبد الله الى المغرب ونزل على أوربة سنة ثنتين وسبعين وأميرهم يومئذ بوليلى اسحق بن محمد بن عبد الحميد منهم فاجاره وجمع البرابر على دعوته واجتمعت عليه زوغة ولواتة ومبراتة وغمات ونفزة ومكناسة وغمارة وكافة برابرة المغرب فبايعوه وائتمروا بأمره وتم له الملك والسلطان بالمغرب وكانت له الدولة التى ورثها أعقابه الى حين انقراضها كما ذكرنا فى دولة الفاطميين والله تعالى اعلم

{الخبر عن كتامة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من أيدى الاغالبة بدعوة الشيعة}

هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا فى الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس و يقال كتم ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبى والطبرى وأول ملوكهم فريقش بن صيفى من ملوك التبابعة وهو الذى افتتح افريقية وبه سميت وقتل ملكها جرجير وسمى البربر بهذا الاسم كما ذكرناه يقال أقام فى البربر من حمير صنهاجة وكتامة فهم الى اليوم فيهم وتشعبوا فى المغرب وانبثوا فى نواحيه الا أن جمهورهم كانوا الاول الملة بعد تهييج الردة وطفئت تلك الفتن موطنين بارياف قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل أوراس من ناحية القبلة وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكبرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل ايكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وتلزمه وبلزمة وميلة وقسنطينة والسكرة والقل وجيجل من حدود جبل أوراس الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن ويسوده بن كتم بن يوسف من يسودة فالسدود نهاجة ومتوسة ورسين كلهم بنو يسودة بن كتم والى دنهاجة ينسب قصور كتامة بالمغرب لهذا العهد ومن غرسن مصالة وقلان وماوطن ومعاذ بنو غرسن بن كتم ولهيصه وجملة ومسالته وبنو بناوة بن غرسن وملوسة من ايان ولطاية واجانة وغسمان وأوباست بنو يطاسن بن غرسن وملوسة من ايان غرسن بن غرسن ومن ملوسة هؤلاء بنو زيدوى أهل الجبل المطل على قسنطينة لهذا العهد وبعد البرابرة من كتامة بنو يستيتن وهشتيوة ومصالة وبنى قنسيلة وعد ابن حزم منهم زواوة بجميع بطونهم وهو الحق على ما تقدم وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير منتبذون عن مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من لدن ظهور الملة وملك المغرب الى دولة الاغالبة ولم تكن الدولة تسومهم بهضيمة ولا ينالهم تعسف لاعتزازهم بكثرة جموعهم كما ذكره ابن الرقيق فى تاريخه الا أن كان من قيامهم فى دعوة الشيعة ما ذكرناه فى دولتهم عند ذكر دولة الفاطميين إثر دولة بنى العباس فانظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واختطوا القاهرة أعظم الامصار بمصر وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا فى ترفها وبذخها وبقى فى مواطنهم الاولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبائلهم على أسمائها والقابها والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم الا من اعتصم

بقنة الجبل مثل بنى زيدوى بجبلهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضا فى جبالهم وأما البسائط فاشهر من فيها منهم سدويكش ورياستهم فى أولاد سواد ولا أدرى الى من يرجعون فى قبائل كتامة المسمين بهذا الاسم الا أنهم منهم باتفاق من أهل الاخبار ونحن الآن ذاكرون ما عرفناه من أخبارهم المتأخرة بعد دولة كتامة والله تعالى ولى العون

* (الخبر عن سدويكش ومن اليهم من بقايا كتامة فى مواطنهم) *

هذا الحى لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون سدويكش وديارهم فى مواطن كتامة ما بين قسنطينة وبجاية فى البسائط منها ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وطرغيان وموليت وبنى فتنة وبنى لماى وكايارة وبنى زغلان والنورة وبنى مزوان ووارمسكن وسكوال وبنى عيار وفيهم من لماته ودكلانة وريغة والرياسة على جميعهم فى بطن منهم يعرفون أولاد سواد ولهم جمع وقوة وعدد وعدة وكان جميع هذه البطون وعمالهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الابل والبقر ولهم مع الدول فى ذلك الوطن استقامة وهذا شأن القبائل الاعراب من العرب لهذا العهد وهم ينتفون من نسب كتامة و يفرون منه لما وقع منذ أربعمائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدول بعدهم فيستفادون بالانتساب اليهم وربما انتسبوا فى سليم من قبائل مضر وليس ذلك بصحيح وانما هم من بطون كتامة وقد ذكرهم مؤرخو صنهاجة بهذا النسب ويشهد لذلك الموطن الذى استوطنوه من افريقية ويذكر نسابتهم ومؤرخوهم أن موطن أولاد سواق منهم كان فى قلاع بنى بو خصرة من نواحى قسنطينة ومنه انتقلوا وانتشروا فى سائر تلك الجهات وأولاد سواق بطنان وهم أولاد علاوة بن سواق من أولاد يوسف بن حمو بن سواق فاما أولاد علاوة فكانت الرياسة على قبائل سدويكش لهم فيما سمعناه من مشيختنا وان ذلك كان لعهد دولة الموحدين وكان بيتهم على بن علاوة وبعده ابنه طلحة بن على وبعده أخوه يحيى بن على وبعده أخوهما منديل ابن على وعرات زين ابن أخيه طلحة ولما بويع السلطان أبو يحيى بقسنطينة سنة عشر من هذه المائة وقع من تازير انحراف على طاعته واعتلوا بطاعة ابن الخلوف بجاية فقدم عوضا منه عمه منديل ثم استبدل منهم أجمعين بأولاد يوسف فشمروا فى طاعته وأبلوا وغلب السلطان على بجاية وقتل ابن الخلوف فظهر أولاد يوسف وزحموا أولاد علاوة وأخرجوهم من الوطن فصاروا الى عياض من أفاريق هلال وسكنوا فى جوارهم بجبلهم الذى أوطنوه المطل على المسيلة واتصلت الرياسة على سدويكش فى أولاد يوسف وهم لهذا العهد أربع قبائل بنو محمد بن يوسف وبنو المهدى وبنو ابراهيم بن يوسف والعزيزيون وهم بنو منديل وظافر وجرى وسيرا الملوك والعباس وعيسى والستة أولاد

يوسف وهم اشقاء وأمهم تاعزيزت فنسبوا اليها أولاد محمد والعزيزيون يوطنون بنواحى بجاية وأولاد المهدى وابراهيم بنواحى قسنطينة ومازالت الرياسة فى هذه القبائل الاربع تجتمع تارة فى بعضهم وتفترق أخرى الى هذا العهد وكانت الاخرى دولة مولانا السلطان أبى يحيى اجتمعت رياستهم لعبد الكريم بن منديل بن عيسى بن العدرين ثم افترقت واستقلت كل بطن من هؤلاء الاربعة برياسة وأولاد علاوة فى خلال هذا كله بجبل عياض ولما تغلب بنو مرين على افريقية نكر السلطان أبو عنان أولاد يوسف ورماهم بالميل الى الموحدين وصرف الرياسة على سدويكش الى مهنى من تازير بن طلحة من أولاد علاوة فلم يتم له ذلك وقبله أولاد يوسف ورجع أولاد علاوة الى مكانهم من جبل عياض وكان رئيسهم لهذه العصور عدوان بن عبد العزيز بن زروق بن على بن علاوة وهلك ولم تجتمع رياستهم بعده لاحد وفى بطون سدويكش هؤلاء بطن مرادف أولاد سواق فى الرياسة على بعض أحيائهم وهم بنو سكين ومواطنهم فى السلطان أبو يحيى بالرياسة على قومه وكان له مقامات فى خدمته ثم عرف بعده فى الوفاء ابنه الامير أبو حفص فلم يزل معه الى أن وقع به بنو مرين بناحية قابس وحاربه مع السمرى الوقيعة فقطعه السلطان أبو الحسن من خلاف وهلك بعد ذلك وقام برياسته ابنه عبد الله وكان له فيها وفى خدمة السلطان بجاية شأن الى أن هلك لاعوام ثمانين وولى ابنه محمد من بعده والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن بنى ثابت أهل الجبل المطل على قسنطينة من بقايا كتامة)

ومن بطون كتامة وقبائلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسنطينة المعروف

برياسة أولاد ثابت بن حسن بن أبى بكر من بنى تليلان ويقال ان أبا بكر هذا الجد هو الذى فرض المغرم على أهل هذا الجبل لايام الموحدين ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم فلما انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحدون على افريقية وفر أبو بكر هذا على الخليفة بمراكش لاول دولته وفى عنيته لابن عمر لدولة طرابلس أعوام أحدى عشر وسبعمائة كما نذكره فلما تملك السلطان بجاية وقتل ابن خلوف ورجع ابن عمر من تونس الى حجابته وجد حسن بن ثابت معسكرا بفرحيرة لاقتضاء مغارم الوطن فبعث اليه من قبله وكان آخر رياسته بجبل على أدرك دولة بنى مرين بافريقية وولى بعده ابن عبد الرحمن ووفد على السلطان أبى عنان بفاس ولما استجد مولانا السلطان أبو العباس دولته بافريقية استولى عليهم ومحا أثر مشيختهم ورياستهم وصيرهم من عداد جنده وحاشيته واستعمل فى الجبل عماله وهو جبل مطاوع وجبايته مؤداة لسولته وجواره للعسكر بقسنطينة ومن بقايا كتامة أيضا قبائل أخرى بناحية تدلس فى هضابة مكتنفة وهم فى عداد القبائل الغارمة وبالمغرب الاقصى منهم قبيلة من بنى سنس بجبل قبلة جبل يزناسن وقبيلة أخرى بناحية الهبط مجاورون لنصر بن عبد الكريم وقبائل أخرى بناحية مراكش بن لوامع صنهاجة هنالك ونسب كتامة لهذا العهد بين القبائل المثل السائر فى الدولة لما نكرتهم الدول من بعدهم أربعمائة سنة بانتحالهم الرافضة ومذاهبها الكفرية حتى صار كبيرهم من أهل نسبهم يفرون منه ويتسبون فيمن سواهم من القبائل فرارا من هجنته والعزة لله وحده

سلطان

عبدالرحمن بن على

(الالمام بذكر زواوة من بطون كتامة)

هذا البطن من أكبر بطون البربر ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هؤلاء وأكثر الناس جاهلون بنسبهم وعامة نسابة البربر على أنهم من بنى سمكان يحيى بن ضريس وأنهم اخوة زواغة والمحققون من النسابة مثل ابن حزم وانظاره انما يعدونهم فى بطون كتامة وهو الاصوب والمواطن أوضح دليل عليه والافان مواطن زواغة وهى طرابلس بالمغرب

الاقصى من مواطن كتامة وانما حمل على الغلط فى نسبهم الى كتامة تصحيف اسم زوازه بالزاى بعد الواو وهم اخوة زواغة بلا شك فصحف هذا القارى الزاى بالواو فعد زواوة اخوان زواغة ثم استمر التصحيف وجيعا فى نسب سمكان والله أعلم وقد مرّ ذكرهم هنالك مع ذكر زواغة وتعديد بطونهم

{ الخبر عن صنهاجة من بطون البرانس وما كان }
{ لهم من الظهور والدول فى بلاد المغرب والاندلس }

هذا القبيل من أوفر قبائل البربر وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما بعده لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم فى جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر وكان لهم فى الردة ذكر وفى الخروج على الامراء شان تقدم منه فى صدر ذكر البرابر ونذكر منه هنا ما تيسر وأما ذكر نسبهم فانهم من ولد صنهاج وهو صناك بالصاد المشمة بالزاى والكاف القريبة من الجيم الا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والالف فصار صنهاج وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر وذكر ابن الكلبى والطبرى انهم وكتامة جميعا من حمير كما تقدم فى كتامة وفيما نقل الطبرى فى تاريخه أنهم صنهاج بن بربن صوكان بن منصور بن الفند بن افريقش بن قيس وبعض النسابة يزعم أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن مصباح ابن يحصاب بن مالك بن عامر بن حمير الاصغر من سبأ كذا نقل ابن النحوى من مؤرخى دولتهم وجعله ليحصب وقد مرّ ذكره فى أنساب حمير وليس كما ذكروا والله أعلم واما المحققون من نسابة البربر فيقولون هو صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن قيما بن سدور بن مولان بن مصلين بن يبرين بن مكسيله بن دقيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام ويزعمون أن جزول واللمط وهسكورا اخوة صنهاج وان أمهم الاربعة بصكى وبها يعرفون وهى بنت زحيك بن مادغس ويقال لها العرجاء فهذه القبائل الاربعة من القبائل أخوة لام والله أعلم وأما بطون صنهاجة فكثيرة فمنهم بلكانة وأنجفه وسرطة والامتونه ومسوقة وكدالة ومندلسة وبنو وارث وبنو يتين ومن بطون أنجفة بنو مزوات وبنو تنليب وفشتالة وملواقة هكذا يكاد نقل بعض نسابة البربر فى كتبهم وذكر آخرون من مؤرخى البربر أن بطونهم تنتهى الى سبعين بطنا وذكر ابن الكلبى والطبرى أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر وكان أعظم قبائل صنهاجة بلكانة وفيهم كان الملك الاول وكانت مواطنهم ما بين المغرب الاوسط وافريقية وهم أهل مدر ومواطن مسوقة والامتونة وكدالة وسرطة بالصحراء وهم أهل وبر وأما أنجفة فبطونهم مفترقة وهم أكثر بطون صنهاجة ولصنهاجة ولاية لعلى بن أبى طالب كما أن

لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما الا أنا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا أصلها وكان من مشاهيرهم فى الدولة الاسلامية بالفاق ورمون ثار بافريقية أيام السفاح عند انقراض الاموية وعبد الله بن سكرد برلك وعباد بن صادق من قواد حماد بن بلكين وسليمان بن مطعمان بن غيلان امام باديس ابن بلكين وبنى حمدون وزراء بنى حماد وهو حمدون بن سليمان بن محمد بن على بن علم منهم ميمون بن جبل بن أخت طارق مولى عثمان بن عفان صاحب فتح الاندلس فى آخرين يطول ذكرهم وكان الملك فى صنهاجة فى طبقتين الطبقة الاولى لملكانة ملوك افريقية والاندلس والثانية مسوقة ولمتونة من الملثمين ملوك المغرب المسمون بالمرابطين ويأتى ذكرهم كلهم ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الطبقة الاولى من صنهاجة وما كان لهم من الملك) *

كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت وكانت مواطنهم بالمسيلة الى حمزة الى الجزائر مليوية ومليغانة من مواطن بنى يزيد وحصين والعطاف من زغبة ومواطن الثعالبة لهذا العهد وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة أعقابهم هنالك من متنان وانوغة وبنو مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطوية وبنو يفرن وبنو خليل وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها وكان التقدم منهم جميعا لبلكانة وكان أكثرهم لعهد الاغالبة مناد بن منقوش بن صنهاج الاصغر وهو صناك بن واسفاق بن جريل ابن يزيد بن واسلى بن سمليل بن جعفر بن الياس بن عثمان بن سكاد بن ملكان ابن كرت ابن صنهاج الاكبر هكذا نسبه ابن النحوى وزعم أن مناد بن منقوش ملك جانبى افريقية والمغرب الاوسط مقيما الدعوة لابن العباس وراجعا الى أمر الاغالبة وأقام أمره من بعده ابنه زيرى بن مناد وكان من أعظم ملوك البربر وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الاوسط كما نذكر حروب وفتن طويلة ولما استوسق الملك للشيعة بافريقية تحثوا اليهم للولاية التى لعلى رضى الله عنه فيهم وكان من أعظم أوليائهم واستطال بهم على عدوه من مغراوة فكانوا ظهراء له عليهم وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة سائر أيامهم وتحيزوا عن المروانيين ملوك العدوة بالاندلس فأقاموا دعوتهم بالمغرب الاوسط والاقصى كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما كانت فتنة أبى يزيد والتاث أمر العبيديين بالقيروان والمهدية كان لزيرى بن مناد منافرة الى الخوارج أصحاب أبى يزيد وأعقابهم وشريف بالحشود الى مناصرة العبيديين بالقيروان كما ستراه وأحفظ مدينة واشين للتحصن بها سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين وحصنها بأمر المنصور وكانت من أعظم

مدن المغرب واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها ورحل اليها العلماء والتجار من القاصية وحين نازل اسمعيل المنصور أبا يزيد بالقلعة كان معه جاء زيرى في قومه ومن انضم اليه من حشود البربر وعظمت نكايته في العدو وكان الفتح وصحبه المنصور الى أن انصرف من المغرب ووصله بصلات سنية وعقد له على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة أشير وعقد له على تاهرت وأعمالها ثم اختصت ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدونة وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الاوسط ولم يزل زيرى على ذلك قائما بدعوة العبيديين منابذا لمغراوة واتصلت الفتنة فيهم ولما نهض جوهر الكاتب الى المغرب الاقصى أيام معد المعز لدين الله أمره أن يستصحب زيرى بن مناد فصحبه الى المغرب وظاهره على أمره ولما ظهر يعلى بن محمد النفزى اتهمه زناتة بالمالأة عليه ولما نازل جوهر فاس وبها أحمد بن بكر الجذامى وطال حصاره اياها كان لزيرى في حصارها أعظم العناء وكان فتحها على يده سهر ذات ليلة وصعد سورها فكان الفتح ولما استمرت الفتنة بين زيرى ابن مناد ومغراوة ووصلوا أيديهم بالحاكم المستنصر وأقاموا دعوة المروانية بالمغرب الاوسط وشمر محمد بن الخير بن محمد بن خزر لذلك رماه معد لقريعه زيرى في قومه واحتشد أهل وطنه وقد جمع له محمد بن الخير وزناتة فسرح اليهم ولده بلكين في مقدمة وعارضهم قبل استكمالهم التعبية فدارت بينهم حرب شديدة بعد العهد بمثلها يومئذ واختل مصاف مغراوة وزناتة ولما أيقن محمد بن الخير بالمهلكة وعلم انه أحيط به مال الى ناحية من العسكر وتحامل على سيفه فذبح نفسه وانفض جموع زناتة واستمرت الهزيمة عليهم سائر يومهم فاستلحموا ومكثت عظامهم ماثلة بمصارعهم عصورا وهلك فيها زعموا بضعة عشر أميرا منهم وبعث زيرى برؤسهم الى المعز بالقيروان فعظم سروره وهش لها الحكم المستنصر صاحب الدعوة بها أو هنوا من أمره واستطال زيرى وصنهاجة على بوادى المغرب وغلب يده على جعفر بن على صاحب المسيلة والزاب وسماه في الرتب عند الخلافة وتاخمه في العمالة واستدعى معد جعفر بن على من المسيلة لتولية افريقية حين اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاستراب مما كانت السعاية كبرت فيه وبعث معد المعز بعض مواليه فخافه جعفر على نفسه وهرب من المسيلة ولحق بمغراوة فاشتملوا عليه وألقوا بيده زمام أمرهم وقام فيهم بدعوة الحكم المستنصر وكانوا أقدم لها اجابة وفا وضهم زيرى الحرب قبل استفحالهم فزحف اليهم واقتتلوا قتالا شديدا وكانت على زيرى الدبرة وكبا به فرسه وأجلت الهزيمة عن مصرعه

ومصارع حاميته من قومه فحزوا رأسه وبعثوا به الى الحكم المستنصر بقرطبة في وفد أوفدوه عليه من أمرائهم يؤدون الطاعة ويؤكدون البيعة ويجمعون لقومهم النصرة وكان مقدمهم وقدهم يحيى بن أخو جعفر هذا كما ذكرناه

وهلك زيرى هذا سنة ستين وثلثمائة لست وعشرين سنة من ولايته ولما وصل خبره الى ابنه بلكين وهو باشير نهض الى زناتة ودارت بينهم حرب شديدة فانهزمت زناتة وثأر بلكين بأبيه وقومه واتصل ذلك بالسلطان محمد داثره وعقد له على عمل أبيه باشير وتيهرت وسائر أعمال المغرب وضم اليه المسيلة والزاب وسائر عمل جعفر فاستعقب واستفحل أمره واتسعت ولايته وأثخن في البربر أهل الخصوص من احرابه وهوارة ونفزة وتوغل في المغرب في طلب زناتة فأثخن فيهم ثم رجع واستقدمه السلطان لولاية افريقية فقدم سنة احدى وستين واستبلغ السلطان في تكريمه ونفس ذلك عليه كتامة ثم نهض السلطان الى القاهرة واستخلفه كما نذكره وكان ذلك أول دولة آل زيرى بافريقية والله تعالى أعلم

{الخبر عن دولة آل زيرى بن مناد ولاة العبيديين من هذه الطبقة بافريقية وتصاريف أحوالهم}

لما أخذ المعز في الرحلة الى المشرق وصرف اهتمامه الى ما يتخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ونظر فيمن يوليه أمر افريقية والمغرب ممن له الغناء والاضطلاع وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة فعثر اختياره على بلكين بن زيرى بن مناد ولي الدولة منذ عهد أخذه ما بيده من أيدى زناتة وأموالها في سبيل الاباء على الدولة والمظاهرة للدولة

(دولة بلكين بن زيرى)

فبعث خلف بلكين بن زيرى وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة وولاه أمر افريقية ما عدا أصقلية كانت لبني أبي الحسين الكلبي وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامي وسماه يوسف بدلا من بلكين وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة ووصله بالخلع والاكسية الفاخرة وحمله على مقرباته بالمراكب واثقله وأنفذ أمره في الجيش والمال وأطلق يده في الاعمال وأوصاه بثلاث أن لا يرفع السيف عن البربر ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ولا يولي أحدا من أهل بيته وعهد اليه أن يفتتح أمره بغزو المغرب لحسم دائه وقطع علائق الاموية منه وارتحل يريد القاهرة سنة ثنتين وستين ورجع عنه بلكين من نواحي صفاقس فنزل نصر معه بالقيروان واضطلع بالولاية وأجمع غزو المغرب

فغزاه فى جموع صنهاجة وتخلف كتابه وارتحل الى المغرب وفر امامه ابن خزر صاحب المغرب الاوسط الى سجلماسة وبلغه خلاف أهل تاهرت واخراج عامله فرحل اليها وخربها ثم بلغه أن زناتة اجتمعوا الى تلمسان فرحل اليهم فهربوا أمامه ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه ونقلهم الى أشير وبلغه كتاب معد ينهاه عن التوغل فى المغرب فرجع ولما كان سنة سبع وستين رغب بلكين من الخليفة نزار بن المعز أن يضيف اليه عمل طرابلس وسرت واجدابيه فأجابه الى ذلك وعقد له عليها ورحل عنها عبد الله بن يخلف الكتامى وولى بلكين عليه من قبله ثم ارتحل بلكين الى المغرب وفرت أمامه زناتة فملك فاس وسجلماسة وأرض الهبط وطرد منها عمال بنى أمية ثم غزا جموع زناتة بسجلماسة وأوقع بهم وتقبض على ابن خزر أمير مغراوة فقتله وجعل ملوكهم أمامه مثل بنى يعلى بن محمد اليفرنى وبنى عطية بن عبد الله ابن خزر وبنى فلفول بن خزر ويحيى بن على بن حمدون صاحب البصرة وبرزوا جميعا بقياطينهم الى سبتة وبعثوا الصريخ الى المنصور بن أبى عامر فخرج بعساكره الى الجزيرة الخضراء وأمرهم بمن كان فى حضرته من ملوك زناتة ورؤسائهم النازعين الى خلفاء الاموية بالاندلس بقرطبة بالمقام فى سبيل الطاعة واغتنام فضل الرباط بثغور المسلمين فى ايالة الخلفاء واجتمعت منهم وراء البحر أمم مع ما انضم اليهم من العساكر والحشود وأجازهم البحر لقصر جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة وعقد له على حرب بلكين وأمده بمائة حمل من المال فتعاقد ملوك زناتة واجتمعوا اليه وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة وهرع اليهم المدد من الجزيرة من عساكر المنصور وكادوا يخوضون البحر من فرائض الزقاق الى مظاهرة أوليائهم من زناتة ووصل بلكين الى تيطاوين وتسنم هضابها وقطع شعوبها لنهج المسالك والطرق بعسكره حتى أطل على معسكرهم بظاهر سبتة فرأى ماهاله واستيقن امتناعهم ويقال انه لما عاين سبتة من سنسرمة ورأى اتصال المدد من العدوة الى معسكرهم بها قال هذه أفعى فغرت الينا فاها وكر راجعا على عقبه وكان موقفه ذلك أقصى اثره ورجع الى البصرة فهدمها وكانت دار ذلك بن الاندلس وبها عمارة عظيمة ثم انفتح له باب فى جهاد برغواطة فارتحل اليهم وشغل بجهادهم وقتل ملكهم عيسى بن أبى الانصار كما نذكره وأرسل بالسبى الى القيروان وأذهب دعوة بنى أمية من نواحى المغرب وزناتة مشردون بالصحراء الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين بواركش ما بين سجلماسة وتلمسان منصرفا من هذه الغارة الطويلة

(دولة منصور بن بلكين)

ولما توفى بلكين بعث مولاه أبو زغبل بالخبر الى ابنه والى المنصور وكان واليا باشير وصاحب عهد أبيه فقام بأمر صنهاجة من بعده ونزل صبره وقلده العزيز نزار بن معد أمر افريقية والمغرب وكان على سنن أبيه وعقد لاخيه أبى البهار على تاهرت ولاخيه يطوفت على أشير وسرحه بالعساكر الى المغرب الاقصى سنة أربع وسبعين ليسترجعه من أيدى زناتة وقد بلغه انهم ملكوا سجلماسة وفاس فلقيه زيرى بن عطية المغراوى الملقب بالقرطاس أمير فاس فهزمه ورجع الى أشير واقصى المنصور بعدها عن غزو المغرب وزناتة واستقبل به ابن عطية وابن خزرون وبدر بن يعلى كما نذكر بعد ثم رحل بلكين الى رقاده وقتل بعبد الله بن الكاتب عامله وعامل ابيه على القيروان لهنات كانت منه وسعايات انجحت فيه فهلك سنة تسع وسبعين وولى مكانه يوسف ابن أبى محمد وكثر التواتر بكتابه فقاتلهم وأثخن فيهم حتى أذعنوا وأخرج اليهم العمال وعقد لاخيه حماد على اشير وطالت الفتنة مع زناتة ونزل اليه منهم سعيد بن خزرون ولم يزل سعيد يطيعه الى ان هلك سنة احدى وثمانين وولى ابنه فلفول بن سعيد وخالف أبو البهار بن زيرى سنة تسع وسبعين فزحف اليه المنصور وفر بين يديه الى المغرب وأمد المنصور أهل تاهرت ومضى فى اتباع أبى البهار حتى نفد عسكره وأشير عليه بالرجوع فرجع وبعث أبو البهار الى أبى عامر صاحب الاندلس فى المظاهرة والمدد واسترهن ابنه فى ذلك فكتب زيرى بن عطية صاحب دعوة الاموية من زناتة بفاس أن يكون معه يدا واحدة فظاهره زيرى واتفق رأيهما مدة وحاربهما بدر بن يعلى فهزماه وملكا فاس وما حواليها ثم اختلفت ذات بينهما سنة ثنتين وثمانين ورجع أبو البهار الى قومه ووفد على المنصور سنة ثنتين وثمانين بالقيروان فاكرمه ووصله وأنزله أحسن نزل وعقد له على تاهرت ثم هلك المنصور سنة خمس وثمانين

(دولة باديس بن المنصور)

ولما هلك المنصور قام بأمره ابنه باديس وعقد لعمه يطوفت على تاهرت وسرح عساكره لحرب زناتة مع عمه يطوفت وحماد فولوا منهزمين امام زناتة الى أشير ونهض بنفسه سنة تسع وثمانين لحرب زيرى بن عطية راجعا الى المغرب فولى باديس أخاه يطوفت على تاهرت وأشير وخالف عليه عمومته ملكس وزاوى وحلال ومعتز وعزم واستباحوا عسكر يطوفت وأفلت منهم ووصل أبو البهار متبرئا من شأنهم وشغل السلطان باديس بحرب فلفول بن سعيد كما نذكره فى أخبار بنى خزرون وسرح عمه حمادا لحرب بنى زيرى اخوته ووصل بنو زيرى أيديهم بفلفول ثم رجعوا الى حماد فهزمهم وتقبض على ماكس منهم باطمة الكلاب وقتل أولاد الحسن وباديس كذا ذكر ابن

حزم وتجافلهم الى جبل سنوه فنازلهم حماد أياما وعقد لهم السلم على أن يحارب الاندلس فلحقوا الى عامر سنة احدى وتسعين وثلثمائة وهلك زيرى بن عطية المغراوى لتسع أيام من مهلك ماكس وأقفل باديس عمه حمادا على حضرته ليستعين به فى حروب فلفول فاضطرب المغرب لقفوله وأظهرت زناتة الفساد وأضرّوا بالسابلة وحاصروا المسيلة واشير فسرّح اليهم باديس عمه حمادا فخرج على اثره سنة خمس وتسعين متحسب ودوّخ حماد المغرب وأثخن فى زناتة واختط مدينة القلعة ثم طلب منه باديس أن ينزل على عمل تيجس وقسنطينة واختبار النغاغية فأبى وأظهر الخلاف وبعث اليه أخاه ابراهيم فأقام عنده وزحف اليهم باديس ثم رحل فى طلبه الى شلف ونزع اليه بعض العساكر ودخل فى طاعته بنو توجين وحازوا فى مدده ووصل أميرهم عطية بن دافلين وبدر بن أغمان بن المعتز فوصلهما وكان حماد قبل دافلين ثم نزل باديس نهر واصل وانثنى حماد راجعا الى القلعة واتبعه باديس ونزله بها وهلك بعسكره عليها سنة ست وأربعمائة فجأة وهو نائم بين أصحابه بمصرية فارتحلوا راجعين واحتملوا باديس على أعواده

(دولة المعز بن باديس)

ولما بلغ الخبر بمهلك باديس بويع ابنه المعز لثمان سنين ووصل العسكر فبايعوه البيعة العامة ودخل حماد المسيلة واشير واستعد للحرب وحاصر باغاية وبلغ الخبر بذلك فزحف المعز اليه وأفرج عن باغاية ولقيه فانهزم حماد وأسلم معسكره وتقبض على أخيه ابراهيم ونجا الى القلعة ورغب فى الصلح فاستجيب على أن يبعث ولده وانتهى المعز الى سطيف وقصر الطين وقفل الى حضرته ووصل اليه القائد بن حماد بعمل المسيلة وطبنة والزاب واشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب وعقد للقائد بن محمد على طبنة والمسيلة نقره ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وانقلب بهدية ضخمة ورفعت أوزارها من يومئذ واقتسموا المظلة والتحموا بالاصهار وافترق ملك صنهاجة الى دولتين دولة الى المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ودولة الى حماد بن بلكين أصحاب القلعة ونهض المعز الى حماد سنة ثنتين وثلاثين فحاصره بالقلعة مدة سنين ثم أقلع عنها وانكفأ راجعا ولم يعاود فتنة بعد ووصل راوى بن زيرى من الاندلس سنة عشر وأربعمائة كما ذكرناه فى خبره فتلقاه المعز أعظم لقاء وسلم عليه راجلا وفرشت القصور لنزله ووصله بأعظم الصلات وأرفعها واستمر ملك المعز بافريقية والقيروان وكان أضخم ملك عرف للبربر بافريقية وأترفه وأبذخه نقل ابن الرقيق من أحوالهم فى الولائم والهدايا والجوائز والاعطيات ما يشهد بذلك مثل ما ذكر ان عطية

صندل عامل باغاية مائة حمل من المال وان بعض توابيت الكبراء منهم كان العود الهندى بمسامير الذهب وان باديس أعطى فلفول بن مسعود الزناتى ثلاثين حملا من المال وثمانين تختا وان أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس كان خمسين ألف قفيز وغير ذلك من أخبارهم وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب فى جميعها كما هو مذكور وكان المعز منحرفا عن مذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة فأعلن بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم صار الى قتل من وجد منهم وكبا به فرسه ذات يوم فنادى مستغيثا باسم أبى بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم أبرح قتل وقتل دعاة الرافضة يومئذ وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم أبو القاسم الجرجانى محذرا وهو يراجعه بالتعريض لخلفائه والمزج فيهم حتى أظلم الجو بينه وبينهم الى أن انقطع الدعاء لهم سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر من خلفائهم وأحرق بنوده ومحا اسمه من الطرز والسكة ودعا للقائم بن القادر من خلفاء بغداد وجاءه خطاب القائم وكتاب عهده صحبة داعيته أبى الفضل بن عبد الواحد التميمى فرماه المستنصر خليفة العبيديين بالمغرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة وهم رياح وزغبة والاثبج وذلك بمشاركة من وزيره أبى محمد الحسن بن على البازورى كما ذكرنا فى أخبار العرب ودخولهم الى افريقية وتقدموا الى البلاد وأفسدوا السابلة والقرى وسرح اليهم المعز جيوشه فهزموهم فنهض اليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزموه واعتصم بالقيروان فحاصروه وعرسوا به وطال عيثهم فى البلاد واضطرارهم بالرعايا الى ان خربت افريقية وخرج ابن المعز من القيروان سنة تسع وأربعين مع خفيره منهم وهو مؤنس بن يحيى الصبرى أمير رياح فلحق فى خفارته بالمهدية بعد ان أصهر اليه فى ابنته فأنكحه اياها ونزل بالمهدية وقد كان قدم اليها ابنه تميما فنزل عليه ودخل العرب القيروان وانتهبوها وأقام المعز بالمهدية وانتزى الثوار فى البلاد فغلب حمد بن مليل البرغواطى على مدينة صفاقس وملكها سنة احدى وخمسين وخالفت سوسة وصار أهلها الى الشورى فى أمرهم وصارت تونس آخرا الى ولاية الناصر بن علناس ابن حماد صاحب القلعة وولى عليهم عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقرت فى ملكه وملك بنيه وتغلب موسى بن يحيى على قابس وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجى الى ولايته وأخوه ابراهيم من بعده كما يأتى ذكره والثالث ملك آل يدريس وانقسم فى الثوار كما نذكر فى أخبارهم بعد مهلك المعز سنة أربع وخمسين والله أعلم

(دولة تميم بن المعز)

ولما هلك المعز قام بأمره ابنه تميم وغلبه العرب على افريقية فلم يكن له الا ما ضمه السور

خلا انه كان يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض وزحف اليه حمو بن مليل البرغواطى صاحب صفاقس فخرج تميم للقائه وانقسمت العرب عليها فانهزم حمو وأصحابه وذلك سنة خمس وسار منها الى سوسة ففتحها ثم بعث عساكره الى تونس فحاصروا ابن خراسان حتى استقام على الطاعة لتميم ثم بعث عساكره أيضا الى القيروان وكان بها قائد بن ميمون الصنهاجى من قبل المعز فأقام ثلاثا ثم غلبته عليها هوارة وخرج الى المهدية فبعث تميم اليه العساكر فلحق بالناصر وأسلم القيروان ثم رجع بعد ست الى حمو بن مليل البرغواطى بصفاقس وابتاع له القيروان من مهنى بن على أمير زغبة فولاه عليها وحصنها سنة سبعين وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سماسرها العرب يجأ‌ون بالناصر من قلعته ويطؤن عساكره بلاد افريقية وربما ملك بعض أمصارها ثم يردونه على عقبه الى داره الى ان اصطلحا سنة سبعين وأصهر اليه تميم بابنته ونهض تميم سنة أربع وسبعين الى قابس وبها ماضى بن محمد الصنهاجى وليها بعد أخيه ابراهيم فحاصرها ثم أفرج عنها ونازلته العرب سنة ست وسبعين بالمهدية ثم أفرجوا عنه وهزمهم فقصدوا القيروان ودخلوها فأخرجهم عنها وفى أيامه كان تغلب النصرى... ده على المهدية سنة ثمانين نزلوها فى ثلثمائة مركب وثلاثين ألف مقاتل واستولوا عليها وعلى زويلة فبذل لهم تميم فى النزول عنها مائة ألف دينار بعد ان انتهبوا جميع ما كان بها فاستخلصها من أيديهم ورجع اليها ثم استولى على قابس سنة تسع وثمانين من يد أخيه عمر بن المعز بايع له أهلها بعد موت قاص بن ابراهيم ثم استولى بعدها على صفاقس سنة ثلاث وتسعين وخرج منها حمو بن مليل الى قابس فأجاره مكى ابن كامل الدهمانى الى ان مات بها وكانت رياح قد تغلبت على زغبة وعلى افريقية من لدن سبع وستين وأخرجوه منها وفى هذه المائة الخامسة غلب الاخضر من بطون رياح على مدينة باجة وملكوها وهلك تميم اثر ذلك سنة احدى وخمسمائة

(دولة يحيى بن تميم)

ولما هلك تميم بن المعز ولى ابنه يحيى وافتتح أمره بافتتاح اقليبية وغلب عليها ابن محفوظ الثائر بها وثار أهل صفاقس على ابنه أبى الفتوح فلطف الحيلة فى تفريق كلمتهم وراجع طاعة العبيديين ووصلته المخاطبات والهدايا وكان قد صرف همه الى غزو النصارى والاساطيل البحرية فاستكثر منها واستبلغ فى اقتنائها وردد البعوث الى دار الحرب فيها حتى لقبته أمم النصرانية بالجرى من وراء البحر من بلاد افريقية وجنوة وسردانية وكان له فى ذلك آثار ظاهرة عزيزة وهلك فجأة فى قصره سنة تسع وخمسمائة والله أعلم

(دولة على بن يحيى)

بياض بالاصل

ولما هلك يحيى بن تميم ولى على ابنه استقدم لها من صفاقس فقدم أبى بكر ابى جابر عن عسكر ونظرائه من أمراء العرب وكان أعظم أمراء عساكر صنهاجة محاض بن لقط الاحم فاجتمعوا اليه وتمت بيعته ونهض الى حصار تونس حتى استقام أحمد بن خراسان على الطاعة وفتح جبل وسلات وكان ممتنعا على من سلف من قومه فجرد اليه عسكرا مع ميمون بن زياد الصخرى المعادى من أمراء العرب فافتتحوه وقتلوا من كان به ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات والهدايا على العادة ثم نهض الى حصار رافع بن مكن بقابس سنة احدى عشرة وخمسمائة ودون لها قبائل بادغ من بنى على احدى بطون رياح كما نذكره فى أخبار رافع ثم حدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية بمعلات رجار الرافع بن كامل عليه وامداده اياه بأسطوله يغير على ساحل على بن يحيى ورصد أساطيله فاستخدم على بن يحيى الاساطيل وأخذ فى الاهبة للحرب وهلك سنة خمس عشرة وخمسمائة والله اعلم

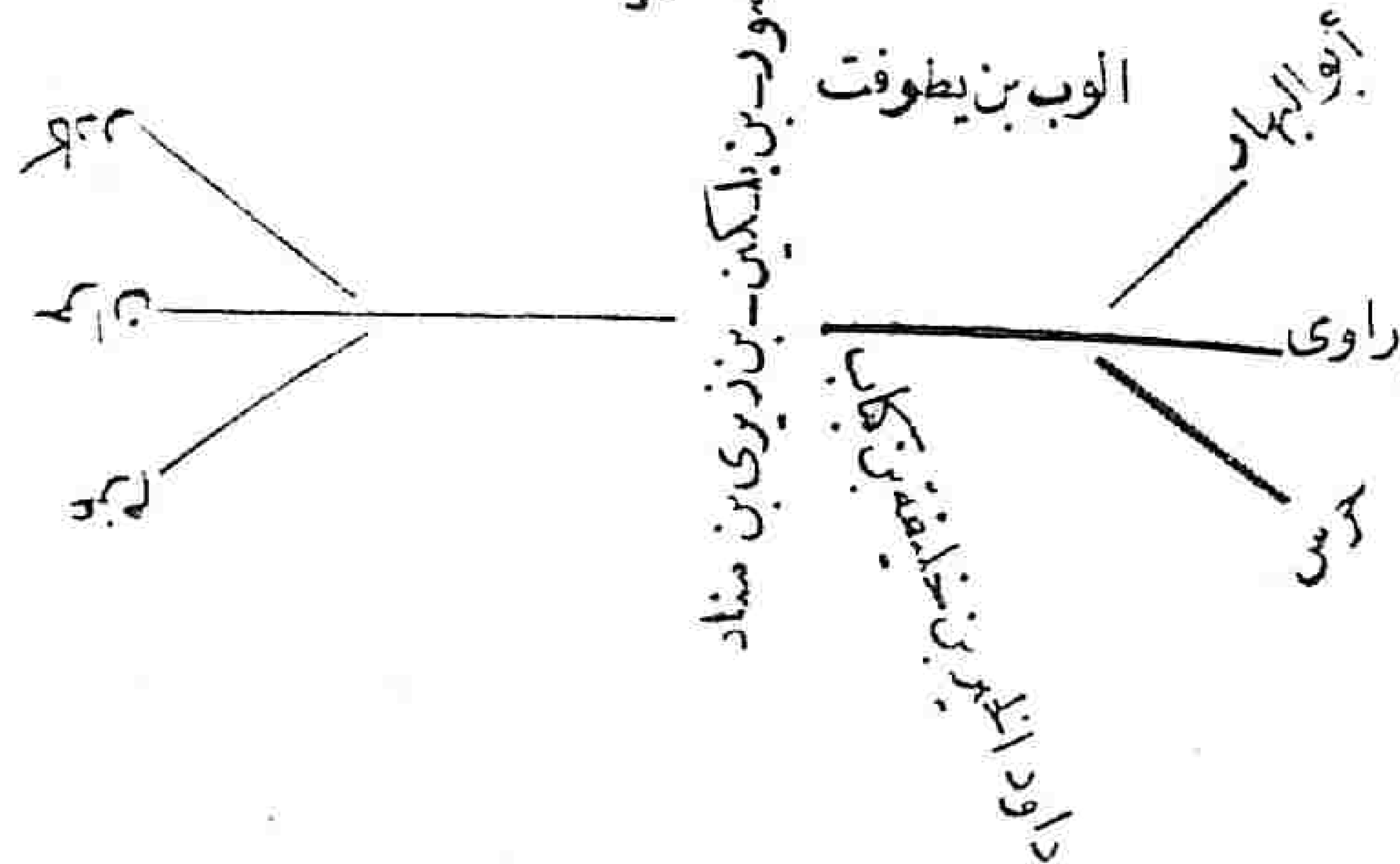
(دولة الحسن بن على)

ولما هلك على بن يحيى بن تميم ولى بعده ابنه الحسن بن على غلاما يفعة ابن ثنتى عشرة سنة وقام بأمره مولاه صندل ثم مات صندل وقام بأمره مولاه موفق وكان أبوه أصدر المكاتبة الى رجار عند الوحشة يهدده بالمرابطين ملوك المغرب ولما كان بينهما وبينهم المكاتبة واتفق أن غزا أحمد بن ميمون قائد اسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها وقتل أهلها سنة ست عشرة فلم يشك رجار أن ذلك باملاء الحسن فنزلت أساطيله الى المهدية وعليهم عبد الرحمن بن عبد العزيز وجرجى بن ميخائيل الانطاكى وكان جرجى هذا نصرانيا هاجر من المشرق وقد تعلم اللسان وبرع فى الحساب وتهذب فى الشأم بانطاكية وغيرها فاصطنعه تميم واستولى عليه وكان يحيى يشاوره فلما هلك تميم أعمل جرجى الحيلة فى اللحاق برجار فلحق به وحظى عنده واستعمله على اسطوله فلما استحكم على حصار المهدية بعثه لذلك فزحف فى ثلثمائة مركب وبها عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس وكان الحسن قد استعد لحربهم فافتتح جزيرة قوصرة وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل وضربوا الابنية وملكوا قصر الدهانين وجزيرة الاملس وتكرر القتال فيهم الى أن غلبهم المسلمون وأقلعوا راجعين الى صقلية بعد ان استمر القتل فيهم ووصل بأثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين باسطوله فعاث فى نواحى صقلية واعتزم رجار على اعادة الغزو الى المهدية ثم وصل اسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية ووصلت عساكره فى البر مع قائده مطرف بن على بن

حمدون الفقيه فصالح الحسن صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه أسطوله واستمد الحسن اسطول رجار فأمده وارتحل مطرف الى بلاده وأقام الحسن مملكا بالمهدية وانتقض عليه رجار وعاد الى الفتنة معه ولم يزل يردد اليه الغزو الى ان استولى على المهدية قائد اسطوله جرجي بن مناسل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ووصلها باسطوله فى ثلثمائة مركب وخاذلهم بأنهم انما جاؤا امددا له وكان عسكر الحسن قد توجه صريخا لمحرز بن زياد الفادعى صاحب على بن خراسان صاحب تونس فلم يجد صريخا الا عن المهدية ورحل واتبعه الناس ودخل العدو الى المدينة وتملكوها دون دفاع ووجد جرجي القصر كما هو ولم يرفع منه الحسن الا ما خف وترك الذخائر الملوكية فأمن الناس وأبقاهم تحت إيالته ورد الفارين منه الى أماكنهم وبعث اسطولا الى صفاقس فملكها وأخذ الى سوسة فملكها أيضا وأخذ الى طرابلس كذلك واستولى رجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ووضع على أهلها الجزى وولى عليهم كما نذكره الى ان استنقذهم من ملكة الكفر عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة امامهم المهدى ولحق الحسن بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح وكبيرهم محرز بن زياد الفادعى صاحب القلعة فلم يجد لديهم مصرخا وأراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد المجيد فأرصد له جرجي فارتحل الى المغرب وأجاز الى بونة وبها الحارث بن منصور وأخوه العزيز ثم توجه الى قسنطينة وبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية فبعث اليه من أجازه الى الجزائر ونزل على ابن العزيز فأحسن نزله وجاوره الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين بعد تملكهم المغرب والاندلس فخرج الى عبد المؤمن فلقاه تكرمة وقبولا ولحق به وصحبه الى افريقية فى غزاته الاولى ثم الثانية سنة سبع وخمسين فنازل المهدية وحاصرها أشهرا ثم افتتحها سنة خمس وخمسين وأسكن بها الحسن وأقطعه وحيش فأقام هنالك ثمانى سنين ثم استدعاه يوسف بن عبد المؤمن فارتحل بأهله يريد مراكش وهلك بتامسنا من طريقه بابارلو سنة ست وثلاثين والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ورب الخلائق أجمعين

٧ ملك الافرنج المهدية من يده واسترجعها عبد المؤمن وعساكر الموحدين

٨ انتقض على العبيديين فأدخلوا العرب الهلاليين سنة الى افريقية وخربوا القيروان



{ الخبر عن بنى خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على آل باديس عند اضطراب افريقية بالعرب ومبدأ أمرهم ومصاير أحوالهم }

لما تغلب العرب على القيروان وأسلم المعز وتحول الى المهدية اضطرمت افريقية نارا واقتسمت العرب البلاد عمالات وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل أهل سوسة وصفاقس وقابس وصارت صاغية أهل افريقية الى بنى حماد ملوك القلعة كما تقدم وانقطعت تونس عن ملك المعز ووفد مشيختها على الناصر بن علناس فولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان يقال انه من أهل تونس والاظهر انه من قبائل صنهاجة فقام بأمرهم وشاركهم فى أمرهم وتردد اليهم وأحسن السيرة فيهم وصالح

العرب أهل الضاحية على اتاوة معلومة لكف عاديتهم وزحف تميم بالمغرب من المهدية الى سنة ثمان وخمسين فى جموعه ومعه يبقى بن على أمير زغبة فحاصر تونس أربعة أشهر الى أن صالحه ابن خراسان واستقام على طاعته فأفرج عنه ولم يزل قائما بأمره ابنه أحمد ابن عبد العزيز بن عبد الحق فضل عمه اسمعيل بن عبد الحق لمكان رسمه وقرابته أبو بكر الى أن ببزرت فأقام بها خوفا على نفسه ونزع أحمد الى التخلق بسير الملك والخروج عن سيرة المشيخة واشتدت وطأته وكان من مشاهير رؤساء بنى خراسان هؤلاء فاستبد بتونس لاول المائة السادسة وضبطها وبنى اسوارها وعامل العرب على اصلاح سابلتها فصلحت حاله وبنى قصور بنى خراساب وكان مجالسا للعلماء محبا فيهم ونازله على بن يحيى بن العزيز بن تميم سنة عشر وخمسمائة وضيق عليه ودافعه باسعاف غرضه فأفرج عنه ثم نازله عساكر العزيز بن منصور صاحب بجاية فعاد الى طاعته سنة أربعة عشر ولم يزل واليا على تونس الى ان نهض سنة ثنتين وعشرين مطرف بن على بن حمدون قائد يحيى ابن العزيز من بجاية فى العساكر الى افريقية وملك عامة امصارها فتغلب على تونس وأخرج أحمد بن عبد العزيز صاحبها ونقله الى بجاية بأهله وولده وولى على تونس كرامة ابن المنصور عم يحيى بن العزيز فبقى واليا عليها الى ان مات وولى عليها بعده أخوه أبو الفتوح بن المنصور الى ان مات وولى مكانه ابن ابنه محمد وساءت سيرته فعزل وولى مكانه عمه معد بن المنصور الى ان استولى النصارى على المهدية وسواحلها من سوسة وصفاقس وطرابلس سنة ثلاث وأربعين وصارت لصاحب صقلية وأخرج الحسن بن على كما هو مذكور فأخذ أهل تونس فى الاستعداد والحذر واستأسد والذلك على واليهم وانتشر بغاتهم وربما ثاروا بعض الايام عليه فقتلوا عبيده برأى منه واعتدوا عليه فى خاصته فبعث عنه أخوه يحيى من بجاية فركب البحر فى الاسطول وترك نائبه العزيز بن داما من وجوه صنهاجة فأقام بينهم وهم مستبدون عليه وكان بالمعلقة جوارهم محرز ابن زياد أمير بنى على من بطون رياح وقد تغلب عليها وكانت الحرب بينه وبين أهل تونس سجالا والتحم بينهما المصاف وكان محرز يستمد عساكر صاحب المهدية على أهل تونس فتأتيه الى ان غلب النصر على المهدية وحدثت الفتنة بينهم بالبلد فكان المصاف بين أهل باب السويقة وأهل باب الجزيرة وكانوا يرجعون فى أمورهم الى القاضى عبد المنعم ابن الامام أبى الحسن ولما غلب عبد المؤمن على بجاية وقسنطينة وهزم العرب بسطيف ورجع الى مراكش انتهت اليه شكوى الرعايا بافريقية مما نزل بهم من العرب فبعث ابنه عبد الله من بجاية الى افريقية فى عساكر الموحدين فنازل تونس سنة ثنتين وخمسين وامتنعت عليه ودخل معهم محرز بن زياد وقومه من العرب واجتمع جندهم وبرزوا

للموحدين

للموحدين فأوقعوا بهم وأفرجوا عن تونس وهلك أميرها عبد الله بن خراسان خلال ذلك وولى مكانه على بن أحمد بن عبد العزيز خمسة أشهر وزحف عبد المؤمن الى تونس وهو أميرها فانقادوا للطاعة كما نذكره فى أخبار الموحدين ورحل على بن أحمد بن خراسان الى مراكش بأهله وولده وهلك فى طريقه سنة أربع وخمسين وأفرج محرز بن زياد عن المعلقة واجتمعت اليه قومه وبدا من العرب عن مدافعة الموحدين واجتمعوا بالقيروان وبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو منصرف من غزاته الى المغرب فبعث اليهم العساكر وأدركوهم بالقيروان فأوقعوا بهم واستلحموهم قتلا وسبيا وتقبض على محرز ابن زياد أميرهم فقتل وصلب شلوه بالقيروان والله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه وهو على كل شئ قدير

علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان
اسمعيل
أبو بكر بن اسمعيل

{ الخبر عن بنى الرند ملوك قفصة الثائرين بها عند التياث ملك آل باديس بالقيروان واضطرابه بفتنة العرب ومبدأ دولتهم ومصاير أمورهم }

لما تغلب العرب على افريقية وانحل نظام الدولة الصنهاجية وارتحل المعز من القيروان الى المهدية وكان بقفصة عاملا لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند وأصله من حرمة من بنى صدغيان وكان ابن نخيل هو من بنى مرين من مغراوة وكان مسكنهم بالجوامين من نفزاوة فضبط قفصة وقطع عنها عادية الفساد وصالح العرب على الاتاوة فصلحت

السابلة واستقام الحال ثم استبد بأمره وخلع الامتثال من عنقه سنة خمس واربعين واستمر على ذلك وبايعته توزر وقفصة وسوس والحامة ونفزاوة وسائر أعمال قسنطينة فاستفحل أمره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصاد وكان معظما لاهل الدين الى ان هلك سنة خمس وستين وولى من بعده ابنه المعتز وكنيته أبو عمرو وانقاد اليه الناس فضبط الامور وجبى الاموال واصطنع الرجال وتغلب على غوده وجبل هوارة وسائر بلاد قصطيلية وما اليها وحسنت سيرته الى ان عمى وهلك فى حياته ابنه تميم فعهد لابنه يحيى بن تميم وقام بالامر واستبد على جده ولم يزالوا بخير حال الى ان نازلهم عبد المؤمن سنة أربع وخمسين فنعهم من الامر ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة سبع وخمسين لمائة وأربع عشرة من عمره وقيل لسبعين ومات بعده بيسير حافده يحيى بن تميم وولى عبد المؤمن على قفصة نعمان بن عبد الحق الهنتاتى ثم عزله بعبد سلان بعيون ابن أجانا الكنفيسى ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجى وأساء الرعية فبعثوا عن على بن العزيز ابن المعتز من بجاية وكان بها فى مضيعة يحترف بالخياطة فقدم عليهم وثاروا بعمران ابن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا على بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين أخاه السيد أبا زكريا فحاصره وضيق عليه وأخذه وأشخصه الى مراكش بأهله وماله واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى أن هلك وفنيت دولة بنى الرند والبقاء لله وحده اهـ

على
بن
العزيز

يحيى بن تميم بن المعتز أبى عمر بن عبد الله بن محمد الرند

{الخبر عن بنى جامع الهلاليين امراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لتميم بها من الملك والدولة وذلك عند فتنة العرب بافريقية}

ولما دخلت العرب الى افريقية وغلبوا المعز على الضواحى ونازلوه بالقيروان وكان الوالى بقابس المعز بن محمد ولموية الصنهاجى وكان أخوه ابراهيم وماضى بالقيروان قائدين للمعز على جيوشه فعزلهما ولحقا مغاضبين بمؤنس بن يحيى وكان ذلك أول تملك العرب ثم أقام ابراهيم منهم واليا بقابس ولحق المعز بن محمد بمؤنس فكان معه الى ان هلك ابراهيم وولى مكانه أخوه ماضى وكان سيئ السيرة فقتله أهل قابس وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس وبعثوا الى عمر أخى السلطان الى طاعة العرب فوليها بكر بن كامل بن جامع أمير المناقشة من دهمان من بنى على احدى بطون رياح فقام بأمرها واستبد على

صنهاجة ولحق به مثنى بن تميم بن المعز نازعا عن أبيه فأجابه ونازل معه المهدية حتى امتنعت عليه واطلع على قبائح شتى فأفرج عنها ولم يزل كذا على حاله فى اجابة قابس وامارة قومه دهمان الى أن هلك وقام بأمره بعده رافع واستفحل بها ملكه وهو الذى اختط بحر العروسيين من مصانع الملك بها واسمه مكتوب لهذا العهد فى جدرانها ولما ولى على بن يحيى على اسطول النصارى ثم ذوى قبائل العرب والاساطيل وزحف الى قابس سنة احدى عشر وأربعمائة قال ابن أبى الصلت دول الثلاثة الاخماس من قبائل العرب الذين هم سعيد ومحمد ولحسة وأضاف اليهم من الخمس الرابع أكابر بنى مقدم فامن كان منهم بفحص القيروان وفر رافع الى القيروان وامتنع عليه أهلها ثم امتنع شيوخ دهمان واقتسموا البلاد وعينوا القيروان لرافع وأمكنوه وبعث على بن يحيى عساكره والعرب المدونة على منازلة رافع بالقيروان وخرج الى محاربتهم فهلك بالطريق فى بعض حروبه مع أشياع رافع ثم أن ميمون بن زياد الصخرى حمل رافع بن مكن على مسالمة السلطان وسعى فى اصلاح ذات بينهما فانصلح وارتفعت بينهما الفتنة وقام بقابس من ذلك رشيد بن كامل قال ابن نخيل وهو الذى اختط قصر العروسيين وضرب السكة الرشيدية وولى بعده ابنه محمد بن رشيد وغلب عليه مولاه يوسف ثم خرج محمد فى بعض وجوهه وترك ابنه مع يوسف فطرده يوسف واستبد وانتهى الى طاعة رجار فثار به أهل قابس ودفعوه عنهم فخرج الى أخيه ولحق أخوه عيسى بن رشيد وأخبره الخبر فحاصرهم رجار بسبب ذلك مدة من الايام وكان آخر من ملكها من بنى جامع أخوه مدافع بن رشيد بن كامل ولما استولى عبد المؤمن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبد الله بعسكر الى قابس ففر مدافع بن رشيد عن قابس وأسلمها للموحدين ولحق بعرب طرابلس من عرب فأجاروه سنتين ثم لحق بعبد المؤمن بقابس فأكرمه ورضى عنه وانقرض من بنى جامع من يؤنس والبقاء لله وحده اهـ

محمد بن رشيد بن كامل بن جامع بن دهمان بن علي
عيسى - تميم
رافع بن مكن -

{ الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح بطرابلس والعرامي بصفاقس على النصارى واخراجهم واستبدادهم بأمر بلدهم في آخر دولة بني باديس }

أمّا طرابلس فكان رجار صاحب صقلية لعنه الله قد استولى عليها سنة أربعين وخمسمائة على يد قائده جرجي بن ميخائيل الانطاكي وأبقى المسلمين بها واستعمل عليهم وبقيت في مملكة النصارى أياما ثم ان أبا يحيى بن مطروح من أعيان البلد مشى في وجوه الناس وأعيانهم وداخلهم في الفتك بالنصارى فاجتمعوا لذلك وثاروا بهم وأحرقوهم بالنار ولما وصل عبد المؤمن الى المهدية وافتتحها سنة خمس وخمسين وفد عليه أبو يحيى بن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأوسعهم برا وتكرمة وقدم ابن مطروح المذكور وردهم الى بلدهم فلم يزل عليهم الى ان هرم وعجز بعد يوسف بن عبد المؤمن وطلب الحج فسرحه السيد أبو زيد بن أبي حفص محمد بن عبد المؤمن عامل تونس فارتحل في البحر سنة ست وثمانين واستقر بالاسكندرية وأمّا صفاقس فكانت ولاتها أيام بني باديس من صنهاجة قبلهم الى أن ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطي من صنائعه وكان فارسا مقدما فحدث نفسه بالثورة أيام تغلب العرب على افريقية وخروج المعز الى المهدية ففتك به ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي وقتله في الحمام غدرا وامتعض له حلفاؤه من العرب وحاصروا حمو حتى بذل لهم من المال ما رضوا به واستبد حمو بن مليل بأمر صفاقس حتى اذا هلك المعز حدثته نفسه بالتغلب على المهدية فزحف اليها في جموعه من العرب ولقيه تميم فانهزم حمو وأصحابه سنة خمس وخمسين ثم بعث ابنه يحيى مع العرب لحصار صفاقس فحاصرها مدة وأقلع عنها وزحف اليه تميم بن المعز سنة ثلاث

وتسعين فغلبه عليها ولحق حمو لمكن بن كامل أمير قابس فأجاره وصارت صفاقس الى ملكة تميم ووليها ابنه ولما تغلب النصارى على المهدية وملكها جرجي بن ميخائيل قائد رجار سنة ثلاث وأربعين فغلبوا بعدها على صفاقس وأنفوا أهلها واستعملوا عمر بن أبي الحسن الفرياني لمكانه فيهم وحملوا أباه أبا الحسن معهم الى صقلية رهنا وكان ذلك مذهب رجار ودينه فيما ملك من سواحل افريقية يبقيهم ويستعمل عليهم منهم ويذهب الى العدل فيهم فبقي عمر بن أبي الحسن عاملا لهم في أهل بلده وأبوه عندهم ثم ان النصارى الساكنين بصفاقس امتدت أيديهم الى المسلمين ولحقوا بالضرر وبلغ الخبر أبا الحسن وهو بمكانه من صقلية فكتب الى ابنه عمر وأمره بانتهاز الفرصة فيهم والاستسلام الى الله في حق المسلمين فثار بهم عمر لوقته سنة احدى وخمسين وقتلهم وقتل النصارى أباه أبا الحسن وانتقضت عليهم بسبب ذلك سائر السواحل ولما افتتح عبد المؤمن المهدية من يد رجار وصل اليه عمر وأدى طاعته فولاه صفاقس ولم يزل واليا عليها وابنه عبد الرحمن من بعده الى ان تغلب يحيى بن غانية فرغبه في الحج فسرحه ولم يعد

{ الخبر عما كان بافريقية من الثوار على صنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب الى ان محا أثرهم الموحدون }

لما كان أبو رجاء اللخمي عند اضطرام نار الفتنة بالعرب وتقويض المعز عن القيروان الى المهدية وتغلبهم عليها قد ضم اليه جماعة من الدعار وكان ساكنا بقلعة قرسينة من جبل شعيب فكان يضرب على النواحي بجهة بنزرت فويقان احدهما من لخم وهو قوم الورد وبقوا فوضى واختلف أمرهم فبعثوا الى الورد في أن يقوم بأمرهم فوصل الى بلدهم فاجتمعوا عليه وأدخلوه حصن بنزرت وقدموه على أنفسهم فخاطبهم من العرب ودفع عن نواحيهم وكان بنو مقدم من الاثبج ودهمان من بني احدى بطون رياح هم المتغلبون على ضاحيتهم فهادنهم على الاتاوة وكف بها عاديتهم واستفحل أمرهم وتسمى بالامير وشيد المصانع والمباني وكثر عمرانها سدون الى أن هلك فقام بأمره ابنه طراد وكان شهما وكانت العرب تهابه وهلك فولي من بعده ابنه محمد بن طراد وقتله أخوه مقرن لأشهر من ولايته في مسامرة وقام بأمر بنزرت وتسمى بالامير وحمى حوزته من العرب واصطنع الرجال وعظم سلطانه وقصده الشعراء وامتدحوه فوصلهم وهلك فولي من بعده ابنه عبد العزيز عشر سنين وجرى فيها على سنن أبيه وجده ثم ولي من بعده أخوه موسى على سننهم أربع سنين ثم من بعده أخوهما عيسى واقتفى أثرهم ولما نازل عبد الله بن عبد المؤمن تونس وأفرج عنه مر به في طريقه فاستفرغ جهده في قراه وتجمع بطاعته وطلب منه الحافظ على بلده فأسعفه وولى

عليهم أبا الحسن الهونى فلما قدم عبد المؤمن على افريقية سنة أربع وخمسين راعى له ذلك وأقطعه واندرج فى جملة الناس وكان بقلعة ورغة يدوكس بن أبى على الصنهاجى من أولياء العزيز المنصور صاحب بجاية والقلعة قد شادها وحصنها وكان مبدأ أمره ان العزيز تغير عليه فى حروب وقعت بينه وبين العرب نسب فيها الى نفسه الاقدام والى السلطان العجز فخافه على نفسه ولحق بجاية فأكرمه شيخها محمود بن نزال الريغى وآواه وترافع الى محمود أهل ورغة من عمله وكانوا فئتين مختلفتين من زاتيمة احدى قبائل البربر وهما أولاد مدنى وأولاد لاحق فبعث عليهم عدوسكن بن أبى على لينظر فى أحوالهم وأقام معهم بالقلعة ثم استجلب بعض الدعار كانوا بناحيتها وأنزلهم بالقلعة معهم واصطنعهم وظاهر أولاد مدنى وظاهرهم على أولاد لاحق وأخرجهم من القلعة واستبد بها وقصدته الرجال من كل جانب الى ان اجتمعت له خمسمائة فارس وأثخن فى نواحيه وحارب بنى الورد بينزرت وابن علال بطبربة وقتل محمد بن سباع أمير بنى سعيد من رياح وغصت القلعة بالساكن فاتخذ لها ربضا وجهز اليه العزيز عسكره من بجاية فبارز قائد العسكر وفتك به واسمه غملاس وهلك بعد مدة وقام بأمره ابنه منيع ونازله بنوسباع وسعيد طالبين بثار أخيهما محمد وتمادى به الحصار وضاقت أحواله فاقتحموا عليه القلعة واستلحم هو وأهل بيته قتلا وسبيا والله مالك الامور وكان أيضا بطبربة مدافع بن علال القيسى شيخ من شيوخها فلما اضطربت افريقية عند دخول العرب اليها امتنع بطبربة وحصن قلعتها واستبد بها فى جملة من ولده وبنى عمه وجماعته الى أن ثار عليه ابن بيزون اللخمى فى البحرين على واد بجرده بازاء الرياحين وطالت بينهما الفتنة والحرب وكان قهرون بن مخنوس بمنزل دحمون قد بنى حصنه وشيده وجمع اليه جيشا من أوباش القبائل وذلك لما أخرجه أهل تونس بعد ان ولاه العامة عليهم ثم صرفوه عن ولايتهم لسوء سيرته فخرج من البلد ونزل دحمون وبنى حصنا بنفسه مع الحنايا وردد الغارة على تونس وعاث فى جهاتها فرغبوا من محرز بن زياد أن يظاهرهم عليه ففعل وبلغ خبره ابن علال صاحب طبربة فوصل ابن علال يده بصهر منه ونقله الى بعض الحصون ببلده وهى قلعة غنوش وتظافروا على الافساد وخلفهما بنوهما من بعدهما الى أن وصل عبد المؤمن الى افريقية سنة أربع وخمسين فمحا آثار الفساد من جانب افريقية وكان أيضا حماد بن خليفة اللخمى بمنزل رقطون من اقليم زغوان على مثل حال ابن علال وابن غنوش وابن بيزون وخلفه ولده فى مثل ذلك الى ان انقطع ذلك على يد عبد المؤمن وكان عماد بن نصر الله الكلاعى بقلعة شقنبارية قد صار اليه جند من أهل الدعارة وأوباش القبائل فحملها من العرب واستغاث به ابن قاليه شيخ الاربس

من العرب وسوء ملكتهم فزحف اليهم وأخرجهم من الاربس وفرض عليهم مالا يؤدونه اليه الى ان مات وولى ابنه من بعده فجرى على سننه الى ان دخل فى طاعة عبد المؤمن سنة أربع وخمسين وخمسمائة والله مالك الملك لا رب غيره سبحانه اهـ

الخبر عن دولة آل حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعين لخلافة العبيديين وما كان لهم من الملك والسلطان بافريقية والمغرب الاوسط الى حين انقراضه بالموحدين

هذه الدولة شعبة من دولة آل زيرى وكان المنصور بلكين قد عقد لاخيه حماد على أشير والمسيلة وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبى البهار ثم استقل بها سنة سبع وثمانين أيام باديس من أخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين بالمغرب الاوسط من مغراوة وبنى يفرن وشرط له ولاية أشير والمغرب الاوسط وكل بلد يفتحه وأن لا يستقدمه فعظم غناؤه فيها وأثخن فى زناتة وكان مظفرا عليهم واختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال ونقل اليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربهما ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها وتم بناؤها وتمصرها على رأس المائة الرابعة وشيد من بنيانها واسوارها واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت فى العمارة واتسعت فى التمدن ورحل اليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق اسواق المعارف والحرف والصنائع بها ولم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا على الزاب والمغرب الاوسط ومتوليا حروب زناتة وكان نزوله ببلد أشير والقلعة مناغيا لملوك زناتة واجيالهم البادية بضواحى تلمسان وتاهرت وحاربه بنو زيرى عند خروجهم على باديس سنى تسعين وثلثمائة وهم زاوى وماكسن واخوانهما فقتل ماكسن وابناه وألجأ زاوى واخوته الى جبل شنوه وأجازهم البحر الى الاندلس ثم ان بطانة باديس ومن اليه من الاعجام والقرابة نفسوا على حماد رتبته وسعوا فى مكانه من باديس الى ان فسد ذات بينهما وطلب باديس أن يسلم عمل تيجست وقسنطينة لولده المعز لما قلده الحاكم ولاية عهد ابنه فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضى عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديين جملة وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس وأربعمائة وزحف الى باجة فدخلها بالسيف ودس الى أهل تونس الثورة على المشارقة والرافضة فبادوا والهم فناصبه باديس الحرب وعبى عساكره من القيروان وخرج الفيئة فنزع عن حماد أكثر أصحابه مثل بنى أبى والسل أصحاب معرة من زناته وبنى حسن كبار صنهاجة وبنى يطوفت من زناتة وبنى عمرة أيضا منهم وفر حماد وملك باديس

أشير ولحق حماد بشلف بنى واليل وباديس فى اتباعه حتى نزل مواطين فخصر السرسوا
من بلاد زناتة ونزل اليه عطية بن داقلتن فى قومه من بنى توجين لما كان حماد قتل أباه
وجاء على أثره ابن عمه بدر بن لقمان من المعتز فوصلهما باديس واستظهر بهما على حماد
ثم أجاز اليه باديس وادى شلف وناجزه الحرب ونزع اليه عامة أهل معسكره فانهزم
وأغذ السير الى القلعة وباديس فى أثره حتى نزل فحاصر المسيلة وانحجر حماد فى القلعة
وحاصره ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجأة بمضربه وهو نائم بين أصحابه آخر ست
وأربعمائة فبايعت صنهاجة لابنه المعز صبيا ابن ثمان سنين وتلاقوا من أشير وبعثوا
كرامة بن منصور واستدها فلم يقدر واقتحمها عليه حماد واحتملوا باديس على أعواده الى
مدفنهم بالقيروان وبايعوا المعز بالبيعة التامة وزحف الى حماد بناحية قفصة وأشفق
حماد فبعث ابنه القائد لاحكام الصلح بينه وبين المعز فوصل الى القيروان سنة ثمان
وأربعمائة بهدية جليلة وأمضى له المعز ماسأله من الصلح ورجع الى أبيه وهلك حماد
سنة تسعة عشر وأربعمائة فقام بأمره ابنه القائد وكان جبارا فاختار أخوه
يوسف على المغرب ويعلان على حمزة بلد اختطه حمزة بن ادريس وزحف اليه حمامة بن
زيرى بن عطية ملك فاس من مغراوة سنة ثلاثين فخرج اليه القائد وسرب الاموال
فى زناتة وأحس بذلك حمامة فصالحه ودخل فى طاعته ورجع الى فاس وزحف اليه المعز
من القيروان سنة أربع وثلاثين وحاصره مدة طويلة ثم صالحه القائد وانصرف الى
أشير فحاصرها ثم أقلع عنها وانكفأ راجعا وراجع القائد طاعة العبيديين لما نقم
عليه المعز ولقبوه شرف الدولة وهلك سنة ست وأربعين وولى ابنه محسن وكان جبارا
وخرج عليه عمه يوسف ولحق بالمغرب فقتل سائر أولاد حماد وبعث محسن فى طلبه
بلكين ابن عمه محمد بن حماد وأصحبه من العرب خليفة بن بكير وعطية الشريف
وأمرهما بقتل بلكين فى طريقهما فأخبرا بلكين بذلك وتعاهدوا جميعا على قتل
محسن ونذر بهم ففر الى القلعة وأدركوه فقتله بلكين لتسعة أشهر من ولايته وولى
الامر سنة سبع وثلاثين وكان شهما قرما حازما سفاكا للدماء وقتل وزير محسن الذى
تولى قتله وفى أيامه قتل جعفر بن أبى رمانة مقدم بسكرة لما أحس بمكنه خالف أهل
بسكرة باثر ذلك حسبما نذكره ثم مات أخوه مقاتل بن محمد فاتهم به زوجته ناميرت بنت
عمه علناس بن حماد فقتلها وأحفظ ذلك أخاها الناصر وطوى على التبييت وكان بلكين
كثيرا ما يردد الغزو الى المغرب وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة
فنهض نحوهم سنة أربع وخمسين وفر المرابطون الى الصحراء وتوغل بلكين فى ديار
المغرب ونزل بفاس واحتمل من أكابر أهلها وأشرافهم رهنا على الطاعة وانكفأ

راجعا الى القلعة فانتهز منه الناصر ابن عمه الفرصة فى الثار بأخته ومالأه قومه من
صنهاجة لما لحقهم من تكلف المشقة بابعاد الغزو والتوغل فى أرض العدو فقتله
بتسالة سنة أربع وخمسين وقام بالامر من بعده واستوزر أبا بكر بن ابى الفتوح وعقد على
المغرب لاخيه كباب وأنزله بمليانة وعلى حمزة لاخيه ورمان وعلى تعارس لاخيه خزر وكان
المعز قد هدم سورها فأصلحه الناصر وعقد على قسنطينة لاخيه بلباز وعلى الجزائر
وسوس الدجاج لابنه عبد الله وعلى أشير لابنه يوسف وكتب اليه حمو بن مليل
البرغواطى من صفاقس بالطاعة وبعث اليه بالهدية ووفد عليه أهل قسنطينة ومقدمهم
يحيى بن واطاس فأعلنوا بطاعته وأجزل صلتهم وردهم الى أماكنهم وعقد عليها ليوسف
ابن خلوف من صنهاجة ودخل أهل القيروان أيضا فى طاعته وكذلك أهل تونس وكان
أهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن أبى رمانة خلعوا طاعة آل حماد واستبدوا
بأمر بلدهم وعليهم بنو جعفر فسرح الناصر اليهم خلف بن حيدرة وزيره ووزير بلكين
قبله فنازلها وافتتحها عنوة واحتمل بنى جعفر فى جماعة من رؤسائها الى القلعة فقتلهم
الناصر وصلبهم ثم قتل خلف بن أبى حيدرة بسعاية رجالات صنهاجة فيه انه لما بلغه خبر
بلكين أراد تولية أخيه معمر وشاورهم فى ذلك فقتله الناصر وولى مكانه أحمد بن جعفر
ابن أفلح ثم خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب على بن ركان على تافربوست دار
ملكهم وكان لما قتل بلكين هرب الى اخوانه من عجيسة واهتبلوا الغرة فى تافربوست
لغيبة الناصر فطرقوها ليلا وملكها على فرجع الناصر من المسيلة وعاجلهم فسقط
فى أيديهم وافتتحها عليهم عنوة وذبح على بن ركان نفسه بيده ثم وقعت بين العرب
الهلاليين فتن وحروب ووفد عليه رجالات الاثبج صريخا به على رياح فأجابهم ونهض
الى مظاهرتهم فى جموعه من صنهاجة وزناتة حتى نزل للاربس وتواقعوا بسبيبة فغدرت
بهم زناتة وجروا عليه وعلى قومه الهزيمة بدسيسة ابن المعز بن زيرى بن عطية وإغراء تميم
ابن المعز فانهزم الناصر واستباحوا حواشيه ومضاربه وقتل أخوه القاسم وكاتبه ونجا الى
قسنطينة فى اتباعه ثم لحق بالقلعة فى فل وعسكره لم يبلغوا كاس وبعث وزيره ابن أبى
الفتوح للاصلاح فعقد بينهم وبينه صلحا وتممه الناصر ثم وفد عليه رسول تميم وسعى
عنده بالوزير بن أبى الفتوح وانه مائل الى تميم فنكسه وقتله وكان المستنصر بن حزرون
الزناتى خرج فى أيام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر ووصل الى طرابلس فوجد بنى
عدى بها قد أخرجهم الاثبج وزغبة من افريقية كما ذكرناه فرغبهم فى بلاد المغرب وسار
بهم حتى نزل المسيلة ودخلوا أشير وخرج اليه الناصر ففر الى الصحراء ورجع فرجع الى
مكانه من الافساد فراسله الناصر فى الصلح فأسعفه وأقطعه ضواحى الزاب وريغه

وأوعز الى عروس بن هندى رئيس بسكرة لعهده وولى دولته أن يمكر به فوصل المنتصر الى بسكرة وخرج اليه عروس بن هندى وأحد نزله وأشار على حشمه عند انكباب المنتصر وذويه على الطعام فبادروا مكبين لطعنه وفر اتباعه وأخذوا رأسه وبعث به الى الناصر فنصبه ببجاية وصلب شلوه بالقلعة وجعلوه عظة لغيره وقتل كثير من رؤساء زناتة من مغراوة وأبى الفتوح بن حنوش أمير بنى يستجلس وكانت له بلد المهدية والمرية قبيل من بلوين صنهاجة سميت البلد بهم وقتل معنصر بن حماد منهم أيضا وكان بناحية شلف فأجلب على عامل مليانه وقتل شيوخ بنى ورسيفان من مغراوة فكاتهم السلطان لما كان مشتغلا عنهم بشأن العرب فزحفوا الى معنصر وقتلوه وبعثوا برأسه الى الناصر فنصبه مع رأس المنتصر وبعث اليه أهل الزاب أن عمر ومغراوة ظاهروا الاثبج من العرب على بلادهم فبعث ابنه المنصور فى العساكر ونزل وعلان بلد المنتصر بن خزرون وهدمها وبعث سراياه وجيوشه الى بلد وادكلا وولى عليها وقفل بالغنائم والسبى وبلغه عن بنى توجين من زناتة انهم ظاهروا بنى عدى من العرب على الفساد وقطع السبيل وأميرهم اذذاك مناد بن عبد الله فبعث ابنه المنصور اليهم بالعسكر وتقبض على أمير بنى توجين وأخيه زيرى وعمهما الاغلب وحمامة وأحضرهم فوبخهم وقدر عليهم فغلبه فى اجارتهم من أولاد القاسم رؤساء بنى عبد الواد وقتلهم جميعا على الخلاف وفى سنة ستين افتتح جبل بجاية وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم الآن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافا بل هى بين الجيم والكاف وعلى هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهذا العهد أوزاعا فى البربر فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينه وسماها الناصرية وتسمى عند الناس باسم وهى بجاية وبنى بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل اليها الناس وأسقط الخراج عن ساكنيها وانتقل اليها سنة احدى وستين وفى أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم وشفوفه على ملك بنى باديس اخوانهم بالمهدية ولما أصرع منه الدهر بفتنة العرب الهلاليين حتى اضطرب عليهم أمرهم وكثر الثوار عليهم والمنازعون من أهل دولتهم فاعتز آل حماد هؤلاء أيام الناصر هذا وعظم شأن ايامهم فبنى المبانى العجيبة المؤنقة وشيد المدائن العظيمة وردد الغزو الى المغرب وتوغل فيهم ثم هلك سنة احدى وثمانين وقام بالامر من بعده ابنه المنصور بن الناصر ونزل بجاية سنة ثلاث وثمانين وأوطنها بعساكر وخاصة بعراعر منازل الغرب وما كانوا يسومونهم بالقلعة من حصة الخسف وسوء العذاب بوطء ساحتها والعيث فى نواحيها وتخطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم وصعوبة المسالك عليها فى الطريق الى بجاية لمكان الاوعار فاتخذ بجاية هذه معقلا وصيرها دار الملكة وجدد قصورها وشيد

جامعها وكان المنصور هذا جماعة مولعا بالنساء وهو الذى حضر ملك بنى حماد وتأنق فى اختطاط المبانى وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه فى الرياض والبساتين فبنى فى القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر الشأم وفى بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميمون وكان أخوه بلباز على قسنطينة منذ عهد الناصر اليها وهم بالاستبداد لاول ولاية المنصور فسرح اليه أبا يكنى بن محصن بن العابد فى العساكر وعقد له على قسنطينة وبونة فتقبض على بلباز وأشخصه الى القلعة وأقام واليا على قسنطينة سنة سبع وثمانين وبعث أخاه ابن موتة الى تميم بن المعز بالمهدية واستدعاه لولاية بونة فبعث معه ابنه أبا الفتوح بن تميم ونزل بونة مع ويغلان وكاتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى وجمعوا العرب على أمرهم وسرح المنصور فاعتقله بالقلعة ثم نازلت عساكره قسنطينة واضطرب أحوال ابن أبى يكنى فخرج الى قلعة بجبل أوراس وتحصن بها ونزل بقسنطينة صليصل بن الاحمر من رجالات الاثبج وداخل صليصل المنصور فى أن يمكنه من قسنطينة على مال يبذله ففعل واستولى عليها المنصور وأقام أبو يكنى بحصنه من أوراس وردد الغارة على قسنطينة فتوجهت اليه العساكر وحاصروه بقلعته ثم اقتحموها عليه وقتلوه وكان بنو رمانو من زناتة حيا جميعا وقوما أعزة وكانت اليهم رياسة زناتة وكان رئيسهم لعهده ماخوخ وكان بينهم وبين آل حماد صهر فكانت احدى بناتهم زوجة للناصر وكانت أخرى عند المنصور ولما تجددت الفتنة بينه وبين قومهما أغزاهم المنصور بنفسه فى جموع صنهاجة وحشوده وجمع له ماخوخ ولقيه فى زناتة فانهزم المنصور الى بجاية فقتل أخت ماخوخ التى كانت تحته واستحكمت النفرة بين ماخوخ وبينه وصار الى ولاية امراء تلمسان من لمتونة وحرضهم على بلاد صنهاجة فكان ذلك مما دعا المنصور الى النهوض الى تلمسان وذلك أن يوسف بن تاشفين لما ملك المغرب واستفحل به أمره سما الى ملك تلمسان فتغلب عليها أولاد يعلى سنة أربع وسبعين على ما يأتى ذكره وأنزلها محمد بن سعمر المسوفى وصيرها العزا الملك فاصطنع بأمرها ونازل بلاد صنهاجة وثغورهم فزحف اليه المنصور وأخرب ثغوره وحصون ماخوخ وضيق عليه فبعث اليه يوسف بن تاشفين وصالحه وقبض أيدى المرابطين عن بلاد صنهاجة ثم بلاوذ المرابطين الى شأنهم فى بلاده فبعث ابنه الامير عبد الله وجمع به المرابطون فانقبضوا عن بلاده وزحفوا الى مراكش واحتل هو بالمغرب الاوسط فشن الغارة فى بلاد بنى   ومانو   وحاصر الجعبات وفتحوها ثم قراب كذلك وعفا عن أهلها ورجع الى أبيه ثم وقعت الفتنة بينه وبين ماخوخ وقتل أخوه ولحق ابن ماخوخ بتلمسان وظاهره ابن سعمر صاحب تلمسان على أمره واجتلبوا

على الجزائر فنازلوها يومين فاعقبهما محمد بن سعمر صاحب تلمسان وولى يوسف بن تاشفين مكان أخيه تاشفين بن سعمر فنهض الى أشير وافتتحها فقام المنصور فى ركائبه ومعه كافة صنهاجة ومن العرب أحياء الاثبج وزغبة وربيعة وهم العقل من زناتة أمما كثيرة ونهض الى غزو تلمسان سنة ست وسبعين فى نحو عشرين ألفا ولقى اسطقسه وبعث العسكر فى مقدمته وجاء على أثرهم وكان تاشفين قد أفرج من تلمسان وخرج الى تسالة ولقيته عساكر المنصور فهزموه ولجأ الى جبل الصخرة وعاثت عساكر المنصور فى تلمسان فخرجت اليه وأكرم بوصلتها وأفرج عنهم صبيحة يومه وانكفأ راجعا الى حضرته بالقلعة وأثخن بعدها فى زناتة وشردهم بنواحى الزاب والمغرب الاوسط ورجع الى بجاية وأثخن فى نواحيها ودوخت عساكره قبائلها فساروا فى جبالها المنيعة مثل بنى عمران وبنى تازروت والمنصورية والصهريج والناظور وحجر المعرق وقد كان اسلافه يرمون كثيرا عنها فتمتنع عليهم فاستقام أمره واستفحل ملكه وقدم عليه معز الدولة ابن صمادح من المرية فارا أمام المرابطين لما ملكوا الاندلس فنزل على المنصور وأقطعه بداس وأنزله بها وهلك سنة ثمان وتسعين فولى من بعده ابنه باديس فكان شديد البأس عظيم النظر فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لاول ولايته وخرج من القلعة الى بجاية فنكب سهاما عامل بجاية وهلك قبل أن يستكمل سنة وولى من بعده أخوه العزيز وقد كان عزله عن الجزائر وغربه الى حتحل فبعث عنه القائد على بن حمدون فوصل وبايعوه وصالح زناتة وأصهر الى ماخوخ فأنكحه ابنته وطال أمر ملكه وكانت أيامه هدنة وأمنا وكان العلماء يتناظرون فى مجلسه ونازلت أساطيله جربة فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته ونازل تونس وصالحه صاحبها أحمد بن عبد العزيز وأخذ بطاعته وكبس العرب فى أيامه القلعة وهم غارون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها وعظم عيثهم وقاتلتهم الحامية فغلبوهم وأخرجوهم من البلد ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر الى العزيز فبعث ابنه يحيى وقائده على بن حمدون من بجاية فى عسكر وتعبية فوصل الى القلعة وسكن الاحوال وقد أمن العرب واستعتبوا فأعتبوا وانكفأ يحيى راجعا الى بجاية فى عسكره على عهد العزيز وهكذا كان وصول مهدى الموحدين الى بجاية قافلا الى المشرق سنة ثنتى عشرة وغيره المنكر فسعى به عند العزيز وائتمر به فخرج الى بنى وريا كل من صنهاجة كانوا ساكنين بوادى بجاية فأجاروه ونزل عليهم بملالة وأقام بها يدرس العلم وطلبه العزيز فمنعوه وقاتلوا دونه الى أن رحل عنهم الى المغرب وهلك العزيز سنة خمس عشرة وأربعمائة فولى من بعده ابنه يحيى وطالت أيامه مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الايام بقبائل صنهاجة

واستحدث

واستحدث السكة ولم يحدثها أحد من قومه أدبا مع خلفائهم العبيديين وبعث ابن حماد وان سكته فى الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة فى كل وجه فدائرة الوجه الواحد واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون والسطور لا اله الا الله محمد رسول الله يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الامير المنصور ودائرة الوجه الآخر بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفى سطوره الامام أبو عبد الله المقتفى لامر الله أمير المؤمنين العباسى ووصل سنة ثلاث وأربعين الى القلعة لافتقادها ونقل ما بقى بها وانتقض عليه سوزرا بن مروان فجهز اليه الفقيه مطرف بن على بن حمدون فى العساكر فافتتحها عنوة وتقبض على ابن مروان وأوصله اليه فسجنه بالجزائر الى أن هلك فى معتقله وقيل قتله وبعث مطرف بابنه الى تونس فافتتحها ونازل فى وجهته هذه المهدية فامتنعت عليه ورجع الى بجاية وتغلب النصارى على المهدية وقصده الحسن صاحبها فأجازه الى الجزائر وأنزله بها مع أخيه القائد حتى اذا زحف الموحدون الى بجاية وفر القائد من الجزائر وأسلمها قدموا الحسن على أنفسهم ولى عبد المؤمن فأمنهم وأخرج يحيى بن العزيز أخاه سبع للقاء الموحدين فانهزم وملك الموحدون بجاية وركب يحيى البحر الى صقلية يروم الاجازة منها الى بغداد ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه الحارث ونكر عليه سوء صنيعه واخراجه عن البلاد فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتخلى له عن الامر وفى خلال ذلك دخل الموحدون القلعة عنوة ودخل حوشن بن العزيز وابن الدحامس من الاثبج معه وخربت القلعة ثم بايع يحيى لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين ونزل عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له ونقله الى مراكش فسكنها ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين فسكن قصر بنى عشرة الى ان هلك فى سنته وأما الحارث صاحب بونة ففر الى صقلية واستصرخ صاحبها فصارخه على أمره ورجع الى بونة وملكها ثم غلب عليها الموحدون وقتلوه صبرا وانقرض ملك بنى حماد والبقاء لله وحده ولم يبق من قبائل ما كن الا أوزاع بوادى بجاية ينتسبون اليهم وهم لهذا العهد فى عداد الجند ولهم أقطاع بنواحى البلد على العسكرة فى جملة السلطنة مع قواده والله وارث الارض ومن عليها اهـ

يحيى بن العزيز بن المنصور ــــ بن الناصر ــــ بن علناس ــ بن حماد ــــ بن بلكين ــ بن زيري

باديس ــ

عبد الله ــ

ويغلان ــ

خزر ــ

يلباز ــ

محسن بن القايد ــ

يطوفت ــ

المنصور ــ

أبو البهار ــ

الخبر عن ملوك بني حبوس بن ماكسن من بني زيري من صنهاجة من غرناطة من عدوة الاندلس وأولية ذلك ومصايره

لما استبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد بن هاد بولاية افريقية سنة خمس وثمانين ولى عمومته وقرابته ثغور عمله فأنزل حمادا بأشير وأخاه يطوفت تاهرت وزحف زيري بن عطية صاحب فاس من مغراوة بدعوة المؤيد هشام خليفة قرطبة الى عمل صنهاجة في جموع زناتة ونزل تاهرت وسرح باديس عساكره لنظر محمد بن أبي العون فالتقوا على تاهرت وانهزم صنهاجة فزحف باديس بنفسه للقائهم وخالف عليه فلفول ابن سعيد بن خزرون صاحب طبنة ثم أجفل زيري بن عطية امامه ورجع الى المغرب فرجع باديس الى وترك عمومته أولاد زيري بأشير مع حماد وأخيه يطوفت وهم زاوي وحلال وعرم ومعنين وأجمعوا على الخلاف والخروج على باديس سنة سبع وثمانين فأسلموا حمادا برمته واستولوا على جميع ما معه واتصل الخبر بأبي البهار بن زيري وهم مع باديس فخشيه على نفسه ولحق بهم واجتمعوا في الخلاف واشتغل باديس عنهم بحرب فلفول بن يانس مولى الحاكم القادم على طرابلس من قبله وانفسح مجالهم في الفساد والعيث ووصلوا أيديهم بفلفول وعاقدوه ثم رجع أبو البهار عنهم الى باديس فتقبله وصالحه ثم رجعوا الى حماد سنة احدى وتسعين ولقيهم فهزمهم وقتل ماكسن وابنه ولحق زاوي بجبل شنوق من ساحل مليانة وأجاز البحر الى الاندلس في بنيه وبني أخيه وحاشيته ونزل على المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الاموية فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته وأولياء على ما يرومه من قهر الدولة والتغلب على الخلافة ونظمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين أدال بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الاموية وقبائل العرب واستغلظ أمر صنهاجة بالاندلس واستخلق امارتهم وجاوا دولة المنصور بن أبي عامر وولديه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم ولما انقرض أمرهم واضمحلت دولتهم ونشأت الفتنة بالاندلس بين البرابرة وأهلها فكان زاوي ملك تلك الوقائع ومحش حروبها وتمرس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناتة والبربر حتى أثبتوا قدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذي أتوه بيعتهم واعطوه على الطاعة صفقتهم كما ذكرناه في أخبارهم ثم اقتحموا به قرطبة عنوة واصطلموا عامة أهلها وأنزلوا المعرات بذوي الصون منها وبيوتات الستر من خواصها فحدث الناس في ذلك بأخبار وتوصل زاوي عند استباحة قرطبة الى رأس أبيه زيري بن مناد المنصور بجدران قصر قرطبة فأزاله وأصاره الى قومه ليدفن في جدثه ثم كان شأن بني حمود من

العلوية وافترق أمر البرابرة واضطرمت الاندلس نارا وامتلأت جوانبها فتنة وأسرى الرؤساء من البرابرة ورجالات الدولة على النواحي والامصار فملكوها وتحيزت صنهاجة الى ناحية السرة فكانت ضواحيها لهم وحصل عليها استيلاؤهم وزاوى يومئذ عضد البرابرة فنزل غرناطة واتخذها دارا لملكته ومعتصما لقومه ثم وقع في نفسه سوء آثار البربر بالاندلس ايام الفتنة وحذر مغبة افعاله واستعاصت الدولة فاعتزم على الرحلة وآوى الى سلطان قومه بالقيروان سنة عشر واربعمائة بعد مغيبه عشرين سنة وأنزل على المعز بن باديس حافد أخيه بلكين اجل ما كانت دولتهم بأمر افريقية وأترف وأوسع ملكا وأوفر عددا فلقيه المعز بأحسن أحوال البر والتجلة وأنزله أرفع المنازل من الدولة وقدمه على الاعمام والقرابة وأسكنه بقصره وأبرز الحرم للقائه فيقال انه لقيه من ذوات محارمه ألف امرأة لا تحل له واحدة منهن ووارى ابراهيم مع شلوه بجدثه وكان استخلف على عمله ابنه ونافطعن لاهل غرناطة فانتقضوا عليه وبعثوا عن حبوس ابن عمه ماكسن بن زيري مكانه ببعض حصون عمله فبادر اليهم ونزل بغرناطة فانتقضوا عليه وبايعوه واستحدث بها ملكا وكان من أعظم ملوك الطوائف بالاندلس الى أن هلك سنة تسع وعشرين وولى من بعده ابنه باديس بن حبوس ويلقب بالمظفر ولم يزل مقيما الدعوة آل حمود امراء مالقة بعد تخلفهم عن قرطبة سائر أيامه وزحف اليها العامري صاحب المرية سنة تسع وعشرين فلقيه باديس بظاهر غرناطة فهزمه وقتله وطالت أيامه ومد ملوك الطوائف أيديهم جميعا الى مدده فكان ممن استمده محمد بن عبد الله البرزالي لما حاصره اسمعيل بن القاضي بن عباد بعساكر أبيه فأمده باديس بنفسه وقومه وصار الى صريخه مع ابن بقية قائد ادريس بن حمود صاحب المالقة سنة احدى وثلاثين ورجعوا من طريقهم وطمع اسمعيل بن القاضي بن عباد مع صريخه فيهم فاتبعهم ولحق باديس في قومه فاقتتلوا وفر عسكر اسمعيل وأسلموه فقتله صنهاجة وحمل رأسه الى ابن حمود وكان القادر بن ذي النون صاحب طليطلة أيضا يستدفع به وبقومه استطالة ابن عباد واعوانه وباديس هذا هو الذي مصر غرناطة واختط قصبتها وشاد قصورها وشيد حصونها وآثاره في مبانيها ومصانعها باقية لهذا العهد واستولى على مالقة عند انقراض بني حمود سنة تسع وأربعين وأضافها الى عمله وهلك سنة سبع وستين وظهر أمر المرابطين بالمغرب واستفحل ملك يوسف بن تاشفين فولى من بعده حافده عبد الله بن بلكين بن باديس وتغلب المظفر وعقد لاخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها الى أن أجاز يوسف بن تاشفين الى العدوة اجازته المعروفة كما نذكره في أخباره ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فقبض على عبد الله بن بلكين واستصفى

أمواله وذخيرته وألحق به أخاه تميما من مالقة واستصحبهما الى العدوة فأنزل عبد الله وتميما بالسوس الاقصى وأقطع لهما الى ان هلكوا في ايالته ويزعم بنو الماكسن من بيوتات طنجة لهذا العهد انهم من أعقابهم فاضمحل ملك بلكانة من صنهاجة ومن افريقية والاندلس اجمع والبقاء لله وحده اه

عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد

ملوك بني زيري

ملوك غرناطة بعد الفتنة

الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملثمون وما كان لهم بالمغرب من الملك والدولة

هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فأصحروا عن الارياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها واعتاضوا منها بالبان الانعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الامم وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كدالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة فناوكا فزغاوة ثم لمطة اخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم بنو ورتنطق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجة وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكرم وكان دينهم جميعا المجوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للمتونة واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم تلاكاكين وورتكا أوراكن بن ورتنطق جد ابي بكر بن عمر أمير لمتونة في مبتدا دولتهم وطالت أعمارهم فيها الى الثمانين ونحوها ودوخوا تلك البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثيرهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم وملك عليهم بعد تلاكاكين المذكور تبولوثان (قال) ابن أبي زرع أول من ملك الصحراء من لمتونة تبولوثان فدوخ بلاد الصحراء واقتضى مغارم السودان وكان يركب في مائة ألف

نجيب وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائتين وملك بعده يلتان وقام بأمرهم وتوفى سنة سبع وثمانين ومائتين وقام بأمرهم بعده ابنه تميم الى سنة ست وثلثمائة وقتله صنهاجة وافترق أمرهم اهـ كلام ابن أبى زرع وقال غيره كان من أشهرهم تيزا وابن وانشق بن بيزا وقيل يرويان ابن واستولى ابن يزار ملك الصحراء بأسرها على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المنتصر فى المائة الرابعة وفى عهد عبيد الله وابنه أبى القاسم من خلفاء الشيعة كان يركب فى مائة ألف نجيب وعمله مسيرة شهرين فى مثلها ودان له عشرون ملكا من ملوك السودان يعطونه الجزى وملك من بعده بنوه ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا قال ابن أبى زرع افترق أمرهم بعد تميم بن يلتان مائة وعشرون سنة الى أن قام فيهم أبو عبد الله بن تيفاوت المعروف بناشرت اللمتونى فاجتمعوا عليه وأحبوه وكان من أهل الدين والصلاح وحج وهلك لثلاثة أعوام من رياسته فى بعض غزواته وقام بأمرهم صهره يحيى بن ابراهيم الكندالى وبعده يحيى بن عمر بن تلاكاكين اهـ كلامه وكان لهذه الطبقة ملك ضخم بالمغرب والاندلس أولا وبافريقية بعده فنذكره الآن على نسقه

الخبر عن دولة المرابطين من لمتونة وما كان لهم بالعدوتين من الملك وأوليه ذلك ومصايره

كان هؤلاء الملثمون فى صحاريهم كما قلناه وكانوا على دين المجوسية الى أن ظهر فيهم الاسلام لعهد المائة الثالثة كما ذكرناه وجاهدوا جيرانهم من السودان عليه فدانوا لهم واستوسق لهم الملك ثم افترقوا وكانت رياسة كل بطن منهم فى بيت مخصوص فكانت رياسة لمتونة فى بنى ورتانطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالت بن أميت بن رتمال بن تلميت وهو لمتونة ولما أفضت الرياسة الى يحيى بن ابراهيم الكندالى وكان له صهر فى بنى ورتانطق هؤلاء وتظاهروا على امرهم وخرج يحيى بن ابراهيم لقضائه فرضه فى رؤساء من قومه فى سنى أربعين وأربعمائة فلقوا فى منصرفهم بالقيروان شيخ المذاهب المالكى أبو عمران الفاسى واغتنموا ما سمعوا به من عهده وما شافههم به من فروض أعيانهم من فتاويه ورياسة الامير يحيى ويصحبهم من تلميذه من يرجعون اليه فى نوازلهم وقضايا دينهم فندب تلميذه الى ذلك حرصا على ايصال الخير اليهم لما رأى من رغبتهم فيه فاستوعروا مسغبة بلادهم وكتب لهم الفقيه أبو عمران الى الفقيه محمد وكاك ابن زلو اللمطى بسجلماسة من الآخذين عنه وعهد اليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ويروض نفسه على مسغبة أرضهم فى معاشه فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن مك الجزولى ووصل معهم يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين ثم هلك يحيى بن ابراهيم وافترق

أمرهم واطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا علمه وتركوا الاخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف فأعرض عنهم وترهب وتنسك معه يحيى بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة وأخذه أبو بكر فنبذوا عن الناس فى ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضحضاحا فى المصيف وغمرا فى الشتاء فتعود جزرا منقطعة فدخلوا فى غياضها منفردين للعبادة وتسامع بهم من فى قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا اليهم ودخلوا فى دينهم وغيضتهم ولما كمل معهم ألف من الرجالات قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين ان ألفا لن تغلب من قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكدالة ومسوفة حتى أنابوا الى الحق واستقاموا على الطريقة وأذن لهم فى أخذ الصدقات من أموال المسلمين وسماهم بالمرابطين وجعل أمرهم فى الحرب الى الامير يحيى بن عمر فتخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد درعة وسجلماسة فأعطوهم صدقاتهم وانقلبوا ثم كتب اليهم وكاك اللمطى بما نال المسلمين فيما اليه من العسف والجور من بنى وانودين امراء سجلماسة من مغراوة وحرضهم على تغيير أمرهم فخرجوا من الصحراء سنة خمس وأربعين وأربعمائة فى عدد ضخم ركبانا على المهارى أكثرهم وعمدوا الى درعة لابل كانت هنالك بالحمى وكانت تناهز خمسين ألفا ونحوها ونهض اليهم مسعود بن وانودين أمير مغراوة وصاحب سجلماسة ودرعة لمدافعتهم عنها وعن بلاده فتواقعوا وانهزم ابن وانودين وقتل واستلحم عسكره مع اموالهم واستلحمهم ودوابهم وابل الحمى التى كانت ببلد درعة وقصدوا سجلماسة فدخلوها غلابا وقتلوا من كان بها من أهل مغراوة وأصلحوا من أحوالها وغيروا المنكرات وأسقطوا المغارم والمكوس واقتضوا الصدقات واستعملوا عليها منهم وعادوا الى صحرائهم فهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وقدم مكانه أخاه أبا بكر وندب المرابطين الى فتح المغرب فغزا بلاد السوس سنة ثمان وأربعين وافتتح ماسة وتارودانت سنة تسع وأربعين وفر أميرها لقوط بن يوسف بن على المغراوى الى تادلا واستضاف الى بنى يفرن ملوكها وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوى صاحب اغمات وتزوج امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية وكانت مشهورة بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن على بن عبد الرحمن بن وطاس وكان شيخا على وريكة وهى زوجة هيلانة فى دولة امغارن فى بلاد المصامدة وهم الشيوخ وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا اغمات فتزوج لقوط زينب هذه ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر كما ذكرنا ثم دعا المرابطين الى جهاد برغواطة بعضها سنة خمسين وقدم المرابطين بعده سليمان ابن حرو اليرجعوا اليه فى قضايا دينهم واستمر أبو بكر بن عمر فى امارة قومه على جهادهم

ثم استأصل شأفتهم ومحا أثر دعوتهم من المغرب وهلك فى جهادهم سليمان بن عدو سنة
احدى وخمسين لسنة من وفاة عبد الله بن ياسين ثم نازل أبو بكر مدينة لواتة وافتتحها
عنوة وقتل من كان بها من زناتة سنة ثنتين وخمسين وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد
ماوقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء حيث أصل أعياصهم ووشايج
أعراقهم ومنبع عددهم فخشى افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة وتلافى أمره بالرحلة
وأكد ذلك وزحف بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة الى المغرب سنة ثلاث
وخمسين لقتالهم فارتحل أبو بكر الى الصحراء واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن
تاشفين ونزل له عن زوجه زينب بنت اسحق ولحق بقومه ورفع ما كان بينهم من حرق
الفتنة وفتح بابا من جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين رحلة من بلادهم وأقام
يوسف بن تاشفين باطراف المغرب ونزل بلكين صاحب القلعة فاس وأخذ رهنها على
الطاعة وانكفأ راجعا فحينئذ سار يوسف بن تاشفين فى عسكره من المرابطين ودوّخ
أقطار المغرب ثم رجع أبو بكر الى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبد عليه وأشارت
عليه زينب أن يريه الاستبداد فى أحواله وأن يعد له متاع الصحراء وماعونها ففطن
لذلك الامير أبو بكر وتجافى عن المنازعة وسلم له الامر ورجع الى أرضه فهلك لمرجعه
سنة ثمانين وأربعمائة واختط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين ونزلها
بالخيام وأدار سورها على مسجد وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه وكمل
تشييدها وأسوارها على ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسمائة وجعل يوسف مدينة
مراكش لنزله لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم بها فى جبل درن
فلم يكن فى قبائل المغرب أشد منهم ولا أكثر جمعا ثم صرف عزمه الى مطالبة مغراوة
وبنى يفرن وقبائل زناتة بالمغرب وجذب الحبل من أيديهم وكشف ما نزل بالرعايا من
جورهم وعسفهم فقد كانوا من ذلك على ألم (حدث المؤرخون فى أخبار مدينة فاس
ودولتهم فيها بكثير منه) فنازل أولا قلعة فازاز وبها مهدى بن توالى من بنى يحفش
قال صاحب نظم الجواهر وهم بطن من زناتة وكان أبو توالى صاحب تلك القلعة
ووليها هو من بعده فنازله يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدى بن يوسف
الكزنامى صاحب مكناسة بما كان عدو المعنصر المغراوى صاحب فاس فزحف
فى عساكر المرابطين الى فاس وجمع اليه معنصر ففض جموعه وارتحل يوسف الى فاس
وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون المحيطة بها وأقام عليها أياما قلائل وظفر
بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله ثم نهض الى مغراوة فافتتحها وقتل من كان بها من أولاد
وانودين المغراوى ورجع الى فاس فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين ثم رجع الى

غمارة

غمارة ونازلهم وفتح كثيرا من بلادهم وأشرف على طنجة وبها سكوت البرغواطى
الحاجب صاحب سبتة وبقية الامراء من موالى الحمودية وأهل دعوتها ثم رجع الى
منازلة قلعة فازاز وخالفه معنصر الى فاس فاستولى عليها وقتل عاملها واستدعى يوسف
ابن تاشفين مهدى بن يوسف صاحب مكناسة ليستجيش به على فاس فاستعرضه معنصر
فى طريقه قبل أن تتصل بأيديهما وناجزه الحرب ففض جموعه وقتله وبعث برأسه الى
وليه ومساهمه فى شدته الحاجب سكوت البرغواطى واستصرخ أهل مكناسة بالامير
يوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة الى حصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق
عنها وألحوا بالقتال عليها فمسهم الجهد وبرز معنصر الى مناجزة عدوه لاحدى الراحتين
فكانت الدائرة عليه وهلك واجتمع زناتة من بعده على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن
من ولد موسى بن أبى العافية كانوا ملوكا بتازا وتسول فزحفوا الى عساكر
المرابطين والتقوا بوادى سبير فكان الظهور لزناتة واستلحم كثير من المرابطين واتصل
خبرهم بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة مهدى بلاد فازاز فارتحل سنة ست
وخمسين ونزل عليها عسكر من المرابطين وصار يتنقل فى بلاد المغرب فافتتح بنى مراسن
ثم فندلاوة ثم بلاد دورغة سنة ثمان وخمسين ثم افتتح بلاد غمارة سنة ستين وفى سنة ثنتين
وستين نازل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة
وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة حتى أعوزت مدافنهم فرادى فاتخذت لهم الاخاديد
وقبروا جماعات منهم وخلص من نجا منهم من القتل الى بلاد تلمسان وأمر بهدم الاسوار
التى كانت فاصلة بين القرويين والاندلسيين من عدوتيها وصيرها مصرا واحدا وأدار
عليها الاسوار وحمل أهلها على الاستكثار من المساجد ورتب بناءها وارتحل سنة
ثلاث وستين الى وادى ملوية فافتتح بلادها وحصون وطاط من نواحيها ثم نهض سنة
خمس وستين الى مدينة الدمنة فافتتحها عنوة ثم افتتح حصن علودان من حصون غمارة
ثم نهض سنة سبع وستين الى جبال غياثة وبنى مكود من أحواز تازا فافتتحها ودوخها
ثم اقتسم المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه ثم استدعاه المعتمد بن عباد الى
الجهاد فاعتذر له بمكان الحاجب سكوت البرغواطى وقومه من أولياء الدولة الحمودية
بسبتة فأعاد اليه ابن عباد الرسل بالمشايعة اليهم فجهز اليهم قائده صالح بن عمران
فى عساكر لمتونة فلقيه سكوت الحاجب بظاهر طنجة فى قومه ومعه ابنه ضياء الدولة
فانكشف وقتل الحاجب سكوت ولحق ابنه العزيز ضياء الدولة وكتب صالح بن عمران
بالفتح الى يوسف بن تاشفين ثم أغزى الامير يوسف بن تاشفين الى المغرب الاوسط سنة
ثنتين وسبعين قائده مزدلى بن تيلكان بن محمد بن وركوت من عشيرة فى عساكر لمتونة

لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان وبها يومئذ الامير العباس بن يحيى من ولد يعلى بن محمد ابن الخير بن محمد بن خزر فدوخوا المغرب الاوسط وصاروا فى بلاد زناتة وظفروا بيعلى ابن الامير العباسى فقتلوه وانكفؤا راجعين من غزاتهم ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث بعدها الى الريف وافتتح كرسف ومليلة وسائر بلاد الريف برقاس ثم افتتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل العباس بن يحيى أمير تلمسان وأنزل محمد ابن تيغمر المسوفى بها فى عساكر المرابطين فصارت ثغر الملكة ونزل بعساكره واختط بها مدينة تاكرارت بمكان محلته وهو اسم المحلة بلسان البربر ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب قافلا لمراكش سنة خمس وسبعين ولم يزل محمد بن تيغمر واليا بتلمسان الى أن هلك وولى بعده اخوه تاشفين ثم ان الطاغية تكالب على بلاد المسلمين وراء البحر وانتهز الفرصة فيها بما كان من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليطلة وبها القادر بن يحيى بن ذى النون حتى نالهم الجهد وتسلمها منه صلحا سنة ثمان وسبعين على أن يملكه بلنسية فبعث معه عسكرا من النصرانية فدخل بلنسية وتملكها على حين مهلك صاحبها أبى بكر بن العزيز بين يدى حصار طليطلة وسار الطاغية فى بلاد الاندلس حتى وقف بفرضة المجاز من صريف وأعيا أمره أهل الاندلس واقتضى منهم الجزية فأعطوها ثم نازل سرقسطة وضيق على ابن هود بها وطال مقامه واستماله الى تملكها فخاطب المعتمد بن عباد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مستنجزا وعده فى صريخ الاسلام بالعدوة وجهاد الطاغية وكاتبه أهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة فاهتز للجهاد وبعث ابنه المعز فى عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها برا وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرا فاقتحموها عنوة فى ربيع الآخر سنة ست وسبعين وتقبض على ضياء الدولة وقيد الى المغرب فقتله صبرا وكتب الى أبيه بالفتح ثم أجاز ابن عباد البحر فى جماعته الى المرابطين ولقيه بفاس مستنفرا للجهاد وأنزل له ابنه الراضى عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطا لجهاده فأجاز البحر فى عساكر المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة سنة تسع وثمانين واربعمائة ولقيه المعتمد بن عباد وابن الافطس صاحب بطليوس وجمع ابن أدفونش ملك الجلالقة أمم النصرانية لقتاله والتقى المرابطين بالزلاقة من نواحى بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراكش وخلف عسكرا بالاشبيلية لنظر محمد ومجون بن سيمون بن محمد بن وركوت من عشيرة ويعرف أبوه بالحاج وكان محمد من بطانته وأعاظم قواده تكالب الطاغية على شرق الاندلس فلم يغن فيه أمراء الطوائف شيئا فزحف اليه من سبتة ابن الحاج قائد يوسف بن تاشفين

فى

فى عساكر المرابطين فهزموا جميع النصارى هزيمة شنيعة وخلع ابن رشيق صاحب مرسية وتمادى الى دانية ففر على بن مجاهد أمامه الى بجاية ونزل على الناصر بن علناس فأكرمه ووصل ابن جحاف قاضى بلنسية الى محمد بن الحاج مغريا بالقادر بن ذى النون فأنفذ معه عسكرا وملك بلنسية وقتل ابن ذى النون وذلك سنة خمس وثمانين وانتهى الخبر الى الطاغية فنازل بلنسية واتصل حصاره اياها الى أن ملكها سنة خمس وثمانين ثم استخلصتها عساكر المرابطين وولى عليها يوسف بن تاشفين الامير مزدلى واجاز يوسف ابن تاشفين ثانية سنة ست وثمانين وتثاقل امراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من نكيره عليهم لما يسومون به عليهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم وعهد برفع المكوس وتحرى المعدلة فلما أجاز انقبضوا عنه الا ابن عباد فانه بادر الى لقائه وأغراه بالكثير منهم فتقبض على ابن رشيق فأمكن ابن عباد منه العداوة التى بينهما وبعث جيشا الى المرية ففر عنها ابن صمادح ونزل على المنصور بن الناصر ببجاية وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكره ومحلاته ففسد نظره وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل الشرق الاعلام مثل الغزالى والطرطوشى فعهد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس وأخاه تميما من مالقة بعد ان كان منهما مداخلة الطاغية فى عداوة يوسف بن تاشفين وبعث بهما الى المغرب فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعايات بينهما ونهض يوسف بن تاشفين الى سبتة فاستقر بها وعقد للامير سير بن أبى بكر بن محمد وركوت على الاندلس وأجازه فقدم عليها وقعد ابن عباد عن تلقيه ومبرته فأحفظه ذلك وطالبه بالطاعة للامير يوسف والنزول عن الامر ففسد ذات بينهما وغلبه على جميع عمله واستنزل أولاد المأمون من قرطبة ويزيد الراضى من رندة وقرمونة واستولى على جميعهما وقتلهم وصمد الى اشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه واستنجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يغن عنه شيئا وكان دفاع لمتونة مما فت فى عضده واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنوة سنة أربع وثمانين وتقبض على المعتمد وقاده أسيرا الى مراكش فلم يزل فى اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك فى محبسه بأغمات سنة سبعين وأربعمائة ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وان يملكوه مدينة بطليوس ثم اجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين وزحف اليه الطاغية فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج فانهزم النصارى امامه وكان الظهور للمسلمين ثم أجاز الامير يحيى بن أبى بكر بن يوسف

ابن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج سير بن أبى بكر واقتحموا عامة الاندلس من أيدى ملوك الطوائف ولم يبق منها الا سرقسطة فى يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى وغزا الامير مزدلى صاحب بلنسية الى بلد برشلونة فأثخن بها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع وانتظمت بلاد الاندلس فى ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كان لم يكن واستولى على العدوتين واتصلت هزائم المرابطين مرارا وتسمى بأمير المسلمين وخاطب المستنصر العباسى الخليفة لعهده ببغداد وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العربى المعافرى الاشبيلى وولده القاضى أبا بكر فتلطفا فى القول وأحسنا فى الابلاغ وطلبا من الخليفة أن يعقد له على المغرب والاندلس فعقد له وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك منقولا فى أيدى الناس وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والاقاليم وخاطبه الامام الغزالى والقاضى أبو بكر الطرطوشى يحضانه على العدل والتمسك بالخير ويفتيانه فى شأن ملوك الطوائف بحكم الله ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وقد كان ماقدمناه فى أخبار بنى حماد من زحف المنصور بن الناصر الى تلمسان سنة سبع وتسعين للفتنة التى وقعت بينه وبين تاشفين بن تينعمر وافتتاحه أكثر بلادهم فصالحه يوسف بن تاشفين واسترضاه بعدول تاشفين عن تلمسان سنة سبع وتسعين وبعث اليهما مزدلى من بلنسية وولى بلنسية عوضا منه أبا محمد بن فاطمة وكثرت غزواته فى بلاد النصرانية وهلك يوسف على رأس المائة الخامسة وقام بالامر من بعده ابنه على بن يوسف فكان خير ملك وكانت ايامه صدرا منها وادعة ودولته على الكفر وصلة وظهورا وعزة وأجاز الى العدوة فأثخن فى بلاد العدو قتلا وسبيا وولى على الاندلس الامير تميم بن وجمع الطاغية للامير تميم فهزمه تميم ثم أجاز على بن يوسف سنة ثلاث ونازل طليطلة وأثخن فى بلاد النصارى ورجع وعلى اثر ذلك قصد ابن ردمير سرقسطة وخرج ابن هود للقائه فانهزم المسلمون ومات ابن هود شهيدا وحاصر ابن ردمير البلد حتى نزلوا على حكمه ثم كان سنة تسع شأن برقة وتغلب أهل جنوة عليها وأخلوها ثم رجع العمران اليها على يد مرتانا قرطست من قواد المرابطين كما مر فى ذكرها عند ذكر الطوائف ثم استمرت حال على بن يوسف فى ملكه وعظم شأنه وعقد لولده تاشفين على غرب الاندلس سنة ست وعشرين وانزله قرطبة واشبيلية وأجاز معه الزبير بن عمر وحشد قومه وعقد لابى بكر ابن ابراهيم المسوفى على شرق الاندلس وأنزله بلنسية وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم أبى بكر بن ماجه الحكيم المعروف بابن الصائغ وعقد لابن غانية المسوفى على الجزائر الشرقية دانية وميورقة واستقامت أيامه ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور

وفاة يوسف

الامام

الامام المهدى صاحب دعوة الموحدين فقيها منتحلا للعلم والفتيا والتدريس آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر متعرضا بذلك للمكروه فى نفسه ونالته بجاية وتلمسان وكناسة اذايات من الفسقة ومن الظالمين وأحضره الامير على بن يوسف للمناظرة ففلج على خصومه من الفقهاء بمجلسه ولحق بقومه هرغة من المصامدة واستدرك على بن يوسف رأيه فتفقده وطالب هرغة بأحضاره فأبوا عليه فسرد اليهم البعث فأوقعوا به وتقاسم معهم هنتانة وتينملل على اجارته والوفاء بما عاهدهم عليه من القيام بالحق والدعاء اليه حسبما نذكر ذلك كله بعد دولتهم وهلك المهدى فى سنة أربع وعشرين وقام بأمرهم عبد المؤمن بن على الكومى كبير أصحابه بعهده اليه وانتظمت كلمة المصامدة وأغزوا مراكش مرارا وفشل ريح لمتونة بالعدوة الاندلسية وظهر أمر الموحدين وفشت كلمتهم فى برابرة المغرب وهلك على بن يوسف سنة سبع وثلاثين وقام بالامر من بعده ولده تاشفين وولى عهده وأخذ بطاعته وبيعته أهل العدوتين كما كانوا على حين استغلظ أمر الموحدين واستفحل شأنهم وألحوا فى طلبه وغزا عبد المؤمن غزوته الكبرى الى جبال المغرب ونهض تاشفين بعساكره بالبسائط الى أن نزل تلمسان ونازله عبد المؤمن والموحدون بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطرى المطل عليها ووصله هنالك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية مع قائده طاهر بن كباب وشرهوا الى مدافعة الموحدين فغلبوهم وهلك طاهر واستلحم الصنهاجيون وفر تاشفين الى وهران فى موادعة لب بن ميمون قائد البحر بأساطيله واتبعه الموحدون واقتحموا عليه البلد فهلك يقال سنة احدى وأربعين واستولى الموحدون على المغرب الاوسط واستلحموا لمتونة ثم بويع بمراكش ابنه ابراهيم وألفوه مضعفا عاجزا فخلع وبويع عمه اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين وعلى هيئة ذلك وصل الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب عليه فخرج اليهم فى خاصته فقتلهم الموحدون واجاز عبد المؤمن والموحدون الى الاندلس سنة احدى وخمسين وملكوا واستلحموا أمراء لمتونة وكافتهم وفروا فى كل وجه ولحق فلهم بالجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة الى أن جددوا من بعده للملك بناحية افريقية والله غالب على أمره

{ الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين وما كان له من الملك والسلطان بناحية قابس وطرابلس واجلابه على الموحدين ومظاهرة قراقش الغزى له على أمره وأولية ذلك ومصايره }

كان أمر المرابطين من أوله فى كدالة من قبائل الملثمين حتى هلك يحيى بن ابراهيم

فاختلفوا على عبد الله بن ياسين امامهم وتحول عنهم الى لمتونة وأقصر عن دعوته وتنسك وترهب كما قلناه حتى اذا أجاب داعية يحيى بن عمر وأبى بكر بن عمر من بنى ورتانطو بيت رياسة لمتونة واتبعهم الكثير من قومهم وجاهد واهعه سائر قبائل الملثمين وكان مسوفة قد دخل فى دعوة المرابطين كثير منهم فكان لهم بذلك فى تلك الدولة حظ من الرياسة والظهور وكان يحيى المسوفى من رجالاتهم وشجعانهم وكان مقدما عند يوسف بن تاشفين لمكانه فى قومه واتفق أنه قتل بعض رجالات لمتونة فى ملاحاة وقعت بينهما فتشاور الحيان وفر هو الى الصحراء ففدى يوسف بن تاشفين القتيل وداه واسترجع علياً من مقره لسنين من مغيبه وأنكحه امرأة من أهل بيته تسمى غانية بعهد ابيها اليه فى ذلك فولدت منه محمدا ويحيى تحت ابن تاشفين وحجر كفالته ورعى لهما على بن يوسف ذمام هذه الامور وعقد ليحيى على غرب الاندلس وأنزله قرطبة وعقد لمحمد على الجزاير الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة سنة عشرين وخمسمائة وانقرض بعد ذلك أمر المرابطين وتقدم وفد الاندلس الى عبد المؤمن وبعث معهم أبا اسحق براق بن محمد المصمودى من رجالات الموحدين وعقد له على حرب لمتونة كما يذكر فى أخبارهم فملك اشبيلية واقتضى طاعة يحيى بن على بن غانية واستنزله عن قرطبة الى جيان والقلعة فسار منها الى غرناطة يستنزل من بها من لمتونة ويحملهم على طاعة الموحدين فهلك هنالك سنة ثلاث وأربعين ودفن بقصر باديس وأما محمد بن على فلم يزل واليا الى أن هلك وقام بأمره بعده ابنه عبد الله ثم هلك وقام بالامر أخوه اسحق بن محمد بن على وقيل ان اسحق ولى بعد ابنه محمد وأنه قتله غيرة من أخيه عبد الله لمكان أبيه منه فقتلهما معا واستبد بأمره الى أن هلك سنة ثمانين وخمسمائة وخلف ثمانية من الولد وهم محمد وعلى ويحيى وعبد الله والغانى وسير والمنصور وجبارة فقام بالامر ابنه محمد ولما أجاز يوسف بن عبد المؤمن بن على الى ابن الربرتير لاختبار طاعتهم وأحسن وصوله نكر ذلك اخوته وتقبضوا عليه واعتقلوه وقام بالامر أخوه على بن محمد بن على وتلوموا فى رد ابن الربرتير الى مرسله وحالوا بينه وبين الاسطول حين بلغهم أن الخليفة يوسف القسرى استشهد فى الجهاد باركش من العدوة وقام بالامر ابنه يعقوب واعتقلوا ابن الربرتير وركبوا البحر فى ثنتين وثلاثين قطعة من أساطيلهم وأسطوله وركب معه اخوته يحيى وعبد الله والغانى وولى على ميورقة عمه أبا الزبير وأقلعوا الى بجاية فطرقوها على حين غفلة من أهلها وعليها السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان بايميلول من خارجها فى بعض مذاهبه فلم تمانعه أهل البلد واستولوا عليها فى صفر سنة احدى وثمانين واعتقلوا بها السيد أبا موسى بن عبد المؤمن كان قافلا من افريقية يؤم المغرب

واستجروا ما كان بدار السادة والموحدين وكان ولى القلعة قاصدا مراكش وهو يستخبر خبر بجاية فرجع وظاهر السيد ابا الربيع وزحف اليهما على بن غانية فهزمهما واستولى على أموالهما وأسربا ولحقا بتلمسان فنزلا بها على السيد أبى الحسن بن أبى حفص بن عبد المؤمن وأخذ فى تحصين تلمسان ورم اسوارها وأقاما عند السيد بر ومان الكرة من صاحب تلمسان وغار على بن محمد بن غانية فى الاموال وفرقها فى ذؤبان العرب ومن انضاف اليهم ورحل الى الجزائر فافتتحها وولى عليها يحيى بن أبى طلحة ثم افتتح مازونة وانتهى الى مليانة فافتتحها وولى عليها بدر بن عائشة ثم نهض الى القلعة فحاصرها ثلاثا ودخلها عنوة وكانت له فى المغرب خطة مشهورة ثم قصد قسنطينة فامتنعت عليه واجتمعت اليه وفود العرب فاستجدهم وجاؤا باحلافهم ولما اتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو سرح العساكر فى البر لنظر السيد أبى زيد بن أبى حفص بن عبد المؤمن وعقد له على المغرب الاوسط وبعث الاساطيل الى البحر وقائدها أحمد الصقلى وعقد عليهم لابى محمد بن ابراهيم بن جامع وزحفت العساكر من كل جهة فثار أهل الجزائر على يحيى بن أبى طلحة ومن معه وأمكنوا منهم السيد أبا زيد فقتلهم على شلف وعفا عن يحيى لنجدة عمه طلحة وكان بدر بن عائشة اسرى من مليانة واتبعه الجيش فلحقوه أمام العدو فتقبضوا عليه بعد قتال مع البرابرة حين أرادوا اجارته وقادوه الى السيد أبى زيد فقتله وسبق الاسطول الى بجاية فثار بيحيى بن غانية وفر الى أخيه على لمكانه من حصار قسنطينة بعد ان كان أخذ بخنقها ونزل السيد أبو زيد بعساكره تكلات من ظاهر بجاية وأطلق السيد أبا موسى من معتقله ثم رحل فى طلب العدو فأفرج عن قسنطينة بعد ان كان أخذ ومضى شديدا فى الصحراء والموحدون فى اتباعه حتى انتهوا الى مغرة ونغاوس ثم نقلوا الى بجاية واستقر السيد أبا زيد بها وقصد على بن غانية فى قفصة فملكها ونازل توزر وقسطيلة فامتنعت وارتحل الى طرابلس وفيها قراقش الغزى المظفرى وكان من خبره على مانقل أبو محمد التيجانى فى كتاب رحلته ان صلاح الدين صاحب مصر بعث تقى الدين ابن أخيه شاه الى المغرب لافتتاح ما أمكنه من مدينة تكون له معقلا يتحصن فيه من مطالبة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم الذى كان صلاح الدين عمه من وزرائه واستعجلوا النصر فخشوا عاديته ثم رجع تقى الدين من طريقه لامر عرض له بعد قراقش الارمنى بطائفة من جنوده وفر ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظم لسيده الملك المعظم صاحب الدولة ابن أيوب أخى صلاح الدين فأما قراقش فلحق بشنترية وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين وخطب فيها لصلاح الدين ولاستاذه تقى الدين وكتب لهما بفتح زويلة وغلبه ذى خطاب الهوارى

على فلك فزار وكانت ملكا لعمه محمد بن الخطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنعل بن
خطاب وهو آخر ملوكهم وكانت قاعدة ملكه زويلة وتعرف زويلة ابن خطاب
فتقبض عليه وغلبه على المال حتى هلك ولم يزل يفتح البلاد الى أن وصل طرابلس
واجتمع عليه عرب ذباب بن سليم ونهض بهم الى جبل نفوسة فملكه واستخلص أموال
العرب واتصل به مسعود بن زمام شيخ الزواودة من رياح عند مفره من المغرب كما ذكرناه
واجتمعت أيديهم على طرابلس وافتتحها واجتمع اليه ذؤبان العرب من هلال وسليم
وفرض لهم العطاء واستبد بملك طرابلس وما وراءها وكان قراقش من الارمن وكان
يقال له المعظمى والناصرى لانه يخطب للناصر صلاح الدين وكان يكتب فى ظهائره ولى
امير المؤمنين بسكون الميم ويكتب علامة الظهيرة بخطه وثقت بالله وحده أسفل
الكتاب وأما ابراهيم بن قراقش صاحبه فانه سار مع العرب الى قفصة فملك جميع منازلها
واساء ذى المريد واساء قفصة فأمكنوه من البلد لانحرافهم عن بنى عبد المؤمن فدخلها
وخطب للعباسى ولصلاح الدين الى أن قتله المنصور عند فتح قفصة كما نذكره فى أخبار
الموحدين

بياض بالاصل

(رجع الخبر الى ابن غانية)

ولما وصل على ابن غانية الى طرابلس ولقى قراقش اتفقا على المظاهرة على الموحدين
واستمال ابن غانية كافة بنى سليم من العرب وما جاورهم من غلاتهم مسوقة وخالطوه
فى ولايتهم واجتمع اليه من كان منحرفا عن طاعة الموحدين من قبائل هلال مثل جشم
ورياح والاثبج وخالفتهم رغبة الى الموحدين فاحتفلوا بطاعتهم سائر أيامهم ولحق
بابن غانية فل قومه من لمتونة ومسوفة من أطراف البقاع فانعقد أمره وتجدد بذلك القطر
سلطان قومه وجدد رسوم الملك واتخذ الآلة وافتتح كثيرا من بلاد الجريد وأقام
فيها الدعوة العباسية ثم بعث ولده وكاتبه عبد المؤمن من فرسان الاندلس الى الخليفة
الناصر بن المستضئ ببغداد مجددا ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة
والطاعة وطلب المدد والاعانة فعقد له كما كان لقومه وكتب الكتاب من ديوان الخليفة
الى ملك مصر والشام النائب عن الخليفة بها صلاح الدين يوسف بن أيوب فجاء الى مصر
فكتب له صلاح الدين الى قراقش واتصل أمرهما فى اقامة الدعوة العباسية
وظاهره ابن غانية على حصار واشرف فتحها قراقش من يد سعيد بن ابى الحسن وولى
عليها مولاه وجعل فيها ذخائره ثم اتصل بها الى أن وصل قفصة خلعوا طاعة ابن غانية
فظاهره قراقش عليها فافتتحها عنوة ثم رحل الى توزر وقراقش فى مظاهرته فافتتحها
أيضا ولما اتصل بالمنصور ما نزل بافريقية من اجلاب ابن غانية وقراقش على بلاد الجريد

نهض من مراكش سنة ثمان وثمانين لحسم هذا الداء واستنقاذ ما غلبوا عليه ووصل
الى تونس فأراح بها وسرح فى مقدمته السيد أبا يوسف يعقوب بن أبى حفص عمر بن
عبد المؤمن ومعه عمر بن أبى زيد من أعيان الموحدين فلقيهم ابن غانية فى جموعه
بعمده فانهزم الموحدون وقتل ابن أبى زيد وجماعة منهم وأسر على بن الربرتير فى آخرين
وامتلأت أملاك العدو من اسلابهم ومتاعهم ووصل سرعان الناس الى تونس وصمد
المنصور اليهم فأوقع بهم بظاهر الحامة فى شعبان من سنته وأفلت ابن غانية وقراقش
بحومة الوفر وبادر أهل قابس وكانت خالصة لقراقش دون ابن غانية فأتوا طاعتهم
وأسلموا من كان عندهم من أصحابه وذويه فأحملوا الى مراكش وقصد المنصور الى
توزر فحاصرها فأسلموا اليه من كان فيها من أصحاب ابن غانية وبادر أهلها بالطاعة ثم رجع
الى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من كان بها من الحشود وقتل ابراهيم
ابن قراتكين وامتن على سائر الاعوان وخلى سبيلهم وأمن أهل البلد فى أنفسهم
وجعل املاكهم بأيديهم على حكم المساقاة ثم غزا العرب واستباح عليهم واحتازهم
حتى استقاموا على طاعته وفرذوا المراس كثير الخلاف والفتنة منهم الى المغرب
قبل جشم ورياح والعاصم كما قدمناه وقفل الى المغرب سنة أربع وثمانين ورجع
ابن غانية وقراقش الى حالهما من الاجلاب على بلاد الجريد الى أن هلك على فى بعض
حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع وثمانين أصابه سهم غرب كان فيه هلاكه فدفن
هنالك وعفى على قبره وحمل شلوه الى ميورقة فدفن بها وقام بالامر أخوه يحيى بن اسحق
ابن محمد بن غانية وجرى فى مظاهرة قراقش وموالاته على سنن أخيه على ثم نزع قراقش
الى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهاجر اليهم بتونس وتقبله السيد أبو زيد بن
أبى حفص بن عبد المؤمن وأقام معه أياما ثم فر ووصل الى قابس فدخلها مخادعة
وقتل جماعة منهم واستبد على أشياخ ذباب والكعوب من بنى سليم فقتل سبعين
منهم بقصر العروسيين كان منهم محمود بن طرق أبو المحاميد وحميد بن جارية أبو الجوارى
ونهض الى طرابلس فافتتحها ورجع الى بلاد الجريد فاستولى على أكثرها ثم فسد ما بينه
وبين يحيى بن غانية وسار اليه يحيى فانتهز قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها ثم فر الى
الصحراء ونزل ودان ولم يزل بها الى أن حاصره ابن غانية من بعد ذلك بمدة وجمع عليه أهل
الثار من ذباب واقتحمها عليه عنوة وقتله وابنه بالموحدين ولم يزل بالحضرة الى أيام
المستنصر ثم فر الى ودان وأجلب فى الفتنة فبعث اليه ملك كانم من قتله لسنة ست
وخمسين وخمسمائة (رجع الخبر) واستولى ابن غانية على الجريد واستنزل ياقوت
فولى قراقش من طرده كذا ذكره التجانى فى رحلته ولحق ياقوت بطرابلس ونازله ابن

غانية بها وطال أمر حصاره وبالغ ياقوت فى المدافعة وبعث يحيى عن أسطول ميورقة فأمده أخوه عبد الله بقطعتين منه فاستولى على طرابلس وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن أخذها الموحدون وكان من خبر ميورقة ان على بن غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك أخاه محمدا وعلى بن الربرتير فى معتقلهما فلما خلا الجو من أولاد غانية وكثير من الحامية دخل فى الربرتير نفر من معقل أهل الجزيرة وثاروا بدعوة محمد وحاصروا القصبة الى ان صالحهم أهلها على اطلاق محمد بن اسحق فأطلق من معتقله وصار الامر له فدخل فى دعوة الموحدين ووفد مع على بن الربرتير على يعقوب المنصور وخالفهم الى ميورقة عبد الله بن اسحق ركب البحر من افريقية الى صقلية وأمدوه بأسطول ووصل الى ميورقة عند وفادة أخيه على المنصور فملكها ولم يزل بها واليا وبعث الى أخيه على بالمدد الى طرابلس كما ذكرناه وبعثوا اليه ياقوت فاعتقله عنوة الى أن غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين فقتل ومضى ياقوت الى مراكش وبها مات (رجع الخبر) ولما فرغ ابن غانية من أمر طرابلس ولى عليها تاشفين ابن عمه الغانى وقصد قابس فوجد بها عامل الموحدين ابن عمر تافراكين بعثه اليهم صاحب تونس الشيخ أبو سعيد ابن أبى حفص فاستدعاه أهلها لما فر عنهم نائب قراقش أخذ ابن غانية اطرابلس فنازل قابس وضيق عليها حتى سألوه الامان على أن يخلى سبيل بن بافراس فعقد لهم ذلك وأمكنوه من البلد فملكها سنة احدى وتسعين وأغرمهم ستين ألف دينار وقصد المهدية سنة سبع وتسعين فاستولى عليها وقتل الثائر بها محمد بن عبد الكريم الكرابى (وكان من خبره) أنه نشأ بالمهدية وصار من جندها المرتدين وهو كوفى الاصل وكانت له شجاعة معروفة فجمع لنفسه خيلا ورجالا وصار يغير على المفسدين من الاعراب بالاطراف فداخلهم هيبة وبعد ذلك ملته وأمده الناس بالدعاء وقدم أبو سعيد بن أبى حفص على افريقية من قبل المنصور لاول ولايته وولى على المهدية أخاه يونس وطالب محمد بن عبد الكريم بالسهمان فى المغانم وامتنع فانزل به النكال وعاقبه بالسجن فدبوا الى ابن عبد الكريم الثورة وداخل فيها بطانته وتقبض على يونس سنة خمس وتسعين واعتقله الى ان فداه أبو سعيد بخمسمائة دينار من الذهب العتيق واستبدل ابن عبد الكريم بالمهدية ودعا لنفسه وبلغت المتوكل على الله ثم وصل السيد أبو زيد بن أبى حفص عمر بن عبد المؤمن واليا على افريقية فنازل ابن عبد الكريم بتونس سنة ست وتسعين واضطرب معسكره بحلق الوادى وبرز اليه جيوش الموحدين فهزموهم وطال حصاره لهم ثم سألوه الافراج عنهم فأجاب لذلك وارتحل عنهم الى حصار يحيى بن غانية بقابس فنازله مدة ثم ارتحل الى قفصة وخرج ابن غانية فى اتباعه فانهزم ابن عبد الكريم

امامه ولحق بالمهدية وحاصره ابن غانية بر ياسة سنة سبع وتسعين وأمده السيد أبو زيد بقطعتين من الغزاة حتى سأل ابن عبد الكريم النزول على حكمه وخرج اليه فقبض عليه ابن غانية وهلك فى اعتقاله واستولى على المهدية واستضافها الى ما كان بيده من طرابلس وقابس وصفاقس والجريد ثم نهض الى الجانب الغربى من افريقية فنازل باجة ونصب عليها المجانيق وافتتحها عنوة وخربها وقتل عاملها عمر بن غالب ولحق شريدها بالاربس وشقنبارية وتركها خالية على عروشها وبعد مدة تراجع اليها ساكنها بأمن السيد أبى زيد فزحف اليها ابن غانية ونازلها وزحف اليه السيد أبو الحسن أخو السيد أبى زيد فلقيه بقسنطينة وانهزم الموحدون واستولى على معسكرهم ثم نهض الى بسكرة واستولى عليها وقطع أيدى أهلها وتقبض على حافظها أبى الحسن ابن أبى يعلى وملك بعدها بلنسة والقيروان وبايعه أهل بونة ورجع الى المهدية وقد استفحل ملكه فأزمع على حصار تونس وارتحل اليها سنة تسع وتسعين واستعمل على المهدية على بن الغانى ويعرف بالكافى بن عبد الله بن محمد بن على بن غانية ونزل بالجبل الاحمر من ظاهر تونس ونزل أخوه بحلق الوادى ثم ضايقوه بعسكرهم وردموا خندقها ونصبوا المجانيق والآلات واقتحموها الاربعة أشهر من حصارها فى ختام المائة السادسة وقبض على السيد أبى زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين وأخذ أهل تونس بغرم مائة ألف دينار وولى بقبضها منهم كاتبه ابن عصفور وأبا بكر بن عبد العزيز ابن اسكالك فأرهبوا الناس بالطلب حتى لاذ معظمهم بالموت واستعملوا القتل فيما نقل أن اسمعيل بن عبد الرفيع من لؤمائها التى بنفسه فى بئر فهلك فرجع الطاب بنفعها عنهم وارتحل الى نفوسة والسيد أبو زيد معتقل فى معسكره ففعل بهم مثل ذلك وأغرمهم ألف ألف مرتين من الدنانير وكثر عيثه واضراره بالرعية وعظم طغيانه وعتوه واتصل بالناصر بمراكش ما دهم أهل افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله فامتعض لذلك ورحل اليها سنة ستمائة وبلغ يحيى بن غانية خبر مرجعه اليه فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع ونازل طرة من حصون مغراوة واستمالها وانتقل الى حامة مطماطة ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم قابس وتحصن منه ابن غانية فى جبل دمر فرجع عنه الى المهدية وعسكر عليها واتخذ الآلة لحصارها وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص لقتال ابن غانية فى أربعة آلاف من الموحدين سنة ثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجورا من نواحى قابس وأوقع به وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله ثم افتتح الناصر المهدية ودخل اليها على بن الغانى فى دعوته فتقبله ورفع مكانه ووصله بهدية وافق

وصولها برحمه اليه على يد واصل مولاه وكان بها ثوب بالقه منسوجان بالجواهر فوصله بذلك كله ولم يزل معه الى أن استشهد مجاهدا وولى الناصر على المهدية محمد بن يغمور من الموحدين ورجع الى تونس ثم نظر فيمن يوليه أمر افريقية لسد فرجها والذب عنها ومدافعة ابن غانية وجموعه دونها فوقع اختياره على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث كما ذكرناه فى أخباره ورجع الناصر الى المغرب وأجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين بتونس وجمع ذؤبان العرب من الزواودة وغيرهم وأوفد الزواودة يومئذ محمد بن مسعود بن سلطف بخير بنى عوف بن سليم الى الموحدين والتقوا بشبرو من نواحى بلمسة فانهزمت جموع ابن غانية ولجأ الى جهة طرابلس ثم نهض الى المغرب فى جموعه من العرب والملثمين فانتهى الى سجلماسة وامتلأت أيدى اتباعه من النهاب وخرقوا الارض بالعيث والفساد وانتهى الى المغرب الاوسط وداخله المفسدون من زناتة واعرف أن صاحب تلمسان السيد أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن فلقيه بتاهرت فهزمه ابن غانية وقتله وأسر وافده وكر راجعا الى افريقية فاعترضه الشيخ أبو محمد صاحب افريقية فى جموع الموحدين واستنقذ الغنائم من أيديهم ولجأ ابن غانية الى جبال طرابلس وهاجر أخوه سير بن اسحق الى مراكش فقبله الناصر وأكرمه ثم اجتمع الى ابن غانية طوائف العرب من رياح وعوف وهيب ومن معهم من قبائل البربر وعزم على دخول افريقية ونهض اليهم الشيخ ابو محمد سنة ست ولقيهم بجبل نفوسة ففل عسكرهم واستلحم أمرهم وغنم ما كان معهم من الظهر والكراع والاسلحة وقتل يومئذ محمد بن الغانى وجوارين ويفرن وقتل معه ابن عمه من كاب ابن أبى الشيخ ابن عساكر بن سلطان وهلك يومئذ من العرب الهلاليين أميرة رة سماد بن نخيل (حكى) ابن نخيل ان مغانم الموحدين يومئذ من عساكر الملثمين كانت ثمانية عشر ألفا من الظهر فكان ذلك مما أوهن من شدته وطامن من بأسه وثارت قبائل نفوسة بكبت ابن عصفور فقتلوا ولديه وكان ابن غانية يبعثه عليهم للمغرم وسار أبو محمد فى نواحى افريقية ودفع سلبهم واستتار أشياخهم بأهلهم وأسكنهم بتونس حسما لفسادهم وصلحت أحوال افريقية الى أن هلك الشيخ أبو محمد سنة ثمان عشرة وولى أبو محمد السيد أبو العلا ادريس بن يونس بن عبد المؤمن ويقال بل وليها قبيل مهلك الشيخ أبى محمد فاستطار بعد مهلكه سور بن عبابة ولحم فعابه رعيته ونهض اليه السيد أبو العلا ونزل قابس وأقام بقصر العروسيين وسرح ولده السيد أبا زيد بعسكر من الموحدين الى درج وغدامس وسرح عسكرا آخر الى ودان لحصار ابن غانية فأرجف بهم العرب ونهضوا وهم بهم السيد أبو العلا وفر ابن غانية الى الزاب واتبعه السيد أبو زيد فنازل

بسكرة

بسكرة واقتحمها عليه ونجا ابن غانية وجمع أوباشا من العرب والبربر واتبعه السيد أبو زيد فى الموحدين وقبائل هوارة وتزاحفوا بظاهر تونس سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه وقتل كثير من الملثمين وامتلأت أيدى الموحدين من الغنائم وكان طرأ له يومئذ جماس من بعد ماسعى فى هذا الزحف أثرمذ كور وبلاء حسن وبلغ السيد أبا زيد إثر هذه الوقيعة خبر مهلك أبيه بتونس فانكفأ راجعا وأعيد بنو أبى حفص الى مكان أبيهم الشيخ أبى محمد بن أثال بافريقية واستقل الامير أبو زكريا منهم بأمرها واقتلعها عن ملكه آل عبد المؤمن وتناولها من يد أخيه أبى محمد عبد وهذا الامير أبو زكريا هو جد الخلفاء الحفصيين وماهد أمرهم بافريقية فأحسن دفاع ابن غانية عنها وشرده فى أقطارها ورفع يده شيئا فشيئا عن النيل من أهلها وردا ياها ولم يزل شريدا مع العرب بالقفار فبلغ سجلماسة من أقصى المغرب والعقبة الكبرى من تخوم الديار المصرية واستولى على ابن مذكور صاحب السريقة من تخوم برقة وأوقع بمغراوة لواحد ماهو ولجة ومليانة وقتل أميرهم منديل بن عبد الرحمن وصلب شلوه بسور الجزائر وكان يستخدم الجند فاذا سئموا الخدمة تركهم لسبيلهم الى أن هلك لخمسين سنة من امارته سنة احدى وثلاثين وقيل ثلاث وثلاثين ودفن وعفى أثره قبره يقال بوادى الرجوان قتله الادريس وتقبل بجهة مليانة من وادى شلف ويقال بصحراء باديس ومسيد من بلاد الزاب وانقرض أمر الملثمين من مسوفة ولمتونة ومن جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس بهلكه وذهب ملك صنهاجة من الارض بذهاب ملكه وانقطاع أمره وقد خلف بنات بعثهن زعموا الى الامير أبى زكريا العهد بذلك الى علجه جابر فوضعن فى يده وبلغه وفاة أبيهن وحسن ظنه فى كفالته اياهن فأحسن الامير أبو زكريا كفالتهن وبنى لهن بحضرته دار الصون معروفة لهذا العهد بقصر البنات وأقمن تحت حراسته وفى سعة من رزقه موصولات لوصاة أبيهن بذلك منهن وحفظهن لوصاته ولقد يقال ان ابن عم لهن خطب احداهن فبعث اليها الامير أبو زكريا فقال لها هذا ابن عمك وأحق بك فقالت لو كان ابن عمنا ما كفلنا الاجانب الى أن هلكن عوانس بعد ان متعن من العمر بحظ (أخبرنى والدى رحمه الله) أنه أدرك واحدة منهن أيام حياته فى سنى العشر والسبعمائة تناهز التسعين من السنين (قال) ولقيتها وكانت من أشرف النساء نفسا وأسراهن خلقا وأزكاهن حالا والله وارث الارض ومن عليها ومضى هؤلاء الملثمون وقبائلهم لهذا العهد بمجالاتهم من جوار السودان حجزا بينهم وبين الرمال التى هى تخوم بلاد البربر من المقدس وافريقية وهم لهذا العهد متصلون من ساحل البحر المحيط فى المغرب الى ساحل النيل بالمشرق وهلك

من قام بالملك منهم بالعدوتين وهم قبل من مسوفة ولمتونة كما ذكرناه أكلتهم الدولة واستلعتهم الآفاق والاقطار وأفناهم الرق واستلحمهم أمراء الموحدين وبقي من أقام بالصحرا منهم على حالهم الاول من افتراق الكلمة واختلاف البين وهم الآن يعطون طاعة لملوك السودان يجبون اليهم خراجهم وينفرون في معسكرهم واتصل بنيانهم على بلاد السودان الى المشرق مناظر السلع العرب على بلاد المغربين وافريقية فكدالة منهم في مقابلة ذوي حسان بن المعقل عرب السوس الاقصى ولمتونة وتريكة ذوي منصور وذوي عبد الله بن المعقل أيضا عرب المغرب الاقصى ومسوفة في مقابلة زغبة عرب المغرب الاوسط ولمطة في مقابلة رياح عرب الزاب وبجاية وقسنطينة وتاوكا في مقابلة سليم عرب افريقية وأكثر ما عندهم من المواشي الابل لمعاشهم وحمل أثقالهم وركوبهم والخيل قليلة لديهم أو معدومة ويركبون من الابل الفارهة ويسمونها النجب ويقاتلون عليها اذا كانت بينهم حرب وسيرها هملجة وتكاد تلحق بالركض وربما يغزوهم أهل القيض من العرب وخصوصا بنو سعيد من بادية رياح فهم أكثر العرب غزوا الى بلادهم وهو يستبيحون من يصحبونه منهم يرمونه في بطون مغاير فاذا اتصل الصياح بأحيائهم وركبوا في اتباعهم واعترضوهم على المياه قبل فصولهم من تلك البلاد فلا يكادون يخلصون ويشتد الحرب بينهم فلا يخلص العرب من غوائلهم الا بعد جهد وقد يهلك بعضهم ولله الخلق والامر واذ عرض لنا ملوك السودان فلنذكر ملوكهم لهذا العهد المجاورين لملوك المغرب

الخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هؤلاء الملثمين ووصف أحوالهم والالمام بما اتصل بنا من دولتهم

هذه الامم السودان من الادميين هم أهل الاقليم الثاني وراءه الى آخر الاول بل والى آخر المعمور متصلون ما بين المغرب والمشرق ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وافريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة وأما أهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعد ما ننسبهم فبنو حام بن نوح بالحبش من ولد حبش بن كوش بن حام والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام فيما قاله المسعودي وقال ابن عبد البر انهم من ولد نوب بن قوط بن مصر بن حام والزنج من ولد زنجي بن كوش وأما سائر السودان فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن عبد البر ويقال هو قبط بن حام وعد ابن سعيد من قبائلهم وأممهم سبعة عشر أمة فمنهم في المشرق الزنج على بحر الهند لهم مدينة فنقبة وهم مجوس وهم الذين غلب رقيقهم بالنصر على ساداتهم مع دعي الزنج في خلافة المعتمد قال ويليهم

بربرا وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس في شعره والاسلام لهذا العهد فاش فيهم ولهم يومئذ مقاشن على البحر الهندي يعمرها تجار المسلمين ومن غربيهم وحولهم الدمادم وهم حفاة عراة قال وخرجوا الى بلاد الحبشة وهم أعظم امم السودان وهم مجاورون لليمن على شاطئ البحر الغربي ومنه غزو ملك اليمن ذي نواس وكانت دار مملكتهم كفرة وكانوا على دين النصرانية وأخذ بالاسلام واحد منهم زمن الهجرة على ما ثبت في الصحيح والذي أسلم منهم لعهد النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر اليه الصحابة قبل الهجرة الى المدينة فآواهم ومنعهم وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم عند ما نعي اليه كان اسمه النجاشي وهو بلسانهم انكاش بالكاف المشمة بالجيم عربتها العرب جيما محضة وألحقتها ياء النسب شأنها في الاسماء الاعجمية اذا تصرفت فيها وليس هذا الاسم سمة لكل من تملك منهم كما زعم كثير من الناس ممن لا علم له بهذا ولو كان كذلك اشتهروا اسمه الى اليوم لان ملكهم لم يتحول منهم وملكهم لهذا العهد اسمه الحطي

اسم السلطان نفسه أو اسم العشيرة الذين فيهم الملك وفي غربيهم مدينة بها ملك من أعاظمهم وله ملك ضخم وفي شماليه ملك آخر منهم اسمه حق الدين محمد بن علي ابن واصمع في مدينة أسلم أولوه في تواريخ مجهولة وكان جده واصمع مطيعا للملك دامرن وأدركت الحطي الغيرة من ذلك فغزاه واستولى على بلاده ثم اتصلت الفتنة وضعف أمر الحطي فاسترجع بنو واصمع بلادهم من الحطي وبنيه واستولوا على وفات وخربوها وبلغنا أن حق الدين هلك وملك بعده أخوه سعد الدين وهم مسلمون ويعطون الطاعة للحطي احيانا وينابذونه أخرى والله مالك الملك (قال ابن سعيد) ويليهم البجاوة وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة سواكن في بحر السويس ويليهم النوبة اخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل وأكثرهم مجاورون للديار المصرية ومنهم رقيق ويليهم زغاوة وهم مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والاسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمى ولهم التغلب على بلاد الصحراء الى فزان وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية مذ أولها ويليهم من غربيهم كوكو وبعدهم نغالة والتكرور ولمي وغيم وجاي وكوري وأفكزار ويتصلون بالبحر المحيط الى غانية في الغرب اهـ كلام ابن سعيد ولما فتحت افريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانية كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك وحاضرة ملكهم غانية مدينتان على حافتي النيل من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمرا ذكرها مؤلف كتاب رجار وصاحب المسالك والممالك وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومتين

أو سنين مهملتين ثم بعدها أمة أخرى تعرف مالى ثم بعدها أمة أخرى تعرف كوكو
ويقال ناغو ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور (وأخبرنى) الشيخ عثمان فقيه أهل
غانية وكبيرهم علما ودينا وشهرة قدم مصر سنة تسع وتسعين حاجا بأهله وولده ولقيته بها
فقال انهم يسمون التكرور زغاى ومالى انكاوية اهـ ثم ان أهل غانية ضعف ملكهم
وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلى البربر
كما ذكرناه وعبروا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الاتاوات
والجزى وحملوا كثيرا منهم على الاسلام فدانوا به ثم اضمحل ملك أصحاب غانية وتغلب
عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم فى جملتهم
ثم ان أهل مالى كثروا أمم السودان فى نواحيهم تلك واستطالوا على الامم المجاورين لهم
فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم وملك أهل غانية الى
البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكرون ان أول من أسلم منهم
ملك اسمه برمندار ضبطه الشيخ عثمان وحج هذا الملك واقتفى
سننه فى الحج ملوكهم من بعده وكان ملكهم الاعظم الذى تغلب على صوصو وافتتح
بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه مارى جاطة ومعنى مارى عندهم الامير الذى
يكون من نسل السلطان وجاطة الاسد واسم الحافد عندهم تلز ولم يتصل بنا نسب هذا
الملك وملك عليهم خمسا وعشرين سنة فيما ذكروه ولما هلك ولى عليهم من بعده مولى من
مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكورة وقال الشيخ عثمان ضبطه بلسانهم أهل غانية
سبكرة وحج أيام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته ضخمة اتسع فيها
نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو وأصارها فى ملكة
أهل مالى واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب الى بلاد التكرور فى المشرق
واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب
وافريقية وقال الحاج يونس ترجمان التكرور ان الذى فتح كوكو هو سقمنجه من قواد
منساموسى وولى من بعد ساكورة وهذا ابن السلطان مارى جاطة ثم من بعده ابنه
محمد بن قو ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان مارى جاطة الى ولد أخيه أبى بكر فولى عليهم
منساموسى بن أبى بكر وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له فى العدل أخبار تؤثر عنه وحج
سنة أربع وعشرين وسبعمائة لقيه فى الموسم شاعر الاندلس أبو اسحق ابراهيم الساحلى
المعروف بالطويجن وصحبه الى بلاده وكان له اختصاص وعناية ورثها من بعده الى
الآن وأوطنوا الاثر من تخوم بلادهم من ناحية المغرب ولقيه فى منصرفه صاحبنا
المعمر أبو عبد الله بن خديجة الكومى من ولد عبد المؤمن كان داعية بالزاب للفاطمى

المنتظر وأجلب عليهم بعصائب من العرب فكر به وارگلا واعتقله ثم خلى سبيله بعد حين
فخاض الى السلطان منساموسى مستجيشا به عليهم وقد كان بلغه توجهه للحج فأقام فى
انتظاره ببلد غدامس يرجو نصرا على عدوه ومعونة على أمره لما كان عليه منساموسى
من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد وارگلا وقوة سلطانه فاتى منه مبرة وترحيبا
ووعده بالمظاهرة والقيام بثاره واستصحبه الى بلده اخرى وهو الثقة (قال كنا نواكبه
أنا وأبو اسحق الطويجن دون وزرائه ووجوه قومه نأخذ بأطراف الاحاديث نتمتع
وكان متحفا فى كل منزل بطرف المآكل والحلاوات قال والذى تحمل آلته وحرثيه
من الوصائف خاصة اثنا عشر ألفا لابسات أقبية الديباج والحرير اليمانى (قال الحاج
يونس ترجمان هذه الامة بمصر) جاء هذا الملك منساموسى من بلده بثمانين حملا من
التبر كل حمل ثلاثة قناطير قال وانما يحملون على الوصائف والرجال فى أوطانهم فقط
وأما السفر البعيد كالحج فعلى المطايا (قال أبو خديجة) ورجعنا معه الى حضرة ملكه
فأراد أن يتخذ بيتا بمقعد سلطانه محكم البناء مجللا لغرابته بأرضهم فأطرفه أبو اسحق
الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدين واضفى عليها
من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المبانى ووقعت من السلطان
موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثنى عشر ألفا من مثاقيل التبر
مثوبة عليها الى ما كان له من الاثرة والميل اليه والصلات السنية وكان بين هذا
السلطان منساموسى وبين ملك المغرب لعهده من بنى مرين السلطان أبى الحسن
مواصلة ومهاداة سفرت بينهما فيها الاعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب
من متاع وطنه وتحت ممالكه مما تحدث عنه الناس على ما نذكره عند موضعه بعث بها
مع على بن غانم المعقل واعيان من رجال دولته وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما كما
سيأتى واتصلت أيام منساموسى هذا خمسا وعشرين سنة ولما هلك ولى أمر مالى من بعده
ابنه منسامغا ومغا عندهم محمد وهلك لاربع سنين من ولايته وولى أمرهم من بعده
منساسليمان بن أبى بكر وهو أخو موسى واتصلت أيامه أربعا وعشرين سنة ثم هلك
فولى بعده ابنه منسابن سليمان وهلك لتسعة من ولايته فولى عليهم من بعده مارى
جاطه بن منسامغا بن منساموسى واتصلت أيامه أربعة عشر عاما وكان أشر وال عليهم
بما سامهم من النكال والعسف وافساد الحرم وأتحف ملك المغرب لعهده السلطان
أبا سالم بن السلطان أبى الحسن بالهدية المذكورة سنة ثنتين وستين وكان فيها الحيوان
العظيم الهيكل المستغرب بأرض المغرب المعروف بالزرافة تحدث الناس بما اجتمع فيه
من متفرق الحلى والشبه فى جثمانه ونعوته دهرا (وأخبرنى القاضى الثقة أبو عبد الله

محمد بن وانسول من أهل سجلماسة وكان أوطن بأرض كوكو من بلادهم واستعملوه في خطة القضاء بها لقيته منذ سنة ست وسبعين وسبعمائة فأخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبته وذكر لي عن هذا السلطان جاطه انه أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم وكاد أن ينتقض شأن سلطانهم (قال) ولقد انتهى الحال به في سرفه وتبذيره ان باع حجر الذهب الذي كان في جملة الذخيرة عن أبيهم وهو حجر يزن عشرين قنطارا منقولا من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا تصفية بالنار كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لندور مثله في المعدن فعرضه جاطه هذا الملك المسرف على تجار مصر المترددين الى بلده وابتاعوه منه بأبخس ثمن اذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفا وتبذيرا في سبيل الفسوق والتخلف (قال) وأصابته علة النوم وهو مرض كثيرا ما يطرق أهل ذلك الاقليم وخصوصا الرؤساء منهم يعتاده غشي النوم عامة أزمانه حتى يكاد أن لا يفيق ولا يستيقظ الا في القليل من أوقاته ويضر صاحبه ويتصل سقمه الى أن يهلك (قال) ودامت هذه العلة بخلطه مدة عامين اثنين وهلك سنة خمس وسبعين وولوا من بعده ابنه موسى فأقبل على مذاهب العدل والنظر لهم ونكب عن طرق أبيه جملة وهو الآن مرجو الهداية ويغلب على دولته وزيره ماري جاطه ومعنى ماري عندهم الوزير وجاطه تقدم وهو الآن قد حجر السلطان واستبد بالامر عليه ونظر في تجهيز العساكر وتجهيز الكتائب ودوخ أقطار الشرق من بلادهم وتجاوز تخوم كوكو وجهز الى منازلة تكرت بما وراءها من بلاد الملثمين كتائب نازلتها أول الدولة وأخذت بمخنقها ثم أفرجت عنها وحاطهم الآن مهادنة وتكرت هذه على سبعين مرحلة من بلد وارك في الجانب القبلي الغربي وفيها من الملثمين يعرف بالسلطان وعليهم طريق الحاج من السودان وبينه وبين أمير الزاب وورگلا مهاداة ومراسلة (قال) وحاضرة الملك لاهل مالي هو بلد بني بالمتسع الخطة معين على الزرع مستبحر العمارة نافق الاسواق وهو الآن محط لركاب البحر من المغرب وافريقية ومصر والبضائع مجلوبة اليها من كل قطر ثم بلغنا لهذا العهد ان منسا موسى توفي سنة تسع وثمانين وولي بعده أخوه منسا مغا ثم قتل لسنة أو نحوها وولي بعده صندكي زوج أم موسى صندكي الوزير ووثب عليه بعد أشهر من بيت ماري جاطه ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم وجاءهم رجل اسمه محمود ينسب الى منسا قو بن منسا ولي بن ماري جاطه الاكبر فتغلب على الدولة وملك أمرهم سنة ثنتين وتسعين ولقبه منسا مغا والخلق والامر لله وحده

(الخبر عن لمطة وكزولة وهسكورة بني أصكي وهم اخوة هوارة وصنهاجة)

هؤلاء القبائل الثلاثة قد تقدم لنا أنهم اخوة لصنهاجة وأن أم الثلاثة بصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس فأما صنهاجة فمن ولد عاميل بن زعزاع وأما هوارة فمن ولد أوريغ وهو ابنها ابن برنس وأما الآخرون فلا تحقيق في نسبهم (قال ابن حزم) ان صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما أب وهذه الامم الثلاثة موطنون بالسوس وما يليه من بلاد الصحراء وجبال درن تلو بسائطه وجباله (فأما لمطة) فأكثرهم مجاورون للملثمين من صنهاجة ولهم شعوب كثيرة وأكثرهم ظواعن أهل وبر ومنهم بالسوس مسلمان كثن ونحن صاروا في عداد ذوي حسان من معقل وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وافريقية وكان منهم الفقيه وكاك بن زيرك صاحب أبي عمران الفاسي وكان نزل سجلماسة ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب الدولة اللمتونية على ما مر (وأما كزولة) فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاورون لمطة ويحاربونهم ومنهم الآن ظواعن بأرض السوس وكان لهم مع المعقل حروب قبل أن يدخلوا السوس فلما دخلوه تغلب عليهم وهم الآن من خولهم وأحلافهم ورعاياهم (وأما هسكورة) وهم لهذا العهد في عداد المصامدة وينسبون الى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن الى تادلا من جانب الشرق الى درعة من جانب القبلة وكان دخول بعضهم في دعوة المهدي قبل فتح مراكش ولم يستكملوا الدخول في الدعوة الا من بعده فلذلك لا يعدهم كثير من الناس في الموحدين وان عدوا فليسوا من أهل السابقة منهم لمخالفتهم الامام أول الامر وما كان من حروبهم معه ومع أوليائه وشيعته وكانوا ينادون بخلافهم وعداوتهم ويجهرون بلعنهم فتقول خطباؤهم في مجامع صلواتهم لعن الله هنتانة وتينملل وهرغة وهزرجة فاستقامتهم على الدعوة كان بعد فتح مراكش وبطون هسكورة هؤلاء متعددون فمنهم مصطاوة وغجرامة وزمراوة وانتيفت وبنو نفال وبنو رسكونت الى آخرين لم يحضرني أسماؤهم وكانت الرياسة عليهم آخر دولة الموحدين لعمر بن وقاريط المنتسب وذكره في أخبار المأمون والرشيد من بني عبد المؤمن خلاف الموحدين بمراكش ثم كان من بعده مسعود بن كلداسن وهو القائم بأمر دبوس والمظاهر له على شأنه وأظنه جد بني مسعود الرؤساء عليهم لهذا العهد من فطواكة المعروفين ببني خطاب لاتصال الرياسة في هذا البيت ولما انقرض أمر الموحدين استعصوا على بني مرين مدة واختلف حالهم معهم في الاستقامة والنفرة وكانوا ملجأ النازعين عن الطاعة من عرب جشم ومأوى الثائرين منهم ثم استقاموا

وأذهنوا الاداء الضرايب والمغارم وجبايتها من قومهم والخفوف الى العسكر الى السلطان متى دعوا اليها شأن غيرهم من سائر المصامدة (وأما اتيفت) فكانت رياستهم فى أولاد هنوا وكان يوسف بن كنون منهم اتخذ لنفسه حصن تاقيوت وامتنع به ولم يزل ولده على ومخلوف يشيدانه من بعده وهلك يوسف وقام بأمره ابنه مخلوف وجاهر بالنفاق سنة ثنتين وسبعمائة ثم راجع الطاعة وهو الذى تقبض على يوسف بن أبى عياد المتعدى على مراكش أيام أبى ثابت سنة سبع وسبعمائة كما نذكر فى أخباره لما أحيط به فتقبض عليه مخلوف وأمكن منه وكانت وسيلته من الطاعة وكان من بعده ابنه هلال ابن مخلوف والرياسة فيهم متصلة لهذا العهد (وأما بنو نفال) فكانت رياستهم لاولاد تروميت وكان منهم لعهد السلطان أبى سعيد وابنه أبى الحسن كبيرهم على بن محمد وكان له فى الخلاف والامتناع ذكر واستنزله السلطان أبو الحسن من محله لاول ولايته بعد حصاره بمكانه وأصاره فى جملته تحت عنايته وامرائه الى ان هلك بتونس بعد واقعة القيروان فى الطاعون الجارف وولى بنوه من بعده أمر قومهم الى ان انقرضوا والرياسة لهذا العهد فى أهل بيتهم ولاهل عمومتهم (واما فطواكة) وهم أوسع بطونهم وأعظمهم رياسة فيهم وأقربهم اختصاصا لصاحب الملك واستعمالا فى خدمته وكان بنو خطاب منذ انقراض أمر الموحدين قد جنحوا الى بنى عبد الحق وأعطوهم المقادة واختصوا شيوخهم فى بنى خطاب بالولاية عليهم وكان شيخهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب محمد ابن مسعود وابنه عمر من بعده وهلك عمر سنة أربع وسبعمائة بمكانه من محله وولى بعده عمه موسى بن مسعود وسخطه السلطان لتوقع خلافه فاعتقله وكان خلاصه من الاعتقال سنة ست وسبعمائة وقام بأمر هسكورة من بعده محمد بن عمر بن محمد بن مسعود ولما استفحل ملك بنى مرين وذهب أثر الملك من المصامدة وبعد عهدهم صار بنو مرين الى استعمال رؤسائهم فى جباية مغارمهم لكونهم من جلدتهم ولم يكن فيهم أكبر رياسة من أولاد تونس فى هنتاتة وبنى خطاب هؤلاء فى هسكورة فداولوا بينهم ولاية الاعمال المراكشية وليها محمد بن عمر هذا من بعد موسى بن على وأخيه محمد شيوخ هنتاتة فلم يزل واليها الى ان هلك قبيل نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان ولحق ابنه ابراهيم بتلمسان ذاهبا الى السلطان أبى الحسن فلما دعا أبو عنان الى نفسه رجع عنه الى محله وتمسك بما كان عليه من طاعة أبيه ودعاه أبو عنان لعمه عبد الحق وقلده الاعمال المراكشية فلم يغن فى منازعه الى أن لحق السلطان أبو الحسن بمراكش فكان من أعظم دعاته وأبلى فى مظاهرته فلما هلك السلطان أبو الحسن اعتقله أبو عنان وأودعه السجن ثم قتله بين يدى نهوضه الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين وقام بأمره من بعده أخوه

منصور

منصور بن محمد الى أن ملك الامير عبد الرحمن بن أبى بقلس مراكش سنة ست وسبعين فاستقدمه وتقبض عليه واعتقله بدار ابن عمه نحوا من العام ابن مسعود بن خطاب كان من جملته وكان هو وأبوه نازعا الى بنى مرين خوفا على أنفسهم من أولاد محمد بن عمر لترشحهم للامر فلما استمكن منه بداره معتقلا وثب عليه فقتله واستلحم بنيه معه وسخطه السلطان لها فاعتقله قليلا ثم أطلقه واستقل برياسة هسكورة لهذا العهد والله قادر على ما يشاء

بلغ بالاصل

(الطبقة الثالثة من صنهاجة)

وهذه الطبقة ليس فيها ملك وهم لهذا العهد أوفر قبائل المغرب فمنهم الموطنون بالجانب الشرقى من جبال درن مابين تازى وتادلا ومعدن بنى فازان حيث الثنية المفضية الى آكرسلوين من بلاد النخل ومقصد تلك الثنية من بلادهم وبلاد المصامدة فى المغرب من جبال درن ثم اعتم والسن تلك الجبال وشواهقها وتنعطف مواطنهم فى تلك الثنية الى ناحية القبلة الى أن ينتهى الى آكرسلوين ثم يرجع معدله من آكرسلوين الى درعه الى ضواحى السوس الاقصى وامصاره من تارودانت وأيفرى ان قوتان وغيرها ويعرف هؤلاء كلهم باسم صناكة حرفت اليها من اسم صنهاجة وأشموا صاده زايا وأبدلوا الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والقاف أو بين الكاف والجيم وهى معربة النطق ولصنهاجة هؤلاء بين قبائل الغرب أوفر عدد وشدة بأس ومنعة وأعزهم جانبا أهل الجبال المطلة على تادلا ورياستهم لهذا العهد فى ولد عمران الصناكى ولهم اعتزاز عن الدولة ومنعة عن الهضمة والانقياد المغرى وتصل بهم

قبائل غمارة منهم ظواعن يسكنون الخط وينتجعون مواقع القطر فى نواحى بلادهم بتيغانيين من قبيلة مكناسة الى وادى أم ربيع من تامسنا فى الجانب الشمالى من جانبى جبل درن ورياستهم فى ولد هيدى من مشاهيرهم وأولوا اعتياد بالغرم وروم على الذل وتتصل بهم قبائل دكالة فى وسط المغرب من عدوة أم ربيع الى مراكش ويتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر المحيط قبيلة بناحية آزمور وأخرى وافرة العدد مندرجة فى عداد المصامدة وطنا ونحلة وجباية وعمالة ورياستهم لهذا العهد فى دولة عزيز بن يبرولو ورئيسهم لاول دولة زناتة ويأتى ذكره ويعرف عقبه الآن ببنى بطال ومن بجبال تازى وما والاها مثل بطوية وبخاصة وبنى وارتين الى جبل لداى من جبال المغرب معروف ببنى بكلان احدى قبائلهم بعطون المغرم على عدد وبطوية منهم ثلاثة بطون بطوية على تازى وبنى ورياغل على ولد المزمة وأولاد على بتافرسيت وكان لاولاد على ذمة مع بنى عبد الحق ملوك بنى مرين وكانت أم يعقوب بن عبد الحق منهم فاستوزرهم وكان منهم طلحة بن على وأخوه عمر على ما يأتى ذكره فى دولتهم ويتصل ببسيط المغرب ما بين جبال درن وجبال الريف من ساحل البحر الرومى حيث مساكن غمارة الآتى ذكرهم قبائل أخرى من صنهاجة موطنون فى هضاب وأودية وبسائط يسكنون بيوت الحجارة والطين مثل فشتالة وسطة وبنو ورياكل وبنو حميد وبنو مزجلدة وبنو عمران وبنو دركول وورتزروملوانة وبنى وامرد ومواطن هؤلاء كلهم بورغة وامركو يحترفون بالحياكة والحراثة ويعرفون لذلك صنهاجة البز وهم فى عداد القبائل المغارمة والغتهم فى الاكثر عربية لهذا العهد وهم مجاورون بجبال غمارة ويتصل بجبال غمارة من ناحيتهم جبل سريف موطن بنى زروال من صنهاجة وبنى دغالة لا يحترفون بماش ويسمون صنهاجة العزلا اقتضته منعة جبالهم ويقولون اصنهاجة آزمور الذين قدمنا ذكرهم صنهاجة الذل لما هم عليه من الذل والمغرم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وقد يقال فى بعض مزاعم البربر ان بنى وديد من صنهاجة وبنو يزناسن وباطويه هم اخوال واصل بن ياسن أجناسن ومعناه بلغة الغرب الجالس على الارض

الخبر عن المصامدة من قبائل البربر وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

وأما المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس بن برفهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم من بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن ولم تزل مواطنهم بالمغرب الاقصى منذ الاحقاب المتطاولة وكان المتقدم فيهم قبيل الاسلام وصدره برغواطة ثم صار التقدم بعد ذلك لمصامدة جبال درن الى هذا العهد وكان لبرغواطة فى عصرهم دولة ولاهل درن

منهم

منهم دولة أخرى ودول حسبما نذكر فلنذكر هذه الشعوب وما كان فيهما من الدول بحسب ما بدا الينا من ذلك

الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدا أمرهم وتصاريف أحوالهم

وهم الجيل الاول منهم كان لهم فى صدر الاسلام التقدم والكثرة وكانوا شيعا وشيعا مفترقين وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة فى بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وازمور وأنفى وأسفى وكان كبيرهم لاول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صبيح وكان من قواد ميسرة الحقير طريف المضفرى القائم بدعوة الصفرية ومعهما عزوز بن طالوت ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية وبقى طريف قائما بأمرهم بتامسنا ويقال أيضا انه تنبأ وشرع لهم الشرائع ثم هلك وولى مكانه ابنه صالح وقد كان حضر مع أبيه حروب ميسرة وكان من أهل العلم والخير فيهم ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التى كانوا عليها من بعده وهى معروفة فى كتب المؤرخين وأدعى انه نزل عليه قرآن كان يتلو عليهم سورا منه يسمى منها سورة الديك وسورة الحمر وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الانبياء وسورة هاروت وماروت وابليس وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم حرم فيها وحلل وشرع وقصر وكانوا يقرؤنه فى صلواتهم وكانوا يسمونه صالح المؤمنين كما حكاه البكرى عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراد الوافد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم أبى عيسى بن أبى الانصارى سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة وكان يترجم عنه بجميع خبره داود بن عمر المسطاسى قال وكان ظهور صالح هذا فى خلافة هشام بن عبد الملك من سنة سبع وعشرين من المائة الثانية من الهجرة وقد قيل ان ظهوره كان لاول الهجرة وانه انما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شأن النبى صلى الله عليه وسلم والاول أصح ثم زعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى آخر الزمان وان عيسى يكون صاحبه ويصلى خلفه وان اسمه فى العرب صالح وفى السريانى مالك وفى الاعجمى عالم وفى العبرانى روبيا وفى البربرى وربا ومعناه الذى ليس بعده نبى وخرج الى المشرق بعد ان ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم أنه يرجع اليهم فى دولة السابع منهم وأوصى بدينه الى ابنه الياس وعهد اليه بموالاة صاحب الاندلس من بنى أمية وباظهار دينه اذا قوى أمرهم وقام بأمره بعده ابنه الياس ولم يزل مظهرا للاسلام مسرا لما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان طاهرا عفيفا زاهدا وهلك لخمسين سنة من ملكه وولى أمرهم من بعده ابنه يونس فأظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم يدخل فى أمره حتى حرق مدائن تامسنا

وما والاها يقال انه حرق ثلثمائة وثمانين مدينة واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف وهو حجر عال نابت وسط الطريق فقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين (قال زمون) ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من أهل بيته قبله ولا بعده وهلك لاربع وأربعين سنة من ملكه وانتقل الامر عن بنيه وولى أمرهم أبو غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى على ملك برغواطة وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له فى البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار اليها سعيد بن هشام المصمودى فى قوله

قفى قبل التفرق واخبرينا * وقولى واخبرى خبرا يقينا
وهذى أمة هلكوا وضلوا * وغاروا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبى أبو غفير * فأخزى الله أم الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بيت * على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فهالك * وعادية وساقطة جنينا
ستعلم أهل تامسنا اذا ما * أتوا يوم القيامة مقطعينا
هنالك يونس وبنو أبيه * يقودون البرابر حائرينا
اذا زرياور طافت عليهم * جهنم بأيدى المنكرينا
فليس اليوم يومكم ولكن * ليالى كنتم متيسرينا

واتخذ أبو غفير من الزوجات أربعا وأربعين وكان له من الولد مثلها وأكثر وهلك آخريات المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه وولى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله فاقتفى سننه وكان كثير الدعوة مهابا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصلة وكان يلبس الملحفة والسراويل ولا يلبس المخيط ولا يعتم أحد فى بلاده الا الغرباء وكان حافظا للجار وفيا بالعهد وتوفى سنة احدى وأربعين من المائة الرابعة لاربع وأربعين سنة من ملكه ودفن باسلاخت وبها قبره وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى ابن اثنتين وعشرين سنة فسار بسير آبائه وادعى النبوة والكهانة واشتد أمره وعلا سلطانه ودانت له قبائل المغرب (قال زمون) وكان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم مثل جراوة وزواغة والبرانس ومجاصة ومضغرة ودمر ومطماطة وبنو وارزكيت وكان أيضا بنو يفرن وآحدة وركامة وارزمن ورصافة ورغصرارة على دينهم ولم تسجد ملوكهم الا لله منذ كانوا اه كلام زمون وكان لملوك العدوتين فى غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم اساس وبعده آثار عظيمة من الادارسة والاموية والشيعة ولما أجاز جعفر بن على من الاندلس الى المغرب وقلده

المنصور بن أبى عامر عمله سنة ست وستين وثلثمائة فنزل البصرة ثم اختلف ذات بينه وبين أخيه يحيى واستمال عليه وجوه الهند وأمر أن يأتيه فيما قاله جعفر عن العمل وصرف وجهه الى جهاد برغواطة معتقدة من صالح عمله وزحف اليهم فى أهل المغرب وكافة الجند الاندلسيين فلقوه ببسيط بلادهم وكانت عليه الدبرة ونجا بنفسه فى فل من جنده ولحق بأخيه بالبصرة ثم أجاز بعدها الى المنصور باستدعائه وترك أخاه يحيى على عمل المغرب ثم حاربتهم أيضا صنهاجة لما غزا بلكين بن زيرى المغرب سنة ثمان وستين بعدها وأجفلت زناتة امامه وانزووا الى حائط سبتة وامتنعوا منه بأعوادها فانصرف عنهم الى جهاد برغواطة وزحف اليهم فلقيه أبو منصور عيسى بن أبى الانصار فى قومه وكانت عليهم الهزيمة وقتل أبو منصور وأثخن فيهم بلكين بالقتل وبعث سبيهم الى القيروان ولم أقف على من ملك أمرهم بعد أبى منصور ثم حاربتهم أيضا جنود المنصور ابن أبى عامر لما عقد عبد الملك بن المنصور لمولاه واضح إمرة برغواطة هؤلاء فمن قبله من الاجناد وامراء النواحى وأهل الولاية فعظم الاثر فيهم بالقتل والسبى ثم حاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل أبو يعلى بن محمد اليفرنى من بعد ذلك بناحية سلا من بلاد المغرب واقتطعوهم من عمل زيرى بن عطية المغراوى بعد ما كان بينهما من الحروب وانتاب أولاد يعلى هؤلاء الى تميم بن زيرى بن يعلى فى أول المائة الخامسة وكان موطنا بمدينة سلا ومجاورا لبرغواطة فكان له أثر كبير فى جهادهم وذلك فى سنى عشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا وولى عليها من قبله بعد ان أثخن فيهم سبيا وقتلا ثم تراجعوا من بعده الى أن ساءت دولة لمتونة وخرجوا من مواطنهم بالصحراء الى بلاد المغرب وافتتحوا الكثير من معاقل السوس الاقصى وجبال المصامدة ثم بدا لهم جهاد برغواطة بتامسنا وما اليها من الريف الغربى فزحف اليهم أبو بكر بن عمر أمير لمتونة فى المرابطين من قومه وكانت له فيهم وقائع استشهد فى بعضها صاحب الدعوة عبد الله ابن ياسين الكبروى سنة خمسين وأربعمائة واستمر أبو بكر وقومه من بعده على جهادهم حتى استأصلوا شأفتهم ومحوا من الارض آثارهم وكان صاحب أمرهم لعهد انقراض دولتهم أبو حفص عبد الله من أعقاب أبى منصور عيسى بن أبى الانصار عبد الله بن أبى غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف فهلك فى حروبهم وعليه كان انقراض أمرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين والحمد لله رب العالمين وقد نقل بعض الناس فى نسب برغواطة فبعضهم يعده فى قبائل زناتة وآخرون يقولون فى صالح انه يهودى من ولد شمعون بن يعقوب نشأ ببرباط ورحل الى المشرق وقرأ على عبد الله المغربى واشتغل بالسحر وجمع فنونا وقدم المغرب ونزل تامسنا فوجد بها قبائل جهالا

من البربر فأظهر لهم الزهد وسحرهم بلسانه وموه عليهم فقصدوه واتبعوه فادعى النبوة وقيل له برباطى نسبة الى الموطن الذى نشأ به وهو برباط وادبحص شريش من بلاد الاندلس فعربت العرب هذا الاسم وقالوا برغواط ذكر ذلك كله صاحب كتاب الجوهر وهى من بساتين البرور ومن الاغاليط البينة وليس القوم من زناته ويشهد لذلك موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة وأما صالح بن طريف فمعروف منهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك والتغلب على النواحى والقبائل لمنقطع جذمه دخيل فى نسبه سنة الله فى عباده وانما نسب الرجل برغواطة وانهم فى شعوب المصامدة شعب معروف كما ذكرناه والله ولى المتقين

بياض بالأصل

﴿الخبر عن غمارة من بطون المصامدة وما كان فيهم من الدول وتصاريف أحوالهم﴾

هذا القبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود وقيل غمار بن أصاد من مصمولان ويقول بعض العامة انهم عرب فروا الى تلك الجبال فسموا غمارة وهو مذهب عامى وهم شعوب وقبائل أكثر من أن تحصروا البطون المشهورة منهم بنو حميد ومتيوه وبنو نال وأغصاوه وبنو وزروال ومجكسة وهم آخر مواطنهم يعمرون رحاب الريف بساحل بحر الدرمن غبريعين بسائط المغرب من لدن غساسة فنكور فبادس فبنكيلس فبتطاوين فسبتة فالقصر الى طنجة خمس مراحل أو أزيد أوطنوا لها جبالا شاهقة اتصل بعضها ببعض سياجا بعد سياج خمس مراحل أخرى من العرض الى أن يتخطى بسائط قصر كتامة ووادى ورغة من بسائط المغرب ترتد عنها الابصار وتنزل فى حافاتها الطيور والهام وينفسح فى رؤسها وسربها الفجاج سبل السفر ومراتع السائمة وفدن المزرعة وادواح الرياض ويبين لك انهم من المصامدة بياهر النسب المحيط ونوالبعض شعوبهم يعرفون بمصمودة ساكنين ما بين سبتة وطنجة واليهم

ينسب قصر المجاز الذى يعبر منه الخليج البحرى الى بلد طريف وبعضده أيضا اتصال مواطنهم بمواطن برغواطة من شعوب المصامدة بريف البحر الغربى وهو المحيط اذ ذاك بنو حسان منهم موطنين بذلك الساحل من لدن آزغار وأصيلا الأن أننى من هنالك تتصل بهم مواطن برغواطة ودوكالة الى قبائل درن من المصامدة فاوراءها من بلاد القبلة فالمصامدة هم أهل الجبال بالمغرب الاقصى الاقليلا منها وغيرهم فى البسائط ولم تزل غمارة هؤلاء بمواطنهم هذه من لدن الفتح ولم يعلم ما قبل ذلك وللمسلمين فيهم أزمان الفتح وقائع الملاحم وأعظمها لموسى بن نصير وهو الذى حملهم على الاسلام واسترهن أبناءهم وأنزل منهم عسكرا مع طارق بطنجة وكان أميرهم لذلك العهد بليان وهو الذى وفد عليه موسى بن نصير وأعانه فى غزو الاندلس وكان منزله سبتة كما نذكره وذلك قبل استواء تاتكور وكانت فى غمارة هؤلاء بعد الاسلام دول قاموا بها لغيرهم وكان فيهم متنبئون ولم تزل الخوارج تقصد جبالهم للمنعة فيها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن سبتة ودولة بنى عصام بها)

كانت سبتة هذه من الامصار القديمة قبل الاسلام وكانت يومئذ منزل بليان ملك غمارة ولما زحف اليه موسى بن نصير صانعه بالهدايا وأذعن للجزية فأقره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومه وأنزل طارق بن زياد بطنجة للجزية وضرب عليهم العسكر للنزول معه ثم كانت اجازة طارق الى الاندلس فضرب عليهم البعوث وكان الفتح لا كفاء له كما مر فى موضعه ولما هلك بليان استولى العرب على مدينة سبتة صلحا من أيدى قومه فعمروها ثم كانت فتنة ميسرة الحقير وما دعا اليه من ضلالة الخارجية وأخذ بها الكثير من البرابر من غمارة وغيرهم فزحف من امرة طنجة الى سبتة وأخرجوا العرب منها وسبوها وخربوها فبقيت خلاء ثم نزل بها ماجكس من رجالاتهم ووجوه قبائلهم وبه سميت مجكسة فبناها ورجع اليها الناس وأسلم وسمع من أهل زمانه الى أن مات فقام بأمره ابنه عصام ووليها دهرا ولما هلك قام بأمره ابنه مجبر فلم يزل واليا عليها الى أن هلك ووليها أخوه الرضى ويقال انه ابنه وكانوا يعطون لبنى ادريس طاعة مضعفة كما نذكره ولما سما للناصر أمل فى ملك المغرب وتناوله حيلة من أيدى بنى ادريس المالكين بلاد الهبط وغمارة حين أجهضتهم كتامة وزناتة عن ملكهم بفاس وقام بدعوة الناصر وبثوها فى أعمالهم نزلوا حينئذ للناصر عن سبتة وأشاروا له الى تناولها من بنى عاصم فسرح اليها عساكره وأساطيله مع قائده نجاح بن عفير فكان فتحها سنة تسع عشرة وثلثمائة ونزل له الرضى بن عصام عنها وآتاه طاعته وانقرض أمر بنى عصام وصارت سبتة الى الناصر حتى استولى عليها بعد حين بنو حماد واستحدثوا بعدها دولة

أخرى كما ذكره لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموها وأمدهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر وكان فيهم من كل القبائل من العرب وكان صالح بن منصور الحميدى من عرب اليمن فى البعث الاول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه واقطعه اليها الوليد بن عبد الملك فى أعوام احدى وتسعين من الهجرة قاله صاحب المقباس وبلد نكور ينتهى من المشرق الى زواغة وجراوة بن أبى الحفيظ مسافة خمسة أيام وتجاورها من هنالك مطماطة وأهل كدالة ومن نبسة وغساسة أهل جبل هزك وقلدع جاره التى لبنى ورتندى ولميد وزناتة وينتهى من المغرب الى مروان من غمارة بنى حميد الى مسطاسة وصنهاجة ومن ورائهم أوربة حزب فرحون وبنى وليد وزناتة وبنى يونيان وبنى واسن حزب قاسم صاحب والبحر جوفى تكون على خمسة أميال فأقام صالح هنالك لما اقتطع أرضها وكثر نسله واجتمع اليه قبائل غمارة وصنهاجة وأسلموا على يده وقاموا بأمره وملك تكساماان وانتشر الاسلام فيهم ثم ثقلت عليهم الشرائع والتكاليف وارتدوا وأخرجوا صالحا وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف بالرندى ثم تابوا وراجعوا الاسلام وراجعوا صالحا فأقام فيهم الى أن هلك بتمسامان سنة ثنتين وثلاثين ومائة وولى أمره من بعده ابنه المعتصم بن صالح وكان شهما شريف النفس كثير العبادة وكان يلى الصلاة والخطبة لهم بنفسه ثم هلك لايام يسيرة وولى من بعده أخوه ادريس فاختط مدينة نكور فى عدوة الوادى ولم يكملها وهلك سنى ثلاث وأربعين وولى من بعده ابنه سعيد واستفحل أمره وكان ينزل مدينة تكساماان ثم اختط مدينة نكور لاول ولايته ونزلها وهى التى تسمى لهذا العهد المدة بين نهرين أحدهما نكور ومخرجه كزنارية ومخرجه من مخرج وادى ورغة واحد وثانى غيس ومخرجه من بلد بنى ورياغل يجتمع النهران فى آكال ثم يفترقان الى البحر ويقابل نكور من عدوة الاندلس بزليانة وغزا المجوس نكور هذه فى أساطيلهم سنة أربع وأربعين فغلبوا عليها واستباحوها ثانيا ثم اجتمع الى سعيد البرانس وأخرجوهم عنها وانتقضت غمارة بعدها على سعيد فخلعوه وولوا عليهم رجلا منهم اسمه مسكن وتراجعوا فأظهره الله عليهم وفرق جماعتهم وقتل مقدمهم واستوسق أمره الى أن هلك سنة ثمان وثمانين لسبع وثلاثين من أيامه وقام بأمره ابنه صالح بن سعيد فتقبل مذهب سلفه فى الاستقامة والاقتداء وكان له مع البربر حروب ووقائع الى أن هلك سنة خمسين ومائتين لاثنتين وسبعين سنة من ملكه وقام من بعده ابنه سعيد بن صالح وكان أصغر ولده فخرج اليه أخوه عبد الله وعمه الرضى وظفر بهما بعد حروب كثيرة فغرب أخاه الى

المشرق ومات بها لكه وأبقى على عمه الرضى لمادة صهر بينهما وقتل سائر من ظفر به من عمومته وقرابته وأنهض لهما سعادة الله بن هرون منهم ولحق ببنى يصلبتن أهل جبل أبى الحسن ودلهم على عورته وبيتوا معسكره واستولوا عليه وأخذوا الآلة وقتل منهم خلق ونجا سعادة الله بتمسامان وتقبض على أخيه ميمون فضرب عنقه ثم سار سعادة الله الى طلب الصلح فأسعفه وأنزله معه مدينة نكور ثم غزا سعيد بقومه وأهل ايالته من غمارة بلاد بطوية ومن يتصور وقلوع جارة وبنى وديدى وأصهر بأخيه الى أحمد بن ادريس بن محمد بن سليمان صاحبه وأنزله مدينة نكور معه وتوطأ الامر لسعيد فى تلك النواحى الى أن خاطبه عبد الله المهدى يدعوه الى أمره وفى أسفل كتابه لهم

وان تستقيموا أستقم بصلاحكم * وان تعدلوا عنى أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفى قاهر السيوفكم * وأدخلها عفوا واملؤها قتلا

فكتب اليه شاعره الاحمس الطليطلى بأمر يوسف بن صالح أخى الامير سعيد

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا * ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت الا جاهل ومنافق * تمثل للجهال فى السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد * وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فكتب عبد الله الى مصالة بن حبوس صاحب تاهرت وأغزى اليه فغزاه سنة أربع وثلثمائة لاربع وخمسين من دولته فغلبهم سعيد وقومه أياما ثم غلبهم مصالة وقتلهم وبعث برؤسهم الى رقادة فطيف بها وركب بقيتهم البحر الى مالقة فتوسع الناصر فى انزالهم وأجازهم واستبلغ فى تكرمتهم وأقام مصالة بمدينة نكور ستة أشهر ثم قفل الى تاهرت وولى عليها دلول من كتامة فانفض العسكر من حوله وبلغ الخبر الى بنى سعيد بن صالح وقومهم بمالقة وهم ادريس والمعتصم وصالح فركبوا السفن اليها وسبق صالح اليها منهم فاجتمع البربر بمرسى تكساماان وبايعوه سنة خمس وثلثمائة ولقبوه اليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فظفروا به وبمن معه وقتلوهم وكتب صالح بالفتح الى الناصر وأقام دعوته باعماله وبعث اليه الناصر بالهدايا والتحف والآلة ووصل اليه اخوته وسائر قومه وأتوه طاعة ولم يزل على هدى أوليه من الاقتداء الى أن هلك سنة خمس عشرة فحاصره وتغلب عليه فقتله واستباح المدينة وخربها سنة سبع عشرة ثم راجع اليها وقام بأمرهم أبو ثور اسمعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح ابن منصور وأعاد المدينة التى بناها صالح بن منصور وعمرها وسكنها ثلاثا ثم أغزى ميسور مولى أبى القاسم بن عبد الله صندلا مولاه عندما أناخ على فاس فبعث عسكرا مع صندل هذا فحاصر جراوة ثم عطف على نكور وتحصن منه اسمعيل بن عبد الملك

بقامة آرى وبعث اليه صندل رسله من طريقه فقتلهم فأغذ السير وقاتله ثمانية أيام ثم ظفر به فقتله واستباح القلعة وسباها واستخلف عليها من كتامة رجلا اسمه مرمازو ووصل صندل الى فاس فتراقع أهل نكور وبايعوا الموسى بن المعتصم بن صالح بن منصور وكان عند أبي الحسن عند يصليتن

وكان يعرف بابن رومي وقال صاحب المقباس هو موسى بن رومي بن عبد السميع بن رومي بن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح بن منصور وأخذ مرمازو ومن معه وضرب أعناقهم وبعث برؤسهم الى الناصر ثم ثار عليه من اعياص بيته عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن منصور فخلعه وأخرجه من نكور سنة تسع وعشرين ولحق موسى بالاندلس ومعه أهله وولده وأخوه هارون بن رومي وكثير من عمومته وأهل بيته فمنهم من نزل معه المرية ومنهم من نزل مالقة ثم انتقض أهل نكور على عبد السميع وقتلوه واستدعوا من مالقة جريج بن أحمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فبادر اليهم وبايعوه سنة ست وثلاثين فاستقامت له الامور وكان على مذهب سلفه في الاقتداء والعمل بمذهب مالك الى أن مات آخر سنة ستين لخمس وعشرين سنة من ملكه واتصلت الولاية في بنيه الى أن غلب عليهم ازداجة المتغلبين على وهران وزحف أميرهم يعلى بن أبي الفتوح الازداجي سنة ست وأربعمائة وقتل سنة عشر فغلبهم على نكور وخربها وانقرض ملكهم بعد ثلثمائة سنة وأربعة عشر سنة من لدن ولاية صالح وبقيت في بني يعلى بن أبي الفتوح وأزداجة الى أعوام ستين وأربعمائة والله مالك الامور لا اله الا هو اهـ

موسى بن رومي بن عبد السميع بن رومي بن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح بن منصور الحميري

عبد السميع بن جرثم

موسى بن المعتصم بن محمد بن فرة بن المعتصم

عبيد الله

(الخبر عن حاميم المتنبي من غمارة)

كان غمارة هؤلاء عريقين فى الجاهلية بل الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداوة والانتباذ عن مواطن الخير وتنبأ فيهم من مجكسة حاميم بن من الله بن جرير بن عمر بن زحفو ابن آزوال بن مجكسة يكنى أبا محمد وأبوه أبا خلف تنبأ سنة ثلاث عشرة وثلثمائة بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان واجتمع اليه كثير منهم وأقروا بنبوته وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والاحكام وصنع لهم قرآنا كان يتلوه عليهم بلسانه فمن كلامه يامن يخلى البصر ينظر فى الدنيا خلنى من الذنوب يامن أخرج موسى من البحر آمنت بحاميم وبأبيه أبى خلف من الله وآمن رأسى وعقلى وما يكنه صدرى وما أحاط به دمى ولحمى وآمنت بتابعيت عمة حاميم أخت أبى خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة الى غير هذا وكان يلقب المفترى وكانت أخته دبو ساحرة كاهنة وكانوا يستغيثون بها فى الحروب والقحوط وقتل فى حروب مصمودة باحواز طنجة سنة خمسة عشر وثلثمائة وكان لابنه عيسى من بعده قدر جليل فى غمارة ووفد على الناصر ورهطهم بنو زحفو موطنون بوادى لاو ووادى وانمر قرب تطوان وكذلك تنبأ منهم بعد ذلك عاصم بن جميل البزدعوى وله أخبار مأثورة وما زالوا يفعلون السحر لهذا العهد وأخبرنى المشيخة من أهل المغرب ان أكثر منتحلى السحر منهم النساء العواتق قال ولهم علم استجلاب روحانية ما يشاؤنه من الكواكب فاذا استولوا عليه وتكيفوا بتلك الروحانية تصرفوا منها فى الاكوان عما شاؤا والله أعلم

(الخبر عن دولة الادارسة وهى غمارة وتصاريف أحوالهم)

كان عمر بن ادريس قد قاسم محمد بن ادريس أعمال المغرب بين اخوته برأى جدته كنزة أم ادريس اختص منها تكيساس وترغه وبلاد صنهاجة وغمارة واختص القاسم بطنجة وسبتة والبصرة وما الى ذلك من بلاد غمارة ثم غلب عمر عليها عندما تنكر له أخوه محمد واستضافها الى عمله كما ذكرنا فى أخبارهم ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك الى عملهم الاول فملكوه واختص منهم محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم قلعة حجر النسر الدانية وسبتة معقلا لهم وثغر العدالهم وبقيت الامارة بفاس وأعمال المغرب فى ولد محمد بن ادريس ثم أدالوا منهم بولد عمر بن ادريس وكان آخرهم يحيى بن ادريس بن عمر وهو الذى بايع لعبيد الله الشيعى على يد مصالة بن حبوس قائده وعقد له على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليها سنة ثلاث عشرة من بنى القاسم الحسن ابن محمد بن القاسم بن ادريس وتلقب الحجام لطعنه فى المحاجم وكان مقداما شجاعا وثار أهل فاس بريحان وملكوا الحسن وزحف اليه موسى فقتله ومات

واستولى ابن أبى العافية على فاس وأعمال المغرب وأجلى الادارسة وأجاءهم بحصنهم حجر النسر وبحترف الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان لغمارة فى التمسك بدعوتهم اياد ومقامات واستجدوا بتلك الناحية ملكا توزعوه قطعا كان أعظمها لبنى محمد هؤلاء ولبنى عمر بتكيسان ونكور وبلاد الريف ثم سما الناصر عبد الرحمن الى ملك العدوة ومدافعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن سبتة سنة تسع وتناولها من يد الرضى بن عصام رئيس مجكسة وكان يقيم فيها دعوة الادارسة فأفرجوا له عنها ودانوا بطاعته وأخذها من يده ولما غزا أبو القاسم ميسور الى المغرب لمحاربة ابن أبى العافية بفاس نقض طاعتهم ودعا للمروانية وجد بنو محمد السبيل الى الانتصار والانتقام منه بمظاهرة ميسور عليه ووالاهم على ذلك بنو عمر صاحب نكور ولما استقل ابن أبى العافية من نكبته ورجع من الصحراء سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بنى محمد وبنى عمر وهلك بعد ذلك وأجاز الناصر وزيره قاسم بن محمد بن طملس سنة ثلاث وثلاثين لحربهم وكتب الى ملوك مغراوة محمد بن حزر وابنه بمظاهرة عساكره مع ابن أبى العيش عليهم فتسارع أبو العيش بن ادريس بن عمر المعروف بن شالة الى الطاعة وأوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان وأوفد ابنه محمد بن أبى العيش مؤكدا للطاعة فاحتفل لقدومه وأكد له العقد ونصل سائر الادارسة من بنى محمد مذهبهم وسألوا مثل سؤالهم فعقد لجميع بنى محمد أيضا وكان وفد منهم محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد والحسن بن القاسم بن ابراهيم بن محمد وكان بنو ادريس يرجعون فى رياستهم الى بنى محمد هؤلاء منذ استبد بها آخرهم الحسن بن محمد الملقب بالحجام فى ثورته على ابن أبى العافية فقدموا على أنفسهم القاسم بن محمد الملقب بكنون بعد فراره موسى بن أبى العافية وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيما لدعوة الشيعة الى ان هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام بأمرهم من بعده أبو العيش أحمد بن القاسم كنون وكان فقيها عالما بالايام والاخبار شجاعا ويعرف بأحمد الفاضل وكان منه ميل للمروانية فدعا للناصر وخطب له على منابر عمله ونقض طاعة الشيعة وبايعه أهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه أهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن أبى العيش بن ادريس بن عمر بن شالة على الناصر عن أبيه سنة ثمان وثلاثين فاتصل به وفاة أبيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه وهجم عيسى ابن عمه أبى العيش أحمد بن القاسم كنون على عمله بتكيسان فى غيبة محمد فهبطها واحتوى على مال ابن شالة ولما أقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة الى عيسى المذكور ابن كنون فقطعوا به وأثخنوه جراحة وقتلوا أصحابه ببلاد غمارة وأجاز الناصر قواده الى المغرب وكان أول من أجاز الى بنى محمد هؤلاء سنة ثمان

وثلاثين أحمد بن يعلى من طبقة القواد فى العساكر ودعاهم الى هدم تطوان فامتنعوا ثم انقادوا وتنصلوا وأجابوا الى هدمها ورجع عنهم فانتقضوا فسرح اليهم حميد بن يصل المكناسى فى العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا اليه بوادى لاو فأوقع بهم فأذعنوا بعدها وتغلب الناصر على طنجة من يد أبى العيش أمير بنى محمد وبقى باصلا على بيعة الناصر ثم تخطت عساكر الناصر الى بسائط المغرب فاذعن له أهله وأخذ بدعوته فيه أمراء زناتة من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة كما ذكرناه فضعف أمر بنى محمد واستأذنه أميرهم أبو العيش فى الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور له فى كل مرحلة من الجزيرة الى الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فأجاز أبو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وتلقاه الناصر بالمبرة وأجرى له ألف دينار فى كل يوم وهلك شهيدا فى دواتف الجهاد سنة ثلاث وأربعين وأخذ معه قائده جوهرا ولما قفل من المغرب راجع الحسن الطاعة للناصر الى ان هلك سنة خمسين فأخذ الحكم عزمه فى سد ثغور المغرب وإحكام دعوتهم فيه ونصد لها عزائم أوليائهم من ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيرى وبلكين ما ذكرناه ثم أغزى معه بلكين بن زيرى المغرب سنة ثنتين وستين أولى غزواته فأثخن فى زناتة وأوغل فى ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة المروانية فلما انصرف بلكين أجاز الحكم الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طملس وخلف كثيرا من عسكره وأوليائه ودخل فلهم الى سبتة واستصرخوا الحكم فبعث غالبا مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة وأمده بما يعينه على ذلك من الاموال والجنود وأمره باستنزال الادارسة وأجازهم اليه وقال سر يا غالب مسير من لا اذن له فى الرجوع الا حيا منصورا أو ميتا معذورا واتصل خبره بالحسن بن كنون فأفرج عن مدينة البصرة واحتمل منها أمواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب من سبتة ونازله غالب ببعض مصمودة فاتصلت الحرب بينهم أياما ثم بث غالب المال فى رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود ففروا وأسلموه ولجأ بقلعة حجر النسر ونازله غالب وأمده الحكم بعرب الدولة ورجال الثغور وأجازهم مع وزيره صاحب الثغر الاعلى يحيى بن محمد بن ابراهيم التجيبى فيمن معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين فاجتمع مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من غالب الامان فعقد له وتسلم الحصن من يده ثم عطف على من بقى من الادارسة ببلاد الريف فأزعجهم وسيرهم شردا واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم وسار الى فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن على بن قشوش فى عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة الجذامى فى عدوة الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون وسائر

ملوك الادارسة وقد مهد المغرب وحاله وقطع الشيعة وذلك سنة أربع وستين وتلقاهم الحكم وأركب الناس للقديم وكان يوم دخولهم الى قرطبة احفل أيام الدولة وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له بالعهد وأجزل له ولرجاله العطاء والخلع والجعالات وأوسع عليهم الجراية وأسنى لهم الارزاق ورتب من حاشيتهم فى الديوان سبعمائة من أنجاد المغاربة ونجى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من الحسن قطعة عنبر عظيمة تأدت عليه من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه فاتخذ منها أريكة يرتفقها ويتوسدها فسأله حملها اليه على أن يحكمه فى رضاه فأبى عليه مع سعاية بنى عمه فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ولجاجته فنكبه واستصفى ما لديه من قطعة العنبر وسواها واستقام المغرب للحكم وتظافر امراؤه على مدافعة بلكين وعقد الوزير المنصورى لجعفر بن على على المغرب واسترجع يحيى بن محمد بن هاشم وغرب الحسن بن كنون الادارسة جميعا الى المشرق استثقالا لنفقاتهم وشرط عليهم أن لا يعودوا فعبروا البحر من المرية سنة خمس وستين ونزلوا من جوار العزيز معد بالقاهرة خير نزل وبالغ فى الكرامة ووعد بالنصرة والترة ثم بعث الحسن بن كنون الى المغرب وكتب له الى آل زيرى بن مناد بالقيروان بالمظاهرة فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث المنصور بن أبى عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وتقبضوا عليه وأشخصوه الى الاندلس فقتل فى طريقه كما ذكرناه فى أخبارهم وانقرض ملك الادارسة من المغرب أجمع الى ان كان رجوع الامر لبنى حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة وطنجة كما نذكره ان شاء الله تعالى

عيسى بن أبي العيش أحمد بن القاسم بن محمد القاسم بن ادريس بن ادريس.

[illegible] الحسن بن قاسم بن ابراهيم

[illegible] محمد بن عيسى بن أحمد

[illegible]

هو من الادارسة بفاس بايع لعبيد الله على يد مصالة بن
عبد الله

وكان الحسن هذا قد ثار في فاس من بعد يحيى ثم قتله
ابن أبي العافية ثم غزته الحكم مع الادارسة الى
مصر وبعثه الحكم فهلك بأمر وانتزعها منه المنصور
ابن أبي عامر

{الخبر عن دولة حمود ومواليهم بسبتة وطنجة} {وتصاريف أحوالهم وأحوال غمارة من بعدهم}

كان الادارسة لما أجلاهم الحكم عن العدوة الى المشرق ومحا آثارهم من سائر بلاد المغرب واستقامت غمارة على طاعة المروانية وأذعنوا الجند الاندلسيين ورجع الحسن ابن كنون لطلب أمرهم فهلك على يد المنصور بن أبي عامر فانقرض أمرهم وافترقت الادارسة في القبائل ولاذوا بالاختفاء الى أن خلعوا شارة ذلك النسب واستحالت صبغتهم منه الى البداوة ولحق بالاندلس في جملة البرابرة من ولد عمر بن ادريس رجلان منهم وهم على والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن ادريس فطار لهما ذكر في الشجاعة والاقدام ولما كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية ونصب البرابرة سليمان بن الحكم ولقبوه المستعين اختص بني حمود هذين وأحسنوا الغناء في ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعلي بن حمود هذا على طنجة وأعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ثم انتقض ودعا لنفسه وأجاز الى الاندلس وولي الخلافة بقرطبة كما ذكرناه فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى ثم أجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك أبيه على منازعا لعمه القاسم واستقل أخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر أعمال أبيه بل بالعدوة من مواطن غمارة ثم أجاز بعد مهلك أخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واستبداده ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقية على الاستبداد بمالقة أجاز نجا الخادم لحسن بن يحيى من طنجة الى مالقة ورتب أمره في خلافته ورجع الى سبتة وعقد لحسن على عملهم في مواطن غمارة حتى اذا هلك حسن أجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد واستخلف على العمل من وثق به من الموالي الصقلبية فلم يزل الى نظرهم واحدا بعد آخر الى ان استقل بسبتة وطنجة من موالي بني حمود هؤلاء الحاجب سكوت البرغواطي كان عبدا للشيخ حداد من مواليهم اشتراه من سبي برغواطه في بعض أيام جهاده ثم صار الى على بن حمود فأخذ النجابة بطبعه الى ان استقل بأمرهم واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة وأطاعته قبائل غمارة واتصلت أيام ولايته الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب ابن تاشفين سنة احدى وسبعين ودعى الحاجب سكوت الى مظاهرته على مغراوة بفاس ونجا الى بلاد الدمنة من آخر بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة ونازلهم يوسف بن تاشفين سنة احدى وسبعين ودعا الحاجب سكوت الى مظاهرته عليهم فهم بالايجاش ومظاهرته على عدوه ثم ثناه عن ذلك ابنه الفائل الرأى

فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وأوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون
غمارة من ورائه وانقاد المغرب لحربه صرف وجهه الى سكوت فجهز اليه العساكر
وعقد عليها للقائد صالح بن عمران من رجال لمتونة فتبا شرت الرعايا بمقدمهم وانثالوا
عليهم وبلغ الخبر الى الحاجب سكوت فأقسم أن لايسمع أحدا من رعيته هدير طبولهم
ولحق هو بمدينة طنجة ثغر عمله وقد كان عليه من قبله ابنه ضياء الدولة المعز وبرز للقاتهم
فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكوت وطحنت رحى المرابطين وسالت
نفسه على ظباهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق ضياء الدولة بسبتة ولما تكالب
الطاغية على بلاد الاندلس وبعث ابن عباد صريخه الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
مستنجزا وعده فى جهاد الطاغية والذب عن المسلمين وكاتبه أهل الاندلس كافة بالتحريض
الى الجهاد وبعث ابنه المعز سنة ست وسبعين فى عسكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز
فنازلها برا وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرا واقتحموها عنوة وتقبض على ضياء
الدولة ونبذ الى المعز فطالبه بالمال لاغنائه فأ ... فقتله لوقته وعثر على ذخائره وفيها خاتم
يحيى بن على بن حمود وكتب الى أبيه بالفتح وانقرضت دولة بنى حمود وانمحى آثارهم
وسلطانهم من بنى غمارة وأقاموا فى طاعة لمتونة سائر أيامهم * ولما نجم المهدى بالمغرب
واستفحل أمر الموحدين بعد مهلكه تنقل خليفته عبد المؤمن فى بلادهم فى غزاته
الكبرى ففتح المغرب سنة سبع وثلاثين ومابعدها الماقبل استيلائه على مراكش كما نذكره
فى أخبارهم واتبعوا أثره ونازلوا سبتة فى عساكره وامتنعت عليهم وتولى كبرامتناعها
قائدهم عياض الطائر الذكر يامسهم لذلك العهد بدينه وأبوته وعلمه ومنصبه ثم افتتحت
بعد فتح مراكش سنة احدى وأربعين فكانت   هؤلاء للسابقة
التى رعيت لهم سائر أيام الدولة ولما فشل أمر بنى عبد المؤمن وذهب ريحه وكثر الثوار
بالقاصية ثار فيهم ابن محمد الكتامى سنة خمس وعشرين كان أبوه من قصر كتامة منقبضا
عن الناس وكان ينتحل الكيميا وتلقنه عنه ابنه محمد هذا وكان يلقب أبا الطواجن
فارتحل الى سبتة ونزل على بنى سعيد وادعى صناعة الكيميا فاتبعه الغوغاء ثم ادعى
النبوة وشرع شرائع وأظهر أنواعا من الشعبذة فكثر تابعه ثم اطلعوا على خبثه
ونبذوا اليه عهده وزحفت عساكر سبتة اليه ففرعنها وقتله بعض البرابرة غيلة ثم غلب
بنو مرين على بسائط المغرب وأمصاره سنة أربعين وستمائة واستولوا على كرسى
الامر بمراكش سنة ثمان وستين فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم
وأقاموا بمنجاة من الطاعة وعلى نهج من الخلاف وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بنى
مرين بسبب امتناعهم وصار أمرها الى الشورى واستبد بها الفقيه أبو القاسم العزفى

من مشيختها كما سنذكر ذلك كله الى ان وقع بين قبائل غمارة ورؤسائهم فتن وحروب
ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بنى مرين فأتوها طواعية
وأدخل الآخرون فى الطاعة ملأهم طوعا أو كرها فملك بنو مرين أمرهم واستعملوا
عليهم وتخطوا الى سبتة من ورائهم فملكوا من العزفيين سنة سبع وعشرين وسبعمائة
على مانذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الآن على أحسن أحوالهم من الاعتزاز والكثرة
يؤدون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ويعرضون فيها عند التياثها بفشل
واشتغال بمحاربها فتجهز البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا على الطاعة ولهم
بموره جبالهم عز ومنعة وجوار لمن لحق بهم من أعياص الملك
الخوارج الى هذا العهد   من بينهم الحظ الوافر من ذلك
لاشراف جبلهم على سائرها وسموه بقلاعه الى مجارى السحب دونها وتوعر مسالكه
بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيها
وصاحب أمره يوسف بن عمرو بنوه ولهم فيه عزة وثروة قد اتخذوا به المصانع والغروس
وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء وأقطعهم ببسيط طنجة الضياع استئلافا لهم
وحسما   سائر غمارة بايناس طاعتهم ولله الخلق والامر بيده
ملكوت السموات والارض

{ الخبر عن أهل جبال درن بالمغرب الاقصى من بطون المصامدة
وما كان لهم من الظهور والاحوال ومبادى أمورهم وتصاريفها }

هذه الجبال بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمور بما أعرق فى الثرى أصلها وذهبت
فى السماء فروعها ومدت فى الجو هياكلها ومثلت سياجا على ريف المغرب سطورها
تبتدئ من ساحل البحر المحيط عند أسفى ومااليها وتذهب فى المشرق الى غير نهاية
ويقال انها تنتهى الى قبلة برنيق من أرض برقة وهى فى الجانب ممايلى مراكش قد
ركب بعضها بعضا متتالية على نسق من الصحراء الى التل يسير الراكب فيه معترضا من
تامسنا وسواحل مراكش الى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثمان مراحل وأزيد
تفجرت فيها الانهار وجلل الارض حمراء الشعراء وتطابقت بينها ظلال الادواح
وزكت فيها مواد الزرع والضرع وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد وطابت
منابت الشجر ودرت أفاويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة أمم لايحصيهم الا
خالقهم قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المبانى والقصور واستغنوا بقطرهم عن
سائر أقطار العالم فرحل اليهم التجر من الآفاق واختلفت اليهم أهل النواحى والامصار
ولم يزالوا منذ أول الاسلام وماقبله معتمرين تلك الجبال قد أوطنوا منها أقاليم تعددت

بياض بالاصل فى الاربعة

فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم وافترقت أسماؤها بافتراق أجيالهم تنتهى ديارهم من هذه الجبال الى بنية المعروفة ببنى فازان حيث تبتدئ مواطن صنهاجة ويحفون بهم كذلك من ناحية القبلة الى بلاد السوس وقبائل هؤلاء المصامدة بهذه المواطن كثيرة فمنهم هرغة وهنتاتة وتينملل وكدميوة وكنفيسة وو ريكه وهزميرة ودكالة وصاحة وأمادين وازكيت وبنوماكر وايلنة ويقال هيلانة ويقال أيضا ان ايلان هو ابن براصهر المصامدة فكانوا احلافا لهم ومن بطون أمادين مصفاوة وماغوس ومن مصفارة دغاغة وبوطاابان ويقال إن غمارة ورهون وأمل من أمادين والله أعلم ويقال إن من بطون صاحة زكرو لحقيس الظواعن الآن بأرض السوس أحلافا لذوى حسان المتغلبين عليها من عرب المعقل ومن بطون كنفيسة أيضا قبيلة سكساوة الموطنون بأمنع المعاقل بهذه الجبال المطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة وعلى ساحل البحر المحيط من المغرب ولهم بمنعة معقلهم ذلك اعتزاز على أهل جلدتهم حسبما نذكر بعد وكان لهؤلاء المصامدة صدر الاسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لاخوانهم برغواطة فى نحلة كفرهم وكان من مشاهيرهم كثير ابن وسلاس بن شملال بن امادة وهو يحيى بن يحيى راوى الموطأ عن مالك دخل الاندلس وشهد الفتح مع طارق وفى آخرين من مشاهيرهم استقروا بالاندلس وكان لاعقابهم بها ذكر فى الدولة الاموية كان منهم قبل الاسلام ملوك وامراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدى وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة العدوتين ومن صنهاجة بافريقية حسبما هو مشهور ويأتى الآن ذكره ان شاء الله وبالله التوفيق لارب سواه ولا معبود الا اياه

لبوطاان ــ بن مصغاو ــ بن اصابر

- وازكيت ــ [illegible]
- مكسيد بن كنسف ــ [illegible]
- وريكة ــ [illegible]
- دكراكة ــ [illegible]
- هزميرة ــ [illegible]
- دكالة ــ [illegible]
- [illegible] ــ زكن

{الخبر عن مبدأ أمر المهدى ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يدى بنى عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه}

لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال درن عظيما وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا وفى أخبار الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الاسلام ماهو معروف مذكور الى ان أظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيها مستفحلا وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهما حتى لما اختطوا مدينة مراكش أنزلهم جوار مواطنهم من درن ليتميزوا عمن سواهم ويذللوا من صعابهم وفى عنفوان تلك الدولة على عهد على بن يوسف منهم انجم امامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدى أصله من هرغة من بطون المصامدة الذين عددناهم يسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب فى صغره أيضا امغار وهو محمد بن عبد الله بن وجليه ابن يامصال بن حمزة بن عيسى فيما ذكر ابن رشيق وحققه ابن القطان وذكر بعض مؤرخى المغرب انه محمد بن تومرت بن نيطاوس بن سا ولا بن سفيون بن انكلديس بن خالد

وزعم كثير من المؤرخين ان نسبه فى أهل البيت وانه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أخى ادريس الاكبر الواقع نسب الكثير من بيته فى المصامدة وأهل السوس كذا ذكر ابن نخيل فى سليمان هذا وانه لحق بالمغرب ابن أخيه ادريس ونزل تلمسان وافترق ولده فى المغرب قال فمن ولده كل طالبى بالسوس وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى المغرب وان رباحا الذى فى عمود هذا النسب انما هو ابن يسار من العباس بن محمد بن الحسن وعلى الامرين فان نسبة الطالبى وقع فى هرغة من قبائل المصامدة ورسخت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم وانتسب بنسبتهم وصار فى عدادهم وكان أهل بيته أهل نسك ورباط وشب محمد هذا قارئا محبا للعلم وكان يسمى أسافو ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها وارتحل فى طلب العلم الى المشرق على راس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهى اذ ذاك دار علم ثم أجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى جلة من العلماء يومئذ وفحول النظار وأفاد علما واسعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزاة يتحينون ظهور دولة يومئذ بالمغرب ولقى فيما زعموا أبا حامد الغزالى وفاوضه بذات صدره بذلك فاراده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذ باقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض أركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان سأله عمن له من العصابة والقبائل التى يكون بها الاعتزاز والمنعة ونشأ بها لتتم أمر الله فى درك البغية وظهور الدعوة وانطوى هذا الامام راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين وكان قد لقى بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم فى الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة فى صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم فى تأويل المتشابه من الآى والاحاديث بعد ان كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم فى التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت ففطن أهل المغرب فى ذلك وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة فى التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأى الامامية من الشيعة وألف فى ذلك كتابه فى الامامة الذى افتتحه بقوله أعز ما يطلب وصار هذا المفتتح لقبا على ذلك الكتاب وأحل بطرابلس أول بلاد المغرب معتمدا بمذهبه ذلك مظهرا النكير على علماء المغرب فى عدولهم عنه آخذا نفسه بتدريس العلم والامر

بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطاع حتى لقى بسبب ذلك أذيات فى نفسه احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المترفين فأغلظ له ولاتباعه بالنكير وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات فى الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به فخرج منها خائفا ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه اليه فأبوا وأسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهى لهذا العهد معروفة وهنالك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن على حاجا مع عمه فأعجب بعلمه وانثنى عزمه عن وجهه ذلك واختص به وتشمر للاخذ عنه وارتحل المهدى الى المغرب وهو فى جملته ولحق بونشريس فصحبه منها البشير من جلة أصحابه ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضى بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه لاهل قطره وظن أن من العدل نزعه عن ذلك فصم عن قوله واستمر على طريقه الى فاس ثم الى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فأوقع به الشرار من الغوغاء فأوجعوه ضربا ولحق بمراكش فأقام بها آخذا فى شأنه ولقى على بن يوسف بالمسجد الجامع فى صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له القول ولقى ذات يوم الصورة أخت على بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين فى زى نسائهم فوبخها ودخل على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ففاوض الفقهاء فى شأنه بما وصل اليهم من شهرته وكانوا ملئوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الاشعرية فى تأويل المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف فى اقراره كما جاء ويرى ان الجمهور اعتقدوه تجسيما ويذهب الى تكفيرهم بذلك أحد قولى الاشعرية فى التكفير فمال الى الرأى فأغروا الامير به فأحضره للمناظرة معهم فكان له الفلج والظهور عليهم وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه بأغمات وغير المناكير على عادته وأغرى به أهلها على بن يوسف وطيروا اليه بخبره فخرج منها هو وتلميذه الذين كانوا فى صحابته ودعا اسمعيل بن أيكيك من أصحابه وهو من انجاد قومه وخرج به الى منجاة من جبال المصامدة فلحق أولا بمسفيوه ثم بهنتاتة ولقيه من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على وهو أبو حفص ويعرف بينهم بابن هنتاتة بنى فاصكات وتقول نسابتهم ان فاصكات هو جد وانودين وينال لهنتاتة بلسانهم هنتى فلذلك كان يعرف عمر بهنتى وسيأتى الكلام فى تحقيق نسبهم عند ذكر دولتهم ثم ارتحل المهدى عنهم الى ايكيليز من بلاد هرغة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رابطة للعبادة

اجتمعت اليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة فى التوحيد باللسان البربرى وشاع أمره فى عجيبه واستدرك فقيه العلمية بمجلس الامير على بن يوسف وهو مالك بن وهيب أغراه به وكان حزاء ينظر فى النجوم وكان الكهان يتحدثون بان ملكا كائنا بالمغرب بأمة من المغرب ويتغير فيه شكل السكة لقران بين الكوكبين العلويين والسيارة تقتضى ذلك فى أحكامهم وكان الامير يتوقعها فقال احتفظوا بالدولة من الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع فى كلام سفساف بسجع سوقى يتناقلها الناس نصه * وهو اجعل على رجله كبلا * لئلا يسمعك طبلا * وأظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه على بن يوسف ففقده وسرح الخيالة فى طلبه ففاتهم وداخل عامل السوس وهو أبو محمد اللمتونى بعض سرعة فى قتله ونذر بهم اخوانهم فنقلوا الى معقل أشياعهم وقتلوا من داخل فى أمرهم ودعوا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين دونه سنة خمسة عشر وخمسمائه فتقدم اليه رجالاتهم من العشرة وغيرها وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى وأبو يحيى بن يكبت ويونس بن وانودين وابن يغمور ومن تينملل أبو حفص عمر بن على الصناكى ومحمد بن سليمان وعمرو بن تافراتكين وعبد الله بن ملويات وأهب قبيلة هرغة قد خلوا فى أمره كلهم ثم دخل معهم كيدموية وكنفيسة ولما كانت بيعته لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبلها الامام وكان يسمى أصحابه الطلبة وأهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من أصحابه سماهم ايت الخمسين وزحف اليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد اللمتونى بمكانهم من هرغة فاستجاشوا باخوانهم من هنتاتة وتينملل فاجتمعوا اليه وأوقعوا بعسكر لمتونة فكانت هزيمة الفتح وكان الامام يعدهم بذلك فاستبصروا فى أمره وتسابق كافتهم الى الدخول فى دعوته وترددت عساكر لمتونة اليهم مرة بعد أخرى ففضوهم وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينملل فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادى نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل أولاد هزرجة وأوقع بهم مرارا ودانوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم أبو دونة اللمتونى فغلبهم وقتل فاتبعه بنو واسكيت فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ثم غزا بلد غجرامة وكان قد افتتحه وترك فيه الشيخ أبا محمد دعطية من أصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم ورجع الى تينملل وأقام بها الى ان كان شأن التمييز وميز الموحد من المنافق وكانوا يسمون لمتونة الحشم فاعتزم على غزوهم وجمع كافة أهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكيكب وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى أغمات فلقيهم هنالك زحوف لمتونة مع بكر بن على بن يوسف وابراهيم بن تاعماشت فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء أربعين

ألفا كلهم راجلين الا أربعمائة فارس واحتفل على بن يوسف الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم خرج عليهم من باب ايلان فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد البشير من أصحابه واستحر القتل فى هيلانة وأبلى عبد المؤمن فى ذلك اليوم أحسن البلاء وكانت وفاة المهدى لاربعة أشهر بعدها وكان يسمى أصحابه بالموحدين تعريضا بلمتونة فى أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم الى التجسيم وكان حصورا لا يأتى النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم فى التقشف والعبادة ولم تحفظ عنه فلتة فى البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة فى القول بالامام المعصوم والله تعالى أعلم

{الخبر عن دولة عبد المؤمن خليفة المهدى والخلفاء الاربعة من بنيه ووصف أحوالهم ومصاير أمورهم}

لما هلك المهدى سنة اثنتين وعشرين كما ذكرناه وقد عهد بأمره من بعده لكبير صحابته عبد المؤمن بن على الكومى المتقدم ذكره ونسبه عند ذكر قومه فقبره بمسجده لصق داره من تينملل وخشى أصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المؤمن بن على لكونه من غير جلدتهم فارجأوا الامر الى أن يخالط بشاش الدعوة قلوبهم وكتموا موته زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه ويقيمون سنته فى الصلاة والحزب الراتب يدخل أصحابه الى البيت كأنه اختصهم بعيادته فيجلسون حوالى قبره ويتناوضون فى شؤونهم ثم يخرجون لانفاذ ما رموه ويتولاه عبد المؤمن بتلقينهم حتى اذا استحكم أمرهم وتمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم وتمالأ من بقى من العشرة على تقديم عبد المؤمن وتولى كبر ذلك الشيخ أبو حفص وأراد هنتاتة وسائر المصامدة غلبه فأظهروا للناس موت المهدى وعهده لصاحبه وانقياد بقية أصحابه لذلك وروى يحيى بن يغمور انه كان يقول فى دعائه اثر صلواته اللهم بارك فى الصاحب الافضل فرضى الكافة وانقادوا وأجمعوا على بيعته بمدينة تينملل سنة أربع وعشرين فقام بأمر الموحدين وأبعد فى الغزوات فصبح تادلا وأقام بها وأصاب منهم ثم غزا درعه واستولى عليها سنة ست وعشرين ثم غزا تاسعون وافتتحها وقتل واليها أبا بكر بن مازرو ومن كان معه من قومه غمارة بنى وزارو بنى مرزع ثم تسابق الناس الى دعوتهم أفواجا وانتقض البرابر فى سائر أقطار المغرب على لمتونة فسرح على بن يوسف ابنه تاشفين لقتالهم سنة ثلاث وستين فجاءهم من ناحية أرض السوس وأحشد معه قبائل كزولة وجعلهم فى مقدمته فلقيهم الموحدون بأوائل حفلهم وهزموهم ورجع تاشفين ولم يلق حربا ودخل كزولة من بعدها فى دولة الموحدين وأجمع عبد المؤمن على غزو بلاد المغرب فغزا غزاته الطويلة منذ سنة أربع وثلاثين الى سنة احدى وأربعين

ولم يراجع فيها تينملل حتى اذا انقضت بالفتح والاستيلاء على المغرب بن خرج اليها من تينملل وخرج تاشفين بعساكره يحاذيه فى البسائط والناس يفرون منه الى عبد المؤمن وهو يتنقل فى الجبال فى سعة من الفواكه للأكل والحطب للدفء الى أن وصل الى جبل غمارة واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا من المغرب وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة وهلك خلال ذلك على بن يوسف أمير لمتونة ملك العدوتين سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وولى أمرهم تاشفين ابنه وهو فى غزاته هذه وقد أحيط به وحزن بعد أبيه على فتنة بنى لمتونة ومسوفة فنزع أمراء مسوفة مثل بدران بن محمد ويحيى بن كصتن ويحيى بن اسحق المعروف بانكار وكان والى تلمسان ولحقوا بعبد المؤمن اليهم من الجملة ودخلوا فى دعوته ونبذ اليهم لمتونة العهد والى سائر مسوفة واستمر عبد المؤمن على حاله فنازل سبتة وامتنعت عليه وتولى كبر دفاعه عنها القاضى عياض الشهير الذكر كان رئيسها يومئذ بدينه وأبوته ومنصبه ولذلك سخطته الدولة آخر الايام حتى مات مغربا عن سبتة بتادلا مستعملا فى خطة القضاء بالبادية وتمادى عبد المؤمن فى غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ثم نزل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فأطاعته قبائل مديونة وكان بعث اليهم عساكر من الموحدين الى نظر يوسف بن وانودين وابن مومو فخرج اليهم محمد بن يحيى بن فانو عامل تلمسان فيمن معه من عساكر لمتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانو وانفض عسكر زناتة ورجعوا الى بلادهم وولى ابن تاشفين على تلمسان أبا بكر بن مزدلى ووصل الى عبد المؤمن بمكانه من الريف أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن بدر أمراء بنى مانو فبعث معهم ابن يعمور وابن وانودين فى عسكر من الموحدين فأثخنوا فى بلاد عبد الواد وبنى ياجدى سبيا وأسرا وأمدهم عساكر لمتونة ومعهم الربرتير قائد الروم ونزلوا منداس واجتمعت عليهم زناتة فى بنى يلومى وبنى عبد الواد وشيخهم حمامة بن مطهر وبنى يتكاس وبنى ورسفان وبنى توجين فأوقعوا فى بنى مانو واستنقذوا غنائمهم وقتل أبو بكر بن ماخوخ فى ستمائة من قومه وتحصن الموحدون وابن وانودين بجبال سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ بعبد المؤمن صريخا على لمتونة وزناتة فارتحل معه الى تلمسان ثم أجاز الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناتة فأوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل بنى ورنيد ونزل تاشفين باصطفصف ووصل مدده صنهاجة من قبل يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية لنظر طاهر بن كباب من قواده أمد وابه تاشفين قومه لعصبية الصنهاجية وفى يوم وصوله أشرف على معسكر الموحدين وكان يستقل بأقوام فر لمتونة وأميرهم تاشفين واستقودهم لمناجزة الموحدين وقال انما جئتكم لأومنكم من صاحبكم عبد المؤمن

هذا وأرجع الى قومى فامتعض تاشفين لكلمته وأذن له فى المناجزة فحمل على القوم فركبوا ودهموا اللقائه فكان آخر العهد به وبعسكره وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم الربرتير فى عسكر ضخم كما قلناه فأغار على بنى سنندم وزناتة الذين كانوا فى بسيطهم ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن فقتلوهم وقتل الربرتير ثم بعث بعثا آخر الى بلاد بنى يوما فلقيهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل وتوالت هذه الوقائع على تاشفين فأجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه ابراهيم ولى عهده الى مراكش فى جماعة من لمتونة وبعث كاتبا معه أحمد بن عطية ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين فأقام عليها شهرا ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى أن وصله من المرية بعشرة أساطيل فأرسى قريبا من معسكره وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث فى مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى وبنى مانو من زناتة فتقدموا الى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد وبنى ورسفين وبنى توجين وأثخنوا فيهم حتى دخلوا فى دعوتهم ووفد على عبد المؤمن برؤسائهم وكان منهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بنى يلومى فتلقاهم بالقبول وسار بهم فى جموع الموحدين الى وهران ففجئوا لمتونة بمعسكرهم ففضوهم ولجأ تاشفين الى رابية هنالك فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها حتى غشيهم الليل فخرج تاشفين من الحصن راكبا على فرسه فتردى من بعض حافات الجبل وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وبعث برأسه الى تينملل وتحاول العسكر الى وهران فانحصروا مع أهلها حتى جهدهم العطش ونزلوا جميعا على حكم عبد المؤمن يوم الفطر من تلك السنة وبلغ خبر مقتل تاشفين الى تلمسان مع فل لمتونة وفيهم أبو بكر بن ولحف وسير بن الحاج وعلى بن مناو فى آخرين من أعيانهم فر معهم من كان بها من لمتونة وقدم عبد المؤمن فقتل من وجد بتاكرارت بعد ان كانوا بعثوا ستين من وجوههم فلقيهم يصليتن من مشيخة بنى عبد الواد فقتلهم أجمعين ولما وصل عبد المؤمن الى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كان أكثرهم من الحشم وعفا عن أهل تلمسان ورحل عنها لسبعة أشهر من فتحها بعد ان ولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين وفيما نقل بعض المؤرخين انه لم يزل محاصرا تلمسان والفتوح ترد عليه وهنالك وصلته بيعة سجلماسة ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب وترك ابراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان فقصد فاس سنة احدى وأربعين وقد تحصن بها يحيى الصحراوى من فل تاشفين من تلمسان فنازلها عبد المؤمن وبعث عسكرا لحصار مكناسة ثم رحل فى اتباعه وترك عسكرا من الموحدين على فاس وعليهم الشيخ

أبو حفص وأبو ابراهيم وصحابة المهدى العشرة فحاصروه سبعة أشهر ثم داخلهم ابن الجيانى فسرب البلد وأدخل الموحدين ليلا وفر الصحراوى الى طنجة واجاز منها الى ابن غانية بالاندلس وبلغ خبر فاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع اليها وولى عليها ابراهيم بن جامع لما فتح تلمسان ارتحل الى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس فاعترضه فى طريقه المخضب بن عسكر امير بنى مرين ونالوا منه ومن رفقته فكتب عبد المؤمن الى يوسف وانودين عامل تلمسان أن يجهز اليهم العساكر فبعثها صحبة عبد الحق ابن منقاد شيخ بنى عبد الواد فأوقعوا ببنى مرين وقتل المخضب أميرهم ولما ارتحل عبد المؤمن من فاس الى مراكش وصلته فى طريقه بيعة أهل سبتة فولى عليهم يوسف ابن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على سلا فافتتحها بعد مواقعة قليلة ونزل منها بدار ابن عشرة ثم تمادى الى مراكش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة فأثخن فيهم ورجع ولقيه فى طريقه ووصلوا جميعا الى مراكش وقد ضموا اليها جموع لمطة فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا واكتسحوا اموالهم وظعائنهم وأقاموا على مراكش تسعة أشهر وأميرهم اسحق بن على بن يوسف بايعوه صبيا صغيرا عند بلوغ خبر أبيه ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل واقتحموا عليهم المدينة فى اخريات شوال سنة احدى وأربعين وقتل عامة الملثمين ونجا اسحق فى جملته واعيان قومه الى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدى عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم وتولى كبر ذلك أبو حفص بن واكاك منهم وانمحى أثر الملثمين واستولى الموحدون على جميع البلاد ثم خرج عليهم بناحية السوس ثائر من سوقة سلا يعرف محمد بن عبد الله بن هود وتلقب بالهادى وظهر فى رباط ماسة فأقبل اليه الشراد من كل جانب وانصرفت اليه وجوه الاغمار من أهل الآفاق وأخذ بدعوته أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهوارة وفشت ضلالته فى جميع العرب فسرح اليه عبد المؤمن عسكرا من الموحدين لنظر يحيى انكمار المتونى النازع اليه من ايالة تاشفين بن على ولقى هذا الثائر الماسى ورجع مهزوما الى عبد المؤمن فسرح الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى وأشياخ الموحدين واحتفل فى الاستعداد فنهضوا الرابطة ماسة وبرز اليهم الثائر فى نحو ستين ألفا من الرجال وسبعمائة من الفرسان فهزمهم الموحدون وقتل داعيتهم فى المعركة مع كثرة اتباعه وذلك فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وكتب الشيخ أبو حفص بالفتح الى عبد المؤمن من انشاء أبى حفص بن عطية الشهير الذكر كان أبوه أبو أحمد كاتبا لعلى بن يوسف وابنه تاشفين وتحصل فى قبضة الموحدين فعفا عنه عبد

المؤمن ولما نازل على فاس اعتزم أبو حفص هذا على الفرار فتقبض عليه فى طريقه واعتذر فلم يقبل عذره وقتل وكان ابنه أحمد كاتبا لاسحق بن على بمراكش فشمله عفو السلطان فيمن شمله من ذلك الفل وخرج فى جملة الشيخ أبى حفص فى وجهته هذه وطلبه للكتاب فى ذلك فأجابه واستحسن كتابه عبد المؤمن لما وقف عليه فاستكتبه أولا ثم ارتفع عنده مكانه فاستوزره وبعد فى الدولة صيته وقاد العساكر وجمع الاموال وبذلها ونال من الرتبة عند السلطان ما لم ينله أحد فى دولته الى ان دبت السعاية الى جهاده الوثير فكان فيها حتفه ونكبه الخليفة سنة ثلاث وخمسين وقتله بمحبسه حسبما هو مشهور ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزاة ماسة راح بمراكش أياما ثم خرج غازيا الى القائمين بدعوة الماسى بجبال درن فأوقع باهل نفيس وهيلانة وأثخن فيهم بالقتل والسبى حتى أذعنوا بالطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة وأوقع بهم وافتتح معاقلهم وحصونهم ثم نهض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مراكش ثم خرج ثالثة الى برغواطة فحاربوه مرة ثم هزموه واضطرمت نار الفتنة بالمغرب وانتقض أهل سبتة وأخرجوا يوسف بن مخلوف التينملى وقتلوه ومن كان معه من الموحدين وأجاز القاضى عياض البحر الى يحيى بن على بن غانية المسوفى الوالى بالاندلس فلقيه وطلب منه واليا الى سبتة فبعث معه يحيى بن أبى بكر الصحراوى الذى كان بفاس منذ منازلة عبد المؤمن لها وذكرانه لحق بطنجة فأجاز البحر الى الاندلس ولحق بابن غانية بقرطبة وصار فى جملته وبعثه ابن غانية الى سبتة مع القاضى عياض كما ذكرناه وقام بأمرها ووصل يده بالقبائل الناكثة لطاعة الموحدين من برغواطة ودكالة على حين هزيمتهم للموحدين كما ذكرناه ولحق بهم من مكانه لسبتة وخرج اليهم عبد المؤمن بن على سنة ثنتين وأربعين فدوخ بلادهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا للطاعة وتبرؤا من يحيى الصحراوى ولمتونة ورجع الى مراكش لستة أشهر من خروجه ووصلته المرعبة من مشيخة القبائل فى يحيى الصحراوى فعفا عنه وصلحت أحوال المغرب وراجع أهل سبتة طاعتهم فتقبل منهم وكذلك أهل سلا فصفح لهم وأمر بهدم سورهم والله أعلم

(فتح الاندلس وشؤنها)

ثم صرف عبد المؤمن من قصره الى الاندلس وكان من خبرها انه اتصل بالملثمين مقتل تاشفين ابن على ومنازلة الموحدين مدينة فاس وكان على بن عيسى بن ميمون قائد اسطولهم قد نزع طاعة لمتونة وامترى بجزيرة قادس فلحق بعبد المؤمن بمكانه من حصار فاس ودخل فى دعوته وخطب له بجامع فاس أول خطبة خطبت لهم بالاندلس عام أربعين وخمسمائة وبعث أحمد بن قيسى صاحب مرتلة ومقيم الدعوة بالاندلس أبا بكر بن حبيس

رسولا الى عبد المؤمن فلنيه على تلمسان وأدى كتاب صاحبه فأنكر ما تضمنه من النعت بالمهدى ولم يجاوب وكان سدراى بن وزير صاحب بطليوس وباجة وغرب الاندلس قد تغلب على أحمد بن قيسى هذا وغلبه على مرتلة فأجاز أحمد بن قيسى البحر الى عبد المؤمن من بعد فتح مراكش لمداخلة على بن عيسى بن ميمون ونزل بسبتة فجهره يوسف ابن مخلوف ولحق بعبد المؤمن ورغبه فى ملك الاندلس وأغراه بالملثمين فبعث معه عساكر الموحدين لنظر براز بن محمد المسوفى الناظر الى عبد المؤمن من جملة تاشفين وعقد له على حروب من بها من لمتونة والثوار وأمده بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجى ولما أجازوا الى الاندلس نزلوا أبا الغمر بن عزرون من الثوار بشريش وكانت له مع ولده ثم قصدوا لبلة وبها من الثوار يوسف ابن أحمد البطروجى فأعطاهم الطاعة ثم قصدوا مرتلة وهى تحت الطاعة لتوحيد صاحبها أحمد بن قيسى ثم قصدوا شلب ففتحوها وامكنوا منها ابن قيسى ثم نهضوا الى باجة وبطليوس فأطاعهم صاحب سدراى بن وزير ثم براز فى عسكر الموحدين الى مرتلة حتى انصرم فصل الشتاء فخرج الى منازلة اشبيلية فأطاعه أهل طلبطلة وحصن القصر واجتمع اليه سائر الثوار وحاصروا اشبيلية برا وبحرا الى أن افتتحوها فى شعبان من سنة احدى وأربعين وفر الملثمون بها الى قرمونة وقتل من ادرك منهم وأتى القتل على عبد الله بن القاضى أبى بكر بن العربى فى هيعة تلك الدخلة من غير قصد وكتبوا بالفتح الى عبد المؤمن بن على وقدم عليه وفودهم بمراكش يقدمهم القاضى أبو بكر فتقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والاقطاعات لجميع الوفد سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة وهلك القاضى أبو بكر فى طريقه ودفن بمقبرة فاس وكان عبد العزيز وعيسى أخو المهدى من مشيخة العسكر باشبيلية ساء أثرهما بالبلد واستطالت أيديهما على أهله واستباحوا الدماء والاموال ثم اعتزما على الفتك بيوسف البطروجى صاحب لبلة فلحق ببلده وأخرج الموحدين الذين بها وحول الدعوة عنهم وبعث الى طلبطلة وحصن القصر ووصل يده بالملثمين الذين كانوا بالدعوة وارتد ابن قيسى فى مدينة شلب وعلى بن عيسى بن ميمون بجزيرة قادس ومحمد بن الحجام بمدينة بطليوس وثبت أبو الغمر بن عزرون على طاعة الموحدين بشريش ورندة وجهاتهما وتغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء وانتقض أهل سبتة كما ذكرناه وضاقت أحوال الموحدين باشبيلية فخرج منها عيسى وعبد العزيز أخو المهدى وابن عمهما يصليتن بمن كان معهم ولحقوا بجبال بستر وجاءهم أبو الغمر بن عزرون واتصلت أيديهم على حصار الجزيرة حتى افتتحوها وقتلوا من كان بها من لمتونة ولحق أخو المهدى بمراكش وبعث عبد المؤمن على اشبيلية يوسف بن

سليمان فى عسكر من الموحدين وأبقى براز بن محمد على الجباية فخرج يوسف ودوخ أعمال البطروجى بلبلة وطلبطلة وعمل ابن قيسى بشلب ثم أغار على جبيرة وأطاعه عيسى بن ميمون صاحب شنتمرية وغزا معهم وأرسل محمد بن على بن الحاج صاحب بطليوس بهداياه فتقبلت ورعيت له ورجع يوسف الى اشبيلية وفى اثناء ذلك استغلظ الطاغية على يحيى بن على بن غانية بقرطبة وألح على جهاته حتى نزل له عن ماسة ورندة وتغلب على الاشبونة وطرطوشة ولاردة وافراغه وشنتمرية وغيرها من حصون الاندلس وطالب ابن غانية بالزيادة فى بيتة أو الافراج له عن قرطبة فأرسل ابن غانية براز بن محمد واجتمعا باستجة وضمن له براز امداد الخليفة على ان يتخلى عن قرطبة وقرمونة فغدر بالقاطه واقتلعهم بقلعة ابن سعيد وأفرج الطاغية عن جيان ولحق هو بغرناطة وبها ميمون بن بدر اللمتونى فى جماعة من المرابطين قصده ابن غانية ليحمله على مثل حاله مع الموحدين فكان مهلكه بها فى شعبان سنة ثلاث وأربعين وقبره بها معروف لهذا العهد وانتهز الطاغية فرصة فى قرطبة فزحف اليها ودفع الموحدون باشبيلية أبا الغمر بن عزرون لحمايتها ووصل اليه مدد يوسف البطروجى من لبلة وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكرا من الموحدين لنظر يحيى بن يغمور ولما دخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله وبادر الثوار الى يحيى بن يغمور فى طلب الامان من عبد المؤمن ثم تلاحقوا به بمراكش فتقبلهم وصفح لهم ونهض الى مدينة سلا سنة خمس وأربعين واستدعى منها أهل الاندلس فوفدوا عليه وبايعوه جميعا وبايعه الرؤساء من الثوار على الانخلاع من الامر مثل سدراى بن وزير صاحب باجة وبابورة والبطروجى صاحب لبلة وابن عزرون صاحب شريش ورندة وابن الحجام صاحب بطليوس وعامل بن مهيب صاحب طلبيرة وتخلف ابن قيسى وأهل شلب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد ورجع عبد المؤمن الى مراكش وانصرف أهل الاندلس الى بلادهم واستصحب الثوار فلم يزالوا بحضرته والله تعالى أعلم

* (فتح افريقية وشؤنها) ٥

ثم بلغ عبد المؤمن ما هيج افريقية عليه من اختلاف الامراء واستطالة العرب عليها بالعيث والفساد وانهم حاصروا مدينة القيروان وان موسى بن يحيى الرياحى المرداسى دخل مدينة باجة وملكها فأجمع الرحلة الى غزو افريقية بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا ابراهيم وغيرهما من المشيخة فوافقوه وخرج من مراكش فى أواخر سنة ست وأربعين مورّيا بالجهاد حتى انتهى الى سبتة واستوضح أحوال أهل الاندلس ثم رحل عن سبتة مورّيا بمراكش وأغذ السير الى باجة فدخل الجزائر على حين غفلة وخرج اليه الحسن

ابن على صاحب المهدية فصحبه واعترضه جيوش صنهاجة بأم العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها وركب يحيى بن العزيز البحر فى اسطولين كان أعدهما لذلك واحتمل فيهما ذخائره وأمواله ولحق بقسنطينة الى أن نزل بعد ذلك منها على أمان عبد المؤمن وسنقر بمراكش تحت الجراية والعناية الى ان هلك رحمه الله ثم سرح عبد المؤمن عساكر الموحدين وعليهم ابنه عبد الله الى القلعة وبها جوش بن عبد العزيز فى جموع صنهاجة فاقتحموها واستلحم من كان بها منهم وأضرم النار فى مساكنها وقتل جوش ويقال ان القتلى بها كانوا ثمانية عشر ألفا وامتلأت أيدى الموحدين من الغنائم والسبى وبلغ الخبر الى العرب بافريقية من الاثبج وزغبة ورياح وقسرة فعسكروا بظاهر باجة وتذامروا على الدفاع عن ملكهم يحيى بن العزيز وارتحلوا الى سطيف وزحف اليهم عبد الله بن عبد المؤمن فى الموحدين الذين معه وكان عبد المؤمن قد قفل الى المغرب ونزل متيجة فلما بلغه الخبر بعث المدد لابنه عبد الله والتقى الفريقان بسطيف واقتتلوا ثم انفضت جموع العرب واستلحموا وسبيت نساؤهم واكتسحت أموالهم وأسر أبناؤهم ورجع عبد المؤمن الى مراكش سنة سبع وأربعين ووفد عليه كبراء العرب من أهل افريقية طائعين فوصلهم ورجعوا الى قومهم وعقد على فاس لابنه السيد أبى الحسن واستوزر له يوسف بن سليمان وعقد على تلمسان لابنه السيد أبى حفص واستوزر له أبا محمد بن وانودين وعلى سبتة لابنه السيد أبى سعيد واستوزر له محمد بن سليمان وعلى بجاية للسيد أبى محمد عبد الله واستوزر له يخلف بن الحسين واختص ابنه أبا عبد الله بولاية عهده وتغير لذلك كله ذمائر عبد العزيز وعيسى أخوى المهدى فلحقا بمراكش مضمرين للغدر وأدخلوا بعض الاوغاد فى شأنهم فوثبوا بعمر بن تافراكين وقتلوه بمكانه من القصبة ووصل على اثرهما الوزير أبو حفص بن عطية وعبد المؤمن على اثره فطفأ نار تلك الثورة وقتل أخوا المهدى ومن داخلهم فيها والله أعلم

(فتح بقية الاندلس)

وبلغه بمراكش سنة تسع وأربعين أن يحيى بن يغمور صاحب اشبيلية قتل أهل لبلة بما كان من غدر الوهبى لها وتقبل معذرتهم فى ذلك فسخط يحيى بن يغمور وعزله عن اشبيلية بأبى محمد عبد الله بن أبى حفص بن على التينمللى وعن قرطبة بأبى زيد بن بكيت وبعث عبد الله بن سليمان فجاء بابن يغمور معتقلا الى الحضرة وألزمه منزله الى ان بعثه مع ابنه السيد أبى حفص الى تلمسان واستقام أمر الاندلس وخرج ميمون بن بدر اللمتونى عن غرناطة للموحدين فملكوها وأجاز اليها السيد أبا سعيد صاحب سبتة بعهد أبيه عبد المؤمن اليه بذلك ولحق اللمتونى بمراكش ونازل السيد أبو سعيد مدينة المرية

حتى نزل من كان بها من النصارى على الامان وحضر لذلك الوزير أبو حفص بن عطية بعد ان أمدهم ابن مردنيش الثائر بشرق الاندلس والطاغية معه وعجزوا جميعا عن المدافعة ثم وفد أشياخ اشبيلية سنة احدى وخمسين ورغبوا من عبد المؤمن ولاية بعض أبنائه عليهم فعقد لابنه السيد أبى يعقوب عليها وافتتح أمره بمنازلة على الوهيبى الثائر بطلبيرة ومعه الوزير أبو حفص بن عطية حتى استقام على الطاعة ثم استولى على عمل ابن وزير وابن قيسى واستنزل تاشفين اللمتونى من تلة سنة ثنتين وخمسين وكان الذى أمكن الملثمين منها ابن قيسى واستتم الفتح ورجع السيد الى اشبيلية وانصرف أبو حفص بن عطية الى مراكش فكانت فيها نكبته ومقتله واستوزر عبد المؤمن من بعده عبد السلام الكومى كان يمت اليه بذمة صهر فلم يزل على وزارته والله أعلم

(بقية فتح افريقية)

لما بلغ عبد المؤمن سنة ثلاث وخمسين ما كان من ابتاع الطاغية بابنه السيد أبى يعقوب بظاهر اشبيلية ومن استشهد من أشياخ الموحدين وحفاظهم ومن الثوار مثل ابن عزرون وابن الحجام نهض يريد الجهاد واحتل بسلا فبلغه انتقاض افريقية وأهمه شأن النصارى بالمهدية فلما توافت العساكر بسلا استخلف الشيخ أبا حفص على المغرب وعقد ليوسف بن سليمان على مدينة فاس ونهض يغذ السير حتى نزل المهدية وبها من نصارى أهل صقلية فافتتحها صلحا سنة خمس وخمسين واستنقذ جميع البلاد الساحلية مثل صفاقس وطرابلس من أيدى العدو وبعث ابنه عبد الله من مكان حصاره للمهدية الى قابس فاستخلصها من يد بنى كامل المتغلبين عليها من دهمان بعض بطون رياح واستخلص قفصة من يد بنى الورد وورغة من يد بنى بروكسن وطبرية من يد ابن علال وجبل زغوان من يد بنى حماد بن خلفة وسقنبارية من يد بنى عياد ومدينة الاربع من يد من ملكها من العرب حسبما بلغه أن الاعراب وهؤلاء الثوار فى دولة صنهاجة ولما استكمل الفتح وثنى عنانه الى المغرب وخمسين بلغه أن الاعراب بافريقية انتقضوا عليه فرجع اليهم عسكر من الموحدين فنهضوا الى القيروان وأوقعوا بالعرب وقتل كبيرهم عزر بن زياد الفارغى من بنى على أحد بطون رياح والله تعالى أعلم

بياض بالأصل

(أخبار ابن مردنيش الثائر بشرق الاندلس)

كان بلغ عبد المؤمن وهو بافريقية أن محمد بن مردنيش الثائر بشرق الاندلس خرج من مرسية ونزل جيان وأطاعه واليها محمد بن على الكومى ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن بكيت لحربه فهزمه وقتله

فكتب الى عماله بالاندلس بفتح افريقية وانه واصل اليهم وعبر الى جبل الفتح واجتمع اليه أهل الاندلس ومن بها من الموحدين ثم رجع وكان السيد أبو يعقوب صاحب اشبيلية وأبو سعيد صاحب غرناطة ارتحلا لزيارة الخليفة بمراكش فخالف ابن همشك الى مدينة غرناطة وعلا اليلا بمداخلة من بعض أهلها واستولى عليها وانحصر الموحدون بقصبتها وخرج عبد المؤمن من مراكش لاستنقاذهم فوصل الى سلا وقدم السيد أبو سعيد فأجاز البحر واقيه عامل اشبيلية عبد الله بن أبي حفص بن علي ونهضوا جميعا الى غرناطة فنهض اليهم ابن همشك وهزمهم ورجع السيد أبو سعيد الى مالقة وردأه عبد المؤمن بأخيه السيد أبي يعقوب في عساكر الموحدين ونهضوا الى غرناطة وكان قد وصلها ابن مردنيش في جموع من النصارى مددا لابن همشك فلقيهم الموحدون بفحص غرناطة وهزموهم وفر ابن مردنيش الى مكانه في المشرق ولحق ابن همشك بجيان فنازله الموحدون وأقبل السيدان الى قرطبة فأقاما بها الى أن استدعى السيد أبو يعقوب بمراكش سنة ثمان وخمسين لولاية العهد والادالة به من أخيه محمد فلحق بمراكش وخرج في ركاب أخيه الخليفة عبد المؤمن لما نهض للجهاد وأدركته المنية بسلا في جمادى الاخيرة من هذه السنة ودفن بتينملل الى جانب المهدي والله أعلم

(دولة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن)

لما هلك عبد المؤمن أخذ البيعة على الناس السيد أبو حفص لاخيه أبي يعقوب باتفاق من الموحدين كافة ورضا من الشيخ أبي حفص خاصة واستقل في رتبة وزارته ورجعوا الى مراكش وكان السيد أبو حفص هذا وزيرا لاخيه عبد المؤمن واستوزره عند نكبة عبد السلام الكومي فرجعه من افريقية سنة خمس وخمسين وكان أبو علي ابن جامع متصرفا بين يديه في رسم الوزارة الى أن هلك عبد المؤمن فأخذ أبو حفص البيعة لاخيه أبي يعقوب ثم هلك اثر وفاة عبد المؤمن ابنه السيد أبو الحسن صاحب فاس والسيد أبو محمد صاحب بجاية في طريقه الى الحضرة ثم استقدم أبو يعقوب السيد أبا سعيد من غرناطة سنة ستين فقدم ولقيه السيد أبو حفص بسبتة ثم سرح الخليفة أبو يعقوب معه أخاه السيد أبا حفص الى الاندلس في عسكر الموحدين لما بلغه ان الحاج بن مردنيش علا قرطبة بعد ان احتشد معه قبائل العرب زغبة ورياح والاثبج فاجاز البحر وقصد ابن مردنيش وقد جمع جمعه وأولياءه من النصارى واقيهم عساكر الموحدين بفحص مرسية فانهزم ابن مردنيش وأصحابه وفر الى مرسية من سبتة ونازله الموحدون بها ودوخوا نواحيه وانصرف السيد أبو حفص وأخوه أبو سعيد سنة احدى وستين الى مراكش وخمدت نار الفتنة من ابن مردنيش وعقد

الخليفة على بجاية لاخيه السيد أبي زكريا وعلى اشبيلية للشيخ أبي عبد الله بن ابراهيم ثم أدال عنه بأخيه السيد أبي ابراهيم وأقر الشيخ أبا عبد الله على وزارته وعقد على قرطبة لاخيه السيد أبي اسحق واقر السيد أبا سعيد على غرناطة ثم نظر الموحدون في موضع العلامات في المكتوبات بخط الخليفة فاختاروا الحمد لله وحده لما وقفوا عليها بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته فكانت علامتهم الى آخر دولتهم والله تعالى أعلم

(فتنة غمارة)

وفي سنة ثنتين وستين تحرك الامير أبو يعقوب الى جبال غمارة لما كان ظهر بها من الفتنة التي تولى كبرها سبع بن منغفاد ونازعهم في الفتنة صنهاجة جيرانهم فبعث الامير أبو يعقوب عساكر الموحدين لنظر الشيخ أبي حفص ثم تعاظمت فتنة غمارة وصنهاجة فخرج اليهم بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم وقتل سبع بن منغفاد وانحسم داؤهم وعقد لاخيه السيد أبي علي الحسن على سبتة وسائر بلادهم وفي سنة ثلاث وستين اجتمع الموحدون على تجديد البيعة واللقب بأمير المؤمنين وخاطب العرب بافريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم وكتب اليهم في ذلك قصيدة ورسالة مشهورة بين الناس وكان من أحفالهم ووفودهم عليه ما هو معروف

لما استوسق الامر للخليفة أبي يعقوب بالعدوة وصرف نظره الى الاندلس والجهاد واتصل به ما كان من غدر العدو دمره الله بمدينة ترجالة ثم مدينة يابرة ثم حصن شبرمة ثم حصن جلمانية ازاء بطليوس ثم مدينة بطليوس فسرح الشيخ أبا حفص في عساكر من الموحدين احتفل في انبعاثهم وخرج سنة أربع وستين لاستنقاذ بطليوس من هذا الحصار فلما وصل الى اشبيلية بلغه أن الموحدين وبطليوس هزموا ابن الزملك الذي كان يحاصرهم باعانة ابن ادفونش وان ابن الزملك تحصل في قبضتهم أسيرا وفر جواندة الجليقي الى حصنه فقصد الشيخ أبو حفص مدينة قرطبة وبعث اليهم ابراهيم بن همشك من جيان بطاعته وتوحيده وفارقته صاحبه ابن مردنيش لما حدث بينهما من الشحناء والفتنة فألح عليه ابن مردنيش بالحرب وردد اليه الغزو فبعث الى الشيخ أبي حفص بطاعته وكان الشيخ أبو حفص في عساكر الموحدين فنهض من مراكش سنة خمس وستين وفي جملته السيد أبو سعيد أخوه فوصل الى اشبيلية وبعث أخاه أبا سعيد الى بطليوس فعقد الصلح مع الطاغية وانصرف ونهضوا جميعا الى مرسية ومعهم ابن همشك فحاصروا ابن مردنيش وثار أهل لورقة بدعوة الموحدين فملكها السيد أبو حفص ثم افتتح مدينة بسطة وطاع ابن عمه محمد بن مردنيش صاحب المرية فحص بذلك جناحه واتصل الخبر

بياض بالاصل

بالخليفة بمراكش وقد توافت عنده جموع العرب من افريقية صحبة أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا فاعترضهم وسائر عساكرهم ونهض الى الاندلس واستخلف على مراكش السيد أبا عمران أخاه فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقيه السيد أبو حفص هنالك منصرفا من غزاته وكان ابن مردنيش لما طال عليه الحصار ارتاب فقتل بهم وباد أخوه أبو الحجاج وهلك هو فى رجب من هذه السنة ودخل ابنه هلال فى الطاعة وبادر السيد أبو حفص الى مرسية فدخلها وخرج هلال فى جملته وبعثه الى الخليفة باشبيلية ثم ارتحل الخليفة غازيا الى العدو فنازل رندة أياما وارتحل عنها الى مرسية ثم رجع الى اشبيلية سنة ثمان وستين واستصحب هلال بن مردنيش وصهر له فى ابنته وولى عمه يوسف على بلنسية وعقد لاخيه السيد أبى سعيد على غرناطة ثم بلغه خروج العدو الى أرض المسلمين مع القومس الاحدب فخرج للقائهم وأوقع بهم بناحية قلعة رياح وأثخن فيهم ورجع الى اشبيلية وأمر ببناء حصن القلعة ليحصن جهاتها وقد كان خرابا منذ فتنة ابن حجاج فيها مع كريب ابن خلدون بعدة ازمان المنذر بن محمد وأخيه عبد الله من امراء بنى أمية ثم انتقض ابن ادفونش وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبا حفص اليه فغزاه بعقر داره وافتتح قنطرة بالسيف وهزم جموعه فى كل جهة ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعا الى مراكش سنة احدى وسبعين لخمس سنين من اجازته الى الاندلس وعقد على قرطبة لاخيه الحسن وعلى اشبيلية لاخيه على وأصاب مراكش الطاعون فهلك من السادات أبو عمران وأبو سعيد وأبو زكريا وقدم الشيخ أبو حفص من قرطبة فهلك فى طريقه ودفن بسلا واستدعى الخليفة أخويه السيدين أبا على وأبا الحسن فعقد لابى على على سجلماسة ورجع أبو الحسن الى قرطبة وعقد لابنى أخيه السيد أبى حفص لابى زيد منهما على غرناطة ولابى محمد عبد الله على مالقة وفى سنة ثلاث وسبعين سطا بذرية بنى جامع وغربهم الى ماردة وفى سنة خمس وسبعين عقد لقائم بن محمد ابن مردنيش على اسطوله واغزاه مدينة الاشبونة فغنم ورجع وفيه كانت وفاة أخيه السيد الوزير ابى حفص بعدما أبلى فى الجهاد وبالغ فى نكاية العدو وقدم ابناه من الاندلس وأخبر الخليفة بانتقاض الطاغية واعتزم على الجهاد وأخذ فى استدعاء العرب من افريقية والله تعالى أعلم

(الخبر عن انتقاض قفصة واسترجاعها)

كان على بن المعز ويعرف بالطويل من أعقاب بنى الرند ملوك قفصة قد ثار سنة خمس وسبعين كما ذكرناه فى أخبارهم وبلغ الخليفة خبره فنهض اليها من مراكش وسار الى

بجاية وبقى عنده يعلى بن المنتصر الذى كان عبد المؤمن استنزله من قفصة أنه يواصل قريبه الثائر بها ويخاطب العرب فتقبض عليه ووجدت المخاطبات عنده شاهدة بتلك السعاية واستصفى ما كان بيده وارتحل الى قفصة ونزلها ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فتقبلهم ولم يزل محاصرا لقفصة الى ان نزل على بن المعز وانكفأ راجعا الى تونس وأنفذ عساكر العرب وعقد على افريقية والزاب للسيد أبى على أخيه وعلى بجاية للسيد أبى موسى وقفل الى الحضرة والله تعالى أعلم

(معاودة الجهاد)

لما قفل من فتح قفصة سنة سبع وسبعين وفد عليه أخوه السيد أبو اسحق من اشبيلية والسيد أبو عبد الرحمن يعقوب من مرسية وكافة الموحدين ورؤساء الاندلس يهنونه بالاياب فأكرم موصلهم وانصرفوا الى بلادهم واتصل به أن محمد بن يوسف بن وانودين تحدر بالموحدين من اشبيلية الى أرض العدو فنازل مدينة يابورة وغنم ما حولها وافتتح بعض حصونها ورجع الى اشبيلية التقوا بأسطول أهل اشبونة فى البحر فهزموهم وأخذوا عشرين من قطائعهم مع السبى والغنائم ثم بلغ الخبر بأن أدفونش ابن شانجة نازل قرطبة وشن الغارات على جهات مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتغلب على حصن شقيلة وأسكن بها النصارى وانصرف فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ونازل الحصن نحوا من أربعين يوما ثم بلغه خروج ادفونش من طليطلة بعدده فانكفأ راجعا وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشبيلية فى جموع الموحدين ونازل طلبيرة وبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم فاعتزم الخليفة أبو يعقوب على معاودة الجهاد وولى على الاندلس أمناءه وقدمهم للاحتشاد فعقد لابنه السيد أبى زيد الحصرصانى على غرناطة ولابنه السيد أبى عبد الله على مرسية ونهض سنة تسع وسبعين الى سلا ووافاه بها أبو محمد بن أبى اسحق بن جامع من افريقية بحشود العرب وسار الى فاس وبعث فى مقدمته هنتاتة وتينملل وحشود العرب وأجاز البحر من سبتة فى صفر من سنة ثمانين فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته بها حشود الاندلس وسخط محمد بن وانودين وغربه الى حصن غافق ورحل غازيا الى شنترين فحاصرها أياما ثم أقلع عنها واستمر الناس يوم اقلاعه وخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة فى غير أهبة ولا استعداد فأبلى فى الجهاد هو ومن حضره وانصرفوا بعد جولة شديدة وهلك فى ذلك اليوم الخليفة يقال من سهم أصابه فى حومة القتال وقيل من مرض طرقه عفا الله عنه ولما هلك الخليفة أبو يعقوب على حصن شنترين سنة ثمانين بويع ابنه يعقوب ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن

أبي حفص واستنفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فأخذ بعض الحصون وأثخن في بلاد الكفار ثم أجاز البحر الى الحضرة ولقيه بقصر مصمودة السيد أبو زكريا بن السيد أبي حفص قادما من تلمسان مع مشيخة زغبة ومضى الى مراكش فغير المناكير وبسط العدل ونشر الاحكام وكان من أول الاحداث في دولته شأن بن غانية

(الخبر عن شأن ابن غانية)

كان علي بن يوسف بن تاشفين لما تغلب العدو على جزيرة ميورقة وهلك واليها من موالي مجاهد وهو مبشر وبقي أهلها فوضى وكان مبشر بعث اليه بالصريخ والعدو محاصر له فلما أخذها العدو وغنم وأحرق وأقلع وبعث علي بن يوسف واليا عليها وانور بن أبي بكر من رجالات لمتونة وبعث معه خمسمائة فارس من عسكره فأرهب لهم حده وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فامتنعوا وقتل مقدمهم فثاروا به وحبسوه ومضوا الى علي بن يوسف فأعفاهم منه وولى عليهم محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية وكان أخوه يحيى على غرب الاندلس وكان نزله باشبيلية واستعمل أخاه على قرطبة فكتب اليه علي بن يوسف يأمره بصرف محمد أخيه الى ولاية ميورقة فارتحل اليها من قرطبة ومعه أولاده عبد الله واسحق وعلي والزبير وابراهيم وطلحة وكان عبد الله واسحق في تربية عمهما يحيى وكفالته فتبناهما ولما وصل محمد بن علي ابن غانية الى ميورقة قبض على وانور وبعثه مصفدا الى مراكش وأقام على ذلك عشرا وهلك يحيى بن غانية وقد ولى عبد الله ابن أخيه محمد على غرناطة وأخاه اسحق بن محمد على قرمونة ثم هلك علي وضعف أمر لمتونة وظهر عليهم الموحدون فبعث محمد عن ابنيه عبد الله واسحق فوصلا اليه في الاسطول وانقرض ملك لمتونة ثم عهد محمد الى ابنه عبد الله فنافسه أخوه اسحق وداخل جماعة من لمتونة في قتله فقتلوه وقتلوا أباه محمدا ثم اجمعوا الفتك به فارتاب بهم وداخل لب بن ميمون قائد البحر في أمرهم وكبسهم في منازلهم وقتلهم سنة ست وأربعين وخمسمائة وبقي أمير الميورقة واشتغل أول أمره بالبناء والغراسة وضجر منه الناس لسوء ملكته وفر عنه لب بن ميمون الى الموحدين ثم رجع أخيرا الى الغزو وكان يبعث الاسارى والعلوج للخليفة أبي يعقوب الى أن هلك قبيل مهلكه سنة ثمانين وخلف من الولد محمدا وعليا ويحيى وعبد الله وسيرا والمنصور وجبارة وتاشفين وطلحة وعمر ويوسف والحسن فولى ابنه محمد وبعث الى الخليفة أبي يعقوب بطاعته فبعث هو علي ابن الروبرتير لاختبار ذلك منه وأحس بذلك اخوته فنكروه وتقبضوا عليه وقدموا عليا منهم وبلغهم مهلك الخليفة وولاية ابنه

المنصور فاعتقلوا ابن الروبرتير وركبوا البحر في أسطولهم الى بجاية وولى على ميورقة أخاه طلحة وطرق بجاية في اسطوله على حين غفلة وعليها السيد أبو ربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجها في بعض مذاهبه فاستولوا عليه سنة احدى وثمانين وتقبضوا على السيد أبي ربيع والسيد أبي موسى عمران بن عبد المؤمن صاحب افريقية وكان بها مجتازا واستعمل أخاه يحيى على بجاية ومضى الى الجزائر فافتتحها وولى عليها يحيى ابن أخيه طلحة ثم الى مليانة فولى عليها بدر بن عائشة ونهض الى القلعة ثم الى قسنطينة فنازلها واتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو فسرح السيد أبا زيد بن عمه السيد أبي حفص وعقد له على حرب ابن غانية وعقد لمحمد بن أبي اسحق بن جامع على الاساطيل والى نظره أبو محمد بن عطوش وأحمد الصقلي وانتهى السيد أبو زيد الى تلمسان وأخوه يومئذ السيد أبو الحسن كان واليا وقد أمعن النظر في تحصينها ثم ارتحل بعساكره من تلمسان ونادى بالعفو في الرعية فثار أهل مليانة على ابن عائشة فأخرجوه وسبقت الاساطيل الى الجزائر فملكوها وقبضوا على يحيى بن طلحة وسيق بدر بن عائشة من أم العلو فقتلوا جميعا بشلف وتقدم القائد أحمد الصقلي بأسطوله الى بجاية فملكها ولحق يحيى بن غانية بأخيه علي بمكانه من حصار قسنطينة فأقلع عنها ونزل السيد أبو زيد للهكلات وخرج السيد أبو موسى من اعتقاله فلقيه هنالك ثم ارتحل في طلب العدو فأفرج عن قسنطينة وخرج الى الصحراء واتبعه الموحدون الى مقرة ونقاوس ثم قفلوا الى بجاية واستقر السيد أبو زيد بها وقصد علي بن غانية قفصة فملكها ونازل توزر فامتنعت عليه ولحق بطرابلس وخرج غزي الصنهاجي من جموع ابن غانية في بعض احياء العرب فتغلب على أشير وسرح اليهم السيد أبو زيد ابنه أبا حفص عمر ومعه غانم بن مردنيش فأوقعوا بهم واستولى على حللهم وقتل غزي وسيق رأسه الى بجاية ونصب بها وألحق به عبد الله أخوه وغزانة وحمدون من بجاية الى سلا لاتهامهم بالدخول في أمر ابن غانية واستقدم الخليفة السيد أبا زيد من مكانه ببجاية وقدم مكانه أخاه السيد أبا عبد الله وانصرف الى الحضرة وبلغ الخبر اثناء ذلك باستيلاء علي بن الروبرتير على ميورقة وكان من خبره ان الامير يوسف بن عبد المؤمن بعثه الى ميورقة لدعاء بني غانية الى أمره لما كان أخوهم محمد خاطبه بذلك فلما وصل ابن الروبرتير اليهم نكروا شأنه على أخيهم محمد واجتمعوا دونه وتقبضوا عليه وعلى ابن الروبرتير في أمره وداخل مواليهم من العلوج في تخلية سبيله من معتقله على أن يخلي سبيلهم بأهليهم وولدهم الى أرضهم فتم له مرادهم منه وصار بالقصبة واستنقذ محمدا ابن أبي اسحق من مكان اعتقاله ولحقوا جميعا بالحضرة وبلغ الخبر علي بن غانية بمكانه من طرابلس فبعث أخاه عبد الله

الى صقلية وركب منها الى ميورقة ونزل فى بعض قراها وأعمل الحيلة فى تملك البلد فاستولى عليه وأضرم نار الفتنة بافريقية ونازل على بن غانية بلاد الجريد وتغلب على الكثير منها وبلغ الخبر باستيلائه على قفصة فخرج المنصور اليه من مراكش سنة ثنتين وثمانين ووصل فاس فأراح بها وسار الى رباط تازا ثم سار الى التعبية الى تونس وجمع ابن غانية من اليه من الملثمين والاعراب وجاء معه قراقش الغزى صاحب طرابلس فسرح اليهم المنصور عساكره لنظر السيد أبى يوسف بن السيد أبى حفص ولقيهم بغمرة فانفض جموع الموحدين وأفلت المعركة عن قتل على بن الروبرتير وأبى على بن يغمور وفقد الوزير عمر بن أبى زيد ولحق فلهم بقفصة فأثخنوا فيهم قتلا ونجا الباقون الى تونس وخرج المنصور ممتلا فيا خبر الواقع فى هذا الحال ونزل القيروان وأغذ السير الى الحامة فتشاور الفريقان وتزاحفوا فكانت الدبرة على ابن غانية وأحزابه وأفلت من المعركة بذماء نفسه ومعه خليله قراقش وأتى القتل على كثيرهم فصبح المنصور قابس فافتتحها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه فى البحر الى تونس وثنى العنان الى توزر فافتتحها وقتل من وجد بها ثم الى قفصة فنازلها أياما حتى نزلوا على حكمه وأمن أهل البلد والاغراب أصحاب قراقش وقتل سائر الملثمين ومن كان معهم من الحشود وهدم أسوارها وانكف راجعا الى تونس فعقد على افريقية للسيد أبى زيد وقفل الى المغرب سنة أربع وثمانين ومر بالمهدية واستحر على طريق تاهرت والعباس بن عطية أمير بنى توجين دليله الى تلمسان فنكب بها عمه السيد أبا اسحق لشئ بلغه عنه وأحفظه ثم ارتحل الى مراكش ورفع اليه ان أخاه السيد أبا حفص والى مرسية الملقب بالرشيد وعمه السيد أبا الربيع والى تادلا عندما بلغهم خبر الوقيعة بغمرة حدثوا أنفسهم بالتوثب على الخلافة فلما قدما عليه للتهنئة أمر باعتقالهما برباط الفتح خلال ما استجلى أمرهما ثم قتلهما وعقد للسيد أبى الحسن بن السيد أبى حفص على بجاية وقصد يحيى ابن غانية قسنطينة فزحف اليه السيد أبو الحسن من بجاية فهزمه ودخل قسنطينة ودخل ابن غانية الى نسياكره فقطع نخلها وافتتحها عنوة ثم حاصر قسنطينة فامتنعت عليه فارتحل الى بجاية وحاصرها وكثر عيثه بافريقية الى ان كان من خبره ما نذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (اخباره فى الجهاد) *

لما بلغه تغلب العدو على قاعدة شلب وانه أوقع بعسكر اشبيلية وترددت سراياهم على نواحيها واقتحم كثيرا من حصونها وخاطبه السيد أبو يوسف بن حفص صاحب

اشبيلية بذلك استنفر الناس للجهاد وخرج سنة ست وثمانين الى قصر مصمودة فأراح به ثم أجاز الى طريف وأغذ السير منها الى شلب ووافته بها حشود الاندلس فتركهم لحصارها وزحف الى حصن طرش فافتتحه ورجع الى اشبيلية ثم رجع الى منازلة شلب سنة سبع وثمانين فافتتحه وقدم عليه ابن وزير بعد ان كان افتتح فى طريقه اليه حصونا أخرى ثم قفل الى حضرته بعد استكماله غزاته وكتب بعهده لابنه الناصر وقدم عليه سنة ثمان وثمانين السيد أبو زيد صاحب افريقية ومعه مشيخة العرب من هلال وسليم فتلقاهم مبرة وتكريما وانقلب وفدهم الى بلادهم ثم بلغه سنة تسعين استفحال ابن غانية بافريقية وكثرة العيث والفساد بها فاعتزم على النهوض اليها ووصل الى مكناسة فبلغه من أمر الاندلس ما أهمه فصرف وجهه اليها ووصل قرطبة سنة احدى وتسعين فأراح بها ثلاثا وامداد الحشود تتلاحق به من كل ناحية ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالارك من نواحى بطليوس وزحف اليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ ثلاثة ابن ادفونش وابن الرند والبيوح وكان اللقاء يوم كذا سنة احدى وتسعين وأبو محمد ابن ابى حفص يومئذ على المطوعة وأخوه أبو يحيى على العساكر والموحدين فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى واستلحم منهم ثلاثين ألفا بالسيف واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم فاستنزلهم المنصور على حكمه وفودى بهم عددهم من المسلمين واستشهد فى هذا اليوم أبو يحيى بن الشيخ أبى حفص بعد ان أبلى بلاء حسنا وعرف بنوه بعدها ببنى الشهيد وانكف المنصور راجعا الى اشبيلية ثم خرج منها سنة ثنتين وتسعين غازيا الى بلاد الجوف فافتتح حصونا ومدنا وخربها كان منها برحالة وطلبيرة واطل على نواحى طليطلة فخرب بسائطها واكتسح مسارحها وقفل الى اشبيلية سنة ثلاث وتسعين فرفع اليه فى القاضى أبى الوليد بن رشد مقالات فيها الى المرض فى دينه وعقده وربما ألقى بعضها بخطه فحبس ثم أطلق وأشخص الى الحضرة وبها كانت وفاته ثم خرج المنصور من اشبيلية غازيا الى بلاد ابن ادفونش حتى احتل بساحة طليطلة وبلغه ان صاحب برشلونة أمد ابن أدفونش بعساكره وانهم جميعا بحصن مجريط فنهض اليهم ولما أطل عليهم انفضت جموع ابن ادفونش من قبل القتال ثم انكف المنصور راجعا الى اشبيلية ثم رغب اليه ملوك النصرانية فى السلم فبذله لهم وعقد على اشبيلية للسيد أبى زيد ابن الخليفة وعلى مدينة بطليوس للسيد أبى الربيع بن السيد أبى حفص وعلى المغرب للسيد أبى عبد الله بن السيد أبى حفص وأجاز الى حضرته سنة أربع وتسعين فطرقه المرض الذى كان منه حتفه وأوصى وصيته التى تناقلها الناس وحضر لوصيته عيسى ابن الشيخ أبى حفص وهلك رحمه الله سنة خمس

وتسعين فى آخر ربيعها والله تعالى أعلم

(الخبر عن وصول ابن منقذ بالهدية من قبل صاحب الديار المصرية)

كان الفرنج قد ملكوا سواحل الشأم فى آخر الدولة العبيدية منذ تسعين سنة وملكوا بيت المقدس فلما استولى صلاح الدين بن أيوب على ديار مصر والشأم اعتزم على جهادهم وصار يفتتح حصونها واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها وافتتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وهدم الكنيسة التى بنواحيها وانفضت أمم النصرانية من كل جهة واعترضوا أسطول صلاح الدين فى البحر فبعث صريخه الى المنصور سنة خمس وثمانين يطلب اعانته بالاساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس ووفد عليه أبو الحرث عبد الرحمن بن منقذ بقية أمراء شيزر من حصون الشأم كانوا أشروا به عند اختلال الدولة العبيدية فلما استقام الامر على يد صلاح الدين وانتظم ملك مصر والشأم واستنزل بنى منقذ هؤلاء ورعى لهم سابقتهم وبعثه فى هذه الى المنصور بالمغرب بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ومائة درهم من دهن البلسان وعشرين رطلا من العود وستمائة مثقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربية بأوتارها وعشرين من النصول الهندية وسروج عدة ثقيلة ووصل الى المغرب فوجد المنصور بالاندلس فانتظره بفاس الى حين وصوله فلقيه وأدى الرسالة فاعتذر له عن الاسطول وانصرف ويقال انه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصارى من سواحل الشأم والله تعالى أعلم

(دولة الناصر بن المنصور)

لما هلك المنصور وأمر ابنه محمد ولى عهده وتلقب الناصر لدين الله واستوزر أبا زيد ابن يوجان وهو ابن أخى الشيخ أبى حفص ثم استوزر أبا محمد بن الشيخ أبى حفص وعقد للسيد أبى الحسن بن السيد أبى حفص على بجاية وفوض اليه فى شؤنها وبلغه سنة ست وتسعين اجحاف العدو بافريقية وفساد الاعراب فى نواحيها ورجوع السيد أبى الحسن من قسنطينة منهزما أمام ابن غانية فأنفذ السيد أبا زيد بن أبى حفص الى تونس فى عسكر من الموحدين لسد ثغورها وأنفذ أبا سعد بن الشيخ أبى حفص فتغلب ابن غانية خلال ذلك على حصن المهدية وثار بالسوس سنة ثمان وتسعين ثائر من كزولة يعرف بأبى قفصة فسرح الناصر اليه عساكر الموحدين فتقصد واجموعه وقتل وفى أيامه كان فتح ميورقة على ما نتلوا من خبرها

(فتح افريقية)

وكان من خبرها ان محمد بن اسحق لما فصل اخوته على ويحيى الى افريقية وولى على ميورقة أخاهم طلحة داخل محمد بعض الحاشية وخرج من الاعتقال هو وابن الروبرتير وقام بدعوة المنصور وبعث بها مع ابن الروبرتير فبعث المنصور أسطوله مع أبى العلاء بن جامع لتملك ميورقة فأبى محمد من ذلك وأرسل طاغية برشلونة فى المدد بجند من النصارى يستخدمهم فأجابه وانتقض عليه أهل ميورقة لذلك وخشوا عادية المنصور فطردوا محمد بن اسحق وولوا عليهم أخاه تاشفين وبلغ ذلك عليا وهو على قسنطينة فبعث اخوته عبد الله والغانى فداخلوا بعض أهل البلد وعزلوا تاشفين وولوا عبد الله وبعث المنصور أسطوله مرارا مع أبى العلاء بن جامع ثم مع يحيى ابن الشيخ ابراهيم الهزرجى فامتنعوا عليهم وقتلوا منهم خلقا وقوى أمره وذلك سنة ثلاث وثمانين ثم لما هلك المنصور بعث الناصر أسطوله مع عمه السيد أبى العلا والشيخ أبى سعيد بن أبى حفص فنازلوه وانخذل عنه أخوه تاشفين بالناس ودخل البلد عنوة واستفتحت وقتل وانصرف السيد الى مراكش وولى عليها عبد الله بن طاع الله الكومى ثم ولى الناصر عليها عمه السيد أبا زيد وجعل ابن طاع الله على قيادة البحر وبعد السيد أبى زيد وليها السيد أبو عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن ثم أبو يحيى على بن أبى عمران التينملى ومن يده أخذها النصارى سنة سبع وعشرين وستمائة والله تعالى أعلم

(خبر افريقية وتغلب ابن غانية عليها وولاية أبى محمد بن أبى الشيخ أبى حفص)

لما هلك المنصور قوى أمر ابن غانية بافريقية وولى الناصر السيد أبا زيد والشيخ أبا سعيد بن أبى حفص ويقال ان المنصور ولاهما وكثر الهرج بافريقية وثار بالمهدية محمد بن عبد الكريم الرجراجى ودعا لنفسه ونازع ابن غانية والموحدين الامر ويسمى صاحب قبة الاديم محمد بن عبد الكريم الركراكى ونزل تونس وعاث فى قراها سنة ست وتسعين ونازل ابن غانية بفاس فامتنع عليه وكان محمد بن مسعود البلطى شيخ رياح من أشياعه فانتقض عليه وراجع ابن غانية فأتيح له الظهور على محمد بن عبد الكريم وقصده وهو على قفصة فهزمه واتبعه الى المهدية فنازله بها وبعث الى صاحب تونس فى المدد بأسطوله وقائده فضاقت حال ابن عبد الكريم فسأل الامان من ابن غانية فأمنه وخرج اليه فتقبض عليه واستولى على المهدية سنة تسع وتسعين وبعث الناصر اسطوله فى البحر مع عمه أبى العلاء وعساكر الموحدين مع السيد أبى الحسن بن أبى حفص ابن عبد المؤمن ونازلوا ابن عبد الكريم قبل استيلاء ابن غانية عليها فادعى ابن عبد الكريم بانه حافظ للحصن من العدو ولا يمكنه الا الثقة الخليفة وانصرف السيد أبو الحسن الى بجاية موضع عمله وقسم العسكر بينه وبين أخيه السيد أبى زيد صاحب

تونس وصلحت الاحوال ثم ان ابن غانية لما تغلب على المهدية وعلى قراقش الغزى صاحب طرابلس وقد مرّت اخباره في أخبار ابن غانية ثم تغلب على بلاد الجريد ثم نزل تونس سنة تسع وتسعين وافتتحها عنوة وتقبض وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق وبسط عليهم العذاب وتولى ذلك فيهم كاتبه ابن عصفور حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم ثم دخل في دعوته أهل مونه وتسرورت وسعارمة والارض والقيروان وسبتة وصفاقس وقابس وطرابلس وانتظمت له أعمال افريقية وفرق العمال وخطب للعباسى كما ذكرناه في أخباره ثم ولى على تونس أخاه الغازى ونهض الى جبال طرابلس فأغرمهم ألف ألف دينار مكررة مرتين ورجع الى تونس واتصل بالناصر كثرة الهرج بافريقية واستيلاء ابن غانية عليها وحصول السيد في قبضته فشاور الموحدين في أمره فأشاروا بمسالمة ابن غانية وأشار أبو محمد بن الشيخ أبي حفص بالنهوض اليها والمدافعة عنها فعمل على رأيه ونهض من مراكش سنة احدى وستمائة وبعث الاسطول في البحر لنظر أبي يحيى بن أبي زكريا الهزرجى فبعث ابن غانية ذخيرته وحرمه الى المهدية مع على بن الغانى ابن محمد بن على وانتقض أهل طرابلس على ابن غانية وأخرجوا عاملهم تاشفين بن الغانى ابن محمد بن على بن غانية وقصدهم ابن غانية فافتتحها وخربها ووصل أسطول الناصر الى تونس فدخلوها وقتلوا من كان بها من اتباع ابن غانية ونهض الناصر في اتباع ابن غانية فأعجزه ونازل المهدية وبعث أبا محمد بن الشيخ أبي حفص للقاء ابن غانية فلقيه بتاجرا فأوقع به وقتل جبارة وكاتبه ابن اللمطى وعامله الفتح بن محمد قال ابن نخيل وكانت الغنائم من عسكره يومئذ ثمانية عشر ألفا من أحمال المال والمتاع والخرثى والآلة ونجا بأهله وولده فاطلق السيد ابا زيد من الاعتقال بعد ان هم حرسه بقتله عند الهزيمة ثم تسلم الناصر المهدية من يد على بن الغازى المعروف بالحاج الكافر على أن يلحق بابن عمه فقبل شرطه ومضى لوجهه ثم رجع من طريقه واختار التوحيد فناله من الكرامة والتقريب مالا فوقه وهلك في يوم العقاب الآتى ذكره ثم فرض الناصر على المهدية واستعمل عليها محمد بن يغمور الهرغى وعلى طرابلس عبد الله بن ابراهيم بن جامع ورجع الى تونس فأقام الى سنة ثلاث وستمائة وسرح أخاه السيد أبا اسحق في عسكر من الموحدين لاتباع العدو فدوخوا ما وراء طرابلس واستأصلوا بنى دمر ومطماطة وجبال نفوسة وتجاوزوها الى سويقة بنى مذكور وقفل السيد أبو اسحق بهم الى أخيه الناصر بتونس وقد كمل الفتح ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب وأجمع رأيه على تولية أبي محمد ابن الشيخ أبي حفص وكان شيخ دولته وصاحب رأيه فامتنع الى ان بعث اليه الناصر في ذلك بابنه يوسف فأكبر مجيئه وأناب لذلك على أن يقيم بافريقية

ثلاث سنين خاصة خلاف ما يستحكم صلاحها وأن يحكم فيمن يقيم معه من العسكر فقبل شرطه ورجع الناصر الى مراكش فدخلها في ربيع سنة أربع وستمائة وقدم عبد العزيز بن أبي زيد الهنتاني على الاشغال بالعدوتين وكان على الوزارة أبو سعيد بن جامع وكان صديقا لابن عبد العزيز وعند مرجعه من افريقية توفى السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن صاحب بجاية وقد كان أبو الربيع هذا ولى بجاية من قبل وهو الذى جدد للربيع وكان بنو حماد شيدوها من قبل فأصابها الحريق وجددها السيد أبو الربيع وفي سنة خمس بعدها عقد للسيد أبي عمران بن يوسف بن عبد المؤمن على تلمسان أدال به من السيد أبي الحسن فوصل الى تلمسان في عساكر الموحدين وتطوف أقطارها وزحف اليه ابن غانية هنالك فانفض الموحدون وقتل السيد أبو عمران وارتاع أهل تلمسان وأسرع السيد أبو زكريا من فاس اليها فسكن نفوسهم خلال ما عقد الناصر لابى زيد بن يوجان على تلمسان وسرحه في العساكر فنزل بها وفر ابن غانية الى مكانه من قاصية افريقية ومعه محمد بن مسعود البلط شيخ الزواودة من رياح وغيره من اعراب رياح وسليم واعترضهم أبو محمد بن أبي حفص فانكشفوا واستولى الموحدون على محلاتهم وما بأيديهم ولحقوا بجهات طرابلس ورجع عنهم سير بن اسحق آخذا بدعوة الموحدين وفي هذه السنة عقد الناصر على جزيرة ميورقة لابى يحيى بن أبي الحسين بن أبي عمران أدال به من السيد أبي عبد الله بن أبي حفص وعقد على بلنسية وعلى مرسية لابى عمران بن ياسين الهنتاتى أدال به من أبي الحسن بن زكاك وعقد للسيد أبي زيد على كورة جيان أدال به من أبي موسى بن أبي حفص وعقد للسيد أبي ابراهيم بن يوسف على أشبيلية ولابى عبد الله بن أبي يحيى بن الشيخ أبي حفص على غرناطة الى ان كان ما نذكر ان شاء الله تعالى

(أخباره في الجهاد)

لما بلغ الناصر تغلب العدو على كثير من حصون بلنسية أهمه ذلك وأقلقه وكتب الى الشيخ أبي محمد بن أبي حفص يستشيره في الغزو فأبى عليه فخالفه وخرج من مراكش سنة تسع ووصل اشبيلية واستقر بها واستعد للغزو ثم رجع من اشبيلية وقصد بلاد ابن اذفونش فافتتح قلعة شلبطرة والجح في طريقه ونازل الطاغية قلعة رباح وبها يوسف ابن قادس وأخذ بمخنقه فصالحه على النزول ووصل الى الناصر فقتله وصار على التعبية الى الموضع المعروف بالعقاب وقد استعد له الطاغية وجاء طاغية برشلونة مددا له فكانت الدبرة على المسلمين فانكشفوا في يوم بلاء وتمحيص أواخر صفر سنة تسع وستمائة وانكفأ راجعا الى مراكش فهلك في شعبان من السنة بعدها وكان ابن

اذفونش قد ناظر ابن عمه ليهوج صاحب لون فى ان يوالى الناصر ويجر الهزيمة على المسلمين ففعل ذلك ثم رجعوا الى الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين فلقيهم السيد أبو زكريا بن أبى حفص بن عبد المؤمن قريبا من اشبيلية فهزمهم وانتعش المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك والله أعلم

(ثورة ابن الفرس)

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء بالاندلس ويعرف بالمهر وحضر مجلس المنصور فى بعض الايام وتكلم بما خشى عاقبته فى عقده وخرج من المجلس فاختفى مدة ثم بعد مهلك المنصور ظهر فى بلاد كزولة وانتحل الامامة وادعى أنه القحطانى المراد فى قوله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملؤها عدلا كما ملئت جورا الى آخر الحديث وكان مما ينسب اليه من الشعر

قولوا لابناء عبد المؤمن بن على * تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها * ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو سائقهم * بالامر والنهى بحر العلم والعمل
وبادروا أمره فالله ناصره * والله خاذل أهل الزيغ والميل

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه وقتل وسيق رأسه الى مراكش فنصب بها والله أعلم

(دولة المستنصر بن الناصر)

لما هلك محمد بن الناصر بن المنصور بويع ابنه يوسف سنة احدى عشرة وهو ابن ست عشرة سنة ولقب المستنصر بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بأمره وتأخرت بيعة أبى محمد ابن الشيخ أبى حفص من افريقية لصغر سن المستنصر ثم رقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحبها الاشتغال عبد العزيز بن أبى زيد فوصلت بيعته واشتغل المستنصر عن التدبير بما يقتضيه الشباب وعقد للسادة على عمالات ملكه فعقد للسيد أبى ابراهيم أخى المنصور وتلقب بالظاهر على فاس وهو أبو المرتضى وعقد على اشبيلية لعمه السيد أبى اسحق الاحول واستولى الفنش على المعاقل التى أخذها الموحدون وهزم حامية الاندلس وفر رسوله الى الفجار فحاوله ابن جامع فى السلم فعقده ثم صرف ابن جامع عن الوزارة بعده بهلك ابن أبى زيد بن يوجان واستوزر أبا يحيى الهزوجى وولى على الاشغال أبا على بن أشرف ثم رذى عن ابن جامع وأعاده وعزل أبا زيد بن يوجان من ولاية تلمسان بابى سعيد بن المنصور وبعثه الى مرسية فاعتقل

بها واستمرت أيام المنصور فى هدنة وموادعة الى ان ظهر بنو مرين بجهات فاس سنة ثلاث عشرة فخرج اليهم واليها السيد أبو ابراهيم فى جموع الموحدين فهزموه وأسروه ثم عرفوه وأطلقوه ثم وصل الخبر بمهلك أبى محمد بن أبى حفص صاحب افريقية فولى عليها أبا العلى اخا المنصور وكان واليا باشبيلية فعزل وولى على افريقية سعاية بن منى خاصة السلطان فتوجه اليها كما نذكر فى أخبار بنى أبى حفص وخرج بناحية فاس رجل من العبيديين انتسب للعاضد وتسمى بالمهدى فبعث السيد أبو ابراهيم أخو المنصور الى فاس الى شيعته وبذل لهم المال فنقضوا عليه وساقوه اليه فقتل وفى سنة تسع عشرة عقد المستنصر لعمه أبى محمد المعروف بالعادل على مرسية وعزله عن غرناطة وهلك سنة عشرين وقد التاثت الامور فكان مانذكره والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة المخلوع أخى المنصور)

لما هلك المستنصر فى الاضحى من سنة عشرين اجتمع ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد أبى محمد عبد الواحد أخى المنصور فقام بالامر وأمر بمطالبة ابن أشرف بالمال وكتب أخوه لابى العلا بتجديد الولاية على افريقية بعد ان كان المستنصر أوعز بعزله فأدركته الولاية ميتا فاستبد بها ابنه أبو زيد المشمر كما نذكره فى أخبار افريقية ونفذ المخلوع أمره باطلاق ابن يوجان فأطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك وأنفذ أخاه أبا اسحق فى الاسطول ليغربه الى ميورقة كما كان المستنصر أنفذه قبل وفاته وكان الوالى بمرسية أبو محمد عبد الله بن المنصور وأغراه ابن يوجان بالتوثب على الامر وشهد له أنه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وكان الناس على كره ابن جامع وولاة الاندلس كلهم بنو منصور فأصغى اليه وكان مترددا فى بيعة عمه فدعا لنفسه وتسمى بالعادل وكان اخوته أبو العلى صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا وكان أبو محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسى صاحب جيان وعزله المخلوع بعمه أبى الربيع بن أبى حفص فانتقض وبايع للعادل وزحف مع أبى العلى صاحب قرطبة وهو أخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والمخلوع فدخل فى دعوتهم وامتنع السيد أبو زيد بن أبى عبد الله أخى البياسى عن بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع وخرج العادل من مرسية الى اشبيلية فدخلها مع أبى زيد بن يوجان وبلغ الخبر الى مراكش فاختلف الموحدون على المخلوع وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة وقام بأمر هنتاتة أبو زكريا يحيى بن أبى يحيى السيد ابن أبى حفص وبأمر تينملل يوسف بن على وبعث على اسطول البحر أبا اسحق بن جامع وأنفذه لمنع الجواز من الزقاق وكان أسر الى ابن جامع حين خرج الى هسكورة أن

يحاول عليه من هنالك فلم يتم أمره وقتل بمكان خفى فى ربيع سنة احدى وعشرين وبعث الموحدون ببيعتهم الى العادل والله أعلم

* (الخبر عن دولة العادل بن المنصور) *

لما بلغت بيعة الموحدين للعادل وكتاب ابن زكريا بن الشهيد بقصة المخلوع قارن ذلك تغيره للبياسى فانتقض عليه ودعا لنفسه وتلقب الظافر وشغل بشأنه وبعث أخاه أبا العلى لحصاره فامتنع عليه وبعث بعده ابنه أبا سعيد ابن الشيخ أبى حفص فامتنع عليه أيضا واختلت الاحوال بالاندلس على العادل وكثرت غارة النصارى على اشبيلية ومرسية وهو مقيم بها وانهزمت جيوش الموحدين على طليطلة وأغراه خاصته بابن يوجان فأخذ الى سبتة وعظم أمر البياسى بالاندلس وظاهر النصارى على شأنه فأجاز العادل الى العدوة وولى أخاه أبا العلى على الاندلس ولما كان بقطر المجاز دخل عليه عبو ابن أبى محمد بن الشيخ أبى حفص فقال له كيف حالك فأنشده

حال متى علم ابن منصور بها * جاء الزمان اليه منها تائبا

فاستحسن ذلك وولاه افريقية وكتب للسيد أبى زيد ابن عمه بالقدوم ووصل الى سلا فأقام بها وبعث عن شيوخ جشم وكان لابن يوجان عناية واختصاص بهلال بن حمدان ابن مقدم أمير الخلط فتثاقل ابن جرمون أمير سفيان عن الوصول وأقبل الخلط وسفيان وبادر العادل الى مراكش فدخلها واستوزر أبا زيد بن أبى محمد بن الشيخ أبى حفص وتغير لابن يوجان ففسد باطنه وتغلب على الدولة ابن الشهيد ويوسف بن على شيخا هنتاتة وتينملل ثم خالفت هسكورة والخلط وعاثوا فى نواحى مراكش وخرج اليهم ابن يوجان فلم يغن شيئا فخربوا البلاد كالة فأنفذ اليهم العادل عسكرا من الموحدين لنظر ابراهيم بن اسمعيل بن الشيخ أبى حفص وهو الذى كان نازع أولاد الشيخ أبى محمد بافريقية كما نذكره فانهزم وقتل وخرج ابن السيد ويوسف بن على الى قبائلها للحشد ومدافعة هسكورة فاتفقا على خلع العادل والبيعة ليحيى بن الناصر وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه القصر ونهبوه وقتل العادل خنقا أيام الفطر من سنة أربع وعشرين والله تعالى أعلم

* (الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له) *

كان المأمون لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب على أخيه وتلاشى أمره انغمسه باشبيلية فبويع وأجابه أكثر الاندلس وبايع السيد أبو زيد صاحب بلنسية وشرق الاندلس ثم كان ما قدمناه من انتقاض الموحدين على العادل وقتله بالقصر وبيعتهم

ليحيى ابن أخيه الناصر ابن يوجان سرا وعمل على افساد الدولة فداخلهم هسكورة والعرب فى الغارة على مراكش وهزم عساكر الموحدين وفطن الشهيد لتدبير ابن يوجان فقتله بداره وخرج يحيى بن الناصر الى معتصمه كما ذكرناه فخلع الموحدون العادل وبعثوا ببيعتهم الى المأمون وتولى كبر ذلك الحسن أبو عبد الله العريبق والسيد أبو حفص بن أبى حفص فبلغ خبرهم الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين وقتلوهم وبايع للمأمون صاحب فاس وصاحب تلمسان محمد بن أبى زيد بن يوجان وصاحب سبتة أبو موسى بن المنصور وصاحب بجاية ابن أخته ابن الاطاسى وامتنع صاحب افريقية وكان ذلك سببا لاستبداد الامير أبى زكريا على ما نذكره ولم يبق على دعوة يحيى بن الناصر الا افريقية وسجلماسة وزحف البياسى الى قرطبة فملكها ثم زحف الى اشبيلية فنازل بها المأمون والطاغية بعد أن نزل له عن مخاطة وغيرها من حصون المسلمين فهزمهم المأمون بنواحى اشبيلية ثم ثار محمد بن يوسف بن هود وملك مرسية واستولى على الكثير من شرق الاندلس كما ذكرناه فى أخباره وزحف اليه المأمون وحاصره وامتنع عليه فرجع الى اشبيلية ثم خرج سنة ست وتسعين الى مراكش لما استدعاه أهل المغرب وبعثوا اليه ببيعاتهم وبعث اليه هلال بن حمدان أمير الخلط يستدعيه واستمد الطاغية عسكرا من النصارى وأعطاه على شروط يقبلها منه المأمون وأجاز الى العدوة وبادر أهل اشبيلية بالبيعة لابن هود واعترضه يحيى بن الناصر فهزمه المأمون واستلحم من كان معه من الموحدين والعرب ولحق يحيى بجبل هنتاتة ثم دخل المأمون الحضرة وأحضر مشيخة الموحدين وعدد عليهم فعلاتهم وتقبض على مائة من أعيانهم فقتلهم وأحدر كتابه الى البلدان بمحو اسم المهدى من السكة والخطبة والنعى عليه فى النداء للصلاة باللغة البربرية وزيادة النداء لطلوع الفجر وهو أصبح ولله الحمد وغير ذلك من السنن التى اختص بها المهدى المعصوم وأعاد فى ذلك وأبدى وأذن للنصارى القادمين معه فى بناء الكنيسة بمراكش على شرطهم فضربوا بها نواقيسهم واستولى ابن هود بعده على الاندلس وأخرج منها سائر الموحدين وقتلهم العامة فى كل محل وقتل السيد أبو الربيع بن أخى المنصور وكان المأمون تركه واليا بقرطبة واستبد الامير أبو زكريا ابن أبى محمد بن الشيخ أبى حفص بافريقية وخلع طاعته سنة سبع وعشرين فعقد للسيد أبى عمران ابن عمه محمد الخرصان على بجاية مع أبى عبد الله اللحيانى أخى الامير أبى زكريا وزحف اليه يحيى بن الناصر فانهزم ثم ثانية كذلك واستلحم من كان معه ونصبت رؤسهم بأسوار الحضرة ولحق يحيى ابن الناصر ببلاد درعة وسجلماسة ثم انتقض على المأمون أخوه أبو موسى ودعا لنفسه

بسبتة وتسمى بالمؤيد فخرج المأمون من مراكش وبلغه فى طريقه أن قبائل بنى فازان ومكلاتة حاصروا مكناسة وعاثوا فى نواحيها فسار واليها وحسم عاملها واستمر الى سبتة فحاصرها ثلاثة أشهر واستمد أخوه أبو موسى صاحب الاندلس لابن هود فأمده بأساطيله وخالف يحيى بن الناصر المأمون الى الحضرة فاقتحمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون ابن عيسى ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها فأقلع المأمون عن سبتة يريد الحضرة وهلك فى طريقه بوادى أم الربيع مفتتح سنة ثلاثين وحين اقلاعه دخل أخوه السيد أبو موسى فى طاعة ابن هود وأمكنه من سبتة فأداله منها والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة الرشيد بن المأمون)

لما هلك المأمون بويع ابنه عبد الواحد ولقب الرشيد وكتموا موت أبيه وأغذوا السير الى مراكش ولقيهم يحيى بن الناصر فى طريقهم بعد ان استخلف بمراكش أبا سعيد ابن وانودين فهزموه وقتل أكثر من معه وصبح الرشيد مراكش فامتنعوا عليه باشياعهم ثم خرجوا اليه واستقاموا على بيعته وكان وصل فى صحبته عمه السيد أبو محمد سعد فحل من الدولة بمكان وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد بالحضرة وصل اليه عمر بن وقاريط كبير الهساكرة بمن كان عنده من أولاد المأمون السيد زاخونه جاؤا من اشبيلية عند ثورة أهلها بهم واستقروا بسبتة عند عمهم أبى موسى ومنها الى الحضرة عند استيلاء ابن هود على سبتة ومروا بهسكورة وكان ابن وقاريط حذرا من المأمون ومعتقده أن لا يعود اليه فتذمم بصحبة هؤلاء الاولاد وقدم على الرشيد فتقبله وأعلق بوصله من السيد أبى محمد سعد وصحبه لمسعود بن حمدان كبير الخلط ولما هلك السيد أبو محمد لحق ابن وقاريط بقومه ومعتصمه وكشف وجه الخلاف وأخذ بدعوة يحيى بن الناصر واستنفر له قبائل الموحدين ونهض اليهم الرشيد سنة احدى وثلاثين واستخلف على الحضرة صهره أبا العلى ادريس وصعد اليهم الجبل فأوقع بيحيى وجموعه بمكانهم من هزوجة واستولى على معسكرهم ولحق يحيى ببلاد سجلماسة وانكفأ الرشيد راجعا الى حضرته واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع يحيى بن الناصر فأمنهم ولحقوا بحضرته وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا الكدميوى وجاء الباقون على أثره ولبعه بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان ازاله المأمون من رسوم المهدى فأعيدت وقدم فيهم أبو بكر بن يعزى التينملى رسولا عن يوسف ابن على بن يوسف شيخ تينملل ومحمد بن يوزيكن الهنتاتى رسولا عن أبى على بن عزوز ورجعا الى مرسليهما بالقبول فقدما على الحضرة وقدم معهم موسى بن الناصر أخو يحيى وكبيره وجاء على أثرهم أبو محمد بن أبى زكريا وأنسوا الاعادة رسوم الدعوة المهدية

وكان مسعود بن حمدان الخلطى قد اغراه عمر بن وقاريط بالخلاف لصحابة بينهما وكان مولى بأسة وكثرت جموعه يقال ان الخلط كانوا يومئذ يناهزون اثنى عشر ألفا سوى الرجل والاتباع والحشود فمرض فى الطاعة وتثاقل عن الوفادة ولما علم بعقد الموحدين اجتمع اعتراضهم وقبلهم   للفرقة والشتات فى الدولة فأعمل الرشيد فى

بياض بالاصل

استدعائه وصرف عساكره الى باجة لنظر وزيره السيد أبى محمد حتى خلا لابن حمدان الجو وذهب عنه الريب واستقدمه فأسرع اللحاق بالحضرة وقدم معه معاوية عم عمر بن وقاريط فتقبض عليه وقتل لحينه واستدعى مسعود بن حمدان الى المجلس الخلافى للحديث فتقبض عليه وعلى أصحابه وقتلوا ساعتئذ بعد جولة وهيعة وقضى الرشيد حاجة نفسه فيهم واستقدم وزيره وعساكره من باجة فقدموا ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم يحيى بن هلال بن حمدان وأجلبوا على سائر النواحى وأخذوا بدعوة يحيى واستقدموه من مكانه بقاصية الصحراء وداخلهم فى ذلك عمر وبن وقاريط وزحفوا لحصار الحضرة وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلولان فدفع ابن وقاريط فى جموعه من العساكر فانهزموا وأحيط بجند النصارى فقتلوا وتفاقم الامر بالحضرة وعدمت الاقوات واعتزم الرشيد على الخروج الى جبال الموحدين فخرج اليها وسار منها الى سجلماسة فملكها واشتد الحصار على مراكش واقتحمها يحيى بن الناصر وقومه من هسكورة والخلط وساء أمرهم فيها وتغيرت أحوال الخلافة وتغلب على السلطان السيد أبو ابراهيم بن أبى حفص الملقب بابى حافة وفى سنة ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من سجلماسة بقصد مراكش وخاطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيان فأجازوا وادى الربيع وبرز اليه يحيى فى جموعه والتقى الفريقان فانهزمت جموع يحيى واستحر القتل فيهم ودخل الرشيد الى الحضرة ظافرا وأشار يحيى بن وقاريط على الخلط بالاستصراخ بابن هود صاحب الاندلس والاخذ بدعوته فكتبوا بيعة يحيى وبعثوا وفدهم الى ابن هود صحبة عمر بن وقاريط على الخلط بالاستصراخ فاستقر هنالك وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط أمامه وسار الى فاس وسرح وزيره السيد أبا محمد الى غمارة وفازاز لجباية أموالها وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب المعقل فأجاروه ووعدوه النصرة واشتطوا عليه المطالب وأسف بعضهم بالمنع فاغتاله فى جهة تازى وسيق رأسه الى الرشيد بفاس فبعثه الى مراكش وأوعز الى نائبه بها أبى على بن عبد العزيز لقتل العرب الذين كانوا فى اعتقاله وهو حسن بن زيد شيخ العاصم وقائد ابتاعا من شيخها أبى جابر فقتلهم وانكفأ الرشيد راجعا الى حضرته سنة أربع وثلاثين وبلغه استيلاء صاحب درعه أبى محمد بن وانودين على سجلماسة وذلك أن

الرشيد لما فصل من سجلماسة استخلف عليها يوسف بن على التمللى فاستعمل ابن خالته من بنى مردنيش وهو يحيى بن أرقم بن محمد بن مردنيش فثار عليه ثائر من صنهاجة وقتله فى حبائله وقدم ابنه أرقم يطلب الثار وبلغ منه ما أراد ثم حدثته نفسه بالانتقاض خوفا من عزل الرشيد اياه فانتقض ونهض اليه الرشيد سنة ثنتين وثلاثين فلم يزل أبو محمد بن وانودين يعمل الحيلة فى استخلاصها حتى تمكن منها وعفا عن أرقم وكان ابن وقاريط لما فصل الى ابن هود سنة أربع وثلاثين ركب البحر فى اسطول ابن هود وقصد اسلا وبها السيد أبو العلى صهر الرشيد فكاد ان يغلب عليها وفى سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجد واستخف بنو حجاج الى سبتة ووصل وفدهم الى الحضرة ومروا فى طريقهم بسبتة فاقتدى أهلها بهم فى بيعة الرشيد وخلعوا أميرهم اليانشى الثائر بها على ابن هود وقدموا على الحضرة وولى عليهم الرشيد أبا على بن خلاص منهم ولايام من مقدمهم فأمكنهم من ابن وقاريط وبعث الى الرشيد فى وفد من رسله فاعتقل بأزمور وقتل وصلب برباط هسكورة بعد ان طيف به على جمل وانصرف وفد اشبيلية وسبتة واستقدم الرشيد رؤساء الخلط فقبض عليهم وبعث عساكره فاستباحوا حللهم واحياءهم ثم أمر بقتل مشيختهم وقتل معهم ابن وقاريط وقطع دابرهم وفى سنة ست وثلاثين وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وفى سنة سبع وثلاثين اشتدت الشوكة بالمغرب وانتشر بنو مرين وزحف اليهم فهزموه ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه وأقام فى محاربتهم سنتين ورجع الى الحضرة واشتد عدوان بنى مرين بالمغرب وألحوا على مكناسة حتى أعطوا الاتاوة لبنى حمامة منهم فاستنفوا بنى عسكر بذلك واتصل عليهم فى نواحيها وفى سنة سبع وثلاثين قتل الرشيد كاتبه ابن المومنانى لمداخلة له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز أخى المنصور ووقف على كتابه اليه بخطه وغلط الرسول بها فدفعها بدار الخليفة وفى سنة أربعين بعدها كانت وفاة الرشيد غريقا فى بعض جوارى القصر ويقال انه أخرج من الماء وحمّ لوقته وكان فيها مهلكه والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة السعيد بن المأمون)

لما هلك الرشيد بويع أخوه أبو الحسن السعيد بتعيين أبى محمد بن وانودين وتلقب المعتضد بالله واستوزر السيد أبا اسحق بن السيد أبى ابراهيم ويحيى بن عطوش وتقبض على جملة من مشيخة الموحدين واستصفى أموالهم واستخلف لنفسه رؤساء العرب من جشم واستظهر بجموعهم على أمره وكان شيخ سفيان كانون بن جرمون كبير محكسة ولاول بيعته انتقض عليه أبو على بن الخلاص البلنسى صاحب سبتة وكذلك أهل

اشبيلية وبايعوا جميعا للامير ابى زكريا صاحب افريقية ثم انتقض عليه بسجلماسة عبد الله بن زكريا الهزوجى صاحب تلمسان فنهض الامير أبو زكريا صاحب افريقية بسبب ذلك الى تلمسان واستولى عليها ثم عقد عليها ليغمراسن حسبما يذكر فى أخباره وخرج السعيد من مراكش لتمهيد بلاد المغرب سنة ثنتين وأربعين وتغير لسعيد بن زكريا الكدميوى فتقبض عليه من معسكره بتانسفت وفر أخوه أبو زيد ومعه أبو سعيد العود الرطب ولحقوا بسجلماسة فاستصفى أموالهم بمراكش وارتحل يقصد سجلماسة وأخذ واليها عبد الله الهزوجى فى اسباب الامتناع فغدر به أبو زيد بن زكريا الكدميوى وداخل أهل سجلماسة فى الثورة عليه وملك البلد واستدعى السيد لها فوصل وقتل الهزرجى وفر أبو سعيد العود الرطب الى تونس ثم رجع السعيد الى المغرب وقتل سعيد بن زكريا ونزل العغرقدة من احواز فاس وعقد المهادنة مع بنى مرين وقفل الى مراكش فتقبض على أبى محمد بن وانودين واعتقله بأزمور واعتقل معه يحيى بن مزاحم ويحيى بن عطوش لنظر ابن ماكسن فأعمل الحيلة فى الفرار من معتقله وخلص ليلا الى كانون بن جرمون فأركبه وبعث معه من عرب سفيان من أوصله الى قومه هنتانة وراسله السعيد على أثرها وسكنه واعتذر له وأسعفه بسكنى تاقيوت من حصون عمله بأهله وولده ثم انتقض على السعيد كانون بن جرمون وسفيان وخالفهم اليه بنو جابر والخلط وخرج من مراكش واستوزر السيد أبا اسحق بن السيد أبى ابراهيم اسحق أخى المنصور واستخلف أخاه أبا زيد على مراكش وأخاهما أبا حفص عمر على سلا وفصل من مراكش سنة   وجمع له أبو يحيى بن عبد الحق

جموع بنى راشد وبنى وراسفيان حتى اذا ترآى الفريقان للقاء خالف كانون بن جرمون الموحدين الى ازمور واستولى عليها ورجع السعيد ادراجه فى اتباعه ففر كانون واعترضه السعيد فأوقع به واستلحم كثيرا من سفيان قومه واستولى على ماله من مال وماشية ولحق كانون فى فل بنى مرين ورجع السعيد الى الحضرة وفى سنة ثلاث وأربعين ثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وحذر مشيختها من سطوته فحولوا الدولة الى الامير أبى زكريا بن أبى حفص صاحب افريقية وبعثوا اليه ببيعتهم وكان من النفا أبى مطرف بن عميرة وذلك بمداخلة أبى يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين ووفاقه لهم على ذلك وشارطوا أبا يحيى بن عبد الحق بمال دفعوه اليه على الحماية ثم راجعوا أمرهم وأوفدوا صلحاءهم لبيعتهم فرضى عنهم السعيد ورضوا عنه وفى هذه السنة بعث أهل اشبيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبى زكريا صاحب افريقية وبعث ابن خلاص بهديته مع ابنه فى اسطول أنشأه لذلك فغرق عند اقلاعه من المرسى وفى سنة ست

وأربعين كان استيلاء الطاغية على اشبيلية لسبع وعشرين من رمضان ولما بلغ السيد بيعة أهل اشبيلية وسبتة للامير أبي زكريا الى ما كان من تغلبه على تلمسان وأمر يغمراسن بدعوته ثم ما كان من بيعة أهل مكاسة وأهل سجلماسة أعمل نظره فى الحركة الى تلمسان ثم الى افريقية وخرج الى مراكش فى ذى الحجة من سنة خمس وأربعين ووافاه كانون بن جرمون فعاوده الطاعة واستحشد سفيان وجاء فى جملة السعيد مع سائر القبائل من جشم ولما احتل السعيد بتازى وافاه وفد بنى مرين عن أميرهم أبي يحيى بن عبد الحق فاعطوه الطاعة وبعثوا معه عسكرا من قومهم مدداله ثم ثار السعيد الى تلمسان فكان مهلكه بتامزردكت على يد بنى عبد الواد فى صفر سنة ست وأربعين حسبما نشرح فى أخبارهم ويقال ان ذلك كان بعداخلة من الخلط فاستولوا على المحلة وقتلوا عبدوهم كانون وانفض العسكر الى المغرب وقد اجتمعوا الى عبد الله بن السعيد واعترضهم بنو مرين بجهات تازى فقتلوا عبد الله بن السعيد ولحق الفل بمراكش فبايعوا المرتضى كما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن دولة المرتضى ابن أخى المنصور)

لما هلك لحق فل العسكر بعد مهلك السعيد بمراكش اجتمع الموحدون على بيعة السيد أبى حفص عمر بن السيد أبى ابراهيم اسحق وأخى المنصور واستقدموه لها من سلا فلقيه وافدهم بتامسنا من طريقه ومعه أشياخ العرب فبايعوه وتلقب المرتضى وعقد ليعقوب بن كانون على بنى جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قدموه عليهم ودخل الحضرة فاستوزر أبا محمد بن يونس وتقبض على حاشية السعيد ثم وصل أخوه السيد أبو اسحق من الفل آخذا على طريق سجلماسة فاستوزره واستند عليه واستولى أبو يحيى بن عبد الحق وبنو مرين أن هلك السعيد على رباط تازى من يد السيد ابى على أخى أبى دبوس وأخرجوه فلحق بمراكش ثم استولوا بعدها على مدينة فاس سنة سبع وأربعين كما نذكر فى أخبارهم بعد وفى هذه السنة ثار بسبتة أبو القاسم العزفى وأخرج ابن الشهيد الوالى على سبتة من قرابة الامير أبى زكريا صاحب افريقية وحول الدعوة للرتضى حسبما نذكر فى أخبار الدولة الحفصية وأخبار بنى العزفى وفى سنة تسع وأربعين وفد على المرتضى موسى بن زيان الونكاسى وأخوه على من قبائل بنى مرين وأغروه بقتال بنى عبد الحق فخرج اليهم ولما انتهى الى أمان ايملولى أشاع يعقوب بن جرمون قضية الصلح بينهما فأصبحوا راحلين وقد استولى الجزع على قلوبهم فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ووصل المرتضى الى الحضرة فعزل أبا محمد بن يونس عن الوزارة لشئ بلغه عنه وأسكنه بمحلته مع حاشيته وفر من حملته على بن بدر الى السوس سنة

احدى وخمسين وجاهر بالعناد وسرح اليه السلطان عسكرا من الجند فرجعوا عنه ولم يظفروا به وتفاقم أمره سنة ثنتين وخمسين وجمع اعراب الشبانات وبنى حسان وحمل أموال ونازل تارودانت فحاصر من كان بها وسرح المرتضى اليه عسكرا من الموحدين فأفرج عنها ثم رجع بعد قفولهم الى حاله وعثر المرتضى على خطاب لقريبه ابن يونس اليه بخطه فاعتقل هو وأولاده ثم قتل وفى هذه السنة استدعى مشيخة الخلط الى الحضرة وقتلوا لما كان منهم فى مهلك السعيد وفيها خرج أبو الحسن بن يعلو فى عسكر من الموحدين الى تامسنا ليكشف أحوال العرب ومعه يعقوب بن جرمون وعهد اليه المرتضى بالقبض على يعقوب بن محمد بن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما الى الحضرة معتقلين وفى سنة ثلاث وخمسين خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع فاس ونواحيها من يد بنى مرين المتغلبين عليها فوصل الى جبل بهلول وزحف اليه بنو مرين وأميرهم أبو يحيى فكانت الهزيمة على الموحدين بذلك الموضع ورجع المرتضى مفلولا الى مراكش ورعى بنى مرين من بعد ذلك سائر أيامه واستبد العزفى بسبتة وابن الامير بطنجة كما نذكره فى أخبارهم وفى سنة خمس وخمسين بعث المرتضى الى السوس عسكرا من الموحدين لنظر أبى محمد بن فلقيهم على ابن بدر وهزمهم واستبد بأمره فى السوس وفى هذه السنة استولى أبو يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وتقبض على واليها عبد الحق بن أصكو بمداخلة من خديم له يعرف بمحمد القطرانى بنواحى سلا نصرف عبد الحق ابنه محمدا هذا فى وقربه من بين أهل خدمته وحدثته نفسه بالثورة استمال عرب المعقل أولا بالمشاركة فى حاجاتهم عند مخدومه والاحسان اليهم حتى اشتملوا عليه ثم داخل أبا يحيى بن عبد الحق فقاده وسرحه الى مراكش وكان القطرانى شرط على أبى يحيى أن يكون والى سجلماسة فأمضى له شرطه وأنزل معه بها من رجالات بنى مرين حتى اذا هلك أبو يحيى بن عبد الحق أخرجهم محمد القطرانى واستبد بأمر سجلماسة وراجع دعوة المرتضى واعتذر اليه واشترط عليه الاستبداد فأمضى له شرطه الا فى أحكام الشريعة وبعث أبا عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادات للنظر فى القضية وقائدا من النصارى بعسكر للحماية فأعمل ابن الحجاج الحيلة فى قتل القطرانى وتولاه قائد النصارى واستبد السيد بأمر سجلماسة بدعوة المرتضى واستفحل أمر بنى مرين اثناء ذلك ونزل يعقوب بن عبد الحق بسائط تامسنا فسرح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن وانودين فاجفلوا الى وادى أم ربيع فاتبعهم الموحدون فرجعوا اليهم وغدرهم بنو جابر فانهزم الموحدون بأمر الرجلين ولحق شيخ الخلط عيسى بن على ببنى مرين وارتحلوا الى

بياض بالأصل

أوطانهم وكان المرتضى قدم يعقوب بن جرمون على قبائل سفيان وكان محمد ابن أخيه كانون يناهضه فى رياسة قومه وغص به فقتله وثار به أخواه مسعود وعلى بغدفقتلاه وولى المرتضى مكانه ابنه عبد الرحمن فاستوزر يوسف بن وازرك ويعقوب بن علوان وشغل بلذاته وتصدى لقطع السابلة ثم نكث الطاعة ولحق ببنى مرين فولى مكانه عمه عبد الله بن جرمون بأبى زمام وعقد له المرتضى ثم أدال منه بأخيه مسعود لعجزه ووفد على المرتضى عواج بن هلال من امراء الخلط نازعا الى طاعته ومفارقا لبنى مرين فأنزل معه أصحابه بمراكش وجاء على أثره عبد الرحمن بن يعقوب بن جرمون فتقبض على عواج ودفعه الى على بن أبى على فقتله وكان تقبض معه على عبد الرحمن بن يعقوب ووزيره فقتلوا جميعا واستبد برياسة سفيان مسعود بن كانون وبرياسة بنى جابر اسمعيل بن يعقوب بن قيطون وفى سنة ستين عند رجوع يحيى بن وانودين من واقعة أم الرجلين خرج عسكر من الموحدين الى السوس لنظر محمد بن على الزلماط ولقيه على بن بدر فهزم جموعه وقتله وعقد المرتضى من بعده على حرب على بن بدر للوزير أبى زيد بن زكنت وسرح معه عسكرا من الجند وكان فيهم ذناب من زعماء النصرانية فدارت الحرب بين الفريقين ولم يكن للموحدين فيها ظهور على كثرتهم وقوة جلدهم وحسن بلائهم فسلبهم عن ذلك تكاسل ذنلب وخروجه عن طاعة الوزير وكتب بذلك للمرتضى فاستقدمه وأمر أبو زيد بن يحيى الكدميوى باعتراضه فى طريقه وقتله وفى سنة ثنتين وستين أقبل يعقوب بن عبد الحق فى جموع بنى مرين فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين بظاهرها أياما هلك فيها عبد الله العجون ابن يعقوب فبعث المرتضى الى أبيه بالتعزية ولاطفه وضرب له اتاوة يبعث بها اليه فى كل عام فرضى وارتحل عنهم والله أعلم

الخبر عن انتقاض أبى دبوس وتغلبه على مراكش ومهلك المرتضى وما كان فى دولته من الاحداث

لما ارتحل بنو مرين عن مراكش بعد مهلك العجون فر من الحضرة قائدهم به السيد أبو العلى الملقب بأبى دبوس ابن السيد أبى عبد الله محمد بن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن لسعاية تمكنت فيه عند المرتضى وصحبه ابن عمه السيد أبو موسى عمران بن عبد الله بن الخليفة فلحقا بمسعود بن كلداسن كبير هسكورة فأجاره ثم لحق بيعقوب بن عبد الحق بفاس صريخا به على شأنه واشترط له المقاسمة فى العمالة والذخيرة فامده بالمال يقال خمسة آلاف دينار عشرية وأوعز الى ابن أبى على الخلطى بمظاهرته واعطائه آلات ورجع الى على بن أبى على الخلطى فأمده بقومه ثم سار الى هسكورة ونزل على

صاحبه مسعود بن كلداسن فأطاعه قبائل هسكورة وهزوجة وبعثوا اليه عزوز بن يبورك كبير صنهاجة فى ناحية ازمور وكان منحرفا عن طاعة المرتضى الى حملة يعقوب ابن عبد الحق ووفد عليه جماعة من السادة والموحدين والجند والنصارى وارتاب المرتضى بمسعود بن كانون شيخ سفيان وباسمعيل بن قيطون شيخ بنى جابر فتقبض عليهما واعتقلهما وسار الكثير من قومهما الى أبى دبوس وقتل اسمعيل بن يقطون معتقله فانتقض أخوه ثائرا ولحق بهم وحذر علوش بن كانون مثلها على أخيه فاتبعهم وزحف أبو العلى الى مراكش ولما بلغ اغمات وجد بها الوزير أبا يزيد بن بكيت فى عساكر حمايتها فناجزه الحرب فانهزم ابن بكيت وقتل عامة أصحابه وسار أبو دبوس الى مراكش وأغار علوش بن كانون على باب الشريعة والناس فى صلاة الجمعة وركز رمحه بمصراعه ودخلت سنة خمس وستين والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبى دبوس والاسوار خالية من الحراس والحامية وقصد أبو دبوس باب اغمات فتسور البلد من هنالك ودخلها على حين غفلة وقصد القصبة فدخلها من باب الطبول وفر المرتضى ومعه الوزير أبو زيد بن يعلو الكومى وأبو موسى بن عزوز الهنتاتى فلحقوا بهنتاتة وألفوهم فأذعنوا بطاعتهم فرحل الى كدميوة ومر فى طريقه بعلى بن زكدان الونكاسى كان نزع اليه عن قومه ولم يفد عليه بعد فنزل به المرتضى ورحل معه الى كدميوة وكان فيها وزيره أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد الكريم فأراد النزول عليه فمنعه ابن سعد الله وسار الى شفشاوة ووجدها عددا من الظهر فنحها على بن زكدان وكتب الى ابن وانودين بعسكره من خاصته والى ابن عطوش بعسكر من ركراكة باللحاق به فأقلعا الى الحضرة وخاطب أبو دبوس على بن زكدان يرغبه فى القدوم عليه فارتاب المرتضى لذلك ولحق بازمور فتقبض عليه واليها ابن عطوش وكذا صهره واعتقله وطير بالخبر الى ابى دبوس فأمر وزيره السيد أبا موسى ان يكاتبه كيف اماكن الذخيرة فأجابه بانكار ان يكون ذخر شيئا عندهم والحلف على ذلك وسألهم بالرحم فعطف أبو دبوس عليه وجنح الى الاهل وبعث وزيره السيد أبا موسى ومسعود بن كانون فى ازعاجه اليه ثم بدا له فى استحيائه باشارة بعض السادة فكتب خطه الى السيد أبى موسى بقتله فقتله واستقل أبو دبوس بالامر وتلقب الواثق بالله والمعتمد على الله واستوزر السيد أبا موسى وأخاه السيد أبا زيد وبذل العطاء ونظر فى الولايات ورفع المكوس عن الرعية وحدث بينه وبين مسعود بن كلداسن وحشة فارتحل اليه لازالتها وقدم عبد العزيز بن عطوش سفيرا اليه فى ذلك وبلغه أن يعقوب ابن عبد الحق نزل تامسنا فأوفد عليه حميد بن مخلوف الهسكورى بهدية فقبلها وأكد بينهما العهد وانكفأ راجعا الى وطنه ورجع حميد الى الواثق ووافق وصول عبد العزيز

ابن عطوش بطاعة مسعود بن كلداسن ثم رجع أبو دبوس الى مراكش بعد ان عقد لابى موسى بن عزوز على بلاد حاجة و بلغه فى طريقه عن عبد العزيز بن السعيد انه حدّث نفسه بالملك وانّ ابن مكيت وابن كلداسن داخلوه بالولاية فصروا منهم الشكوة وأصاروهم فى الحلة والله وارث الارض ومن عليها

(وأمّا هسكورة)

وهم أكثر قبائل المصامدة وفيهم بطون كثيرة أوسعها بطن هسكورة وأمّا سواهم من بطون كنفيسة فأنفقتهم الدولة بما تولوا من مشايعتها وابرام عقدتها فهلك رجالاتهم فى انفاقها سبل الامم قبلهم فى دولهم وأمّا هسكورة فكان لهم بين الموحدين مكان واعتزاز بكثرتهم وغلبهم الا أنهم كانوا أهل بدو ولم يخالطوهم فى ترفهم ولا انغمسوا فى نعيمهم وكان جبلهم الذى أوطنوه من حاله دون القنة منها والذروة واعتصموا منه بالآفاق الفدد واليفاع الاشم والطود الشاهق قد لمس الافلاك بيده وتطم النجوم فى مفرقه وتلفع بالسحاب فى مروطه وآوى الرياح العواصف الدجوة وألقى الى خبر السماء باذنه وأطل على البحر الاخضر بشماريخه واستدبر القفر من بلاد السوس بظهره وأقام سائر جبال درن فى حجره ولما انقرض أمر الموحدين وتغلب بنو مرين على المصامدة أجمع وساموهم خطة الخسف فى وضع الضرائب والمغارم عليهم فاستكانوا لعزهم وأعطوهم يد الطواعية واعتصم هسكورة هؤلاء بمعقلهم واعتزوا فيه بمنعتهم فلم يغمسوا فى خدمتهم يدا ولا أعطوهم مقادا ولا رفعوا بدعوتهم راية انما هى منابذة لامرهم وامتناع عليهم سائر الايام فاذا زحفت الحشود وعرّست بهم العساكر دافعوهم بطاعة معروفة واتاوة غير ملتزمة ورئيسهم مع ذلك يستخلص جباياتهم لنفسه و يدفعهم فى المضايق لحمايته وربما تخطاهم الى بعض قبائل الجبل ومن قاربه من أهل بسائط السوس يعسكر بذلك للرجل من قومه هكسورة وكنفيسة وبالحشد من العرب الموطنين بأرض السوس وسفيان وهم بطن الحارث ومن المعقل وهم بطن الشبانات وكان رئيسهم فى ذكرنا بعد انقراض عبد المؤمن بن يوسف وحرروا لسان الاعجمين هو عبد الواحد وكان له فى الاستبداد والصرامة ذكر وهلك سنة ثمانين وستمائة وكان منتحلا للعلم واعية له جماعة لكتبه ودواوينه حفظا لفروع الفقه يقال ان المدونة كانت من محفوظاته محبا فى الفلسفة مطالعا لكتبها حريصا على نتائجها من علم الكيمياء والسيمياء والسحر والشعوذة مطلعا على الشرائع القديمة والكتب المنزلة بكتب التورية ويجالس احبار اليهود حتى لقد اتهم فى عقده ورمى بالرغبة عن دينه ثم ولى من بعده ابنه عبد الله وكان مقتفيا سنن أبيه فى ذلك وخصوصا فى انتحال السحر

والاستشراف الى صنعة الكيمياء ولما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن أخيه عمر وسكن فتنة المغرب ودوّخ أقطاره وحل معتصمه بالعساكر وأوطأ ساحاته الكتائب رجاله دون من يمده من اعراب السوس من ورائه بما كان من تغلبه على بلادهم واقتضائه بطاعتهم وانزال عماله بالعساكر بينهم فلاذ منه عبد الله السكسيوى بطاعة معروفة رهن فيها ابنه واشترط للسلطان الهدية والضيافة فتقبل منه ومنحه جانب الرضى ولما كانت نكبة السلطان بالقيروان واضطرب المغرب فتنة وخلا جوّ البلاد المراكشية من المشايخ اجتمع رأى الملأ من المصامدة على النزول الى مراكش وأحكموا عقد الاتفاق بينهم واجمعوا لتخريبها بما كانت دارا للامرة ولمقامة الكتائب المجمرة وزعم عبد الله السكسيوى هذا بانفاذ ذلك فيها وضمن هو تخريب المساجد لتجافيهم عنها فكانت مذكورة على الايام ثم انحل عزمهم وافترقت جماعتهم وكلمتهم بما كانت من استقامة الدولة بفاس واجتماع بنى مرين على السلطان أبى عنان كما يذكر بعد فانجحر كل منهم بوجاره ولما فرغ أبو عنان من شأن أبيه واستولى على المغرب الاوسط وغلب عليه بنو عبد الواد ولحق أخوه أبو الفضل بن مطرح اغترابه فى الاندلس بالطاعة يروم الاجازة الى المغرب لطلب حقه فأركبه السفين الى مراحل السوس فنزل به ولحق بعبد الله السكسيوى فأواه وظاهره على أمره فجرّد أبو عنان العزائم اليهم وعقد لوزيره فارس ابن ميمون بن وادرار على حربهم واستخرج جيوش المغرب وأناخ بساحته سنة أربع وخمسين واختط بسفح الجبل مدينة لحصاره سماها القاهرة وأخذت بمخنقه وزاحمت بمناكبها اركان معقله حتى لاذت للسلم واشترط ان ينبذ العهد الى أبى الفضل المصرى عنده يذهب حيث يشاء فتقبل منه وعقد له سلما على عادته وأفرج عنه وخرج على عبد الله السكسيوى لايام السلطان أبى سالم ابنه محمد المعروف فى لغتهم ايزم ومعناه الاسد تغلبه على أمره ولحق عبد الله بعامر بن محمد الهنتاتى كبير المصامدة لعهده وعامل السلطان عليهم فاستجاش به ووعده عامر النصرة وأمهله عاما ونصفه حتى وفد على السلطان واستوهب فى ذلك ثم أجمع على نصره من عدوه فجمع له الناس وخاطب أهل ولايته أن يكونوا معه يدا وزحف عبد الله حتى نزل بالقاهرة وأخذ بمخنق ابنه وأشياعه ثم داخله بعض بطانته ودله على بعض العورات اقتحم منها الجبل وثاروا بابنه ايزم فصاح به عبد الله وقومه وفرّ محمد أمامهم فأدرك بتلاسف من نواحى الجبل وقتل واسترجع عبد الله ملكه واستقلت قدمه الى أن مكر به ابن عمه يحيى بن سليمان حين بلغ استبداد الوزير عمر بن عبد الله على سلطان المغرب واستبداد عامر بن محمد بولاية مراكش وثأر منه يحيى هذا بأبيه سليمان وهو عم عبد الله كان قتله أيام امارته الاولى

وأقام ممالكا على سكسيوة الحسن خمس وسبعين فثار عليه أبو بكر بن عمر بن حرو فقتله بأخيه عبد الله واستقل بأمر سكسيوة ومن اليهم ثم خرج عليهم لاعوام من استقلاله ابن عم له من أهل بيته لم ينقل لى من تعريفه الا أن اسمه عبد الرحمن لان ثورته كانت بعد رحلتى الثانية من المغرب سنة ست وسبعين فأخبرنى الثقة بأمره وانه ظفر بأبى بكر بن عمر وقتله واستبد بأمر الجبل الى هذا العهد فيما زعم وهو سنة تسع وسبعين ثم بلغنى سنة ثمان وثمانين أن عبد الرحمن هذا ويعرف بأبى زيد بن مخلوف بن عمر آجليد قتله يحيى بن عبد الله بن عمر واستبد بأمر هذا الجبل وهو الآن مالكه وهو أخو ايزم بن عبد الله والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(وأما بقية قبائل المصامدة) من سوى هؤلاء السبع مثل هيلانة وحاجة ودكالة وغيرهم ممن أوطن هضاب الجبل أو ساحته فهم أمم لا تنحصر ودكالة منهم فى ساحة الجبل من جانب الجوف مما يلى مراكش الى البحر من جانب الغرب وهنالك رباط آسفى المعروف ببنى ماكر من بطونهم وبين الناس اختلاف فى انتسابهم فى المصامدة أو صنهاجة ويجاورهم من جانب الغرب فى بسيط ينعطف ما بين ساحل البحر وجبل درن فى بسيط هنالك يفضى الى السوس يعمره من حاحة هؤلاء خلق أكثرهم فى حمراء الشعراء من الشجر المعروف بارجان يتحصنون بملتفها وأدواحها ويعتصرون الزيت لادامهم من ثمارها وهو زيت شريف طيب اللون والرائحة والطعم يبعث منه العمال الى دار الملك فى هداياهم فيطرفون به وبآخر مواطنهم مما يلى أرض السوس وفى القبلة عن جبل درن بلد تادنست وبها معظم هذه الشعرا ينزلها رؤساؤهم ورياستهم فى بطن منهم يعرفون بغراوة وكان شيخهم لعهد السلطان أبى عنان ابراهيم بن حسين بن حماد بن حسين وبعده ابنه محمد بن ابراهيم بن حسين وبعده ابن عمهم خالد بن عيسى بن حماد واستمرت رياسته عليهم الى اعوام ست وسبعين وسبعمائة أيام استيلاء السلطان عبد الرحمن بن بطوسن على مراكش فقتله شيخ بنى مرين على بن عمر الورتاجى من بنى ويغلان منهم وما أدرى لمن صارت رياستهم من بعده وهم ودكالة جميعا أهل مغرم واسع وجباية موفورة فيما علمناه ولله الخلق والامر وهو خير الوارثين

داخلة فى ذلك وسائل عن ذلك السيد أبا زيد ابن السيد أبى عمران خليفته وأخبره بما سمع وأمره بالقبض عليه وقتله فانفذ ذلك ثم ارتحل الى السوس لتمهيده وحسم هلال بن بدر فيه وقدم يحيى بن وانودين لاستنفار قبائل السوس من كزولة ولمطة وكنفيسة وصناكة وغيرهم وسار يتعدى المنازل

بياض بالاصل

ويستنفر القبائل وهو بتادورنت فوجدها قفرا خلاء الا قليلا من الدور بخارجها ونزل على حميدين صهر على بن بدر وقريبه بحصن تيسخت على وادى السوس كان لصنهاجة فغلبهم عليه ابن بدر وملكه فنازله أبو دبوس وحاصره أياما وهزم فيها جموعه وداخل محمد ابن على بن زكدان فى افراج أبى دبوس على سبعين ألف دينار يؤديها اليه فأعجله الفتح من ذلك ونجا بذمامه الى بيته وطولب بالمال وبقى معتقلا عند ابن زكدان وامتنع على ابن بدر بحصنه ثم أطاع ووصلت رسله بطاعته فانصرف الواثق الى حضرته ودخلها سنة خمس وستين وبلغه الخبر بانتقاض يعقوب بن عبد الحق وانتهى اليه فبعث بعزته الى تلمسان صحبة أبى الحسن بن قطرال وابن أبى عثمان رسول يغمراسن خرج اليهم من مراكش ابن أبى مديون الونكاسى دليلا وسلك بهم على الثغر الى سجلماسة وبها يحيى ابن يغمراسن فبعثهم مع بعض المعقل الى أبيه وأفوه بجهة ملمانة فأقام ابن قطرال بتلمسان ينتظره وكان يعقوب بن عبد الحق لما بلغه ذلك نهض الى مراكش بجيوش بنى مرين ونزل بضواحى مراكش وأطاعه أهل النواحى ونهض اليه أبو دبوس بعساكر الموحدين فاستجره يعقوب الى وادى أعفر ثم ناجزه الحرب فاختل مصافه وفر عسكره وانهزم يريد مراكش والقوم فى اتباعه فأدرك وقتل وبادر يعقوب بن عبد الحق فدخل مراكش فى المحرم فاتح سنة ثمان وستين وفر بقية المشيخة من الموحدين الى معاقلهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الحق احد بنى أبى دبوس وسموه المعتصم مدة من خمسة أيام وخرج فى جملتهم وانقرض أمر بنى عبد المؤمن والبقاء لله وحده اهـ

يوسف المستنصر < بن محمد الناصر < بن يعقوب المنصور < بن يوسف < بن عبد المؤمن بن على

بويع وملك تونس أيام عبد الواحد الرشيد بن ادريس

عبد الله العادل

على السعيد

المأمون

عبد الواحد المخلوع

أحمد بن عثمان بن ادريس الواثق أبو دبوس بن محمد

عمر المرتضى بن اسحق

أبو دبوس بن نبع السيد أبو زيد بن عمر

السيد أبو زيد بن رحف الى ابن غانية ببجاية

نزل الى ابن هود من سنة

{الخبر عن بقايا قبائل الموحدين من المصامدة بجبال درن بعد انقراض دولتهم بمراكش وتصاريف أحوالهم}

هذا العهد لما دعا المهدى الى أمره فى قومه من المصامدة بجبال درن وكان أصل دعوته نفى التجسيم الذى آل اليه مذهب أهل المغرب باعتمادهم وترك التأويل فى المتشابه من الشريعة وصرح بتكفير من أبى ذلك أخذا بمذهب التكفير بالمآل فسمى لذلك دعوته بدعوة التوحيد وأتباعه بالموحدين نعيا على الملثمين فان مذاهبهم الى اعتقاد الجسمية وخص بالمزية من دخل فى دعوته قبل تمكنها وجعل علامة تمكنها فتح مراكش فكان انما اختص بهذا اللقب أهل السابقة قبل ذلك الفتح وكان أهل تلك السابقة قبل فتح مراكش ثمانى قبائل سبعة من المصامدة هرغة وهم قبيلة الامام المهدى وهنتاتة

وتينملل

وتينملل وهم الذين بايعوه مع هرغة على الحرابة والحماية وكنفيسة وهزرجة وكدميوة وريكة وثامنة قبائل الموحدين كومية قبيلة عبد المؤمن كبير صحابته دخلوا الى دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزية عند عبد المؤمن بسابقتهم فاختص هؤلاء القبائل بمزية هذه السابقة واسمها وأقاموا بالامر وحملوا سريره فاتفقوا فى مذاهبه وممالكه فى سائر الاقطار على نسبة قويم من أصحاب الامر وبعدهم وبقى من بقى منهم بمحالهم ومعاقلهم تقية حتوف وجرت عليهم قبل زناتة من بعد الملك اذيال الغلب والقهر حتى أبقوهم بالاتاوات وانتظموا فى عدد الغارمين من الرعايا وصاروا يولون عليهم من زناتة تارة ومن رجالاتهم أخرى وفى ذلك عبرة وذكرى لاولى الالباب والملك لله يورثه من يشاء

(هرغة)

فأما هرغة وهم قبيل الامام المهدى قد دثروا وتلاشوا وانتقضوا فى العاصية من كل وجه لما كان أمرهم الى غيرهم من رجالات المصامدة لا يملكون عليهم منه شيأ

(تينملل)

وكذا تينملل اخوتهم فى التعصب على دعوة المهدى والاشتمال عليه والقيام بأمره حتى تحيز اليهم وبنى داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفيء بقدر عظمهم من الابلاء وأبعدوا فى ممالك الدولة وعمالاتها فانقرض رجالاتهم وملك غيرهم من المصامدة أمرهم عليهم وقبر الامام بينهم بهذا العهد على حال من التجلة والتعظيم وقراءة القرآن عليه احزابا بالغدو والعشى وتعاهده بالزيارة وقام بالحجاب دون الزائرين من الغرباء تسهيل الاذن واستشعار الابهة وتقديم الصدقات بين يدى زيارته على الرسم المعروف فى احتفال الدولة وهم معتمدون مع كافة المصامدة ان الامر سيعود وان الدولة ستظهر على أهل المشرق والمغرب وتملأ الارض كما وعدهم المهدى لا يشكون فى ذلك ولا يستريبون فيه

(هنتاتة)

وأما هنتاتة وهم تلو القبيلتين فى الامر وكل من بعدهم فانما جاؤا على أثرهم وتبعالهم لما كانوا عليه من الكثرة والبأس ومكان شيخهم أبى حفص عمر بن يحيى من صحابة الامام والاعتزاز على المصامدة وكانت لهم بافريقية دولة كما نذكرهم فانفقت الدولتان منهم عوالم فى سبيل الاستظهار وبقى بوطنهم المعروف بهم من جبال درن وهو الجبل المتاخم لمراكش على توسط من الاستبداد والخضوع ولهم فى قومهم مكان

بامتناع معقلهم واطلاله على مراكش ولما تغلب بنو مرين على المصامدة وقطعوا عنهم أسباب الدعوة كان لرؤسائهم أولاد يونس انحياش اليهم بما كانوا مسخوطين فى آخر دولة بنى عبد المؤمن فاختصوهم بالاثرة والمخالطة وكان على بن محمد كبيرهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق خالصة له من بين قومه وهلك سنة سبعين على يد ابن الملياني الكاتب بكتاب لبس فيه وأنفذه على السلطان لابنه أمير مراكش فقتل رهط من مشيخة المصامدة فى اعتقاله كان منهم على بن محمد فقام السلطان لها فى ركائبه وندم على مافرط من أمره فى أفلات ابن الملياني على مايذكر من أمر هذه الواقعة فى أخبار السلطان يوسف بن يعقوب ولما ولى السلطان أبو سعيد وانقطع عن المصامدة ما كان لهم من أثر الملك والسلطان وانقادوا للدولة رجع بنو مرين الى التولية عليهم من رجالاتهم وداولوا بينهم فى ذلك وأخبار السلطان بعد صدر من دولة موسى بن على ابن محمد للولاية على المصامدة وجباياتهم فعقد له وأنزله مراكش فاضطلع بهذه الولاية سنين ورسخت فيها قدمه وأورثها أهل بيته وصار لهم بها فى الدولة مكان اتطموا له فى الولاية وترشحوا للوزارة ولما هلك موسى عقد السلطان من بعده لاخيه محمد وأجراه على سننه الى أن هلك فاستعمل السلطان بنيه فى وجوه خدمته وعقد لعامر منهم على قومه ولما ارتحل السلطان أبو الحسن الى افريقية صحبه عامر فيمن صحبه من أمراء المصامدة وكافة الوجوه حتى اذا كانت نكبة القيروان سنة تسع واربعين وسبعمائة عقد له على الشرطة بتونس على رسم الموحدين من بيوت الخطة وسعة الرزق وأسام اليه فيها فكفاه همها ولما فصل من تونس ركب الكثير من حرمه وخطاياه السفن لنظر عامر هذا حتى اذا غرق الاسطول بالسلطان أبى الحسن بما أصابهم من عاصف الريح رمى الموج بالسفينة التى كانوا بها الى المرية من ثغور الاندلس فأنزل بها كرائم السلطان لنظره وبعث عنهن ابنه أبو عنان المستبد على أبيه بملك المغرب فامتنع من اسلامهن اليه وفاء بأمانته فى خدمتهم وخلص السلطان أبو الحسن بعد النكبة البحرية الى الجزيرة سنة خمسين وزحف الى بنى عبد الواد ففلوه ونهض الى المغرب وسلك اليه القفر حتى نزل بسجلماسة فقصده أبو عنان فخرج منها الى مراكش وقام بدعوته المصامدة وعرب جشم فاحتشد ولقى ابنه بأغمات بجهات أم ربيع فكانت الدبرة عليه ونجا الى جبل هنتاتة وكان عبد العزيز بن محمد شيخا عليهم منذ مغيب عامر وكان فى جملته وخاص معه فأنزله عبد العزيز بداره وتآمر هو وقومه على اجارته والموت أشهرا حتى هلك السلطان أبو الحسن كما نذكره بعد فحملوه على الاعواد ونزلوا على حكم ابى عنان فأكرمهم ورعى لهم وسيلة هذا الوفاء وعقد لعبد العزيز على امارته واستقدم

عامرا كبيرهم من مكانه بالمرية فقام بهن لامانته من حظايا السلطان وحرمه فلقاه السلطان مبرة وتكريما وأناله من اعتنائه حظا وتخلى له أخوه عبد العزيز عن الامر فأقر منابها ثم عقد السلطان لعامر سنة أربع وخمسين على سائر المصامدة واستعمله لجباياتهم فقام بها مضطلعا وكفاهم الاعمال المراكشية حتى عرف غناءه فيها وشكر له جبايته وهلك السلطان أبو عنان واستبد على ابنه السعيد وزيره الحسن بن عمر المودودى وكان ينفس عليه ما كان له من الترشيح للرتبة وبينهما فى ذلك شحناء فخشى بادرته وخرج من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة وحمل معه ابن السلطان أبى عنان الملقب بالمعتمد وكان أبوه عقد له يافعا قبل وفاته على مراكش لنظر عامر فخاص به الى الجبل حتى اذا استوت قدم السلطان أبى سالم فى الامر واستقل بملك المغرب سنة ستين وفد عليه عامر بن محمد مع رسله اليه وأوفد ابن أخيه محمد المعتمد فتقبل السلطان وفادته وشكر وفاءه وأقام ببابه مدة ثم عقد له على قومه ثم استنفره معه الى تلمسان ولم يزل مقيما ببابه الى قبيل وفاته فأنفذه لمكان امارته ولما هلك السلطان أبو سالم واستبد بالمغرب بعده عمر بن عبد الله بن عمر على مانذكره وكانت بينه وبين عامر بياض بالاصل السلطان صداقة وملاطفة وصل يده بيده وأكد العهد معه على سد تلك الفرجة وحول عليه فى حوط البلاد المراكشية وأن لا يولى من قبله وكان زعيما بذلك وعقد له على الاعمال المراكشية وما اليها الى وادى أم ربيع وفوض اليه أمر تلك الناحية واقتسما المغرب شق الابلمة وخاص اليه الاعياص من ولد السلطان أبى سعيد أبو الفضل بن السلطان أبى سالم وعبد المؤمن بن السلطان أبى على فاعتقل عبد المؤمن وامكن أبا الفضل من امارته على مايذكر بعد وساءت الحال بينه وبين عمر ونهض اليه من فاس بجموع بنى مرين وكافة العساكر واعتصم بجبله وقومه واستبد على الامر من بعده ووصل عبد المؤمن من معتقله يجاجى به بنو مرين لما كانوا يوملون من ولايته واستبداده لما أسفهم من حجر الوزراء الملوكهم فلما رأوا استبداد عامر عليه أعرضوا عنه وانعقد السلم بينه وبين عمر ابن عبد الله على ما كان عليه من مقاسمته اياه فى أعمال المغرب ورجع واستقل عامر بناحية مراكش وأعمالها حتى اذا هلك عمر بن عبد الله بيد عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن كما نذكره حدثت أبا الفضل بن السلطان أبى سالم نفسه بالفتك بعامر بن محمد كما فتك عمه بعمر بن عبد الله ونذر بذلك فاحتمل كرائمه وصعد الى داره بالجبل ففتك أبو الفضل بعبد المؤمن ابن عمه لانه كان معتقلا بمراكش واستحكمت لذلك النفرة بينه وبين عامر بن محمد وبعث الى السلطان عبد العزيز فنهض من فاس فى جموعه سنة تسع وستين وفر أبو الفضل فلحق بتادلا وتقبض عليه عمه السلطان عبد العزيز وقتله كما نذكر

في أخباره وطلب عامر الى الوفادة فخشيه على نفسه واعتصم بمعقله فرجع الى حضرته واستجمع عزائمه وعقد على مراكش وأعمالها لعلي بن أجانا من صنائع دولتهم وأوعز اليه بمنازلة عامر وقومه من معتصمه وأوقع به وتقبض على طائفة من بني مرين وصنائع السلطان في المعركة أودعهم نتيجته فحركتها عزائم السلطان اليه في قومه من بني مرين وعساكر المغرب وأحاط به ونازله حولا ثم تغلب عليه سنة احدى وسبعين وانفضت جموعه وتقبض عليه عند اقتحام الجبل فسيق أسيرا الى السلطان فقيده وقفل به الى الحضرة ولما قضى نسك الفطر من سنته أحضره ووبخه ثم أمر به فتل الى مصرعه وأثخن جلدا بالسياط وضربا بالمقارع حتى فاض عفا الله عنه وعقد السلطان على قومه لفارس ابن أخيه عبد العزيز كان نزع اليه بين يدى مهلك عمه وعفا عن ابنه أبي يحيى بسابقته الى الطاعة قبيل اقتحام الجبل عليهم أشار عليه بذلك أثره نظر اله فظفر بالسلامة والحظ وأصاره السلطان في جملته ثم هلك بعد ذلك فارس بن عبد العزيز واضطرم المغرب فتنة بعد مهلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وصارت أعمال مراكش في ايالة السلطان عبد الرحمن بن علي الملقب بأبي تعلوس ابن السلطان أبي علي ونزع اليه أبو يحيى بن عامر فعقد له على قومه ثم اتهمه باحتمال الاموال منذ عهد ابيه وبيزه الى استصفائه ونذر به ابن عامر فلحق ببعض قبائل المصامدة سراتهم بأطراف السوس ونزل عليهم وكان مهلكه فيهم أعوام ثمانين وسبعمائة والله وارث الارض ومن عليها

(كدميوة)

وأما كدميوة وكانوا تبعا لهنتاتة وتمثال في الامر وجبلهم بصدف جبل هنتاتة وكان رؤساؤهم لعهد الموحدين بنو سعد الله ولما تغلب بنو مرين على المصامدة ووضعوا عليهم الضرائب امتنع يحيى بن سعد الله ببعض الشعب بحصن تافرجا وتيسخت من جبلهم وخالفه عبد الكريم بن عيسى وقومه الى طاعة بني مرين واختلف اليهم العساكر الى أن هلك يحيى بن سعد الله سنة أربع وتسعين وستمائة وعساكر يوسف بن يعقوب مجمرة على حصاره فهدموا حصونه وأذلوا من قومه واستخلص السلطان يوسف بن يعقوب عبد الكريم بن عيسى منذ عهد أبيه فعقد له عليهم ثم تقبض على أمراء المصامدة وعقله فيمن اعتقل منهم حتى اذا فعل ابن الملياني فعلته في استهلاكهم لعهد وقعه بالبس الكتاب على لسان السلطان لابيه على أمير مراكش فقتل عبد الكريم فيمن قتل منهم وقتل معه بنو عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز ابن محمد وامتعض السلطان لذلك وأفلت ابن الملياني من معسكره لحصار تلمسان فدخلها

ثم قام بأمر كدميوة عبد الحق الملياني سعد الله أيام السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان وكانت بينه وبين عامر بن محمد فتنة جرها منصب العمالة شأن المجاورين من القبائل وقديم العداوة بين السلف فلما استفحل أمر عامر بالولاية على مراكش وسائر المصامدة نبذ الى عبد الحق العهد ونحله الخلاف والمداخلة للسكسيوى شيخ الفتنة المستعصي منذ أول الدولة فقصد اليه سنة سبع وخمسين وسبعمائة في قومه ومشايخ السلطان التي كانت بمراكش لنظره فاقتحم عليه معقله عنوة وقتله واستولى على كدميوة ولحق بنو سعد الله بفاس فأقاموا بها حتى اذا خاض السلطان أبو سالم البحر الى ملكه بعد أخيه أبي عنان ونزل بغمارة نزل اليه يوسف بن سعد الله واعتقد منه ذمة سابقته تلك فلما استولى على البلد الجديد واستقل سلطانه عقد له على قومه رعيا لوسيلته فأقام في ولايته مدة السلطان أبي سالم وكان عامل مراكش محمد بن أبي العلى من حاشية السلطان وبيوت الولاة بالمغرب معولا على أعمال مراكش ليستظهر وطير اليه الكتاب بذلك ونزل الى مراكش وقتل بها يوسف بن سعد الله ونكث ابن أبي العلى ثم قتله والحقه بابنه عبد الحق وذهبت الرياسة من كدميوة برهة من الدهر ثم رجعت اليهم في بني سعد الله والله تعالى قادر على ما يشاء وبيده تصاريف الامور لا رب سواه ولا معبود الا اياه

(واماوريكة)

وهم مجاورون لهنتاتة وبينهم فتنة قديمة وحروب متصلة ودماء مطلولة كانت بينهم سجالا وهلك فيها من الفريقين أمم الى ان غلبهم هنتاتة باعتزازهم بالولاية والله تعالى أعلم بغيبه وهو على كل شئ قدير

محمد بن عبد الحق < بن عبد المهيمن كدميوة
علي
عيسى < بن عبد الكريم < بن عيسى
منصور
محمد بن يوسف
يحيى بن سلمان
عبد العزيز بن محمد
أبو بكر بن غامص < بن محمد موسى بن علي < بن محمد من أولادو من هنتاتة
يحيى بن فاس بن عبد العزيز
يحيى
محمد بن ازم < بن عبد الله < بن عمر بن حرو بن يوسف السكسيوي
أبو بكر
أبو زيد بن مخلوف
الحلد
يحيى بن سلمان

{الخبر عن بني يدر امراء السوس من الموحدين بعد
انقراض بني عبد المؤمن وتصاريف أحوالهم}

كان أبو محمد بن يونس من جملة وزراء الموحدين من هنتاتة وكان المرتضى قد استوزره ثم سخطه وعزله سنة خمسين وستمائة وألزمه داره بتامصلحت وفرّ عنه قومه وحاشيته وكان من أهل قرابته علي بن يدر من بني باداسن ففرّ الى السوس وجاهر بالخلاف سنة احدى وخمسين ونزل بحصن تانصاحت بسفح الجبل حيث يدفع وادي السوس من درن وشيده وحصنه وتغلب على حصن تيسخت من أيدي صنهاجة وشيده وأنزل فيه

ابن عمه بوحمدين ثم تغلب على بسيط السوس وجاء بني حسان من اعراب المعقل من مواطنهم بنواحي ملوية الى بلاد الريف فارتحلوا اليه وعاث بهم في نواحي السوس وأطاع له كثير من قبائله فاستوفى جبايتهم وأجلب على عامل الموحدين بتارودانت وضيق عليه المسالك وتفاقم أمره واتهم الوزير أبو محمد بن يونس بمداخلته وعثر على كتابه الى علي بن يدر فأمر المرتضى باعتقاله

وقتله سنة ثنتين وخمسين وأغزى أبا محمد بن اصال الى بلاد السوس في عسكر الموحدين والجند وعقد له عليها فنزل تارودانت وتحصن علي بن يدر في تيونودين وزحف اليه ابن أصنالك في عسكره فهزمه ابن يدر وقتل كثيرا منهم ورجع الى مراكش مفلولا وأقام علي بن يدر على حاله من الخلاف وأغزاه المرتضى محمد بن علي ازلماط في عسكر من الموحدين سنة ستين فهزمهم وقتل ابن ازلماط فعقد المرتضى من بعده على السوس لوزيره أبي زيد بن بكيت فزحف اليه ودارت الحرب بينهما مليا وانقلب من غير ظفر واستفحل ابن يدر ببلاد السوس واستخدم الاعراب من الشبانات وذوي حسان واطاعته القبائل من بنيه وبني كزولة وكانت لهم فتن وحروب يستظهر في اكثرها بذوي حسان ولما استولى أبو دبوس على مراكش سنة خمس وستين وفرغ من تمهيد ملكه بها اعتزم على الحركة الى السوس ورحل من مراكش وقدم بين يديه يحيى بن وانودين لاحتشاد القبائل ومن بالجبل ثم أسهل من تامسكروط الى بسيط السوس ونزل على بني باداسن وقبيله ابن يدر على فرسخين من تيونودين وقصد تيزخت بتارودنت وعاين آثار الخراب الذي بها من عيث ابن يدر ولما بلغ حصن تيزخت خيم بساحته وحشد أممامن القبائل لحصاره وكان بوحمدين ابن عم علي بن يدر فحاصره أياما ولما اشتد عليه الحصار داخل علي بن زكدان من مشيخة بني مرين كان في جملة أبي دبوس فداخله في الطاعة وتقبل السلطان طاعته على النزول عن حصنه ثم أعجله الحرب واقتحم عليهم الجلب ولجؤا الى الحصن وفر حمدين الى بيت علي بن زكدان وأمره السلطان باعتقاله واستولى السلطان على الحصن وأنزل به بعض السادة لولايته وارتحل أبو دبوس الى محاصرة علي ابن يدر فحاصره أياما ونصب عليه المجانيق ولما اشتد عليه الحصار رغب في الاقالة ومعاودة الطاعة فتقبل وأقلع السلطان عن حصاره وقفل الى حضرته ولما استولى بنو مرين على مراكش سنة ثمان وستين استبد علي بن يدر وتملك سوس واستولى على تارودنت والقرى وسائر امصاره وقواعده ومعاقله وأرهف حده للاعراب فزحفوا عليه وكانت عليه الدبرة وقتل سنة ثمان وستين وقام بأمره علي ابن أخيه عبد الرحمن ابن الحسن مدة ثم هلك وقام بأمرهم علي بن الحسن بن يدر ولما صار أبو علي بن السلطان

أبى سعيد الى ملك سجلماسة بصلح عقده مع أبيه كما يذكر فى أخبارهم فنزلها وشيد ملكه بها واستخدم كافة عرب المعقل فرغبوه فى ملك السوس وأطمعوه فى أموال ابن يدر فغزاه من سجلماسة وفرّ ابن يدر امامه الى جبال نكيسة واستولى السلطان أبو على على حصنه بتاصاصت وسائر امصار السوس واستصفى ذخيرته وأمواله ورجع الى سجلماسة ثم استولى السلطان أبو الحسن من بعد ذلك عليه وانقرض ملك بنى يدر ولحق به عبد الرحمن ابن على بن الحسن وصار فى جملته وأنزل السلطان بأرض السوس مسعود بن ابراهيم ابن عيسى اليريتانى من طبقة وزرائه وعقد له على تلك العمالة الى أن هلك وعقد لاخيه حسون من بعده الى ان كانت نكبة القيروان وهلك حسون وانفض العسكر من هنالك وتغلب عليه العرب من بنى حسان والشبانات ووضعوا على قبائله الاتاوات والضرائب ولما استبد أبو عنان بملك المغرب من بعد أبيه أغزى عساكره السوس لنظر وزيره فارس بن وردار سنة ست وخمسين فملكه واستخدم القبائل والعرب من أهله ورتب المشايخ بامصاره وقفل الى مكان وزارته فانفضت المشايخ ولحقت به وبقى عمل السوس ضاحيا من ظل الملك لهذا العهد وهو وطن كبير فى مثل عرض البلاد الجريدية وهوائها المتصل من لدن البحر المحيط الى نيل مصر الهابط من وراء خط الاستواء فى القبلة الى الاسكندرية وهذا الوطن قبلة جبال درن ذو عمائر وقرى ومزارع ومدن وامصار وجبال وحصون ويحدق به وادى السوس ينصب من باطن الجبل الى ما بين كلاوة وسكسيوة ويدفع الى بسيطه ثم يمر مغربا الى أن ينصب فى البحر المحيط والعمائر متصلة حفافى هذا الوادى ذات المدن والمزارع وأهلها يتخذون فيها قصب السكر وعند مصب هذا الوادى من الجبل فى البسيط مدينة تارودنت وبين مصب هذا الوادى فى البحر ومصب وادى آش مرحلتان الى ناحية الجنوب على ساحل البحر وهنالك رباط ماسة الشهير المعروف بتردد الاولياء وعبادتهم وتزعم العامة ان خروج الفاطمى منه ومنه أيضا الى زوايا أولاد بونعمان مرحلتان فى الجنوب كذلك على ساحل البحر وبعدها على مراحل عصب الساقية الحمراء وهى منتهى مجالات المعقل فى مشاتيهم وفى رأس وادى السوس جبل زكنون قبلة جبل الكلاوى وفى قبلة جبال درن جبال نكيسة تنتهى الى جبال درعه ويعرف الآخر منها فى الشرق بابن حميدى ويصب من جبال نكيسة وادى نول ويمر مغربا الى ان يصب فى البحر وعلى هذا الوادى بلد تاكاوصت محط الرفاق والبضائع بالقبلة وبها سوق فى يوم واحد يقصده التجار من الآفاق وهو من الشهرة لهذا العهد بمكان وبلد ايفرى بسفح جبال نكيسة وبينها وبين تاكوصت مرحلتان وأرض السوس مجالات لنزول لمطة فلمطة منهم مما يلى

درن وكزولة مما يلى الرمل والقفر ولما تغلب المعقل على بسائطه اقتسموها مواطن فكان الشبانات أقرب الى جبال درن وصارت قبائل لمط من احلافهم وصارت كزولة من احلاف ذوى حسان والامر على ذلك لهذا العهد وبيد الله تصاريف الامور لا رب سواه ولا معبود الا اياه

تلى

عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الرحمن بن بدر من بنى باداسن

الخبر عن دولة بنى حفص ملوك افريقية من الموحدين ومبدا أمرهم وتصاريف أحوالهم

قد قدمنا أن قبائل المصامدة بجبل درن وما حوله كثير مثل هنتاتة وتينمال وهرغة وكنفيسة وسكسيوة وكدميوة وهزوجة وور يكة وهزميرة وركراكة وحاحة وكلاوة وغيرهم ممن لا يحصى وكان منهم قبل الاسلام وبعده رؤساء وملوك وهنتاتة هؤلاء من أعظم قبائلهم وأكثرها جمعا وأشدها قوة وهم السابقون للقيام بدعوة المهدى والممهدون لامره وأمر عبد المؤمن من بعده كما ذكرنا فى أخباره بلسان المصامدة حتى كان كبيرهم لعهد الامام المهدى الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى ونقل البيدق ان اسمه بلسانهم فارصكات وهنتاتة لهذا العهد تقول انه اسم جدهم وكان عظيما فيهم غير مدافع وهو أول من تابع الامام المهدى من قومه نجباء يوسف بن وانودين وأبو يحيى بن بكيت وابن يغمور وغيرهم منهم على أثره واختص بصحابة المهدى فانتظم فى العشرة السابقين الى دعوته وكان تلو عبد المؤمن فيهم ولم تكن مزية عبد المؤمن عليه الا من حيث صحابة المهدى وأما فى المصامدة فكان كبيرهم غير مدافع وكان يسمى بين الموحدين بالشيخ كما كان المهدى يسمى بالامام وعبد المؤمن بن يحيى بن محمد بن وانودين ابن على بن أحمد بن والال بن ادريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن وافتق بن محمد ابن نجية بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب هكذا نسبه ابن نخيل وغيره من من الموحدين ويظهر منه ان هذا النسب القرشى وقع فى المصامدة والتحم بهم واشتملت عليه عصبيته شأن الانساب التى تقع من قوم الى قوم وتلتحم بهم كما قلناه أول الكتاب ولما هلك الامام وعهد بأمره الى عبد المؤمن وكان بعيدا عن عصبية المصامدة الا ما كان له من أثرة المهدى واختصاصه فكتم موت المهدى وعهد عبد المؤمن ابتلاء لطاعة المصامدة وتوقف عبد المؤمن عن ذلك ثلاث سنين ثم قال له أبو حفص تقدم كما كان الامام يقدمك فعلم ان أمره منعقد ثم أعلن ببيعته

وأمضى عهد الامام بتقديمه وحمل المصامدة على طاعته فلم يختلف عليه اثنان وكان الحل والعقد فى المهمات اليه سائر أيام عبد المؤمن وابنه يوسف واستكفوا به نوائب الدعوة فكفاهم همها وكان عبد المؤمن يقدمه فى المواقف فيبلى فيها وبعثه على مقدمته حين زحف الى المغرب الاوسط قبل فتح مراكش سنة سبع وثلاثين وزناتة كلهم مجتمعون بتدلس لحرب الموحدين مثل بنى ومانو وبنى عبد الواد وبنى ورسيفان وبنى توجين وغيرهم فحمل زناتة على الدعوة بعد ان أثخن فيهم لاول دخول عبد المؤمن لمراكش خرج عليه الثائر بماسة وانصرفت اليه وجوه الغوغاء وانتشرت ضلالته فى النواحى وتفاقم أمره فدفع لحربه الشيخ أبا حفص فحسم داءه ومحا أثر غوايته ولما اعتزم عبد المؤمن على الرحلة الى افريقية حركته الاولى لم يقدم شيئا على استشارة أبى حفص ولما رجع منها وعهد الى ابنه محمد خالفه الموحدون ونكروا ولاية ابنه فاستدعى أبا حفص من مكانه بالاندلس وحمل الموحدين على البيعة له وأشار بقتل الهرغى رأس المخالفين فى شأنه فقتله وتم أمر العهد لابنه محمد ولما اعتزم عبد المؤمن على الرحلة الى افريقية سنة أربع وخمسين حركته الثانية لفتح المهدية استخلف الشيخ أبا حفص على المغرب وينقل من وصاة عبد المؤمن عند الرحلة الى افريقية لبنيه انه لم يبق من أصحاب الامام الا عمر بن يحيى ويوسف بن سليمان فأما عمر فانه من أوليائكم وأما يوسف فجهزه بعسكره الى الاندلس تسترح منه وكذلك فافعل بكل من تكرهه من المصامدة وأما ابن مردنيش فاتركه ماتركك وتربص به ريب المنون وأخل افريقية من العرب وأجلهم الى بلاد المغرب وادخرهم لحرب ابن مردنيش ان احتجت الى ذلك ولما ولى يوسف بن عبد المؤمن تخلف الشيخ أبو حفص عن بيعته ووجم الموحدون لتخلفه حتى استبد غرضه فى حكم امضاء بتعد سلطانه وأعجب بفضله واعطاه صفقة يمينه وأعلن بالرضا بخلافته فكانت عند يوسف وقومه من أعظم البشائر وتسمى بأمير المؤمنين سنة ثلاث وستين ولما ولى يوسف بن عبد المؤمن وتحركت الفتنة بجبال غمارة وصنهاجة التى تولى كبرها سبع بن منقفاد سنة ثنتين وستين عقد للشيخ أبى حفص على حربهم فجلى فى ذلك ثم خرج بنفسه فأثخن فيهم وكمل الفتح كما ذكرناه ولما بلغه سنة أربع وستين تكالب الطاغية على الاندلس وغدره بمدينة بطليوس واعتزم على الاجازة لحمايتها قدم عساكر الموحدين اليها نظر الشيخ أبى حفص ونزل قرطبة وأمر من كان بالاندلس من السادة أن يرجعوا الى رأيه فاستنقذ بطليوس من هذا الحصار وكانت له فى الجهاد هنالك مقامات مشهورة ولما انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة احدى وسبعين هلك عفا الله عنه فى طريقه بسلا وقبرها وكان ابناؤه

من بعده يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية مع السادة من بنى عبد المؤمن فولى المنصور ابنه أبا سعيد على افريقية لاول ولايته وكان من خبره مع عبد الكريم المنتزى بالمهدية ما ذكرناه فى أخباره واستوزر أبا يحيى بن أبى محمد بن عبد الواحد وكان فى مقدمته يوم المعركة سنة احدى وتسعين فجلى عن المسلمين وكان له فى ذلك الموقف من النصرة والثبات ما طار له به ذكر واستشهد فى ذلك الموقف وعرف أعقابه ببنى الشهيد آخر الدهر وهم لهذا العهد بتونس ولما نهض الناصر الى افريقية سنة احدى وستمائة لما بلغه من تغلب ابن غانية على تونس فاسترجعها ثم نازل المهدية فتعاونت عليه ذئاب الاعراب وجمعهم ابن غانية ونزل قابس فسرح الناصر اليهم أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص فى عسكر من الموحدين فأوقع بابن غانية بتاجرا من نواحى قابس سنة ستين وستمائة وقتل جبارة أخو ابن غانية وأثخن فيهم قتلا وسبيا واستنقذ منهم السيد أبا زيد بن يوسف بن عبد المؤمن الوالى كان بتونس وأسره ابن غانية ورجع الى الناصر بمكانه من حصار المهدية فكان سببا فى فتحها وكان ذلك مما حمل الناصر على ولاية الشيخ أبى محمد بافريقية حسبما نذكر ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

لما تكالب ابن غانية واتباعه على افريقية واستولى على امصارها وحاصر تونس وملكها وأسر السيد أبا زيد أميرها ونهض الناصر من المغرب سنة احدى وستمائة كما ذكرناه فاسترجعها من أيديهم وشردهم عن نواحيها وخيم على المهدية يحاصرها وقد أنزل ابن غانية ذخيرته وولده بها وأجلب فى جموعه خلال ذلك على قابس فسرح الناصر اليه الشيخ أبا محمد هذا فى عساكر الموحدين وزحف اليهم بتاجرا من جهات قابس فهزمهم واستولى على معسكرهم وما كان بأيديهم وأثخن فيهم بالقتل والسبى واستنقذ السيد أبا زيد من أسرهم ورجع الى الناصر بعسكره من حصار المهدية ظافرا ظاهرا وعاين أهل المدينة يوم هزمه بالغنائم والاسرى فبهتوا وسقط فى أيديهم وسألوا النزول على الامان وكمل فتح المهدية ورجع الناصر الى تونس فأقام بها حولا الى منتصف سنة ثلاث وستمائة وسرح أثناء ذلك أخاه السيد أبا اسحق يتبع المفسدين ويمحو مواقع عيثهم فدوخ ما وراء طرابلس وأثخن فى بنى دمر ومطماطة ونفوسه وشارف أرض سرت وبرقة وانتهى الى سويقة ابن مذكور وفر ابن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفأ السيد راجعا الى تونس واعتزم الناصر على الرحلة الى المغرب وقد أفاء على افريقية ظل الرضى وضرب عليهم سرادق الحماية وبدا له ان ابن غانية سيخالفه اليها وان مراكش بعيدة عن الصريخ وأنه لابد من رجل يسد فيها مسد الخلافة ويقيم

يهاشون الملك فوقع اختياره على أبي محمد بن الشيخ أبي حفص ولم يكن ليعدوه لما كان عليه هو وأبوه في دولتهم من الجلالة وأن أمر بني عبد المؤمن انما تم بوفاق الشيخ أبي حفص ومظاهرته وان أباه المنصور كان قد أوصى الشيخ أبا محمد به وباخوته وكان يوليه صلاة الصبح اذا حضره شغل وأمثال ذلك وسار الخبر بذلك الى أبي محمد فامتنع وشافهه الناصر به فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف فأكرم موصله وأجاب على شريطة اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات افريقية في ثلاث سنين وأن يختار عليهم من رجالات الموحدين وأن لا يتعقب عليه في تولية ولا عزل فقبل شرطه ونودي في الناس بولايته ورفعت بين الموحدين رايته وارتحل الناصر الى المغرب ورجع عنه الشيخ أبو محمد من بجاية فقعد مقعد الامارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وأنفذ أوامره واستكتب أبا عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل ورجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع أحزابه وأتباعه من العرب من سليم وهلال وكان فيهم محمد بن مسعود في قومه من الزواودة وعاودوا شنهم وخرج اليهم أبو محمد سنة أربع وستمائة في عساكر الموحدين وتحيز اليه بنو عوف من سليم وهم مرداس وعلاق فلقيهم بشبرو فتواقعوا واحتربوا عامة يومهم ونزل النصر ثم انفض عسكر ابن غانية آخر النهار واتبعهم الموحدون والعرب واكتسحوا أموالهم وأفلت ابن غانية جريحا الى أقصى مبرة ورجع أبو محمد الى تونس بالظفر والغنيمة وخاطب الناصر بالفتح واستنجاز وعده في التحول عن الولاية فخاطبه بالتشكر والعذر بمهمات المغرب عن ادالته وأنه يستأنف النظر في ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكسى للانفاق والعطاء كان مبلغها مائة ألف ألف دينار ثنتان وألف وثمانمائة كسوة وثلثمائة سيف ومائة فرس غير ما كان أنفذ اليه من سبتة وبجاية ووعده بالزيادة وكان تاريخ الكتب سنة خمس فاستمر أبو محمد على شانه وترادفت الوقائع بينه وبين يحيى الميورقي كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (وقيعة تاهرت وما كان من أبي محمد في تلافيها واستنقاذ غنائمها) *

كان يحيى بن غانية لما أفلت من وقيعة أشير بدا له ليقصدن بلاد زناتة بنواحي تلمسان وقارن ذلك وصول الشيخ أبي عمران بن موسى بن يوسف بن عبد المؤمن واليا عليها من مراكش وخروجه الى بلاد زناتة لتمهيد انحائه وجباية مغارمهم وكتب اليه الشيخ أبو محمد بنذيرا بشأنه وأن لا يعرض له وانه في اتباعه فابى من ذلك وارتحل الى تاهرت وصبحه بها ابن غانية فانفض معسكره وفرت زناتة الى حصن بها وقتل السيد أبو عمران واستبيحت تاهرت فكان آخر العهد بعمرانها وامتلأت أيديهم من الغنائم والسبي وانقلبوا الى افريقية فاعترضه الشيخ أبو محمد في موضع

فأوقع بهم واستنقذ الاسرى من أيديهم واكتسح سائر مغانمهم وقتل فيها كثير من الملثمين ولحق فلهم بناحية طرابلس الى ان كان من أمرهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان ابن غانية بعد واقعة أشير واستنقاذ أبي محمد تاهرت من يده خلص الى جهة طرابلس وتلاحق به فل الملثمين وأولياؤه من العرب وكان المجلي معه في مواقف الزواودة من رياح وكبيرهم محمد بن مسعود فتواهبوا واعتزموا على معاودة الحرب وتعاقدوا على الثبات والصبر وانطلقوا يستألفون الاعراب من كل ناحية حتى اجتمع اليهم من ذلك أمم كان فيهم رياح وزغب والشريد وعوف وذباب ونغات واحتفلوا في الاحتشاد وأجمعوا دخول افريقية فبادرهم أبو محمد قبل وصولهم اليه وخرج من تونس سنة ست وأغذ السير اليهم وتزاحفوا عند جبل نفوسة واشتدت الحرب وبالجى الوطيس ضرب أبو محمد أبنيته وفساطيطه وتحيز اليه بعض الفرق من بني عوف بن سليم واختل مصاف ابن غانية واتبعه الموحدون الى أن دخل في غيابات الليل وامتلأت أيديهم بالاسرى والغنائم وسيقت ظعائن العرب وقد كانوا اقدموها بين ايديهم للحفيظة افذاذا في الكر والفر فأصبحت مغنما للموحدين وربات خدورها سبايا وهلك في المعركة خلق من الملثمين وزناتة والعرب وكان فيهم اليه بن محمد بن مسعود البلط بن سلطان شيخ الزواودة وابن عمه حركات بن الشيخ بن عساكر ابن السلطان وشيخ بني قرة وجرار بن ويغرن كبير مغراوة ومحمد بن الغازي بن غانية في آخرين من أمثالهم وانصرف ابن غانية مهيض الجناح مفلول الحد عفوفا باليأس من جميع جهاته وانقلب أبو محمد والموحدون أعزة ظاهرين واستفحل أمر أبي محمد بافريقية وحسم عامة الفساد واستوفى جبايتها وطالت مواقف حروبه ولم تهزم له راية وهلك الناصر وولي ابنه يوسف المستنصر واستبد عليه المشيخة لمكان صغره وشغلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب فاستكفى بالشيخ أبي محمد في افريقية وعول على غنائه فيها وضبطه لاحوالها وقيامه بملكها فأبقاه على أعمالها وسرب اليه الاموال لنفقاتها وأعطياتها ولم يزل بها الى أن هلك سنة ثمان عشرة والله أعلم

* (الخبر عن مهلك الشيخ ابي محمد بن الشيخ أبي حفص وولاية عبد الرحمن ابنه) *

كانت وفاة الشيخ أبي محمد فاتح سنة ثمان عشرة ولما هلك انباع الناس لمهلكه وافترق أمر الموحدين في الشورى فريقين ابنه عبد الرحمن بن الشيخ أبي محمد وابراهيم ابن عمه اسمعيل ابن الشيخ أبي حفص فترددوا مليا ثم اتفقوا على الامير أبي زيد عبد الرحمن ابنه وأعطوه صفقة ايمانهم وأقعدوه بمجلس أبيه في الامارة فسكن الثائرة وشمر للقيام

بالامر عزائمه وأفاض العطا وأجاز الشعراء واستكتب أبا عبد الله ابن أبى الحسن وخاطب المستنصر بالشأن وخرج فى عساكره لتمهيد النواحى وحماية الجوانب الى ان وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة أشهر من ولايته حسبما نذكره فارتحل الثورة حبون الرنداحى لمداخلة أبى القاسم العزفى واتفق الملأ على ولاية العزفى وحولوا الدعوة للمرتضى وذلك سنة سبع وأربعين وتبعهم أهل طنجة فى الدعوة واستبدبها ابن الامير وهو يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمدانى كان واليا عليهما من قبل أبى على بن اخلاس فلما وصل الامر للعزفى والقائد حبون الرنداحى حالفهم هو الى الدعوة الحفصية واستبد عليهم ثم خطب للعباسى وأشرك نفسه معه فى الدعاء الى ان قتله بنو مرين غدرا كما نذكره وانتقل بنوه الى تونس ومعهم صهرهم القاضى أبو الصبر عبد الرحمن بن يعقوب ابن خالته ساطبه انتقل هو وقومه الى طنجة أيام الجلا فنزلوا بها وأصهر اليهم بنو الامين وارتحلوا معهم الى تونس وعرف دين القاضى أبو القاسم وفضله ومعرفته بالاحكام والوثائق واستعمل فى خطة القضاء بالحضرة أيام السلطان وكان له فيها ذكر ولما بلغ الخبر بهلك الامير أبى زكريا الى صقلية أيضا وكان المسلمون بها فى مدينة بلرم قد عقد لهم السلطان مع صاحب الجزيرة على الاشتراك فى البلد والضاحية فقد سكنوا حتى اذا بلغهم مهلك السلطان بادر النصارى الى العبث فيهم فلجأوا الى الحصن والاوعار ونصبوا عليهم ثائرا من بنى عباس وحاصر طاغية صقلية من الجبل وأحاط بهم حتى استنزلهم فأجازهم البحر الى دعوته وأنزلهم لوجاره من عمائرها ثم نفد الى جزيرة مالطه فأخرج وألحقهم باخوانهم واستولى الطاغية على صقلية وجزائرها ومحا منها كلمة الاسلام بكلمة كفره والله غالب على أمره

{ الخبر عن بيعة السلطان أبى عبد الله المستنصر وما كان فى أيامه من الاحداث }

لما هلك السلطان أبو زكريا بظاهر بونه سنة سبع وأربعين كما قدمناه اجتمع الناس على ابنه الامير أبى عبد الله وأخذ له البيعة عمه محمد اللحيانى على الخاصة وسائر أهل العسكر وارتحل الى تونس فدخل الحضرة ثالث رجب من سنته وجدد بيعته يوم وصوله وتلقب المستنصر بالله ثم جدد البيعة بعد حين واختار لوضع علامته الحمد لله والشكر لله وقام باعباء ملكه وتقبض على خاصة أبيه الخصى كافور كان قهرمان داره فأشخصه الى المهدية وأوعز الى الجهات بأخذ البيعة على أهل العمالات فترادفت من كل جانب واستوزر أبا عبد الله بن أبى يهدى واستعمل على القضاء أبا زيد التوزرى وكان معلم ولد عمه محمد اللحيانى كما نذكره والله تعالى أعلم

كان

بياض بالاصل

كان للامير أبى زكريا من الاخوة اثنان محمد وكان أسن منه ويعرف باللحيانى لطول لحيته والآخر أبو ابراهيم وكان بينهم من المخالصة والمصافاة ما لا يعبر عنه ولما هلك الامير أبو زكريا وقام بالامر ابنه أبو عبد الله المستنصر واستوزر محمد بن أبى يهدى الهنتاتى وكان عظيما فى قومه فأمل ان يستبد عليه لمكان صغره اذ كان فى سن العشرين ونحوها واستصعب عليه حجر السلطان بما كان له من الموالى العلوج والصنائع من بيوت الاندلس فقد كان أبوه اصطنع منهم رجالا ورتب جندا غلبوا الموحدين وزاحموهم فى مراكزهم من الدولة فداخل ابن أبى يهدى اخوى السلطان وبث عندهما الاسف على ما فاتهما من الامر فلم يجد عندهما ما أمل من ذلك فرجع الى ابن محمد اللحيانى فأجابه الى ذلك وبايعه ابن أبى يهدى سرا ووعده المظاهرة ونمى الخبر بذلك الى السلطان من عمه محمد اللحيانى وحذره من غائلة ابنه وأبلغه ذلك أيضا القاضى أبو زيد التوزرى منتصحا وباكر ابن أبى يهدى مقعده للوزارة بباب السلطان لعشرين من جمادى سنة ثمان وأربعين وتقبض على الوزير أبى زيد بن جامع وخرج ومشيخة الموحدين معه فبايعوا لابن محمد اللحيانى بداره واستركب السلطان أولياءه وعقد للقائد ظافر على حربهم فخرج فى الجند والاولياء ولحق الموحدين بالمصلى خارج البلد ففل جمعهم وقتل ابن أبى يهدى وابن وار كندن وسار ظافر مولى السلطان الى دار اللحيانى عم السلطان فقتله وابنه صاحب البيعة وحمل رؤسهما الى السلطان وقتل فى طريقه أخاه أبا ابراهيم وابنه وانتهبت منازل الموحدين وخربت ثم سكنت الفتنة وهدأت الثائرة وعطف السلطان على الجند والاولياء وأهل الاصطناع فادر ارزاقهم ووصل تفقدهم وأعاد عبد الله بن أبى الحسين الى مكانه بعد ان كان هجره أول الدولة وتزحزح لابن أبى يهدى عن رتبته وتضاءل لاستطالته فرجع الى حاله واستقامت الامور على ذلك ثم سعى عند السلطان بمولاه ظافر وقعوا عنوة ما أتاه من الافتيات فى قتل عمه من غير جرم ونذر بذلك فخشى البادرة ولحق بالزواودة وكان المتولى لكبر هذه السعاية هلال مولاه فعقد له لمكانه واستقر فى جوار العرب طريدا الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الآثار التى أظهرها السلطان فى أيامه)

فمنها شروعه فى اختطاط المصانع الملوكية وأولها المصيد بناحية بنزرت اتخذه للصيد سنة خمسين فأدار سياجا على بسيط من الارض قد خرج نطاقه عن التحديد بحيث لا يراع فيه سرب الوحش فاذا ركب للصيد تخطى ذلك السياج الى قوراقى لمة من مواليه

المختصين وأصحاب يبرزون بما معهم من الجوارح بازات وصقورا وكلابا سلوقية وفهودا فيرسلونها على الوحش فى تلك القورا وقد وثقوا باعتراض البناء لها من امام فيقضى وطرا من ذلك القنص سائر يومه فكان ذلك من أفخم ما عمل فى مثلها ثم وصل ما بين قصوره ورياض رأس الطالبية بحائطين ممتدين يحوزان عرض العشرة أذرع أو نحوها طريقا سالكا ما بينهما وعلى ارتفاع عشرة أذرع يحجب الحرم فى خروجهن الى تلك البساتين عن أن تقع العيون عليهن فكان ذلك مصنعا فخما وأثرا على أيام الدولة خالدا ثم بنى بعد ذلك الصرح العالى بفناء داره ويعرف بقبة اسارالنا باللسان المصمودى هو القورا الفسيحة وهذا الصرح هو ايوان مرتفع السماك متباعد الاقطار متسع الارجاء يشرع منه الى الغرب وجانبيه ثلاثة أبواب لكل باب منها مصراعان من الخشب موثق الصنعة ينوء كل مصراع منها فى فتحه وغلقه بالعصبة أولى القوة ويفضى بابها الاعظم المقابل لسمت الغرب الى معارج قد نصبت للظهور عليها عريضة ما بين الجوف الى القبلة بعرض الايوان يناهز عددها الخمسين أو نحوها ويفضى البابان عن جانبيه الى طريقين تنتهيان الى حائط القورا ثم تنعطفان الى ساحة القورا يجلس السلطان فيها على اريكته مقابل الداخل أيام العرض والوفود ومشاهد الاعياد فجاءت من أفخم الاواوين وأحفل المصانع التى تشهد بأبهة الملك وجلالة الدولة واتخذ أيضا بخارج حضرته البستان الطائر الذكر المعروف بأبى فهر يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات اغترس فيها من شجره كل فاكهة من أغصان التين والزيتون والرمان والنخل والاعناب وسائر الفواكه وأصناف الشجر ونضد كل صنف منها فى دوحة حتى لقد اغترس من السرو والطلح والشجر البرى وسمى دوح هذه بالشعراء واتخذ وسطها البساتين والرياضات بالمصانع والجرار وشجر النور والنزهة من الليم والنارنج والسدر والريحان وشجر الياسمين والخيرى والنيلوفر وأمثاله وجعل وسط هذه الرياض روضا فسيح الساحة وصنع فيه للماء حاجزا من اعواد الحور جلب اليه الماء فى القناة القديمة كانت ما بين عيون زغوان وقرطاجنة تسلك بطن الارض فى أماكن وتركب البناء العالى ذا الهياكل الهائلة والقسى القائمة على الارجل الضخمة فى أخرى فعطف هذه القناة من أقرب الثمرات الى هذا البستان وامطاها حائطا وصل ما بينهما حتى ينبعث من فوهة عظيمة الى جب عميق المهوى رصف البناء متباعد الاقطار مربع الفناء مجلل بالكلس الى أن يعمه الماء فيرسله فى قناة أخرى قريبة الغاية فينبعث فى الصهريج الى أن يعبق حوضه وتضطرب أمواجه ويترفه الخطايا عن السعى بشاطئه لبعد مداه فيركبن فى الجوارى المنشآت فيبارى بهن   لما استقل

بياض بالأصل

ابن

ابن جميل زيان بن أبى الحمالات مدافع بن أبى الحجاج بن سعد بن مردنيش يملك بلنسية وغلب عليها السيد أبو زيد وأبو حفص وذلك عند خود ريح عبد المؤمن بالاندلس وخروج ابن هود وثورة ابن الاحمر بأرجونة واضطراب الاندلس بالفتنة وأسف الطاغية الى ثغور الاندلس من كل جانب وزحف ملك أرغون الى بلنسية فحاصرها وكانت للعدو سنة ثلاث وثلاثين سبع محلات لحصار المسلمين اثنان منها على بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومحلة بجيان ومحلة بالطميرة ومحلة بمرسية ومحلة بلبلة وأهل جنوة من وراء ذلك على سبتة ثم تملك طاغية قشتالة مدينة قرطبة وظفر طاغية ارغون بكثير من حصون بلنسية والجزيرة وبنى حصن أنيشة لحصار بلنسية وأنزل بها عسكره وانصرف فاعتزم زيان ابن مردنيش على غزو من بقى بها من عسكره وانتقر أهل شاطبة وشقر وزحف اليهم فانكشف المسلمون وأصيب أكثرهم واستشهد أبو الربيع بن سالم شيخ المحدثين بالاندلس وكان يوما عظيما وعنوانا على أخذ بلنسية ثم ترددت عليها سرايا العدو ثم زحف اليها طاغية ارغون فى رمضان سنة خمس وثلاثين فحاصرها واستبلغ فى نكايتها وكان عبد المؤمن بمراكش قد فشل ريحهم وظهر أمر بنى أبى حفص بافريقية فأمل ابن مردنيش وأهل شرق الاندلس الامير أبا زكريا للكرة وبعثوا اليه ببيعتهم وأوفد عليه ابن مردنيش كاتبه الفقيه أبا عبد الله بن الابار صريخا فوفد وأدى بيعتهم فى يوم مشهود بالحضرة وأنشد فى ذلك المحفل قصيدته على روى السين يستصرخه فيها للمسلمين وهى هذه

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا * ان السبيل الى منجاتها درسا
وهب لنا من عزيز النصر ما التمست * فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها * فطال ما ذاقت البلوى صباح مسا
ياللجزيرة أضحى أهلها جزرا * للنائبات وأمسى جدها تعسا
فى كل شارقة المام بائقة * يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة اجحاف نائبة * تثنى الامان حذارا والسرور أسا
تقاسم الروم لانالت مقاسمهم * ولا عقائلها المحجوبة الانسا
وفى بلنسية منها وقرطبة * ما يذهب النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الاشراك مبتسما * جذلان وارتحل الاسلام منبئسا
وصيرتها العوادى العابثات بها * يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
ياللمساجد عادت للعدا بيعا * وللنداء يرى أثناءها جرسا
لهفا عليها الى استرجاع فائتها * مدارسا للمثانى أصبحت درسا

وأربعا نهلت أيدى الربيع بها * ما شئت من خلع موشية وكسا
كانت مداش للاحداق مونقة * فسرح النظر من أدواحها وعسى
وحال ما حولها من منظر عجب * يستوقف الركب أو يستركب الجلسا
مرغما عاد جيش الكفر محتربا * بعث لربا فى مغانيها الذى كبسا
وابتز بزتها تخيف حاتف الأسد * الضاريات بها الكل ما افترسا
فأين عيش جنيناه بها سمرا * وأين غصن جنيناه بها سلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها * ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
وريع ارجائها لما أحاط بها * فغادر الشم من أعلامها خنسا
خلاله الجو فامتدت يداه الى * ادراك مالم تنل رجلاه مختلسا
وأكثر الزعم بالتثليث منفردا * ولو رأى زائد التوحيد ما نبسا
صل حبلها أيها المولى الرحيم فما * ابقى المراسى لها حبلا ولا مرسا
وأحى ما طمست منها العداة كما * أحييت من دعوة المهدى ما طمسا
أيام صرت لنصر الحق مستبقا * وبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وقمت فيها لامر الله منتصرا * كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا
تمحو الذى كتب التجسيم من ظلم * والصبح ماحية أنواره الغلسا
هذى رسائلها تدعوك من كثب * وأنت أفضل مرجو لمن يئسا
وافتك جارية بالنجح راجية * منك الامير الرضا والسيد الرئسا
خاضت خضارة يعلوها ويخفضها * عبابه فتعانى اللين والشرسا
وربما سبحت والريح عاتية * كما طلبت بأقصى شدة الفرسا
تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى * حفص مقبلة من تربه القدسا
ملك تقلدت الاملاك طاعته * دينا ودنيا فغشاها الرضا لبسا
من كل غاد على يمناه ملتثما * وكل صاد الى نعماه ملتمسا
مؤيد لو رمى نجما لاثبته * ولو دعا أفقا لبى وما احتبسا
امارة تحمل الاقدار رايتها * ودولة عزها يستصحب القعسا
يبدى النهار بها من ضوئه شنبا * ويطلع الليل من ظلمائه لعسا
كأنه البدر والعلياء هالته * تحف من حوله شهب القنا حرسا
له الثرا والثرى يا خطتان فلا * أعز من خطتيه ما سما ورسا
يا أيها الملك المنصور أنت لها * عليا وتوسع اعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الانباء انك من * يحيى تقبل ملوك الصفر أندلسا

طهر بلادك منهم انهم نجس * ولا طهارة مالم تغسل النجسا
وأوطئ الفيلق الجرار أرضهم * حتى يطاطئ رأسا كل من رأسا
وانصر عبيدا باقصى شرقها شرقت * عيونهم أدمعا تهمى زكا وخسا
هم شيعة الامر وهى الدار قد نهكت * داء متى لم تباشر حسمه انتكسا
املأ هنيأ لك التمكين ساحتها * جردا سلاهب أو خطية دعسا
واضرب لها موعدا للفتح ترقبه * لعل يوم الاعادى قد أتى وعسى

فأجاب الامير أبو زكريا داعيتهم وبعث اليهم اسطوله مشحونا بمدد الطعام والاسلحة والمال مع أبى يحيى بن يحيى بن الشهيد بن اسحق بن أبى حفص وكانت قيمة ذلك مائة ألف دينار وجاءهم الاسطول بالمدد وهم فى هوة الحصار فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها ورجع بالناض اذلم يخلص اليه من قبل ابن مردنيش من يتسلمه واشتد الحصار على أهل بلنسية وعدمت الاقوات وكثر الهلاك من الجوع فوقعت المراودة على تسليم البلد فتسلمها جاقمه ملك ارغون فى صفر سنة ست وثلاثين وخرج عنها ابن مردنيش الى جزيرة شقر فأخذ البيعة على أهلها للامير أبى زكريا ورجع ابن الابار الى تونس فنزل على السلطان وصار فى جملته وألح العدو على حصار ابن مردنيش بجزيرة شقر وأزعجه عنها الى دانية فدخلها فى رجب من سنته وأخذ عليهم البيعة للامير أبى زكريا ثم داخل أهل مرسية وقد كان بويع بها أبو بكر عزيز بن عبد الملك بن خطاب فى مفتتح السنة فاقتحمها عليه فى رمضان من سنته فقتله وبعث ببيعتهم الى الامير أبى زكريا وانتظمت البلاد الشرقية فى طاعته وانقلب وفد ابن مردنيش اليه من تونس بولايته على عمله سنة سبع وثلاثين ولم يزل بها الى أن غلبه ابن هود على مرسية وخرج عنها الى لقنت الحصون سنة ثمان وثلاثين الى أن أخذها طاغية برشلونة من يده سنة أربع وأربعين وأجاز الى تونس والبقاء لله وحده

(الخبر عن الجوهرى وأوليته ومآل أمره)

اسم هذا الرجل محمد بن محمد الجوهرى وكان مشتهرا بخدمة ابن اكماز بن الهنتاتى والى سبتة وغمارة من اعمال الغرب وكان حسن الضبط مترا ميا الى الرياسة ولما ورد على تونس وتعلق باعمال السلطان نظر فيما يزلفه ويرفع من شأنه فوجد جباية أهل الخيام بافريقية من البرابرة الموطنين من الاعراب غير منضبطة ولا محصية فى ديوان فنبه على انها مأكلة للعمال ونهبة للولاة فدفع اليها فأنهى جبايتها وصارت عملا منفردا يسمى عمل العمود وصار له بذلك بين العمال ذكر جذب له السلطان أبو زكريا بضبعه وعول على نصيحته وآثره باختصاصه ووافق ذلك موت أبى الربيع الكنفيسى المعروف بابن

القريقر صاحب الاشغال بالحضرة فاستعمل مكانه وكان لا يلى تلك الخطة الا كبير من مشيخة الموحدين فرشحه السلطان لها لكفايته وغنائه فظفر منها بحاجة نفسه واعتدها ذريعة الى امنيته فاتخذ شارة أرباب السيوف وارتبط الخيل واتخذ الآلة فى حروبه مع أهل البادية اذا احتاج اليها واسف اثناء ذلك أبا على بن النعمان وأبا عبيد الله ابن الحسين بعدم الخضوع لهما فنصباله وأغريا به السلطان وحذراه غائلة عصيانه وكان فيه اقدام أوجد به السبيل على نفسه ويحكى أن السلطان استشاره ذات يوم فى تقديم بعض أهل الخلاف والعصيان فقال له عندى ببابك آلاف من الجنود ارم بها من تشاء من امثالهم فأعرض عنه السلطان واعتدها عليه ووجد لها مصداقا لما نمى عنه ولما قدم عنه عبد الحق بن يوسف بن ياسين على الاشغال ببجاية مع زكريا ابن السلطان أظهر له الجوهرى ان ذلك له بسعايته وعهد اليه بالوقوف عند أمره والعمل بكتابه فألقى عبد الحق ذلك الى الامير زكريا فقام لها وقعد وأنف من استبداد الجوهرى عليه ولم تزل هذه وأمثالها تعد عليه حتى حق عليه القول فسطا به الامير أبو زكريا وقبض عليه سنة تسع وثمانين ووكل امتحانه الى اعدائه ابن لمسان والندومى فتجلد على العذاب وأصبح فى بعض أيامه ميتا فى محبسه ويقال خنق نفسه وألقى شلوه بقارعة الطريق فتفنن على أهل الشماتة فى العبث به والى الله المصير

كان الامير أبو زكريا منذ استقل بأمر افريقية واقتطعها من بنى عبد المؤمن كما ذكرنا متطاولا الى ملك الحضرة بمراكش والاستيلاء على كرسى الدعوة وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له فى شأنه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل امراء زناتة فيه ويرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحياء من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة آل عبد المؤمن أقام دعوتهم بعمله متحيزا اليهم سلما لوليهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد منهم قد ضاعف له البر والخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بأنواع الالطاف والهدايا تيما لمعتمراته وميلا اليه من جانب أمثاله بنى مرين المجلبين على المغرب والدولة فاستنكر السلطان أبو زكريا اتصال الرشيد هذا بيغمراسن وألزمهم من جواره بالمحل القريب وبينما هو على ذلك اذ وفد اليه عبد القوى أمير بنى توجين وبعض وفد بنى منديل بن عبد الرحمن امراء مغراوة صريخا على يغمراسن فسهلوا له أمره وسولوا له الاستبداد على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتداد ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين بمراكش وانتظامه فى أمره وسلما لارتقاء ما سموا اليه من ملكه وبابا للولوج المغرب على أصله فحركه املاؤهم وهزه الى النفرة صريخهم وأهاب الموحدين وسائر الاولياء والعساكر الى الحركة على تلمسان واستنفر

لذلك سائر البدو من الاعراب الذين فى طاعته من بنى سليم ورياح بظعنهم فاهبطوا الحامية ونهض سنة تسع وثلاثين فى عسكر ضخم وجيش وافرة وسرح امام حركته عبد القوى بن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من وافى بأوطانهم وذوبان قبائلهم وأحياء زغبة أحلافهم والعرب وضرب لهم موعد الموافاتهم فى تخوم بلادهم والمنازل صحراء زامن قبلة تيطرى منتهى مجالات رياح وبنى سليم بالمغرب تثاقل العرب عن الرحلة بظعنهم فى ركاب السلطان وتلووا بالمعاذير فالطف الامير أبو زكريا الحيلة فى استنهاضهم وتنبيه عزائمهم وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجميع عساكر الموحدين بساحة البلد وبرز يغمراسن وجموعه للقاء بصحبتهم ناشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدران وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد أحيط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفا فى ذويه وخاصته واعترضته عساكر الموحدين فصمم نحوهم وجدل بعض أبطالهم فأفرجوا له ولحق بالصحراء وتسللت الجيوش الى البلد من كل حرف فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى غشى تلك الهيعة وحسر مثار الصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم وامعن الامير أبو زكريا نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوة الدائلة من دعوة بنى عبد المؤمن والمدافعة عنها واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعوه وتبرأ له امراء زناتة ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما بأنه الفحل الذى لا يقرع انفه ولا يطرق غيله ولا يصد عن فريسته وسرح يغمراسن الغارة فى نواحى المعسكر واختطفوا الناس من حوله واطلعوا من المراقب عليه ثم بعث وفده متطارحين على السلطان فى الملائمة والاتفاق واتصال اليد على صاحب مراكش طالبا الوتر فى تلمسان وافريقية وأن يفرده بالدعوة المحمدية فأجابه الى ذلك ووفدت أمه سوط النساء للاشتراط والقبول فأكرم موصلها واسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها وسوغ ليغمراسن فى شرطه بعض الاعمال بافريقية وأطلق أيدى عماله على جبايته وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله وفى اثناء طريقه وسوس اليه الموحدون باشتداد يغمراسن عليه وأشاروا باقامة منافسيه من زناتة وامراء المغرب الاوسط شجا فى صدره ومعترضا عن مرامه والبسهم ما لبس من شارة السلطان وزيه فأجابهم وقلد كلا من عبد القوى ابن عطية التوجينى والعباس بن منديل المغراوى ومنصور الملكيشى أمر قومه ووطنه وعهد اليهم فى ذلك وأذن لهم فى اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وبمشهد ملا من الموحدين وأقاموا مراسمها ببابه

واغذ السير الى تونس قرير العين بامتداد ملكه وبلوغ وطره والاشراف على اذعان
المغرب لطاعته وانقياده لحكمه وادالة دعوة بنى عبد المؤمن فيه بدعوته فدخل الحضرة
واقتعد أريكته وأنشده الشعراء بالفتح وأسنى جوائزهم وتطاولت اليه أعناق
الآفاق كما نذكره والله أعلم

{الخبر عن دخول أهل الاندلس فى الدعوة الحفصية
ووصول بيعة اشبيلية وكثير من امصارها}

كان باشبيلية أبو مروان أحمد الباجى من أعقاب أبى الوليد وأبو عمرو بن الجد من
أعقاب الحافظ أبى بكر الطائر الذكور ثوا النحلة عن جدهم وأجراهم الخلفاء على
سننهم وكانا مسمتين متبوعين من أهل بلدهما ومطاعين وجاء أبو القاسم فى جملة الامير
زكريا وأوصى به ابنه الى ان حدثته نفسه بالتوثب والخروج وخامره الرعب من
اشاعة تناقلها الدهماء سببها أن السلطان استحدث احداث الفلوس من النحاس مقدرة
على سكته من الفضة حاكيا بها سكة الفلوس بالمشرق تسهيلا على الناس فى المعاملات
باسواقهم وتيسيرا لاقتضاء حاجاتهم ولما كان لحق سكة الفضة من غش اليهود المتناولين
لصرفها وصوغها وسمى سكته التى استحدثها بالخندوس ثم أفسدها الناس بالتدليس
وضربها أهل الريب ناقصة من الوزن وفشا فيها الفساد واشتد السلطان فى العقوبة
عليها فقطع وقتل وصارت ريبة لمن تناولها وأعلن الناس بالنكير فى شأنها وتنادوا
بالسلطان فى قطعها وكثر الخوض فى ذلك وتوقعت الفتنة وأشيع من طريق الحدثان
الذى تكلف به العامة ان الخارج الذى يثير الفتنة هو قاسم بن أبى زيد فأزال السلطان
تلك السكة وعفا عنها وهمه شأن أبى القاسم ابن عمه وبلغه الخبر فخامره الرعب الى
ما كان يحدث نفسه بالخروج ففر من الحضرة سنة احدى وستين ولحق برياح ونزل
على أميرهم شبل بن موسى بن محمد رئيس الزواودة فتابع له زمام أمره ثم بلغه اعتزام
السلطان على النهوض اليه فخشى بادرته واضطرب أمر العرب من قبله ولما أحس
أبو القاسم باضطرابهم وخشى أن يسلموه اذا أرادهم السلطان عليها تحول عنها
ولحق بتلمسان وأجاز البحر منها الى الاندلس وصحب الامير أبا اسحق ابن عمه فى منوى
اعتزامهما بالاندلس ثم ساءت أفعاله وعظم استئثاره ونشأ النكر عليه من الدولة فلحق
بالمغرب وأقام بتينملل مدة ثم رجع الى تلمسان وبهامات وقام الامير أبو اسحق بمكانه من
جوار ابن الاحمر الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن خروج السلطان الى المسيلة)

لما اتصل بالسلطان شأن قاسم ابن عمه أبى زيد وفصاله من رياح الى المغرب بعد عقدهم

بيعته واجلابهم على البلاد معه خرج من تونس سنة أربع وستين فى عساكر الموحدين
وطبقات الجنود لتمهيد الوطن ومحو آثار الفساد منه وتقديم العرب على الطاغية
وتنقل فى الجهات الى ان وصل بلاد رياح فدوخها ومهد ارجاءها وفر شبل بن موسى
وقومه الزواودة الى القفر واحتل السلطان بالمسيلة آخر وطن رياح ووافاه هنالك محمد
ابن عبد القوى أمير بنى توجين من زناتة فجدد الطاعة متبركا بزيارته فتلقاه بالبر
تلقى امثاله وأثقل كاهله بالجهاز والجوائز وجنب له الجياد والمقربات بالمراكب المثقلة
بالذهب واللجوم المحملات وضرب الفساطيط الفسيحة الارجاء من ثياب الكتان
وجيد القطن الى ما يتبع ذلك من المال والظهر والكراع والاسلحة وأقطع له مدينة
مقره وبلدا وماش من عمل الزاب وانقلب الى وطنه ورجع السلطان الى تونس وفى
نفسه من رياح ضغن الى أن صرف اليهم وجه تدبيره كما نذكره ولثانية احتلاله
فى الحضرة كان مهلك مولاه هلال ويعرف بالقائد وكان له فى الدولة مكان بمكان تلاد
للسلطان وكان شجاعا جوادا خيرا محببا سهلا مقبلا على أهل العلم وذوى الحاجات وله
فى سبيل الخير آثار منقولة طارله بها ذكر فارتمض السلطان لمهلكه والله أعلم
كان شبل بن موسى وقومه من الزواودة فعلوا الافاعيل
فى اضطراب الطاغية ونصب من لحق بهم من أهل هذا البيت للملك فتابعوا أولا
للامير أبى اسحق كما ذكرناه ثم بعده لابى القاسم ابن عمه أبى زيد وخرج اليهم السلطان
سنة أربع وستين ودوخ أوطانهم ولحقوا بالصحراء ودافعوه على البعد بطاعة ممرضة
فتقبلها وطوى لهم على البت ورجع الى تونس فأوعز الى أبى هلال عياد عامل بجاية من
مشيخة الموحدين باصطناعهم واستئلافهم ليتمكون وفادتهم عليه من غير عهد وجمع
السلطان احلافه من كعوب بنى سليم وذياب وأفاريق بنى هلال وخرج من تونس سنة
ستين فى عساكر الموحدين وطبقات الجند ووافاه بنو عساكر ابن السلطان اخوة بنى
مسعود ابن السلطان من الزواودة فعقد لمهدى بن عساكر عن امارة قومه وغيرهم من
رياح وفر بنو مسعود ابن السلطان مصحرين والسلطان فى اثرهم حتى نزل نقاوس
وعسكروا بثنايا الزاب ورسلهم تختلف الى أبى هلال ايناسا للمراجعة على يده للدخلة
فى الساحة فأشار عليهم بالوفادة على السلطان وفاء بقصده من ذلك فتقبلوا اشارته ووفد
أميرهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود وأخوه فتقبض عليهم لحينهم وعلى دريد
ابن تازير من شيوخ كرفة وانتهبت اسلابهم وضربت اعناقهم ونصبت اشلاؤهم بزوايا
من جهات نقاوس حيث كانت بيعتهم لابى القاسم بن أبى زيد وبعث برؤسهم الى
بسكرة فنصبها بها وأخذ السير غازيا الى أحيائهم وأحلهم بمكانهم من ثنايا الزاب

وصحبهم هنالك فأجفلوا وتركوا الظهر والكراع والابنية فامتلأت أيدى وسدريكش منها ونجوا بالعيال والولد على الاقتاب والعساكر فى اتباعهم الى ان أجازوا وادى شدى قبلة الزاب وهو الوادى الذى يخرج أصله من جبل راشد قبلة المغرب الاوسط ويمر الى ناحية الشرق مجتازا بالزاب الى أن يصب فى سبخة نفزاوة من بلاد الجريد فلما جاز فلهم الوادى أصحروا الى المفازة المعطشة والارض الحرة السوداء المستحجرة المسماة بالحمادة فرجعت العساكر عنهم وانقلب السلطان من غزاته ظافرا ظاهرا وانشده الشعراء فى التهنئة ولحق فل الزواودة بملوك زنانة فنزل بنو يحيى بن دريد على يغمراسن بن زيان وبنو محمد بن مسعود على يعقوب بن عبد الحق فأجازوهم واوسعوهم حباء وملؤا ايديهم بالصلات ومرابطهم بالخيل واحياءهم بالابل ورجعوا الى مواطنهم فتغلبوا على وارركلة وقصور ريغة واقتطعوها من ايالة السلطان ثم انحرفوا الى الزاب فجمع لهم عامله ابن عتو وكان موطنا بعقرة ولقيهم على حدود ارض الزاب فهزموه واتبعوه الى بطاوة فقتلوه عندها واستطالوا على الزاب وجبل أوراس وبلاد الحضنة الى ان اقتطعتهم الدول اياها من بعد ذلك فصارت ملكا لهم والله تعالى أعلم

بهامش الاصل

(الخبر عن طاغية الافرنجة ومنازلته تونس فى أهل نصرانيته)

هذه الامة المعروفة بالافرنجة وتسميها العامة بالافرانسيس نسبة الى بلد من أمهات أعمالهم تسمى افرانسة ونسبهم الى يافث بن نوح وهم بالعدوة الشمالية من عدوتى هذا البحر الرومى الغربى ما بين جزيرة الاندلس وخليج القسطنطينية مجاورون الروم من جانب الشرق والجلالقة من جانب الغرب وكانوا قد أخذوا بدين النصرانية مع الروم ومنهم لقنوا دينها واستفحل ملكهم عند تراجع ملك الروم وأجازوا البحر الى افريقية مع الروم فملكوها ونزلوا امصارها العظيمة مثل سبيطلة وجلولا وقرطاجنة ومرناق وباغاية ولمس وغيرها من الامصار وغلبوا على من كان بها من البربر حتى اتبعوهم فى دينهم وأعطوهم طاعة الانقياد ثم جاء الاسلام وكان الفتح بانتزاع الاعراب من أيديهم سائر امصار افريقية والعدوة الشرقية والجزر البحرية مثل اقريطش ومالطة وصقلية وميورقة ورجوعهم الى عدوتهم ثم أجازوا خليج طنجة وغلبوا القوط والجلالقة والبشكنس وملكوا جزيرة الاندلس وخرجوا من ثناياها ودروبها الى بسائط هؤلاء الافرنجة فدوخها وعاثوا فيها ولم تزل الصوائف تتردد اليها صدرا من دولة بنى أمية بالاندلس وكان ولاة افريقية من الاغالبة ومن قبلهم أيضا يرددون عساكر المسلمين وأساطيلهم من العدوة حتى غلبوهم على الجزر البحرية ونازلوهم فى بسائط عدوتهم فلم تزل فى نفوسهم من ذلك ضغائن فكان يخالجها الطمع فى ارتجاع ما غلبوا عليه منها وكان الربيع أقرب

الى سواحل الشام وطمع فيها فلما وصل أمر الروم بالقسطنطينية ورومة واستفحل ملك الفرنجة هؤلاء وكان ذلك على هيئة ممر الخلافة بالمشرق فسموا حينئذ الى التغلب على معاقل الشأم وثغوره وزحفوا اليها وملكوا الكثير منها واستولوا على المسجد الاقصى وبنوا فيه الكنيسة العظمى بدل المسجد ونازلوا مصر والقاهرة مرارا حتى جاد الله للاسلام من صلاح الدين أبى أيوب الكردى صاحب مصر والشأم فى أواسط المائة السادسة جنة واقية وعذابا على أهل الكفر مصبوبا فأبلى فى جهادهم وارتجع ما ملكوه وظهر المسجد الاقصى من افكهم وكفرهم وهلك على حين عمل من الغزو والجهاد ثم عاودوا الكرة ونازعوا مصر فى المائة السابعة على عهد الملك الصالح صاحب مصر والشأم وأيام الامير أبى زكريا بتونس فضربوا أبنيتهم بدمياط وافتتحوها وتغلبوا فى قرى مصر وهلك الملك الصالح خلال ذلك وولى ابنه المعظم وأمكنت المسلمين فى الغزو فرصة أيام فيض النيل ففتحوا الغياض وأزالوا امداد الماء فأحاط بعسكرهم وهلك منهم عالم وقيد سلطانهم أسيرا من المعركة الى السلطان فاعتقله بالاسكندرية حتى مر عليه بعد حين من الدهر وأطلقه على أن يمكنوا المسلمين من دمياط فوفوا له ثم على شرط المسالمة فيما بعد فنقضه لمدة قريبة واعتزم على الحركة الى تونس متجنيا عليهم فيما زعموا بمال ادعياء تجار أرضهم وأنهم أقرضوا اللياني فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال وهو نحو ثلثمائة ألف دينار بغير وجب يستندون اليه فغضبوا لذلك واشتكوا الى طاغيتهم فامتعض لهم ورغبوه فى غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموتان فأرسل الفرنسيس طاغية الافرنج واسمه سنلويس بن لويس وتلقب بلغة الافرنج ريدافرنس ومعناه ملك افرنس فأرسل الى ملوك النصارى يستنفرهم الى غزوها وأرسل الى القائد خليفة المسيح بزعمهم فأوعز الى ملوك النصرانية بمظاهرته وأطلق يده فى أموال الكنائس مددا له وشاع خبر استعداد النصارى للغزو فى سائر بلادهم وكان الذين أجابوه للغزو بلاد المسلمين من ملوك النصرانية ملك الانكشار وملك اسكوسنا وملك نزول وملك برشلونة واسمه ريدراكون وجماعة آخرون من ملوك الافرنج هكذا ذكر ابن الاثير وأهم المسلمين بكل ثغر شأنهم وأمر السلطان فى سائر عمالاته بالاستكثار من العدة وأرسل فى الثغور لذلك باصلاح الاسوار واختزان الحبوب وانقبض تجار النصارى عن تعاهد بلاد المسلمين وأوفد السلطان رسله الى الفرنسيس لاختبار حاله ومشارطته على ما يكف عزمه وحملوا ثمانين ألفا من الذهب لاستتمام شروطهم فيما زعموا فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم ان غزوه الى أرضهم فلما طلبوا المال اعتل عليهم بأنه لم يباشر قبضه ووافق شأنهم معه وصول رسول عن صاحب مصر فأحضر عند الفرنسيس واستجلس فأبى

وأنشده قائلا من قول أبى مطروح شاعر السلطان بمصر

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح
آجرك الله على ما جرى * من قتل عباد نصارى المسيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح
ألهمك الله الى مثلها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح
فاتخذوه كاهنا انه * أنصح من شق لكم أو سطيح
وقل لهم ان أزمعوا عودة * لاخذ ثار أو لشغل قبيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشى صبيح

يعنى بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية والطواشى فى عرف أهل مصر هو الخصى فلما استكمل انشاده لم يزد ذلك الطاغية الا عتوا واستكبارا واعتذر عن نقض العهد فى غزو تونس بما يسمع عنهم من المخالفات عذرا دافعهم به وصرف الرسل من سائر الآفاق اليه فوصل رسل السلطان منذرين بشأنهم وجمع الطاغية حشده وركب أساطيله الى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين فاجتمعوا بسردانية وقيل بصقلية ثم واعدهم بمرسى تونس وأقلعوا ونادى السلطان فى الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له والنفير الى أقرب المدائن وبعث الشوانى لاستطلاع الخبر واستفهم أياما ثم توالت الاساطيل بمرسى قرطاجنة وتفاوض السلطان مع أهل الشورى من الاندلس والموحدين فى تخليتهم وشأنهم من النزول بالساحل أو صدهم عنه فأشار بعضهم بصدهم حتى تنفد ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون الى الاقلاع وقال آخرون اذا أقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد صبحوا بعض الثغور سواها فملكوه واستباحوه واستصعبت مغالبتهم عليه فوافق السلطان على هذا وخلوا وشأنهم من النزول فنزلوا بساحل قرطاجنة بعد ان ملئت سواحل رودس بالمرابطة بجند الاندلس والمطوعة زهاء أربعة آلاف فارس لنظر محمد بن الحسين رئيس الدولة ولمنازل النصارى بالساحل وكانوا زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين ألفا من الرجالة فيما حدثنى أبى عن أبيه رحمهما الله قال وكانت أساطيلهم ثلثمائة بين كبار وصغار وكانوا سبعة يعاسيب كان فيهم الفرنسيس واخوه جرون صاحب صقلية وصاحب الجزر والعلجة زوج

الطاغية تسمى الرينة وصاحب البر الكبير وتسميهم العامة من أهل الاخبار ملوكا ويعنون انهم متباينون ظاهروا على غزو تونس وليس كذلك وانما كان واحدا وهو طاغية الفرنجة واخوته وبطارقته عد كل واحد منهم ملكا لفضل قوته وشدة بأسه فأنزلوا عساكرهم فى المدينة القديمة من قرطاجنة وكانت ماثلة الجدران اضطرم المعسكر بداخلها ووصلوا ما فصله الخراب من أسوارها بألواح الخشب ونضدوا شرفاتها وأداروا على السور خندقا بعيد المهوى وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم فى تخريبها أو دفاعهم عن نزلها وأقام ملك الفرنجة وقومه متمرسين بتونس ستة أشهر والمدد يأتيه فى أساطيله من البحر من صقلية والعدوة بالرجل والاسلحة والاقوات وسلك بعض المسلمين طريقا فى البحيرة واتبعهم العرب فأصابوا غرة فى العدو وظفروا وغنموا وشعروا بمكانهم فكلفوا بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشوانى بالرماة ومنعوا الطريق اليهم وبعث السلطان فى عماله حاشدا فوافته الامداد من كل ناحية ووصل أبو هلال صاحب بجاية وجاءت جموع العرب وسدويكش وولهاصة وهوارة حتى أمدته ملوك المغرب من زناتة وسرح اليه محمد بن عبد القوى عسكر بنى توجين لنظر ابنه زيان وأخرج السلطان ابنيته وعقد لسبعة من الموحدين على سائر الجند من المرتزقة والمطوعة وهم اسمعيل بن أبى كلداسن وعيسى بن داود ويحيى بن أبى بكر ويحيى بن صالح وأبو هلال عياد صاحب بجاية ومحمد بن عبو وأمرهم كلهم راجع ليحيى بن صالح ويحيى ابن أبى بكر منهم واجتمع من المسلمين عدد لا يحصى وخرج الصلحاء والفقهاء والمرابطون لمباشرة الجهاد بأنفسهم والتزم السلطان القعود بايوانه مع بطانته وأهل اختصاصه وهم الشيخ أبو سعيد المعروف بالعود وابن أبى الحسين وقاضيه أبو القاسم بن البراء وأخو العيش واتصلت الحرب والتقوا فى منتصف محرم سنة تسع بالمنصف فزحف يومئذ يحيى بن صالح وجرون ففات من الفريقين خلق وهجموا على المعسكر بعد العشاء وتدامر المسلمون عنده ثم غلبوا عليه بعد ان قتل من النصارى زهاء خمسمائة فأصبحت ابنيته مضروبة كما كانت وأمر بالخندق على المعسكر فتعاورته الايدى واحتفر فيه الشيخ أبو سعيد بنفسه وابتلى المسلمون بتونس وظنوا الظنون واتهم السلطان بالتحول عن تونس الى القيروان ثم ان الله أهلك عدوهم وأصبح ملك الفرنجة ميتا يقال حتف أنفه ويقال أصابه سهم غرب فى بعض المواقف فأثبته ويقال أصابه مرض الوباء ويقال وهو بعيد ان السلطان بعث اليه مع ابن جرام الدلاصى بسيف مسموم وكان فيه مهلكه ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياط سمى بذلك لميلاده بها فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وكان أمرهم راجعا الى العلجة فراسلت المستنصر أن يبذل لها ما خسروه

فى مؤنة حركتهم وترجع بقومها فاسعفها السلطان لما كان العرب اعتزموا على الانصراف الى مشاتيهم وبعث مشيخة الفقهاء لعقد الصلح فى ربيع الاول سنة تسع وستين فتولى عقده وكتابه القاضى ابن زيتون لخمسة عشر عاما وحضر أبو الحسن على بن عمرو وأحمد بن الغماز وزيان بن محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين واختص جرون صاحب صقلية بسلم عقده على جزيرته وأقلع النصارى باساطيلهم وأصابهم عاصف من الريح أشرفوا منه على العطب وهلك الكثير منهم واغرم السلطان الرعايا ما أعطى العدو من المال فأعطوه طواعية يقال انه عشرة أحمال من المال وترك النصارى بقرطاجنة تسعين منجنيقا وخاطب السلطان صاحب المغرب وملوك النواحى بالخبر ودفاعه عن المسلمين وما عقده من الصلح وأمر بتخريب قرطاجنة وأن يؤتى بنيانها من القواعد فصيرا بنيتها طامسة ورجع الفرنجة الى دعوتهم فكان آخر عهدهم بالظهور والاستفحال ولم يزالوا فى تناقص وضعف الى أن افترق ملكهم عمالات واستبد صاحب صقلية لنفسه وكذا صاحب نابل وجنوة وسردانية وبقى بيت ملكهم الاقدم لهذا العهد على غاية من الفشل والوهن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

أصل هذا الرجل من بنى سعيد رؤسا القلعة المجاورة لغرناطة وكان كثير منهم قد استعملوا أيام الموحدين بالعدوتين وكان جده أبو الحسن سعيد صاحب الاشغال بالقيروان ونشأ حافده محمد هذا فى كفالته ولما عزل وقفل الى المغرب هلك ببونة سنة أربع وستمائة ورجع حافده محمد الى تونس والشيخ أبو محمد بن أبى حفص صاحب افريقية لذلك العهد فاعتلق بخدمة ابنه أبى زيد ولما ولى الامر بعد وفاة أبيه غلب محمد هذا على هواه ثم جاء السيد أبو على من مراكش وعلى افريقية محمد بن أبى الحسين فى جلته الى أن هلك فى حصار هسكورة بمراكش كما قدمناه ورجع ابن أبى الحسين الى تونس واتصل بالامير أبى زكريا الاول استبداده فغلب على هواه وكان محنا فى صحابة الملوك ولما ولى المستنصر اجراه على سنته برهة ثم تنكرله اثر كائنة اللحيانى وعظمت سعاية اعدائه من البطانة وأشاعوا مداخلته لابى القاسم بن عزوز وة أبى زيد ابن الشيخ أبى محمد فنكبه السلطان واعتقله بداره تسعة أشهر ثم سرحه واعاده الى مكانه وثأر من اعدائه واستولى على أمور السلطان الى أن هلك سنة احدى وتسعين وكلف ابن عمه سعيد بن يوسف بن أبى الحسن اشغال الحضرة وكان قد اقتنى مالا جسيما ونال من الحضرة منالا عظيما وكان الرئيس أبو عبد الله متفننا فى العلوم مجيدا فى اللغة والشعر ينظم فيجيد وينثر فيحسن وله من التآليف كتاب ترتيب المحكم لابن سيده على نسق

الصحاح للجوهرى واختصاره وكان فى رياسته صلب الرأى قوى الشكيمة عالى الهمة شديد المراقبة والحزم فى الخدمة وله شعر نقل منه التيجانى وغيره ومن أشهره ما نقل له يخاطب عثمان بن جابر عن الامير أبى زكريا لما خالف واتبع ابن غانية وهى على روى الراء وكان قبلها أخرى على روى الدال وكان له ولد اسمه سعيد وتوفى فى حياة أبيه فى المراتب السلطانية ثم اغتبط دون غايته وفى ثالث مهلكه كان مهلك الشيخ أبى سعيد عثمان بن محمد الهنتاتى المعروف بالعود الرطب ويعرف أهل بيته بالمغرب ببنى أبى زيد وكان منهم عبد العزيز المعروف بصاحب الاشغال كان فر من المغرب أيام السعيد بجفوة نالته ولحق بسجلماسة سنة احدى وأربعين وقد كان انتزى بها عبد الله الهزرجى وبايع للامير أبى زكريا فأجازه عبد الله الى تونس ونزل على الامير أبى زكريا ونظمه فى طبقات مشيخة الموحدين وأهل مجلسه ثم حظى عند ابنه المستنصر بعد نكبة بنى النعمان حظوة لا كفاء لها واستولى على الرأى والتدبير الى أن هلك سنة ثلاث وسبعين فشيع طيب الذكر ملحقا بالرضوان من الخاصة والعامة والله مالك الامور

(الخبر عن انتقاض أهل الجزائر وفتحها)

كان أهل الجزائر لما رأوا انتقاض ظل الدولة عن زناتة وأهل المغرب الاوسط حدثوا أنفسهم بالاستبداد والقيام على أمرهم وخلع ربقة الطاعة من أعناقهم فجاهروا بالخلعان وسرح السلطان اليهم العساكر سنة تسع وستين وأوعز الى صاحب الثغر صاحبه وهو أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاتى فقدم اليها فى عساكر الموحدين سنة احدى وسبعين ونازلها مدة حول وامتنعت عليه فأقلع عنها ورجع الى بجاية وهلك بعسكر بنى ورا سنة ثلاث وسبعين ثم ان السلطان صرف عزمه الى منازلتهم سنة أربع وسبعين وسرح اليهم العساكر فى البر وأنفذ الاساطيل فى البحر وعقد على عسكر تونس لابى الحسن بن ياسين وأوعز الى عامل بجاية بانفاذ عسكر آخر فانفذه لنظر أبى العباس بن أبى الاعلام ونهضت هذه العساكر برا وبحرا الى أن نازلتها وأحاطت بها من كل جانب واشتد حصارها ثم افتتحها عنوة وأثخن فيهم القتل وانتهبت المنازل وافتضت الكرائم فى ابكارهن وتقبض على مشيخة البلد فنقلوا الى تونس مصفدين واعتقلوا بالقصبة الى ان سرحهم الواثق بعد مهلك السلطان والله تعالى أعلم

كان السلطان بعد فتح الجزائر قد خرج من تونس للصيد وتفقد العمالات فأصابه فى سفره مرض ورجع الى داره واشتدت علته وكثر الارجاف بموته وخرج يوم الاضحى سنة خمس وخمسين يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان فى الارض وجلس للناس

على منبر متجلدا ثم دخل بيته وهلك للدلته تلك رضوان الله عليه وكان شأن هذا السلطان فى ملوك آل حفص عظيما وشهرته طائرة الذكر بما انفسح من أمر سلطانه ومدت اليه ثغور القاصية من العدو وتبرئد الاعتصام به وما اجتمع بحضرته من أعلام الناس الوافدين على ابنه وخصوصا الاندلس من شاعر مفلق وكاتب بليغ وعالم نحرير وملك أورع وشجاع أهيس متفيئين ظل ملكه متناغين فى البادية اطموس معالم الخلافة شرقا وغربا على عهده وخفوق صوت الملك الافى ايوانه فقد كان الطاغية التهم قواعد الملك بشرق الاندلس وغربها فأخذت قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وبلنسية سنة ست بعدها واشبيلية سنة ست وأربعين واستولى على بغداد دار خلافة العرب بالمشرق وحاضرة الاسلام سنة ست وخمسين وانتزع بنو مرين ملك بنى عبد المؤمن واشتملوا على حضرة مراكش دار خلافة الموحدين سنة ثمان وستين كل ذلك على عهده وعهد أبيه ودولتهم أشد ما كانت قوة وأعظم رفاهية وجباية وأوفر قبيلا وعصابة وأكثر عساكر وجندا فامله أهل العلم للكرة وأجفلوا الى الامساك بحقويه وكان له فى الابهة والجلال أخبار وفى الحروب والفتوح آثار مشهودة وفى أيامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنها وتأنق الناس فى المراكب والملابس والمبانى والماعون والآنية فاستجادوها وتناغوا فى اتخاذها وافتنائها الى أن بلغت غايتها ثم رجعت من بعده ادراجها والله مالك الامور ومصرفها كيف يشاء

(الخبر عن بيعة الواثق يحيى بن المستنصر وهو المشهور بالمخلوع وذكر أحواله)

لما هلك السلطان المستنصر سنة خمس وسبعين كما قدمناه اجتمع الموحدون وسائر الناس على طبقاتهم الى ابنه يحيى فبايعوه ليلة مهلك أبيه وفى غدها وتلقب الواثق وافتتح أمره برفع المظالم وتسريح أهل السجون وافاضة العطاء فى الجند وأهل الديوان واصلاح المساجد وازالة كثير من الوظائف عن الناس وامتدحه الشعراء فأسنى جوائزهم وأطلق عيسى بن داود من اعتقاله ورده الى حاله وكان المتولى لاخذ البيعة عن الناس والقائم بأمره سعيد بن يوسف بن أبى الحسين لمكانه من الدولة ورسوخه فى الشهرة فقام بالامر ولم يزل على ذلك الى ان نكبه وأدال منه بالخير والله أعلم

هذا الرجل اسمه يحيى بن عبد الملك الغافقى وكنيته أبو الحسن أندلسيا من أعمال مرسية وقدم مع الجالية من شرق الاندلس أيام استيلاء العدو وكان يحسن الكتابة ولم يكن له من الخلال سواها فتصرف فى الاعمال ثم ارتقى الى خدمة أبى الحسن فاستكتبه ثم رقاه الى ولاية الديوان فعظمت حالته وكانت له اثناء ذلك مداخلة للواثق ابن السلطان واعتدها

له سابقة فلما استوثق الامر للواثق رفع منزلته واختصه بالشورى وقلده كتاب علامته وكان سعيد بن ابى الحسين مزاحماله منافسا لما كان أسف من تقديمه فأغرى به السلطان ورغبه فى ماله فتقبض على أبى سعيد بن أبى الحسين لستة أشهر من الدولة سنة سبعين واعتقل بالقصبة واستقل على معلة ابن ياسين وابن صياد الرجالة وغيرهم وقدم على الاشغال مدافعا فى الموالى المعلوجين ووكل أبا زيد بن أبى الاعلام من الموحدين بمصادرة ابن أبى الحسين على المال وامتحانه ولم يزل يستخرج منه حتى ادعى الاملاق واستحلف فحلف ثم ضرب فادعى مؤتمنا من ماله عند قوم استكشفوا عنه فأدوه ثم دل بعض مواليه على ذخيرة بداره دفينة فاستخرج منه زهاء ستمائة آلاف من الدنانير فلم يقبل بعدها مقاله وبسط عليه العذاب الى أن هلك فى ذى الحجة من سنته ودفن شلوه بحيث لم يعرف مدفنه واستبد أبو الحسن الخير على الدولة والسلطان وبعث أخاه أبا العلاء واليا على بجاية وأسف المشيخة والبطانة بعتوه واستبداده وما يتجشمونه من مكابرة بابه الى ان عاد وبال ذلك على الدولة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن اجازة السلطان أبى اسحق من الاندلس ودخول أهل بجاية فى طاعته)

كان السلطان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ستين لابى هلال عياد بن سعيد الهنتاتى وادال به من أخيه الامير أبى حفص فأقام واليا عليها الى أن هلك ببنى ورا سنة ثلاث وسبعين كما قدمنا وعقد عليها من بعده لابنه محمد وكان له غناء فى ولايته واضطلاع بأمره الى أن هلك المستنصر وولى ابنه الواثق فبادر الى انقياد طاعته وبعث وفد بجاية ببيعتهم ثم قلد أبو الحسن القائم بالدولة أخاه ادريس ولاية الاشغال ببجاية فقام بها وأفنى الاموال وتحكم فى المشيخة وأنف محمد بن أبى هلال من استبداده عليه فهم ادريس بنكبته فخشى محمد بن أبى هلال بادرته وداخل بعض بطانته فى قتله وفاوض الملا فيه فعدوا عليه لاول ذى القعدة سنة سبع وسبعين بمقعده من باب السلطان فقتلوه ورموا برأسه الى الغوغاء والزعانف فعبثوا به ووافق ذلك حلول السلطان أبى اسحق بتلمسان وكان عند بلوغ الخبر اليه بهلك أخيه المستنصر أجمع أمره على الاجازة لطلب حقه بعدما تردد برهة ثم اعتزم وعاد الى تلمسان ونزل على يغمراسن بن زيان فقام لمورده واحتفل فى مبرته وفعل أهل بجاية وابن أبى هلال فعلتهم وخشوا بوادر السلطان بالحضرة فخاطب السلطان أبا اسحق واتوه ببيعتهم وبعثوا وفدهم يستحثونه للملك فأجابهم ودخل اليها آخر ذى القعدة من سنته فبايعه الموحدون والملأ من أهل بجاية وقام بأمره محمد بن هلال ثم زحف فى عساكره الى قسنطينة فنازلها وبها عبد العزيز ابن عيسى بن داود فامتنعت عليه فأقلع عنها الى ان كان من أمره ما نذكره

لما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه ابن المبرد خول السلطان أبي اسحق بجاية شيع العساكر الى حربه وعقد عليها لعمه أبي حفص واستوزر له أبا زيد بن جامع فخرج من تونس واضطرب معسكره بجاية وعقد الواثق على قسنطينة لعبد العزيز بن عيسى ابن داود ولذمة صهر كانت له من ابن الجيد فتقدم الى قسنطينة ومانع عنها الامير أبا اسحق كما ذكرناه ثم اضطرب رأى ابن الجيد فى خروج الامير أبي حفص وأراد انقباض عسكره فكتب الواثق الى أبي حفص ووزيره ابن جامع يغرى كل واحد منهما بصاحبه فتفاوضا واتفقا على الدعاء للامير أبي اسحق وبعثوا اليه بذلك واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس منتبذا عن الخاصة والبطانة فاستيقن ذهاب ملكه وأشهد الملأ وانخلع عن الامر لعمه السلطان أبي اسحق غرة ربيع الاول من سنة ثمان وسبعين وتحول عن قصور الملك بالقصبة الى دار الاقورى وانقرضت دولته وأمره والبقاء لله وحده

(الخبر عن استيلاء السلطان أبي اسحق على الحضرة)

لما بلغ السلطان أبا اسحق كتاب أخيه الامير أبي حفص وابن جامع من بجاية بادر مغذا اليهم ثم وافاه خبر انخلاع الواثق ابن أخيه بتونس فارتحلوا جميعا وسائر أهل الحضرة على طبقاتهم الى لقائه وآتوا طاعتهم ودخل الحضرة منتصف الحجة آخر سنة ثمان وسبعين ومحمد بن هلال شيخ دولته وعقد على حجابته لابي القاسم بن الشيخ كاتب أبي الحسن وعلى خطة الاشغال لابن أبي بكر بن الحسن بن خلدون كان وفد مع ابنه الحسن على الامير أبي زكريا من اشبيلية لذمة رعاها لهم لما كانت أم ولده أم الخلائف من هدايا ابن المحتسب أبي زكريا محلهم ورحل الحسن الى المشرق ومات هنالك وبقى ابنه أبو بكر بالحضرة فاستعمله الامير أبو اسحق لاول دخوله فى خطة الاشغال ولم يكن يليها الا الموحدون كما قلناه وعقد لفضل بن على بن مزنى على الزاب ولم يكن أيضا يليه الا الموحدون لكن رعى لفضل بن مزنى ذمة اغترابه معه الى الاندلس فعقد له على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلاد قصطيلة ثم تقبض على أبي الخير وأمر باعتقاله ودفعه الى موسى بن محمد بن ياسين للمصادرة والامتحان ووجد بمكان التمائم عليه طوابع وطلسمات مختلفة الاشكال والصور وتسحر بها فيما زعموا مخدومه فجاوبه وكان شأنه الامتحان والاستخلاف والهلاك شأن سعيد أبي الحسن أيام صولته الى أن هلك فى شهر جمادى الاولى من سنته والله لا يظلم مثقال ذرة ولما اعتقد السلطان أبو اسحق كرسى ملكه واستوثق عرى خلافته تقبض على محمد بن أبي هلال وقتله بحبس نكبته سنة ست وسبعين لما كان يتوقع منه من المكروه فى الدولة وما عرف

به من المساعى فى الفتنة والله أعلم

لما انخلع الواثق عن الامر وتحول الى دار الاقورى فأقام بها أياما وكان له ثلاثة من الولد أصاغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه ثم نمى عنه للسلطان أبي اسحق انه يروم الثورة وانه داخل فى ذلك بعض رؤساء النصارى من الجند فأقلق مكان ترشيحه واعتقله بمكان اعتقال بنيه وهو من القصبة أيام أخيه المستنصر ثم بعث اليهم ليلتهم فذبحوا جميعا فى شهر صفر سنة تسع وسبعين واستوثق له الامر وأطلق من عنان الامارة لولده الى ان كان من شأنهم ما نذكر ان شاء الله تعالى

{الخبر عن ولاية الامير أبي فارس ابن السلطان أبي اسحق على بجاية بعهد أبيه والسبب فى ذلك}

كان للسلطان أبي اسحق من الابناء خمس أبو فارس عبد العزيز وكان أكبرهم وأبو محمد عبد الواحد وأبو زكريا يحيى وخالد وعمر وكان السلطان المستنصر قد حبسهم عند فرار أبيهم الى رياح فى أيامه ببعض حجر القصر وأجرى عليهم رزقا فنشؤا فى ظل كفالته وجميم رزقه الى ان استولى أبوهم السلطان أبو اسحق على الملك فطلعوا ابا آفاقه وطالت فروعهم فى دوحه واشتملوا على العز واصطنعوا أهل السوابق من الرجال وأرخى السلطان لهم ظلهم فى ذلك وكان المجلى فيها كبيرهم أبو فارس لما كان مرشحا لولاية العهد وكان ممن اصطنعه وألقى عليه رداء محبته فى الناس وعنايته أحمد بن أبي بكر بن سيد الناس اليعمرى وأخوه أبو الحسين لسابقة رعاها لهما وذلك أن أباهما أبا بكر بن سيد الناس كان من بيوت اشبيلية حافظا للحديث راوية ظاهريا فى فقهه على مذهب داود وأصحابه وكانت لاهل اشبيلية خصوصا من بين الناس الاندلس فلما تكالب الطاغية على الدولة والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشف الى قواعدها وامصارها أجاز الاعلام وأهل البيوت الى أرض المغربين وافريقية وكان قصدهم الى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية فلما رأى الحافظ أبو بكر اختلال أحوال الاندلس وقبح مصايرها وخفة ساكنها أجمع الرحلة عنها الى ما كان بتونس من سابقته عند هؤلاء الخلفاء فأجاز البحر ونزل بتونس فلقاه السلطان تكرمة وجعل اليه تدريس العلم بالمدرسة عند حمام الهواء التى أنشأتها أمه أم الخلائف ونشأ بنوه أحمد وأبو الحسن فى جو الدولة وحجر كفالتها للاختصاص الذى كان لابيهم بها وعدلوا عن طلب العلم الى طلب الدنيا وتشوفوا الى مراتب السلطان واتصلوا بأبناء السلطان أبي اسحق بمكانهم من حجر القصر حيث أنزلهم عمهم بعد ذهاب أبيهم فخالطوهم واستخدموا

لهم ولما استولى السلطان على الامر ورشح ابنه أبا فارس للعهد وأجراه على سنن الوزارة فاصطنع أحمد بن سيد الناس ونوه باسمه وخلع عليه ملبوس كرامته واختصه بلقب حجابته وأخوه أبو الحسين يناهضه فى ذلك عنوة ونفس ذلك عليهما البطانة فأغروا السلطان أبا اسحق ثانية وخوفوه شأنه وان أحمد بن سيد الناس داخله فى التوثب بالدولة وتولى كبر هذه السعاية عبد الوهاب بن قائد الكلاعى من علية الكتاب ووجوههم كان يكتب للعلامة يومئذ فسطا السلطان بابن سيد الناس سنة تسع وستين آخر ربيع استدعى الى باب القصر فتعاورته السيوف هبرا وووري شلوه ببعض الحفر وبلغ الخبر الى الامير أبى فارس فركب الى أبيه فى لبوس الحزن فعزاه أبوه عن ذلك بأنه ظهر لابن سيد الناس على المكر والخديعة بالدولة واماط سواده بيده ونجا أبو الحسين من هذه المهلكة واعتقل فى لمة من رجال الامير أبى فارس بعد ان توارى أياما الى أن أطلق من محبسه وكان من أمره مانذكره بعد واستبلغ السلطان فى تأنيس ابنه ومسح الضغينة عن صدره فعقد له على بجاية وأعمالها وأنفذه اليها أميرا مستقلا وأنفذ معه فى رسم الحجابة جدى محمد ابن صاحب اشغاله أبى بكر بن الحسن بن خلدون فخرج اليها سنة تسع وستين وقام بأمرها ولم يزل أميرا بها الى آخر دولته كما نذكر والله أعلم

بياض بالاصل

اسم هذا الرجل أبو بكر بن موسى بن عيسى ونسبته فى كومية من بيوت الموحدين كان مستخدما لابن كلداسن الوالى بقسنطينة فكان له غناء وصداقة وولاه السلطان أبو اسحق حافظا على قسنطينة واتصلت ولايته وهلك المستنصر واضطربت الاحوال ثم ولاه الواثق ثم السلطان أبو اسحق وكان ابن وزير هذا طموعا جموعا لاموال الناس لايعل وعلم أن قسنطينة معقل ذلك الثغر وحصنه فحدثته نفسه بالامتناع بها والاستبداد على الدولة وساء أثره فى أهلها فرفعوا أمرهم الى السلطان أبى اسحق واستعدوه فلم يعدهم لمارأى من مخايل الحرابة من الطاغية وكتب هو بالاعتذار والنكير لما جاءبه فتقبله وأعطى له من هنياته ولما مربه الامير أبو فارس الى محل امارته من بجاية سنة تسع وسبعين قعد عن لقائه وأوفد اليه جماعة من الصلحاء بالمعاذير والاستعطاف فنجحه من ذلك كفاء مرضاته حتى اذا أبعد الامير أبو فارس الى بجاية اعتزم على الانتزاء كاتب ملك ارغون فى جيش من النصارى يكون معهم فى ثغره يردهم الغزو على أن يكون فيما زعم وادا عية له فأجابه ووعده ببعث الاسطول اليه فجاهر بالخلعان وانتزى بثغر قسنطينة داعيا لنفسه آخر سنته وزحف اليه الامير أبو فارس من بجاية فى عساكره واحتشد الاعراب وفرسان القبائل الى أن احتل ميلة ووفد عليه من

أهل قسنطينة جمع من الرعية بعثهم ابن وزير فأعرض عنهم وقصد قسنطينة فى أول ربيع سنة احدى وثمانين فنازلها وجمع الايدى على حصارها ونصب المجانيق وقرد نواعد الرماة وقاتلها يوما أو بعض يوم وتسور عليهم المعقل من بعض جهاته وكان المتولى لتسوره صاحبه محمد بن أبى بكر بن خلدون وابان بن وزير عند الصدمة حتى أحيط به وقتل هو وأخوه وأشياعهما ونصبت رؤسهم بسور البلد وغشى الامير فى سكك البلد مسكنا ومؤنسا وأمر برم ماتثلم من الاسوار وباصلاح القناطر ودخل الى القصر وبعث بالفتح الى أبيه بالحضرة وجاء اسطول النصارى الى مرسى القل فى مواعدة ابن وزير فأخفق مسعاهم وارتحل الامير أبو فارس ثالثة الفتح الى بجاية فدخلها آخر ربيع من سنته والله أعلم

(الخبر عن قيادة ابن السلطان العساكر الى الجهاد)

كان السلطان يؤثر ابناءه بمراتب ملكه ويوليهم خطط سلطانه شغفا بهم وترشيحا لهم فعقد فى رجب سنة احدى وثمانين لابنه الامير زكريا على عسكر من الموحدين والجند وبعثه الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم جباياتها فخرج اليهم وقضى شأنه من حركته وانصرف الى تونس فى رمضان من سنته ثم عقد لابنه الآخر أبى محمد عبد الواحد على عسكره وأنفذه الى وطن هوارة لانقضاء مغارمهم وجباية ضرائبهم وفرائضهم وبعث معه عبد الوهاب بن قائد الكلاعى مباشر الذلك وواسطة بينه وبين الناس فانتهى الى القيروان وبلغه شأن الدعى وظهوره فى ذباب بنواحى طرابلس فطير بالخبر الى السلطان وأقبل على شأنه ثم انتشر أمر الدعى وانكفأ راجعا الى تونس والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

كان السلطان لما أجاز البحر من الاندلس لطلب ملكه ونزل على يغمراسن بن زيان بتلمسان فاحتفل لقدومه وأركب الناس للقائه وأتاه ببيعته على عادته مع سلفه لما علم انه أحق بالامر ووعده النصرة من عدوه والموازرة على أمره وأصهر اليه فى احدى بناته المقصورات فى خيام الخلافة بابنه عثمان تشريفا خطبه منه فأولاه اسعافا به ولما استولى السلطان على حضرته واستبد بأحوال ملكه بعث يغمراسن ابنه ابراهيم المكنى بأبى عامر فى وفد من قومه لاتمام ذلك العقد فاعتمد السلطان مبرتهم وأسعف طلبتهم وأقاموا بالحضرة أياما وظهر من اقدامهم فى فتن الدعى مقامات وانصرفوا بظعينتهم سنة احدى وثمانين محبوين وابتنى بها عثمان لحين وصولها فكانت من عقائل قصورهم ومفاخر دولتهم وذكرا لهم ولقومهم الى آخر الايام

الخبر عن ظهور الدعى أبى عمارة وما وقع من الغريب فى أمره

كان أحمد بن مرزوق أبو عمارة من بيوتات بجاية الطارئين عليها من المسيلة نشأ ببجاية وسيما محترفا بصناعة الخياطة غمرا وكان يحدث نفسه بالملك لما كان يزعم أن العارفين يخبرونه بذلك وكان هو يخط فيريه خطه ذلك ثم اغترب عن بلده ولحق بصحراء سجلماسة واختلط بعرب المعقل وانتمى الى أهل البيت وادعى أنه الفاطمى المنتظر عند الاغمار وانه يحيل المعادن الى الذهب بالصناعة فاشتملوا عليه وحدثوا بشأنه أياما أخبرنى طلحة ابن مظفر من شيوخ العمارنة احدى بطون المعقل انه رآه أيام ظهوره بالمعقل ملتبسا بتلك الدعوى حتى فضحه العجز ثم لما زهدوا فيه لعجزه دعاه ذهب يتقلب فى الارض حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على ذباب وصحب منهم الفتى نصيرا مولى الواثق بن المستنصر ويلقب برى ولما رآه تبين فيه شبها من الفضل ابن مولاه فطفق يبكى ويقبل قدميه فقال له ابن أبى عمارة ما شأنك فقص عليه الخبر فقال صدقتنى فى هذه الدعوى وأنا أثأرك ممن قاتلهم وأقبل نصير على أمراء العرب مناديا بالسرور بابن مولاه حتى خيل عليهم ثم نزل بادس الى ابن أبى عمارة من محاورات وقعت بين العرب وبين الواثق قصها عليهم ابن أبى عمارة نفيا للريب بأمره فصدقوا واطمأنوا وأتوه بيعتهم وقام بأمره صرغم ابن صابر بن عسكر أمير ذباب وجمع له العرب ونازلوا طرابلس وبها يومئذ محمد بن عيسى الهنتاتى وشهر بعنق الفضة فامتنعت عليهم ورحلوا الى بحر بين الموطنين بزيزور وجهاتها من هوارة فأوقعوا بهم ثم سار فى تلك النواحى واستوفى جباية لماية وزواوة وأغرم نفوسة وغريان ونفزة من بطون هوارة وضائع ألزمها اياهم واستوفاها ثم زحف الى قابس فبايع له عبد الملك بن مكى فى رجب سنة احدى وثمانين وأعطاه صفقته طواعية وفاء بحق آبائه فيما طوقوه وذريعة الى الاستقلال الذى كان يؤمله وأعلن بخلافته ونادى بقومه واستخدم له بنى كعب بن سليم ورياستهم فى بنى شيخه لعبد الرحمن ابن فأجابوا داعيه وأنابوا الى خدمته وتوافت اليه بيعة أهل حزبه والحامية وقرى نفزاوة ثم زحف الى توزر وبلاد قصطيلة فأطاعوه ثم رجع الى قفصة فبايع له أهلها وعظم أمره وعلا صيته فجهز اليه السلطان أبو اسحق العساكر من تونس كما نذكره والله تعالى أعلم

ناقص بالأصل

لما تفاقم أمر الدعى بنواحى طرابلس ودخل الكثير من أهل الانصار فى طاعته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الامير أبى زكريا على حربه فخرج من تونس ونازل القيروان واقتضى منها غرائم ووضائع استأثرتها بأموال ثم ارتحل الى لقاء الدعى

وانتهى

وانتهى الى غرده وبلغه هنالك ما كان من استيلاء الدعى على قفصة فأرجف به العسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها آخر يوم من رمضان من سنته وارتحل الدعى على أثره من قفصة واحتل بالقيروان فبايع له أهلها واقتدى به أهل المهدية وصفاقس وسوسة فبايعوا له وكثر الارجاف بتونس فاضطرب السلطان واخرج معسكره بظاهر البلد فى وسط شوال وضرب الغزو على الناس واستكثر من العدد وخرج الى معسكره بظاهر البلد وتلوم بها لازاحة العلل وارتحل الدعى من القيروان زاحفا اليه فتسربت اليه طبقات الجنود ومشيخة الموحدين رضى الله عنهم بمكانه وطاغية بنى المستنصر خليفتهم الطويل أمد الولاية عليهم رحمة لما نازل الواثق وأبناءه من عملهم ثم انفض عن السلطان كبير الدولة موسى بن ياسين فى معظم من الموحدين ولحق الدعى بطريقه فاحتمل من السلطان وانتقضت عرى ملكه وفر الى بجاية كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن لحاق السلطان أبى اسحق بجاية ودخول الدعى بن أبى عمارة الى تونس وما كان من أمره بها

لما انفض معسكر السلطان أبى اسحق آخر شوال من سنة احدى وثمانين ركب فى خاصته وبعض جنوده ذاهبا الى بجاية ومر بتونس فوقف عندها ثم احتمل أهله وولده وسار فى كاب البرد فكان يعانى من قلة الاقوات وتعاور المطر والثلج شدة وكان يصانع القبائل فى طريقه سلماله ثم مر بقسنطينة فمنعه عاملها عبد الله بن نوفيان الهرغى من دخولها وقرب اليه بعض القرى من الاقوات وارتحل الى بجاية وكان من أمره ما نذكر ودخل الدعى بن أبى عمارة الى الحضرة وقلد موسى بن ياسين وزارته وأبا القاسم أحمد بن الشيخ حجابته وتقبض على صاحب الاشغال أبى بكر بن الحسين بن خلدون فاستصفاه وصادره على مال امتحنه عليه ثم قتله خنقا وصرف خطة بجاية الى عبد الملك بن مكى رئيس قابس واستكمل ألقاب الملك وقسم الخطط بين رجال الدولة وصرف همه الى غزو بجاية والله تعالى أعلم

ناقص بالأصل

لما وصل السلطان أبو اسحق الى بجاية فى شهر ذى القعدة من سنته طريدا عن ملكه غافلا عن كرسى سلطانه انتضى عليه ابنه الامير أبو فارس ومنعه من الدخول الى قصره فنزل بروض الرفيع وأراده على الخلع فانخلع له وأشهد الملأ من الموحدين ومشيخة بجاية بذلك وأنزله قصر الكوكب ودعا الناس الى بيعته آخر ذى القعدة فبايعوه وبلغت المعتمد على الله ونادى فى أوليائه من رياح وسدويكش وخرج من

بجاية زاحفا الى الدعى واستخلف عليه أخاه الامير أبازكريا وخرج معه الامير أبو حفص وأخواه فكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن زحف الامير أبى فارس للقاء الدعى ثم انهزامه امامه واستلحامه واخوته فى المعركة وما كان اثر ذلك من مهلك أبيهم السلطان أبى اسحق وفرار أخيهم الامير أبى زكريا الى تلمسان}

لما بلغ الخبر الى الدعى باستبداد الامير أبى فارس على أبيه واستعداده للقائه تقبض على أهل البيت الحفصى فاعتقلهم بعد ان هم بقتلهم وخرج من تونس فى عساكر من الموحدين وطبقاتهم الجند فى صفر سنة ثنتين وثمانين فانتهى الى مرماجنة وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول فاقتتلوا عامة يومهم ثم اختل مصاف الامير أبى فارس وتخاذل انصاره فقتل فى المعركة وانتهب معسكره وقتل اخوته صبرا عبد الواحد قتله الدعى بيده وعمر وخالد وأبو محمد بن عبد الواحد وبعث برؤسهم الى تونس فطيف بها على الرماح ونصبت باسوار البلد وتخلص عمه الامير أبو حفص من الواقعة الى ان كان من أمره ما نذكر وبلغ خبر الواقعة الى بجاية فاضطرب أهلها وماج بعضهم فى بعض وخرج السلطان أبو اسحق وابنه الامير أبو زكريا الى تلمسان فقدم أهل بجاية عليهم محمد ابن السيد فاغتافهم بطاعة الدعى وخرج فى اثناء السلطان فأدركه بجبل بنى غبرين من زواوة فتقبض عليه ونجا الامير أبو زكريا الى تلمسان وبقى السلطان أبو اسحق ببجاية معتقلا ريثما بلغ الخبر الى تونس وأرسل الدعى محمد بن عيسى بن داود فقتله آخر ربيع الاول سنة ثنتين وانقض أمره ولله عاقبة الامور لا رب غيره ولا معبود سواه

قد ذكرنا أن الامير أبا حفص حضر واقعة بنى أخيه مع الدعى بمرماجنة فخلص من المعركة راجلا ونجا الى قلعة سنان معقل هوارة القريب من مكان الملحمة ولاذ به فى ذهابه الى منجاته ثلاثة من صنائعهم أبو الحسن بن أبى بكر بن سيد الناس الفازازى ومحمد بن أبى بكر بن خلدون وهو جد المؤلف الاقرب وربما كانوا يتناقلونه على ظهورهم اذا أصابه الكلال ولما نجا الى قلعة سنان تحدث به الناس وشاع خبر منجاته اليها وكان الدعى قد أسف العرب وثقلت وطأته عليهم بما كان يسىء الملكة فيهم فليوم دخوله شكا اليه الناس عيثهم فتقبض على ثلاثة منهم وقتلهم وصلبهم ثم سرح شيخ الموحدين عبد الحق ابن تافراكين لحسم عللهم واوعز اليه بالاثخان فيهم فاستلحم من لقى منهم ثم تقبض على مشايخ بنى علاك وأودع سجونه منهم نحوا من الثمانين فساء أثره فيهم وتطلبوا أعياص

بياض بالاصل

البيت

البيت وتسامعوا بخبر الامير أبى حفص بمكانه من قلعة سنان فرحلوا اليه وأتوه ببيعتهم فى ربيع سنة ثلاث وثمانين وجمعوا له شيأ من الآلة والاخبية وقام بأمره أبو ليل بن أحمد أميرهم وبلغ الخبر الى الدعى فداخلته الظنة فى أهل دولته وتقبض على أبى عمران ابن ياسين شيخ دولته وعلى أبى الحسن بن ياسين وابن وانودين وعلى الحسن بن عبد الرحمن يعقوب زناتة فامتحنهم واستصفى أموالهم ثم قتلهم آخرا وتوجع لهم الناس واضطرب أمر الدعى الى ان كان ما نذكره انتهى

{الخبر عن خروج الدعى ورجوعه واستيلاء السلطان أبى حفص على ملكه وغلبه ومهلكه}

لما ظهر السلطان أبو حفص وبايعه العرب تسامع به أهل الحضرة واجتمع اليه الناس وأوقع الدعى بأهل الدولة فمقتوه وخرج من تونس يريد قتاله فأرجف به أهل العسكر ورجع منهزما ودخلت البلاد فى طاعة السلطان أبى حفص ونهض الى تونس فنزل بسجوم قريبا منها وعسكر الدعى بظاهر البلد تجاهه وطالت بينهما الحرب أياما والناس كل يوم يستوضحون خبء الدعى ومكره الى ان تبرؤا منه وأسلموه ورحل من مكان معسكره ولاذ بالاختفاء ودخل السلطان البلد فى ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين واستولى على سرير ملكه وطهر من الدنس قاصيه ودانيه واختفى الدعى بتونس وغاص فى لجة ساكنيها وأحاط به البحث فعثر عليه ليالا من مدخل السلطان بدور بعض السوقة يعرف بأبى قاسم القرمادى فهدمت لحينها ونزل الى السلطان فأحضر له الملأ ووبخه وسأله فاعترف بادعائه فى نسبهم فأمر بامتحانه وقتله وذهب فى غير سبيل مرحمة وطيف بشلوه ونصب رأسه وكان عبد الله بن يغمور المباشر لقتله وكان خبره من المثلات واستبد السلطان بملكه وتلقب المستنصر بالله وبادر الناس الى الدخول فى طاعته وبعث أهل القاصية ببيعتهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما وعقد للشيخ أبى عبد الله الفازازى على عساكره على الحروب والضاحية وأقطع البلاد والمغارم لاقرب رعيا لذمة قيامهم بأمره ولم يكن لهم قبلها اقطاع وكان الخلفاء قبله يتحامون عن ذلك لا يفتحون فيه على أنفسهم بابا وأقام متمتعا فى ماله وفى حضرته الى ان كان ما نذكر ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

كان من أعظم الحوادث تكالب العدو فى أيام هذا السلطان على الجزر البحرية فاستولت أساطيلهم على جزيرة جربة فى رجب من سنة ثمان وثمانين ورياستها يومئذ من محمد بن مهومن شيخ الوهبية ويخلف بن امغار شيخ النكارة وهما فرقتا الخوارج وزحف اليها المراكيا صاحب صقلية باتباع العدريك بن البريدا كون ملك برشلونة

شاطئة البحر وكانوا فيما قيل سبعين اسطولا من غربان وشوانى وضايقهم مرارا ثم تغلبوا عليها فانتهبوا أموالها وحملوا أهلها أسرا وسبيا فقيل انهم بلغوا ثمانية آلاف بعد أن رموا بالرضف فى الجبوب فكانت هذه الواقعة من أشجى الوقائع للمسلمين ثم بنوا بساحلها حصنا واعتمروه وشحنوه حامية وسلاحا وفرض عليهم المقرب مائة ألف دينار كل سنة وأقام على ذلك المرابطا الى رأس المائة وبقيت الجزيرة فى ملك النصارى الى أن عادوا الى مالقة أواخر الاربعين والسبعمائة كما نذكره وفى سنة خمس وثمانين ظفر العدو بجزيرة ميورقة ركب اليها طاغية برشلونة اساطيله فى عشرين أسطولا من الرجال المقاتلة ومروا بميورقة كانهم تجر من البحار وطلبوا من أبى عمر بن حكيم ورديسا النزول للاستقاء فأذن لهم فلما تساحلوا آذنوا أهلها بالحرب فتزاحفوا ثلاثا يثخن فيهم المسلمون فى كلها قتلا وجراحة بما ناهز آلافا والطاغية فى بطارقته فانحدر عن الزحف فلما كان اليوم الثالث واستولت الهزيمة على قومه زحف الطاغية فى العسكر فانهزم المسلمون ولجؤا الى قلعتهم فانحصروا بكعابها وعقدوا لابن حكم ذمة فى أهله وحاشيته فخرجوا الى سبتة ونزل الباقون على حكم العدو وسار الى ميورقة واستولى على ما فيها من الذخيرة والعدة والامر بيد الله وحده وفى سنة ست وثمانين بعدها غدر النصارى بمرسى الخزور فاقتحموها بعد أن ثلموا أسوارها واكتسحوا ما فيها واحتملوا أهلها اسرى وأضرموا بيوتها ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا الى بلادهم وفيها أو فى سنة تسع بعدها نازل اسطول العدو مدينة المهدية وكان فيها الفرسان لقتالها فزحفوا اليها ثلاثا ظفر بهم المسلمون فى كلها ثم جاء مدد أهل الاجم فانهزم العدو حتى اقتحموا عليهم الاسطول وانقلبوا خائبين وتمت النعمة

الخبر عن استيلاء الامير أبى بكر زكريا على الثغر المغربى
بجاية والجزائر وقسنطينة وأولية ذلك ومصايره

كان للامير أبى بكر زكريا ابن السلطان من الترشيح للامر بهديه وشرف همته وحسن ملكته ومخالطته أهل العلم ما يشهد له بحسن حاله وهو الذى اختط المدرسة للعلم ازاء دار الاقورى حيث كان سكناه بتونس ولما لحق بتلمسان بعد منجاته من مهلك أبيه بجاية نزل على صهره عثمان بن يغمراسن بتلمسان وجاء فى أثره أبو الحسن بن أبى بكر بن سيد الناس صنيعة أبيه وأخيه بعد أن خاص مع السلطان أبى حفص من الواقعة التى من ماجنة فلما بايع له العرب وبدت مخايل الملك رأى أبو الحسن ايثار السلطان للفازازى عليهم فنكب عنه ولحق بالامير أبى زكريا بتلمسان واستحثه لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية مالا أنفقه فى اقامة ابهة الملك له وجمع الرجال واصطنع

الاولياء وفشا الخبر بما رومه من ذلك فصده عثمان بن يغمراسن عنه بما كان تقلد من طاعة السلطان أبى حفص على سننهم مع الخلفاء بالحضرة قبله فاعتزم الامير أبو زكريا على شأنه وخرج من تلمسان موريا بالصيد الذى كان ينتحله أيام قيامه بينهم ولحق بداود بن هلال بن عطاف أمير بنى يعقوب وكافة بنى عامر من زغبة وأوعز عثمان بن يغمراسن الى داود برده اليه فابى من اخفار ذمته وارتحل معه بقومه الى آخر بلاد زغبة ونزلوا على عطية بن سليمان بن سباع من رؤساء الزواودة فتلقاه بالطاعة وارتحلوا جميعا الى ضواحى قسنطينة فدخل العرب وسودريكش فى طاعته ونازل البلد سنة ثلاث وثمانين وعاملها يومئذ أبو نوفيان من مشيخة الموحدين وكان صاحب بجاية يومئذ أبو الحسن بن طفيل كان له من اعمال صهره فداخل الامير أبا زكريا فى شأن البلد وشرط لنفسه وصهره فأمضى السلطان شريطتهم وأمكنوه من البلد وأقاموا بها دعوته وارتحل الى بجاية وكان قد حدث فيها اضطراب بين أهلها أدى الى الخلاف والتباين واستحثوا الامير أبا زكريا فأغذ السير اليهم ودخلها سنة أربع وثمانين ويقال ان ملكه بجاية كان سابقا على ملكه بقسنطينة وهو الاصح فيما سمعناه من شيوخنا وبعث اليهم أهل الجزائر بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور الغربية وتلقب المنتخب لاحياء دين الله وأغفل ذكر أمير المؤمنين أدبا مع عمه الخليفة بالحضرة حيث ملأ الموحدين أهل الحل والعقد من الجماعة ونصب للحجابة أبا الحسن بن سيد الناس فقام بها ورسخ ملكه وملك بنيه بهذه الناحية الغربية وانقسمت به الدولة الى أن خلص الامر للملوك من عقبه واستولوا على الحضرة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

بياض بالاصل

لما استولى الامير أبو زكريا على الناحية الغربية واقتطعها من أعمال الحضرة اعتمد فى الحركة على تونس فنهض اليها فى عساكره سنة خمس وثمانين ووفد عليه عبد الله بن رحاب بن محمود من مشيخة ذباب ومانعه الفازازى عن احواز تونس فنازل قابس وحاصرها وكان له فى قتالها أثر واستولت الهزيمة على مقاتلتها ذات يوم فأثخن فيهم قتلا وأسرا وهدم ربضها وأحرق المنازل والنخل وارتحل الى مسراته وكان من خبره أن الامير أبا زكريا لما فصل من تلمسان لطلب ملكه على كره منه وامتنع جاره وداود ابن عطاف من رده وامتلأ له عداوة وحقدا جدد البيعة لصاحب تونس وأوفد بها على بن محمد الخراسانى من صنائعه وكان له اثناء ذلك ظهور على ابن توجين ومغراوة بالمغرب الاوسط وضاق ذرع أهل الحضرة بمكان الامير أبى زكريا من مطالبتهم

وتدويخه لقاصيتهم فداخلوا عثمان بن يغمراسن فى منازلة معقله بعد بجاية ليردوه على عقبه عنهم فزحف الى بجاية سنة ست وثمانين ونازلها أياما وامتنع عليه سائر ضواحيها فلم يظفر بأكثر من الاطلال عليها وانكفأ الامير أبو زكريا راجعا الى بجاية سنة ست وثمانين الى ان كان من أمره ما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فاتحة استبداد أهل الجزيرة)

كان بعض الايام بين سداده وكثومة من عمل تقويس فتنة قتل فيها ابن شيخ سداده وأقسم لينارن فيه بشيخ كثومة نفسه وكان عامل توزر محمد بن أبى بكر التينملل من مشيخة الموحدين فتذمم شيخ كثومة وبذل له مالا على نصره من عدوه فكاتب الحضرة وأعلن بالخلاف أهل اسوادوا واحتشد لهم أهل نفطة وتقيوس وخرج فى حشد أهل توزر وغزاهم فى بلدهم ولاذوا باعطاء الرهن وبذل المال فلم يقبل فامدهم أهل نفزاوة وزحفوا اليه فانهزمت جموعه وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا الى توزر وذلك سنة ست وثمانين ثم عاود غزوهم عقب ذلك ففتحوا واعليه ثم عقد لهم سلما على الوفاء بمغارمهم واشترطوا أن لا حكم عليهم فى سواها وان رؤساء نفزاوة منهم فأمضى شرطهم وكان أول استبداد أهل الجريد كما نذكره ان شاء الله تعالى

كان أبو دبوس آخر خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش لما قتل سنة ثمان وخمسين وستمائة وافترق بنوه وتقلبوا فى الارض لحق منهم عثمان بشرق الاندلس ونزل على طاغية برشلونة فأحسن تكرمته ووجد هنالك أعقاب عمه السيد أبى زيد المنتصر أخى أبى دبوس فى مثواهم من ايالة العدو وكان لهم هنالك مكان وجاه لنزوع أبيهم السيد أبى زيد عن دينه الى دينهم فاستبلغوا فى مساهمة قريبهم هذا الوافد وخطبوا له عن الطاغية خطبا ووافق ذلك حصول مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجوارى من بنى ذباب فى قبضة أسره وكان قد أسره الغزى من أهل صقلية بنواحى طرابلس سنة ثنتين وثمانين وباعوه من أهل برشلونة فاشتراه الطاغية وقام عنده أسيرا الى ان نزع اليه عثمان بن أبى دبوس هذا كما ذكرناه وشهر بطلب حق الدعوة الموحدية وأمل الظفر فى القاصية لبعدها عن الحامية فعبر البحر الى طرابلس وكان من حظوظ كرامته عند الطاغية ان أطلق له مرغم بن صابر وعقد له حلفا معه على مظاهرته وجهز له أساطيل وشحنها بالمدد من المقاتلة والاقوات على مال شرطوه فنزلوا على طرابلس سنة ثمان وثمانين واحتشد مرغم قومه وحملهم على طاعة ابن أبى دبوس ونازلوا البلد معه ومع جنده من النصرانية فحاصروهم ثلاثا وساء أثرهم فيها ثم رحل النصارى باسطولهم ورسوا بأقرب السواحل

الى

الى البلد وتنقل ابن أبى دبوس ومرغم فى نواحى طرابلس بعد أن أنزلوا عليها عسكرا للحصار فاستوفوا من جباية المغارم والوضائع ما لا دفعوه للنصارى فى شرطهم وانقلبوا فى اسطولهم وأقام ابن أبى دبوس يتقلب مع العرب واستدعاه ابن مكى من بعد ذلك لان يشتد به فى استبداده فلم يتم أمره الى أن هلك بجربة والله وارث الارض ومن عليها

{ الخبر عن مهلك أبى الحسن بن سيد الناس
حاجب بجاية وولاية ابن أبى حى مكانه }

قد قدمنا سلف هذا الرجل وأوليته وانه لحق بالامير أبى زكريا بتلمسان وأبلى فى خدمته فلما استولى الامير أبو زكريا على الثغر الغربى واقتطعه عن اعمال الحضرة ونزل بجاية وظاهره بنو الونس عقد لابى الحسن بن سيد الناس على حجابته وفوض اليه فيما وراء بابه وأجراه فى رياسته على سنن أبى الحسن الرئيس قبله فى دولة المستنصر الذى كانوا ينقلون طرقه وينزعون الى مراميه بل كانت رياسة هذا فى حجابته أبلغ من رياسة ابن أبى الحسن لجلاء جو الدولة بجاية من مشيخة الموحدين الذين يزاحمونه كما كان ابن أبى الحسن من احماتهم فاستولى أبو الحسن بن سيد الناس على الدولة بجاية وقام بأمر مخدومه أحسن قيام وصار الى الحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وتمكن فى يده الزمام الى أن هلك سنة تسعين أعظم ما كان رياسة وأقرب من صاحبه مكانا وشرفا فأقام الامير أبو زكريا مكانه كاتبه أبا القاسم بن أبى حى ولا أدرى من أوليته أكثر من أنه من جالية الاندلس ورد على الدولة وتصرف فى اعمالها واتصل بأبى الحسن بن سيد الناس فاستكتبه ثم رقاه واستخلصه لنفسه وأجره رسنه وتناول زمام الدولة من يد سيد الناس فقادها فى يد مظفر خدمته حتى اجتمعت عليه الوجوه وأهل الخاصة واطلع السلطان على اضطلاعه وكفايته فى أمور مخدومه وهلك أبو الحسن بن سيد الناس فرشحه السلطان بخطته فقام بها سائر أيامه وصدرا من أيام ابنه الامير أبى البقاء حتى كان من أمره ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى من أمره

{ الخبر عن خروج الزاب عن طاعة الامير أبى حفص
الى طاعة الامير أبى زكريا وانتظام بسكرة فى جماعته }

كان السلطان أبو اسحق قد عقد على الزاب لفضل بن على بن مزنى من مشيخة بسكرة كما قدمناه فقام بأمره ولما هلك السلطان عدا عليه بعض أفاريق العرب الموطنين قرى الزاب بمداخلة قوم من أعدائه وقتلوه سنة ثلاث وثمانين كما نذكره وأملوا الاستبداد بالبلد فدفعهم عنها المشيخة من بنى زيان واستقلوا بأمر بلدهم وبايعوا للامير أبى

حفص صاحب الحضرة ودانوا بطاعته على السنن وتوافقوا ادانيه منصور بن فضل بن مزنى وكان لحق بالحضرة عند مهلك ابنه بكرفة من أحياء هلال بن عامر وهم العرب المتولون أمر جبل أوراس ونزل على الشيبه بأفاريقهم فاركبوه وكسبوه ولحق بجاية سنة ثنتين وسبعين فنزل بباب السلطان ورغبه فى ملك الزاب وصانع الحاجب ابن أبى حى بأنواع التحف وضمن له تحويل الدعوة بالزاب للسلطان الامير أبو زكريا وتسريب جبايته اليه فاستماله بذلك وعقد له على الزاب وامده بالعسكر ونازل بسكرة فامتنعت عليه ورأى مشيختها بنو دمار بعدهم عن صريخ تونس والحاح عدوهم منصور ابن فضل فأعلنوا بطاعة الامير أبى زكريا وبعثوا اليه ببيعتهم ووفدهم ودفع عادية ابن مزنى عنهم فأرجعهم بما أملوه من القبول وأن تكون أحكامهم الى قائد عسكره ونظر ابن مزنى مصروفا الى بجاية ولما وصل الوفد الى بسكرة خرجوا الى القائد ومنصور بن مزنى فأدخلوه البلد ودانوا بالطاعة وتصرفت الامور على ذلك الى أن كان من أمر منصور بن مزنى مانذكره فى اخباره ولم يزل الزاب فى دعوة الامير أبى زكريا وبنيه الى ان استولى على الحضرة وبنوه لهذا العهد كما تراه فى الاخبار بعد ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن مهلك عبد الله الفازازى شيخ الموحدين﴾
﴿والحاجب أبى القاسم بن الشيخ رؤساء الدولة﴾

كان أبو عبد الله الفازازى من مشيخة الموحدين وكان خالصة للسلطان أبى حفص وعقد له على العساكر كما قدمناه ودفعه الى الحروب وتمهيد النواحى فقام فى ذلك المقام المحمود ودوخ الجهات واستنزل الثوار ودفعهم وجبى الخراج وكانت له فى ذلك آثار مذكورة وفى بلاد الجريد ومشيختها تصاريف وأحوال وهو الذى استحن أحمد بن بهلول بسعاية المشيخة من أهل توزر وأنجح عنانه من مراسيه الى الرياسة عليهم وهلك آخر حركاته الى بلاد الجريد على مرحلتين من تونس سنة ثلاث وتسعين وفى سنة منها كان مهلك الحاجب أبى القاسم بن الشيخ وكان من خبره وأوليته انه قدم من بلده دانية الى بجاية سنة ست وعشرين واتصل بعاملها محمد بن ياسين فاستكتبه وغلب عليه واستدعى ابن ياسين الى الحضرة وابن الشيخ فى جملته والتمس السلطان من يرشحه لكتابته ويخف عليه فاطنب ابن ياسين فى وصف كاتبه أبى القاسم بن الشيخ وحلاه واستخلاه السلطان فلم يرضه وصرفه ثم راجع رأيه فيه واستحسنه ورسمه فى خدمته وأمر ابن أبى الحسن بتلقينه الآداب وتصريفه فى وجوه الخدمة ومذاهبها فكان له فى ذلك غناء وخفة على مخدومه الى ان هلك ابن أبى الحسن وكان الخراج بدار السلطان موقوفا على نظره من جملة ماليه وكان قلمه عاملا فيه فأفرد ابن الشيخ بذلك بعد مهلكه الى آخر أيام

السلطان المنتصر ولما ولى السلطان الواثق استبد ابن أبى الحسن عليه كما قلناه فأبقاه على خطته واختصه لنفسه ودربه فى جملته ثم جاءت دولة السلطان أبى اسحق فأقامه فى رسمه وزاحمه بأبى بكر بن خلدون صاحب اشغاله وكانت الرياسة الكبرى على عهده لابنه أبى فارس ثم أبى زكريا عبد المؤمن من بعده ثم كانت قضية الدعى فاستولى على ملكهم فاستخلص أبا القاسم بن الشيخ واستضاف له الى خطة الشغير كتاب العلامة فى فواتح السجلات فلما ارتجع للسلطان أبى حفص ملكه وقتل الدعى خافه ابن الشيخ لما كان من رتبته عند الدعى فلاذ بالصلحاء لامارة من الخير والعبادة وصلت بينهم وبينه فشفعوا له وتقبلها السلطان وأظهر لهم ذات نفسه فى الحاجة الى استعماله وقلده حجابته مجموعة الى تنفيذ كتاب العلامة فى فواتح السجلات فلما ارتجع السلطان أبو حفص ملكه وقتل الخارج وصرف العلامة الى غيره من طبقة الدولة فلم يزل على ذلك الى أن هلك سنة أربع وتسعين وبقى اسم الحجابة من بعده فى هذه الخطط الثلاثة وأمر التدبير والحرب ورياستهما راجع الى مشيخة الموحدين الى أن تصرمت الاحوال وادبل بعضها من بعض كما يأتيك أثناء الاخبار وقلد السلطان من بعد ابن الشيخ حجابته لابى عبد الله الحجى من طبقة الخير فقام بها الى آخر الدولة والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن مهلك السلطان أبى حفص وعهده بالامر من بعده)

لم يزل السلطان أبو حفص على أكمل حالات الظهور والدعة الى أن استوفى مدته وأصابه وجع أول ذى الحجة من سنة أربع وتسعين ثم اشتد به الوجع وأهمه أمر المسلمين وما قلده من عهدتهم فعهد لابنه عبد الله بالخلافة ثانى أيام التشريق ونكره الموحدون لتخلفه عن المراتب لصغره وانه لم يحتلم وتحدثوا فى ذلك وأفضى الخبر الى السلطان فأسخطه وعدل عنهم الى الشورى مع الولى أبى محمد المرجانى وكان رأيه فيه جميلا وظنه به صالحا وكان الواثق بن المستنصر لما قتل هو وبنوه بمحبسهم فرت احدى جواريه وقد اشتملت على حمل منه الى رباط هذا الولى فوضعته فى بيته فسماه الشيخ محمدا وعق عليه وأطعم الفقراء يومئذ عصيدة الحنطة فلقب بأبى عصيدة الى آخر الدهر ثم صار بعد الاختفاء ودواعيه الى قصورهم ونشأ فى ظل الخلفاء من قومه حيث شب وبقيت له مع الولى أبى محمد ذمة يثابر كل منهما على الوفاء بها فلما فاوضه السلطان أبو حفص فى شأن العهد وقص نكير الموحدين لولده أشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الواثق فتقبل اشارته وعلم ترشيحه وأنفذ بذلك عهده بمحضر الملا ومشيخة الموحدين وهلك آخر ذى الحجة سنة أربع وتسعين والى الله المصير اهـ

(الخبر عن دولة السلطان أبى عصيدة وما كان على أثرها من الاحوال)

لما هلك السلطان أبو حفص اجتمع الملأ من الموحدين والاولياء والجند والكافة الى القصبة فبايعوا بيعة عامة لولى عهده السلطان أبى عبد الله محمد و يلقب كما ذكرناه بأبى عصيدة ابن السلطان الواثق فى الرابع والعشرين لذى الحجة سنة أربع وتسعين فانشرحت ببيعته الصدور ورضيته الكافة وتلقب المستنصر بالله وافتتح أمره بقتل عبد الله ابن السلطان أبى حفص لمكان ترشيحه وقلد وزارته محمد بن برزيكش من مشيخة الموحدين وأبقى محمدا الشيخى على خطة الحجابة ودفع التدبير والعساكر ورياسة الموحدين الى أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى فقام بما دفع اليه من ذلك وضايقه فيه عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين قبله حتى اذا نكب وهلك استبد هو على الدولة واستقل الشيخى بحجابته وكان محمد بن ابراهيم بن الدباغ رديفاله فيها وكان من خبر ابن الدباغ هذا ان ابراهيم أباه وفد على تونس فى جالية اشبيلية سنة ست وأربعين فولد هو بتونس ونشأ بها واستفاد صناعة الديوان وحسبانه من المبرزين فيه كأبى الحسن وأبى الحكم بن مجاهد وأصهر اليهما فى ابنة أبى الحسن فانتحاه ورشحاه للامانة على ديوان الاعمال ولما استقل أبو عبد الله الفازازى بالرياسة استكتبه وكان طياشا مستعصيا على الخليفة فكان كاتبه محمد بن الدباغ يروضه لاغراض الخليفة اذ دسها اليه الحاجب ابن الشيخ فوقع ذلك من الخليفة أحسن الموقع ولما ولى السلطان أبو عصيدة وكانت له عنوة سابقة رعاها وكان حاجبه الشيخى بهمة غفلا عن أدوات الكتاب فاستكتب السلطان ابن الدباغ ثم رقاه الى كتابة علامته سنة خمس وتسعين وكان يتصرف فيها فأصبح رديفا للشيخى فى حجابته وجرت أمور الدولة على ذلك الى أن هلك الشيخى سنة تسع وتسعين فقلده السلطان حجابته فاستقل بها على ماقدمناه من ان التدبير والحرب مصروف الى مشيخة الموحدين

(الخبر عن نكبة عبد الحق بن سليمان وخبر بنيه من بعده)

كان أبو محمد عبد الحق بن سليمان رئيس الموحدين لعهد السلطان أبى حفص وأصله من تينملل الموطنين بتبرس منذ أول الدولة كانت له ولسلفه الرياسة عليهم وصارت اليه رياسة الموحدين كافة بالحضرة أيام هذا السلطان وكان له خالصة وشيعة وكان حريصا على ولاية ابنه عبد الله للعهد وكان يدافع نكير الموحدين فى ذلك فاسرها له السلطان أبو عصيدة ولما استوثق له الامر وقتل عبد الله بمحبسه تقبض على أبى محمد محمد بن سليمان واعتقله فى صفر سنة خمس وتسعين ولم يزل معتقلا الى أن قتل بمحبسه على رأس المائة وفر عند نكبته ابناه محمد وعبد الله فأما عبد الله فلحق بالامير أبى زكريا وصار

فى جملته الى ان دخل تونس مع ابنه السلطان أبى البقاء خالد وأما محمد فابعد المفر ولحق بالمغرب الاقصى ونزل على يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين من معسكره من حصار تلمسان فاستبلغ فى تكريمه وأقام عنده مدة ثم عاود وطنه ونزل عن طريقه الى النسك ولبس الصوف وصحب الصالحين وقضى فريضة الحج وامتد عمره وحسنت فيه ظنون الكافة واعتقدوا فيه وفى دعائه وكثرت غاشيته لالتماس البركة منه وأوجب الخلفاء ازاء ذلك تجلة أخرى وأوفدوه على ملوك زناتة مرة بعد مرة فى مذاهب الرد وقصود الخير وحضر فى بعض الجهاد بجبل الفتح عندما نازلته عساكر السلطان أبى الحسن ولم يزل هذا دأبه الى ان هلك فى الطاعون الجارف فى منتصف المائة الثامنة والله تعالى أعلم

(الخبر عن مراسلة يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين ومهاداته)

كان السلطان أبو عصيدة لما استفحل أمره واستوسق ملكه حدثته نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد الامير أبى زكريا وكان الامير أبو زكريا قد انتقض عليه أهل الجزائر بعد مهلك عاملها عليها من الموحدين من بنى الجارير وانتزى بها بعده محمد ابن علان من مشيختها واستفحل أمر عثمان بن يغمراسن وبنى عبد الواد من ورائه وتغلبوا على توجين ومغراوة وبلمكين وكان سعيه لصاحب الحضرة بما كان متمسكا بدعوتهم ومتقبلا مذهب أبيه فى بيعتهم فقويت عزائم السلطان أبى عصيدة لذلك ونهض من الحضرة سنة خمس وتسعين وتجاوز تخوم عمله الى أعمال قسنطينة وأجفلت امامه الرعايا من القبائل وانتهى الى ميلة وفيها كان منقلبه الى حضرته فى رمضان من سنته ولما ضايق عمل بجاية بغزوه أعمل الامير أبو زكريا نظره فى تمكين الناحية الغربية ليتفرغ عنها الى مدافعة السلطان صاحب الحضرة فوصل يده بعثمان بن يغمراسن وأكد معه قديم الصهر بحادث الود والمواصلة وفى خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين الى تلمسان وألقى عليها بكلكله واستجاش عثمان بن يغمراسن بالامير أبى زكريا فأمده بعسكر من الموحدين لقيهم عسكر من بنى مرين فهزموهم وأثخنوا فيهم قتلا ورجع فلهم الى بجاية وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بنى مرين الى بجاية وعقد عليها لاخيه أبى يحيى بعد ان كان عثمان بن سباع وفد عليها نازعا عن صاحب بجاية اليه ومر غباله فى ملكها فأوسع له فى الحباء والكرامة ماشاء وبعث معه هذا العسكر فانتهوا الى بجاية وضايقوها ثم جاوزوها الى تاكرارت وبلاد سدوىكش وعاثوا فى تلك الجهات ودوخوها وانقلبوا راجعين الى السلطان يوسف بن يعقوب بعسكره من تلمسان وكان السلطان أبى عصيدة صاحب الحضرة لما علم بامداد الامير أبى زكريا لعثمان بن

يغمراسن بعث الى يوسف بن يعقوب عدوهم وحرضه على بجاية ونواحيها وسفر له في ذلك رئيس الموحدين أبا عبد الله بن الكماد من اولى سفارته ثم سفر ثانية سنة ثلاث وسبعمائة بهدية ضخمة فأغرب فيها بسرج وسيف ومهماز من الذهب من صنعة الحلى الفاخر من حصى الياقوت والجوهر ورافقه في هذه السفارة الثانية وزير الدولة أبو عبد الله بن يرزكين ورجع بهدية ضخمة من يوسف بن يعقوب كان من جملتها ثلثمائة من البغال واتصلت المخاطبات والسفارات والهدايا والملاطفات وكان يوسف ابن يعقوب يكاتب السلطان في تلك الشؤن تعريضا ويكاتب رئيس الموحدين ابا يحيى اللحياني وتردد عساكر بني مرين الى نواحي بجاية الى أن هلك يوسف بن يعقوب كما يأتي في أخباره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مقتل هداج وفتنة الكعوب وبيعتهم}
{لابن أبي دبوس وما كان بعد ذلك من نكبتهم}

كان هؤلاء الكعوب قد عظمت ثروتهم واصطناعهم منذ قيامهم بأمر الامير أبي حفص فعمروا وعتوا وبطروا النعمة وكثر عيثهم وفسادهم وطال اضرارهم بالسابلة وحطمهم للجنات وانتهابهم الزرع فاضطغن لهم العامة وحقدوا عليهم سوء آثارهم ودخل رئيسهم هداج بن عبيد سنة خمس وسبعمائة الى البلد فحضرته العيون وهمت به العامة وحضر المسجد لصلاة الجمعة فتحدثوا عليه بأنه وطئ المسجد بخفيه وقال لم أنكر على ذلك اني أدخل مجالس السلطان بهما فثاروا به عقب الصلاة وقتلوه وجروا شلوه في سكك المدينة فزاد عيثهم واجلابهم على السلطان واستقدم أحمد بن أبي الليل شيخ الكعوب لذلك العهد عثمان بن أبي دبوس من مكانه نواحي طرابلس ونصبه للامر وأجلب بعد على الحضرة فلم يزالوا وخرج اليهم الوزير أبو عبد الله بن يرزكين في العساكر فهزمهم وسار بالعسكر لتمهيد الجهات وتسكين ثائرة العرب فوفد عليه أحمد بن أبي الليل ومعه سليمان من رجالات هوارة بعد ان راجع الطاعة وصرف ابن أبي دبوس الى مكانه فتقبض عليهما وبعث بهما الى الحضرة فلم يزالا معتقلين الى ان هلك أحمد بمحبسه سنة ثمان وقام بأمر الكعوب محمد بن أبي الليل ومعه حمزة ومولاهم ابن أخيه عمر رديفين لهم فخرج الوزير بعساكره سنة سبع واستوفد مولاهم ابن عمر وتقبض عليه وبعث به الى الحضرة فاعتقل معه عمه أحمد وجاهر أخوه حمزة بالخلاف واتبعه عليه قومه فكثر عيثهم وأضروا الرعايا وكثرت الشكاية من العامة ولغطوا بها في الاسواق وتصايحوا ثم نفر الى باب يريدون الثورة فسد الباب دونهم فرموا بالحجارة وهم في ذلك يعتمدون منازل بهم عند الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله ورفع أمرهم الحاجب واستلحمهم

جميعا فأبى من ذلك السلطان وأمره بملاطفتهم الى ان مكنت بيعتهم ثم تتبع بالعقاب من تولى كبر ذلك منهم وانحسم الداء وكان ذلك في رمضان من سنة ثمان واستمر العرب في غلوائهم الى أن هلك السلطان فكان ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن انتقاض أهل الجزائر واستبداد ابن علان بها)

قد قدمنا ما كان من انتقاض الجزائر أيام المستنصر ودخول عساكر الموحدين عليهم عنوة واعتقال مشيختهم بتونس حتى أطلقوا بتونس بعد مهلكه ولما استقل الامير أبو زكريا الاوسط بملك الثغور الغربية من بجاية وقسنطينة وكان الوالي على الجزائر ابن الحكم زمن الموحدين فبادر الى طاعته باتفاق من مشيخة الجزائر ووفد عليه وكتب ابن الكماد بولايتها فلم يزل واليا عليهم الى ان نشأت بنو مرين وزحفوا الى بجاية وكان ابن الحكم قد أسن وهرم فأدركته الوفاة خلال ذلك وكان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصا به ومنتصرا بأوامره ونواهيه ومصدرا لامارته حصلت له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه ويقال كان له معه صهر فلما وصل ابن الكماد حدثته نفسه بالاستبداد والانتزاء بالجزائر فبعث عن أهل الشوكة من بطوانة ليلة هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح مناديا بالاستبداد والامير أبو زكريا عنده لما كان من منازلة بني مرين بجاية الى ان هلك وبقيت في انتقاضها على الموحدين آخر الدهر الى ان تملكها بنو عبد الواد كما يذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك الامير أبي زكريا وبيعة ابنه الامير أبي البقاء خالد)

كان الامير أبو زكريا قد استولى على الثغور الغربية كما قلنا واقتطعها من أعمال الحضرة وقسم الدعوة الحفصية بدولتين وكان على غاية من الحزم والتيقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الاشراف على وطنه والمباشرة لاعماله بنفسه وبتخلله ولم يزل على ذلك الى أن هلك على رأس المائة السابعة وكان قد عهد بالامر لابنه الامير أبي البقاء خالد سنة ثمان وتسعين وعقد له على قسنطينة وأنزله بها فلما هلك الامير أبو زكريا جمع الحاجب أبو القاسم بن أبي حي مشيخة الموحدين وطبقات الجند وأخذ بيعتهم للامير أبي البقاء وطير له بالخبر واستقدمه فقدم وبويع البيعة العامة وأبقى ابن أبي حي على حجابته واستوزر يحيى بن أبي الاعلام وقدم على صنهاجة أبا عبد الرحمن بن يعقوب بن خلوف منهم ويسمى المزدار وقلد رياسة الموحدين أبا زكريا يحيى بن زكريا من أهل البيت الحفصي واستمر الامر على ذلك الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن سفارة القاضي الغبريني ومقتله)

قد قدمنا ما كان من زحف بنى مرين الى بجاية بمداخلة صاحب تونس ولما ولى السلطان أبو البقاء اعتزم على المواصلة مع صاحب تونس قطعا للزبون عنه وعين للسفارة فى ذلك شيخ القرابة المائة أبا زكريا يحيى بن زكريا الحفصى ليحكم شأن المواصلة بينهما وبعث معه القاضى أبا العباس الغبرينى كبير بجاية وصاحب شوراها فأدى رسالتهم انقلبوا الى بجاية ووجد بطانة السلطان السبيل فى الغبرينى فأغروه به وأشاعوا أنه داخل صاحب الحضرة فى التوثب بالسلطان وتولى كبر ذلك ظافر الكبير وذكر بحديثه وما كان منه فى شأن السلطان أبى اسحق وانه أغرى بنى غبرين به فاستوحش منه السلطان وتقبض عليه سنة أربع وسبعمائة ثم أغروه بقتله فقتل بمحبسه فى سنة ثلاث وتولى قتله منصور التركى والله غالب على أمره

{ الخبر عن سفارة الحاجب بن أبى حى الى تونس وتنكر السلطان له بعدها وعزله }

ولما ولى السلطان أبو البقاء كانت عساكر بنى مرين مترددين الى أعمال بجاية بمداخلة صاحب تونس كما ذكرناه فدوخوا نواحيها وكان ابن أبى حى مستبدا على الدولة فى حجابته فضاق ذرعه بشأنهم وأهمته حال الدولة معهم ورأى ان اتصال اليد بصاحب الحضرة مما يكف عن عزمهم فعزم على مباشرة ذلك بنفسه لوثوقه من سلطانه فخرج من بجاية سنة خمس وسبعمائة وقدم الى الحضرة رسولا عن سلطانه فاهتزت له الدولة ولقى بما يجب له ولمرسله من البر وأنزله شيخ الموحدين ومدبر الدولة ابو يحيى زكريا بن اللحيانى بداره استبلاغا فى تكريمه وقضى من أمر تلك الرسالة حاجة صدره وكانت بطانة الامير أبى البقاء لما خلا لهم وجه سلطانهم منه تهافتوا على النصح اليه والسعاية بابن أبى حى عنده وشمر لذلك يعقوب بن عمر وجلا منه وتابعه عليه عبد الله الرخامى من كاتب ابن أبى حى وصديقه بما كان ابن طفيل قريبه يسخط عليه الناس ويوغر له صدورهم بيأوه وتغيره بهم فالح له العداوة فى كل جانحة وأحفظه على عبد الله الرخامى وكان صديقه ومداخله فتولى من السعاية فيه مع يعقوب بن عمر كبرها وألقى الى السلطان أن ابن أبى حى داخل صاحب الحضرة فى تمكينه بثغور قسنطينة بما كان على الامير العامل بقسنطينة صهر الابن أبى حى وهو الذى ولاه عليها فاستراب السلطان به وتنكر له بعد عوده من تونس وخشى كل منهما بادرة صاحبه ثم رغب ابن أبى حى فى قضاء فرضه وتخلية سبيله اليه فأسعف وخرج من بجاية ذاهبا الى الحج ولحق بالقبائل من ضواحى قسنطينة وبجاية فنزل عليهم وأقام بينهم مدة ثم لحق بتونس وأقام بها الى حين مهلك السلطان أبى عصيدة وبيعة أبى بكر الشهيد وحضر دخول الامير أبى البقاء عليه بتونس وخاص

من تيار تلك الصدمة فلحق بالمشرق وقضى فرضه ثم عاد الى المغرب وفر بافريقية ولحق بتلمسان وأغرى أبو حمو بالحركة على بجاية فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حجابة أبى عبد الرحمن بن عمر ومصاير أمره)

هو يعقوب بن أبى بكر بن محمد بن عمر السلمى وكنيته أبو عبد الرحمن كان جده محمد فيما حدثنى أهل بيتهم قاضيا بشاطبة وخرج مع الجالية أيام العدو الى تونس ونزل بالربع الجوفى أيام السلطان أبى عصيدة وانتقل ابناه أبو بكر ومحمد الى قسنطينة ونزلا على ابن أوقنان العامل عليها من مشيخة الموحدين لعهد الامير أبى زكريا الاوسط فأوسعهما عناية وتكريما وولى أبا بكر على الديوان واستخلصه لنفسه وكان يتردد الى الحضرة ببجاية فى شؤنه فاتصل بمرجان الخصى من موالى الامير أبى زكريا وخواص داره واستخدم على يد الامير خالد وأمه من كرائم السلطان فحظى عندهم وتزوج ابنه يعقوب من بنات القصر وخوله ونشأ فى جو تلك العناية وأعاقوا بصحبة الحاج فضل قهرمان دار السلطان وخاصته فاستخدم له سائر أيامه الى ان هلك وكان الحاج فضل كثيرا ما يتردد الى الاندلس لاستجادة الثياب منها وبعثه السلطان آخر امره الى الاندلس فاستصحب ابن عمر وهلك الحاج فضل هنالك فعدل السلطان عن خطاب ابنه محمد الى خطاب ابن عمر فامره باتمام ذلك العمل والقدوم به فقدم هو وابن الحاج فضل وساء لهما السلطان عن عملهما فكان ابن عمر أوعى من صاحبه فخلى بعينه وخف عليه واعتلق بذمة من خدمته أحظته عند السلطان ورقته فاستعمل فى الجباية ثم قلد أعمال الاشغال وزاحم ابن أبى حى وعبد الله الرخامى وغصوا به فأغروا السلطان بنكبته فنكبه وأشخصه الى الاندلس فأقام هنالك واستعطف السلطان أبا البقاء بعد مهلك أبيه وتشفع بوسائل خدمته فاستقدمه وقدم على على وحسين ابنى الرنداحى وركب معهما البحر الى بجاية فى مغيب ابن أبى حى كما ذكرناه فقلد السلطان حجابته ليعقوب بن عمر وقدم على الاشغال عبد الله الرخامى وكان ناهضا فى أمور الجباية لمباشرته مع مخدومه فأصبح رديفا لابن عمر وغص بمكانه فأغرى به السلطان ودله على مكان ثروته وعلى عداوته فنكب وصودر وامتحن وغرب الى ميورقة حتى افتداه يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين من أسره واستقدمه ليقلده أشغاله عن تنكره لعبد الله بن أبى مدين كما نذكره فى اخباره فهلك يوسف بن يعقوب دون ما أمل من ذلك وأقام الرخامى بتلمسان وبها كان مهلكه واستقل يعقوب بن عمر بأعباء خطته واضطلع بها وفوض اليه السلطان فى الابرام والنقض فحول المراتب بنظره وأجرى الامور على غرضه وكان أول ما أتاه صرعته لمرجان مصطنعه ملأ صدر السلطان عليه وحذره مغبته فتقبض

عليه وألقى في البحر فالتقمه الحوت فخلا وجه السلطان لابن عمرو وتفرد بالعقد والحل الى أن استولى السلطان أبو البقاء على الحضرة وكان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ثورة ابن الامير بقسنطينة وبيعة السلطان أبي عصيدة ثم فتح السلطان أبي البقاء خالد لها وقتله)

كان يوسف بن الامير الهمداني بعد ان قتله بطانة أبناء أبي يحيى من بني مرين كما يأتي في أخبارهم انتقل بنوه الى تونس أيام المستنصر ورعى لهم السلطان وسيلة قيامهم بالدعوة الحفصية أيام على ابن خلاص بسبتة وبعدها الى أن غلبهم عليها العزفي كما نذكره في أخبارهم فلقاهم مبرة وتكريما ونزلوا من الحضرة حين نزل تحت جراية ونعمة وعناية وكان كبيرهم منهم مقاما متعاطيا فرعا التي من الدولة لذلك شغبا الا أن الابقاء عليهم صار مانعا من اضطهادهم ونشأ بنوهم في ظل ذلك النعيم ثم هلك السلطان واضطربت الامور وضرب الدهر ضرباته ولحق علي منهم بالثغر الغربي وتأكدت له مع ابن أبي حي لحمة نسب وذمة صهر ووشجت بينهما عروقها فلما استقل ابن أبي حي بحجابة الامير أبي زكريا لم يأل جهدا في مشاركة علي ابن الامير وترقيته المنازل الى أن ولاه ثغر قسنطينة مستقلا بها وحاجبا للسلطان أبي بكر بن الامير أبي زكريا وأنزله معه فقام بحجابته وأظهر فيها غناءه وحزمه حتى اذا سخط السلطان ابن أبي حي وصرفه عن حجابته تنكر أبو الحسن بن الامير وخشي بوادر السلطان فحول الدعوة الى صاحب الحضرة وطير اليه بالبيعة واستدعى المدد والنائب فوصله رئيس الموحدين والدولة أبو يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحياني وعقد البيعة لسلطانه سنة أربع وسبعمائة وبلغ الخبر الى السلطان أبي البقاء ببجاية فنهض اليه بالعساكر آخر سنة أربع وسبعمائة ونازله أياما فامتنع عليه وهم بالافراج عنه ثم داخل رجل من بطانة ابن الامير يعرف بابن نوزة أبا الحسن بن عثمان من مشيخة الموحدين وكان معسكره بباب الوادي فناجزهم الحرب من هنالك حتى انتهى الى السور فتسنمه المقاتلة باغضاء ابن موزة لهم عنه وركب السلطان في العساكر عند الصدمة ووقف على باب البلد وقد استكمن أولياؤه منه فخرج اليه بنو المعتمد وبنو باديس ومشيخة البلد فاقتحم البلد عنوة ومضى أبو محمد الرخامي واستنزله ثم جاء في رجال السلطان الى دار ابن الامير فغشيه بها وقد انفض عنه الناس واستخفى بغرفة من غرف داره واستمار فلاطفه الرخامي واستنزله ثم حمله على برذون مستدبرا وأحضره بين يدي السلطان فقتل ونصب شلوه وأصبح آية للمعتبرين والله أعلم

(الخبر عن حركة السلطان أبي البقاء الى الجزائر)

قد قدمنا ما كان من انتقاض الجزائر على الامير أبي زكريا واستبداد ابن علان بها فلما استولى السلطان أبو البقاء على الامر وتمهدت له الاحوال وأقلع بنو مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب عن تلمسان أعمل السلطان نظره في الحركة اليها فخرج اليهم سنة سبع أو ست وانتهى الى متيجة ودخل في طاعته منصور بن محمد شيخ ملكين وجمع قومه ولجأ اليه راشد بن محمد بن ثابت بن منديل أمير مغراوة هاربا امام بني عبد الواد فآواه الى ظله وألقى عليه جناح حمايته واحتشد جميع من في تلك النواحي من القبائل وزحف الى الجزائر وأقام عليها أياما فامتنعت عليه وأنكفأ راجعا الى حضرته بجاية وطاولته الجزائر بالقتال الى ان كان من أمرها وتغلب بنو عبد الواد عليها كما نذكره في أخبارهم وجاء معه راشد بن محمد الى بجاية متذمما لخدمته الى أن قتله عبد الرحمن بن خلوف كما نذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

(الخبر عن السلف وشروطه بين صاحب تونس وصاحب بجاية)

لما افتتح السلطان أبو البقاء خالد قسنطينة وقتل ابن الامير وفرغ من ذلك الشأن أدرك أهل الحضرة الندم على ما استدبروا من مهادنة صاحب الثغر وقارن ذلك مهلك يوسف ابن يعقوب الذي كانوا يرجونه شاغلا له فجنحوا الى السلم وبعثوا وفدهم في ذلك اليه فأسدوا وألحموا وشرط عليهم السلطان أبو البقاء ان من هلك منهما قبل صاحبه فالامر من بعده للآخر والبيعة له فتقرر الشرط وحضر الملأ والمشيخة من الموحدين ببجاية ثم بتونس فأشهدوا به على أنفسهم وربط ذلك العهد وأحكمت أواخيه الى أن نقضها أهل الحضرة عند مهلك السلطان أبي عصيدة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن سفر شيخ الدولة بتونس ابن اللحياني لحصار جربة ومضيه منها الى الحج)

لما انعقد أمر هذا الصلح واستتم راجع رئيس الدولة أبو يحيى زكريا بن اللحياني نظره لنفسه وأعمل فكره في الخلاص ممن استرابه وكان يؤمل رجوع الوفد المقربين بالهدية من أمراء الديار المصرية الى يوسف بن يعقوب فيصحبهم لقضاء فرضه وأبطأ عليه شأنهم فاعتزم على قصده وورى بحركة آل جزيرة جربة لاسترجاعها من أيدي النصارى والرجوع عنها فقرر بعد ذلك الى الجريد لتمهيد أحواله وتناول الرأي في الظاهر من أمره مع السلطان فأذن له وسرح معه العساكر فخرج من تونس في جمادى سنة ست غازيا آل جربة ولم يزل يغذ السير حتى انتهى الى محاذيها ثم عبر عنه الى الجزيرة وكانت النصارى لما تغلبوا عليها سنة ثمان وثمانين شيدوا بها حصنا لاعتصام الحامية بالقشتيل فنزلت العساكر عليه وأبعد الشيخ أبو يحيى عماله ببجاية وأقام في منازلته

بياض بالأصل

شهرين وانقطعت الاقوات واستعصى الحصن الا بالمطاوعة فرجع الى قابس ثم ارتحل الى بلاد الجريد وانتهى الى توزر ونزلها واعمل فى خدمته أجمع محمد بن بهلول من مشيختها فاستولى جباية الجريد وعاد الى قابس وأنزله عبد الملك بن عثمان بن مكى بداره وصرح بما ورى عنه من حجه وصرف العساكر الى الحضرة وولى بعده رياسة الموحدين وتدبير الدولة أبو يعقوب بن يزدوتن وتحول عن قابس الى بعض جبالها تجافيا عن هوائها الوخم وأقام فى انتظار الركب الحجازى وكان مريضا فتحول الى طرابلس فأقام بها عاما ونصفه الى ان وصل وفد الترك من المغرب الاقصى آخر سنة ثمان فخرج معهم حاجا ثم قضى فرضه وعاد فكان من شأنه واستيلائه على منصب الخلافة ما يأتى ذكره ووصل من النصرانية الى قشتيل سنة ثمان بعد منصرف العساكر عنهم وفيهم مدرك ابن الطاغية صاحب صقلية فقاتلهم أهل الجزيرة من المكارية بنظر أبى عبد الله بن الحسين من مشيخة الموحدين ومعه ابن أومغار فى قومه من أهل جربة فأظفره الله بهم ولم يزل شأن هذه الجزيرة من المكان مع العدو كذلك منذ نشأت دولة صنهاجة وربما وقعت الفتنة بين المكارية فتصل احدى الطائفتين يدها بالنصارى الى ان كان ارتجاعها فى هذه النوبة سنة وأربعين لعهد مولانا السلطان أبى يحيى كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك السلطان أبى عصيدة وخبر أبى بكر الشهيد)

كان السلطان أبو عصيدة بعد تمهيد سلطانه وتمهيد ملكه طرقه مرض الاستسقاء فأزمن به ثم مات على فراشه فى ربيع الآخر سنة تسع ولم يخلف ابنا وكان بقصرهم سبط من أعقاب الامير أبى زكريا جدهم من ولد أبى بكر ابنه الذى ذكرنا وفاته فى خبر شقيقه أبى حفص فى فتح مليانة أيام السلطان المستنصر فلم يزل بنوه فى قصورهم وفى ظل ملكهم ونشأ منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر فى ايالة السلطان أبى عصيدة وربى فى جميع نعمته فلما هلك السلطان أبو عصيدة ولم يعقب وكان السلطان أبو البقاء خالد قد نزع اليه حمزة بن عمر عند الايالة من خروج أخيه من محبسه فرغبه فى ملك الحضرة واستحثه عليها ثم وصل أبو عبد الله بن يرزكين السلطان أبا عصيدة واستنهض السلطان أبا البقاء من ملك تونس فنهض كما نذكر واستراب الموحدون بتونس فى شأن حركته فخافوه على أنفسهم فبايعوا لهذا الامير أبى بكر الذى عرف بالشهيد بما كان من قبله لسبع عشرة ليلة من بيعته وأبقى أبا عبد الله بن يرزكين على وزارته وزحزح محمد بن الدباغ عن رتبة الحجابة فتوعده لما كان يحقد عليه من التقصير به أيام سلطانه فكان عونا عليه الى ان هلك عند استيلاء السلطان أبى البقاء كما نذكره ان شاء الله تعالى

*(الخبر

(الخبر عن استيلاء السلطان أبى البقاء على الحضرة وانفراده بالدعوة الحفصية)

لما بلغ السلطان أبا البقاء بمكانه من بجاية وأعمالها الخبر بمرض السلطان أبى عصيدة مع ما كان من العقد بينهما بأن من مات قبل صاحبه جمع الامر بعده للآخر داخلته الظنة أن ينتقض أهل الحضرة فى هذا الشرط واعتزم على النهوض لمشارفة الحضرة ووصل اليه حمزة بن عمر نازعا عنهم فرغبه واستحثه وخرج من بجاية فى عساكره وورى بالحركة الى الجزائر لما كان من انتقاضهم على أبيه واستبداد ابن علان بها ثم ارتحل الى قسنطينة وعند بلوغه اليه ورد الخبر بمهلك السلطان أبى عصيدة وبيعة الموحدين بعده لابى بكر بن عبد الرحمن بن أبى بكر ابن الامير أبى زكريا فأضطغنها على الموحدين وأغذ السير وانحاش اليه كافة أولاد أبى الليل واجتمع أمثالهم أولاد مهلهل الى صاحب تونس وخرج معهم شيخ الدولة أبو يعقوب بن يزدوتن والوزير أبو زكن أبو عبد الله بن يرزكين فى العساكر للقاء ورقوا سلطانهم بأنفسهم فلما زحف اليهم السلطان أبو البقاء اختل مصافهم وانهزموا وانتهب المعسكر وقتل الوزير أبو زكن وأجفلت أحياء العرب الى القفر ودخل العسكر الى البلد واضطرب الامر وخرج الامير أبو بكر بن عبد الرحمن فوقف بساحة البلد قليلا ثم تفرق عنه العسكر وتسايلوا الى السلطان أبى البقاء وفر أبو بكر ثم ادرك ببعض الجهات فثل الى السلطان فاعتقله وغزا بالسلطان أهل الحضرة من المشيخة والموحدين والفقهاء والكافة فعقدوا بيعته وقتل الامير فسمى الشهيد آخر الدهر وباشر قتله ابن عمه أبو زكريا يحيى بن زكريا شيخ الموحدين ودخل السلطان من الغد الى الحضرة واستقل بالخلافة وتلقب بالناصر لدين الله المنصور ثم استضاف الى لقبه المتوكل وأبقى أبا يعقوب بن يزدوتن فى رياسته على الموحدين مشاركا لابى زكريا يحيى بن ابى الاعلام الذى كان رئيسا عنده قبلها واستمر على خطة الحجابة أبو عبد الرحمن يعقوب بن عمر وولى على الاشغال بالحضرة منصور بن فضل بن مزنى وجرت الحال على ذلك الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن بيعة ابن مزنى يحيى بن خالد ومصاير أموره)

كان يحيى بن خالد ابن السلطان أبى اسحق فى جملة السلطان أبى البقاء خالد وتنكرت له الدولة لبعض النزعات فخشى البدار وفر فلحق بمنصور بن مزنى وكان منصور قد استوحش من ابن عمر فدعاه الى القيام بأمره فأجاب وعقد له على حجابته وجمع له العرب وأجمع على قسنطينة أياما وبها يومئذ ابن طفيل وكانت قد اجتمعت ليحيى بن خالد زعنفة من الاوغاد اشتملوا عليه واشتمل عليهم وأغروه بابن مزنى فوعدهم الى حين ظفره واطلع ابن مزنى على سوء دخلته فنفض يده من طاعته وانصرف عنه الى بلده فانفضت جموعه

وراجع ابن مزني طاعة السلطان أبي البقاء وخالفه بطانته وحاجبه فتحولوا ولحق يحيى بن خالد بتلمسان مستجيشا ونزل على أميرها أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فهلك لأيام من قدومه وولي بعده أبو حمو موسى بن عثمان فأمده وزحف الى محاربة قسنطينة فامتنعت عليه ثم استدعاه ابن مزني الى بسكرة فأقام عنده وأسنى له الجراية ورتب عليه الحرس وكان السلطان ابن اللحياني يبعث اليه من تونس بالجائزة مصانعة له في شأنه حتى لقد أقطع له بتونس من قرى الضاحية ما كان للسلطان وابنه فلم يزل في اسهامه واسهام بنيه من بعده الى أن هلك يحيى بن خالد بمكانه عنده سنة احدى وعشرين والله تعالى أعلم

* (الخبر عن بيعة السلطان أبي بكر بقسنطينة على يد الحاجب ابن عمر وأولية ذلك) *

لما نهض السلطان أبو البقاء الى الحضرة عقد على بجاية لعبد الرحمن بن يعقوب بن مخلوف مضافا الى رياسته في قومه كما كانوا يستخلفون أباه عليها عند سفرهم عنها وكان يلقب المزوار وجعل حاجبا لأخيه الأمير أبي بكر على قسنطينة فانتقل اليها وعكف السلطان أبو البقاء في تونس وعظم بطشه فقتل عدوان بن المهدي من رجالات سدويكش ودعار بن حريز من رجالات ابن اماثج فتفارض رجال الدولة في شأنه وخشوا غدرته وأعمل الحاجب ابن عمر وصاحبه منصور بن فضل عامل الزاب الحيلة في التخلص من ايالته واستصحب راشد بن محمد أمير مغراوة كان نزع اليهم عند استيلاء بني عبد الواد على وطنهم فتلقوه من الكرامة بما يناسبه واستقر في جملتهم وابنه وعلى قومه تدور رحى حروبهم واستصحب السلطان أبو البقاء خالد الى الحضرة لأمير على زناتة فدفع بعضهم حشمه الى الحاجب في مقعد حكمه وقد استعدى عليه بعض الخدم فأمر بتقتيله لحينه وأحفظ ذلك الأمير راشد بن محمد فرتب لها عزائمه ونوّش خادمه لحينه مغاضبا فوجد الحاجب بذلك سبيلا الى قصده ورتب حيلته وحمله صاحبه وأهم السلطان شأن بجاية ونواحيها وخشي عليها من راشد بما كان صديقا ملاطفا لعبد الرحمن بن مخلوف وفاوضهما فيمن يدفعه اليها فأشار عليه الحاجب بمنصور بن مزني وأشار منصور بالحاجب وتدافعاها أياما حتى دفعاها جميعا اليه وطلب ابن عمر من السلطان العقد لأخيه أبي بكر على قسنطينة فعقد له وولى عليا ابن عمه الحجابة بتونس نائبا عنه وفصل من الحضرة ولحق بقسنطينة وصرف منصور بن فضل الى عمله بالزاب فكان من خلافه ما نذكر وقام ابن عمر بخدمة السلطان أبي بكر يتصرف في حجابته ثم داخله في الانتقاض على أخيه وبدت مخايل ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان أبو البقاء وأحس علي بن الغمر بارتيابه فلحق بقسنطينة وجهز السلطان أبو البقاء عسكرا وعقد

عليه لظافر مولاه المعروف بالكبير وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة وأناخ بها الى أن كان من أمره ما نذكر وبادر ابن عمر الى المجاهدة ودعا مولانا السلطان أبا بكر اليه فأجابه وأخذ له البيعة على الناس فتمت سنة احدى عشرة وسبعمائة وتلقب بالمتوكل وعسكر بظاهر قسنطينة الى أن بلغه مجاهرة ابن مخلوف بخلافهم فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

{الخبر عن استيلاء السلطان على بجاية ومقتل ابن مخلوف وما كان من الادارة في ذلك}

كان يعقوب بن مخلوف ويكنى أبا عبد الرحمن كبير صنهاجة من جند السلطان الموطنين نواحي بجاية وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبهم ودفاع عدوهم ولما نازلت عساكر بني مرين على بجاية مع أبي يحيى بن يعقوب بن عبد الحق سنة ثلاث وسبعمائة كان له في حروبهم مقامات مذكورة وآثار معروفة وكان الأمير أبو زكريا وابنه يستخلفونه ببجاية زمان سفرهم عنها وكان يلقب بالمزوار ولما هلك خلفه في سبيله تلك ابنه عبد الرحمن واستخلفه السلطان أبو البقاء خالد على بجاية عندما نهض الى تونس سنة تسع وأنزله بها وكان طموحا جاهدا لا بأسه وقدمه ومكانه من الدولة فلما دعا السلطان أبو بكر لنفسه وخلع طاعة أخيه وأخذ له أبو عبد الرحمن بن عمر البيعة على الناس وخاطبوه بأخذ البيعة له على من يليه ببجاية وأعمالها فأبى منها وتمسك بدعوة صاحبه ونفس على ابن عمر ما تحصل له من ذلك من الحظ فجاهر بخلافهم وجمع واحتشد وتقبض على صاحب الأشغال عبد الواحد بن القاضي أبي العباس الغماري وعلى صاحب الديوان محمد بن يحيى القالون مصطنع الحاجب بن عمر من أهل المرية كان أسدى اليه عند اجتيازه به معروفا ورحل اليه عندما استولى على الرتبة ببجاية فكافأه عن معروفه واصطنعه وألقى عليه محبته ورقاه الى الرتب وصرفه في أعمال الجباية وقلده ديوان بجاية فتقبض عبد الرحمن بن مخلوف عليه وعلى صاحبه وجمع الناس وأعلن بالدعوة للسلطان أبي البقاء خالد وارتحل السلطان أبو بكر من معسكره بظاهر قسنطينة وأغذ السير الى بجاية ونزل مطلا عليه وأمهل الناس عامه يومهم

بياض بالاصل

وشرط ابن مخلوف على السلطان عزل ابن عمر وترددت الرسل بينهم في ذلك وكان الوزير أبو زكريا ابن أبي الاعلام من الساعين في هذا الاصلاح بما كان له من النهر على ابن مخلوف وحين رجع اليه باستناع السلطان عن شرطه ومنعه من الرجوع اليهم وحبسه عنده وزحف أهل المعسكر بالسلطان وخاموا عن لقاء صنهاجة ومن معهم من مغراوة أهل الشوكة والعصبية والعدد والقوة وأجفل السلطان من معسكره فانتهب وأحدث

اليه وسلب من كان من المعسكر وأخلاط الناس ودخل السلطان الى قسنطينة فى فل من عسكره وبعث ابن مخلوف عسكرا فى اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى قسنطينة فقاتلوها أياما ثم رجعوا الى بجاية وأقام السلطان واضطرب أمره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة واتصل به أن أبا يحيى زكريا ابن أحمد اللحيانى قفل من المشرق وانه لما انتهى طرابلس دعا لنفسه لما وجد بافريقية من الاضطراب فبويع وتوافت اليه العرب من كل جهة فرأى السلطان من مذاهب الحزم أن يبعث اليه بالحاجب ابن أبى عبد الرحمن بن عمر ليشيد من سلطانه ويشغل أهل الحضرة عنه فورى بالفرار عن السلطان وتواطأ معه على المكر بابن مخلوف فى ذلك ولحق ابن عمر باللحيانى واستحثه لملك تونس وهون عليه الامر وغدا السلطان عند فصول ابن عمر على منازله فكبسها وسطا بحاشيته وولى حجابته حسن بن ابراهيم بن أبى بكر بن ثابت رئيس أهل الجبل المطل على قسنطينة والقل من كتامة ويعرف قومه ببنى تيلان وكان قد اصطنعه من قبل وارتحل بالعساكر الى بجاية سنة ثنتى عشرة واستخلف على قسنطينة عبد الله بن ثابت أخا الحاجب وأشيع بالجهات أن السلطان تنكر لابن عمر وسخطه وأنه ذهب الى ابن اللحيانى واستجاشه على الحضرة وبلغ ذلك ابن مخلوف واستيقن اضطراب حال السلطان خالد بتونس فطمع فى حجابة السلطان أبى بكر وتوثق لنفسه منه بالعهد بداخلة عثمان ابن سبل بن عثمان بن سباع بن يحيى من رجالات الزواودة والولى يعقوب الملاذى من نواحى قسنطينة وأغذ السير من بجاية ولقى السلطان ببرجيوه من بلاد سدويكش فلقاه مبرة ورحبا ثم استدعاه من جوف الليل على رواقه الى شرب مع مواليه فعاقرهم الخمر الى أن ثمل واستغضبوه ببعض النزعات فغضب وأفزع فتناولوه طعنا بالخناجر الى أن قتلوه وجزوا شلوه فطرحوه بين الفساطيط وتقبض على سائر قومه وحاشيته وفر كاتبه عبد الله بن هلال فلحق بالمغرب وارتحل السلطان مغذا الى بجاية فدخلها وظفر بها وتملك بها حتى دار ملكه وعلا وكان دخوله الى بجاية على حين غفلة من أهلها واستولى السلطان على سائر المملكة التى كانت تحت ايالة أبيه بالجهة المعروفة بالناحية الغربية وتكمل واستوسق له أمرها وأقام فى انتظار صاحبه ابن عمر الى أن كان من الامر ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن مهلك السلطان أبى البقاء خالد واستيلاء
السلطان أبى يحيى بن اللحيانى على الحضرة }

كان السلطان أبو البقاء خالد بعد بيعة السلطان أبى بكر بقسنطينة قد اضطربت أحواله وجهز اليه العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فعسكر

بجاية وأراح ينتظر أمر السلطان وكان أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن اللحيانى ابن أبى محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص قد بويع بطرابلس لما قفل من المشرق ورأى اضطراب الاحوال ووفد عليه هنالك الحاجب أبو عبد الرحمن بن عمر بهدية من السلطان أبى بكر وانه عدته وبظاهره على شأنه فأحكم ذلك من عقدته وشد من أمره وتوافت اليه رجالات الكعوب أولاد أبى الليل ومعهم شيخ دولته أبو عبد الله محمد بن محمد المزدورى فأغذوا السير الى الحضرة وبعث السلطان الى مولاه ظافر بمكانه من باجة مستجيشا به فاعترضوه قبل وصوله وأوقعوا به واعتقلوا ظافرا وصبحوا تونس ثامن جمادى سنة احدى عشرة ووقفوا بساحتها فكانت هيعة بالبلد قتل فيها شيخ الدولة أبو زكريا الحفصى وغدا القاضى أبو اسحق بن عبد الرفيع على السلطان وكان متبوعا سائر ما قوى الشكيمة فأغراه بمدافعة العدو فخام عن لقائه واعتذر بالمرض واشهد بالانخلاع عن الامر وحل البيعة ودخل أبو عبد الله المزدورى القصر فاستمكن من اعتقاله ثم جاء السلطان أبو يحيى اللحيانى على أثره بلا تأخر فبويع البيعة العامة بظاهرها ودخل الى البلد واستولى عليها وولى على حجابته كاتبه أبا زكريا يحيى ابن على بن يعقوب على الاشغال بالحضرة بحضرة ابن عمه محمد بن يعقوب وبنو يعقوب هؤلاء أهل بيت بشاطبة من بيوت العلم والقضاء وقدموا الى الحضرة امام بجاية وكان منهم أبو القاسم عبد الرحمن بن يعقوب وفد مع ابن الامين صاحب طنجة كما قدمناه وتصرف فى القضاء بافريقية وولاه السلطان المستنصر قضاء الحضرة وسافر عنه الى ملوك مصر وكان بنو على هؤلاء عبد الواحد ويحيى ومحمد من أقاربه فكان لهم ظهور فى دولة السلطان أبى حفص وبعدها وكان عبد الواحد منهم صاحب جباية الجريد وهلك بتوزر سنة ثنتين وسبعمائة وكان السلطان أبو يحيى بن اللحيانى قد استكتب أخاه أبا زكريا يحيى أيام رياسته على الموحدين فحظى عنده واختصه ولازمه وحج معه فلما ولى الخلافة أحظاه وولاه حجابته ولما استقر بتونس واستوسق له الامر أعاد الحاجب أبا عبد الرحمن بن عمر الى مرسله السلطان ابن بكر بعد أن وثق معه العهد الى أبى يحيى على المعاهدة وضمن له ابن عمر فأقام عنده مكرما منسع الجراية والاسهام الى أن كان من الامر ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الخبر عن قدوم ابن عمر على السلطان بجاية ونكبة ابن ثابت وظافر الكبير) *

لما قدم ابن عمر على بجاية استبد بحجابته وكفالته كما كان وليوم وصوله من عبد الله ابن هلال كاتب ابن مخلوف ولحق بتلمسان وشمر ابن عمر عزائمه للاطلاع بأمره ودفع حسن بن ابراهيم بن ثابت عن الرتبة فلم يتزحزح يوما وخرج لجباية الوطن ثم أغرى به

السلطان وحذره من استبداده بقسنطينة لمكان معقلها المجاور لها وسعايات تنتحيهم حتى صادفت القبول بمكانه والوثوق بنصائحه وخرج السلطان فى العساكر من بجاية الى قسنطينة سنة ثلاث عشرة للنظر فى أحوالها فلما انتهى الى برجيوه لقيه عبد الله بن ثابت فتقبض عليه وعلى أخيه حسن بن الحاجب سنة ثلاث عشرة بعد أن استصفى أموالهما ويقال انه بعد خروج حسن بن ثابت الى عمل قسنطينة بعث فى أثره بعض مواليه وأوعز معهم الى عمل عبد الكريم بن منديل ورجالات سدونكش فقتلوه بوادى القطن وأن السلطان لم يباشر نكبته وكان ظافر الكبير بعد انهزامه وحصوله فى أسر العرب كما قدمناه انعموا عليه وأطلقوه ولحق بالسلطان أبى بكر فآثره واستخلصه كما كان لاخيه وولاه على قسنطينة عند نكبة بنى ثابت واستكتب أبا القاسم ابن عبد العزيز نخاوه من الولايات فأقام ظافر بها بقسنطينة ثم استقدمه السلطان الى بجاية وقد نص ابن عمر مكانه فأغرى به السلطان فتقبض عليه وأشخصه فى السفينة الى الاندلس والله أعلم

(الخبر عن منازلة عساكر بنى عبد الواد بجاية وما كان فى ذلك من الاحداث)

كان السلطان أبو يحيى بعد انهزام جنده عن بجاية سنة عشر بعث سعد بن بشر بن يخلف من مواليه الى أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وكان قد أتيح له فى زناتة المغرب الاوسط ظفر واعتزاز فلك أمصارهم من أيدى بنى مرين من بعد مهلك يوسف بن يعقوب على تلمسان ودوخ جهاته واستولى على أعمال مغراوة وتوجين وملك الجزائر واستنزل منها ابن علان الثائر بها وملك تدلس من يد ابن مخلوف فطمع لذلك موسى بن عثمان فى ملك بجاية ثم بلغه مهلك ابن مخلوف فبعث اليه السلطان فى المواصلة واستيلاء السلطان على ثغره فاستمر على المطالبة وادعى أن بجاية له فى شرطه وقارن ذلك لحاق صنهاجة اليه عند مهلك صاحبهم فرغبوا فى ملك بجاية وضغنوا له ثم قدم عثمان بن سباع ابن يحيى مغاضبا للسلطان بما كان من اساءته عليه فى ابن مخلوف واخفار ذمته وعهده فيه واستقر عنده ابن أبى يحيى بعد منصرفه عن الحجابة ورجوعه من الحج فرغبوا فى ذلك واستحثوه لطلب بجاية فسرح العساكر اليها لنظر محمد ابن عمه يوسف بن يغمراسن ومسعود بن عمه أبى عامر ابراهيم ومولاه مسامح وبعث معهما أبا القاسم بن أبى يحيى الحاجب ففصلوا عنه بدار مقامه بشلف فأغذوا السير وهلك ابن أبى يحيى فى طريقه بجبل ونازلوا البلد ثم جاوزوها الى الجهات الشرقية فتخنوا فيها ودخلوا جبل ابن ثابت واستولوا عليه واستباحوه سنة ثلاث عشرة ونالت منهم الحامية فى المدافعة بالقتل والجراحات أعظم النيل وقفلوا راجعين فشيدوا حصنا بتامزيزدكت ونونون لحرب واتهمت

أقواته وعدده وسرح أبو حمو عسكرا آخر لحصار بجاية عقد لمسعود بن عمر بن عامر بن ابراهيم بن يغمراسن فنزلوها سنة خمس عشرة واتصل بهم خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن وبنو توجين معه على أبى حمو وانهم أوقعوا به وهزموه واستولوا على معسكره فأجفل مسعود بن أبى عامر وعسكره وأفرجوا عن بجاية ووصل على أثرها خطاب محمد بن يوسف بالطاعة والانحياش فبعث السلطان اليه صنيعته محمد ابن الحاج فضل بالهدية والآلة ووعده بالمظاهرة وتسويغ السهام التى كانت ليغمراسن بافريقية وشغل ابن عبد الواد عن بجاية وخرج السلطان فى عساكره للاشراف على وطنه الى أن كان مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استبداد ابن عمر ببجاية)

لم يزل ابن عمر مستبدا على السلطان فى حجابته يرى أن زمامه بيده وأمره متوقف على انفاذه وصار يغريه ببطانته فيقتلهم ويغرمهم وربما كان السلطان يأنف من استبداده عليه وداخل بعض أهل قسنطينة سنة ثلاث عشرة لما أهمهم من حصارها واتصلت حاله معه على ذلك النحو من الاستبداد الى أن بلغ السلطان الشوق وأرهف حده وسطا بمحمد بن فضل فقتلهم فى خلوة مع قربه من غير مؤامرة الحاجب وباكر ابن عمر مقعده بباب دار السلطان فوجد شلوه ملقى فى الطريق مدرجا فى ثيابه وأخبر أن السلطان سطا به فداخله الريب من استبداد السلطان وارهاف حده وخشى بوادره وتوقع سعاية البطانة وأهل الخلوة تحيل فى بعده عنه واستبداده بالثغر دونه فأغراهم بطلب افريقية من يد ابن اللحيانى وجهزهم بما يصلح من الآلة والفساطيط والعساكر والخدام ورتب له المراتب وارتحل السلطان الى قسنطينة سنة خمس عشرة ثم تقدم غازيا الى بلاد هوارة وأجفل عنها أقرابهم وكان قائدها من مواليهم فاستوفى جباية هوارة وقفل الى قسنطينة سنة ست عشرة واستبد ابن عمر ببجاية ومدافعة العدو من زناتة عنها واستخلف على حجابة السلطان محمد بن قانون قرة عينه بما كان يؤمل من استبداده الى أن كان من أمره مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن سفر السلطان أبى يحيى اللحيانى الى قابس وتجافيه عن الخلافة)

كان هذا السلطان أبو يحيى اللحيانى قد طعن فى السن وكان بصيرا بالسياسة مجربا للامور وكان يرى من نفسه العجز عن الخلافة واستحقاقها مع أبناء الامير أبى زكريا الاكبر استفحال صاحب الثغور الغربية الامير أبى زكريا واستغلاظ أمره من انتظم فى ديوان جنده من أعياص زناتة وفحول شواههم من توجين ومغراوة وبنى عبد الواد وبنى مرين كانوا

بياض بالاصل

يفزعون اليه مع الامام من ملوكهم خشية على أنفسهم لما قاسموهم فى النسب وساهموهم فى عصوبية القبيل ونخولة الشول ومنهم من غلبوا على مواطنهم فملكوها عليهم مثل مغراوة وبنى توجين وملكيش فاستكثف بذلك جند السلطان وكثرت جموعه وهابه الملوك ونهض سنة ست عشرة الى افريقية وجال فى بلاد هوارة وأخذ جبايتها كما ذكرنا فتوقع السلطان ابن اللحيانى زحفه اليه بتونس وكانت افريقية مضطربة عليه وكان تعويله فى الحامية والمدافعة على أوليائه من العرب وولى منهم حمزة بن عمر بن أبى الليل فحكمه الشركة فى سلطانه وأفرده برياسة العرب وأجزل الرسن وسرب اليه الاموال وكثر بذلك زبون العرب واخلافهم عليه فاجتمع على التقويض عن افريقية ونقض من الخلافة لجمع الاموال والذخيرة وباع ما كان بمودعاتهم من الآنية والفرش والخرثى والماعون والمتاع حتى الكتب التى كان الامير أبو زكريا الاكبر جمعها واستجاد أصولها ازدوا منها أخرجت للوراقين فبيعت بدكاكين سوقهم تجمع من ذلك زعموا قناطير من الذهب تجاوز العشرين قنطارا وجوالقين من حصى الدر والياقوت وخرج من تونس الى قابس موريا بمشارفة عملها فاتح سنة سبع عشرة بعد ان رتب الحامية بالحضرة وباجة والحامات واستخلف بالحضرة وخرج من تونس الى قابس وانتهى الى قابس فأقام بها وصرف المال فى جهاتها الى أن كان من بيعة ولده من تونس كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض السلطان أبى بكر الى الحضرة ورجوعه الى قسنطينة)

لما رجع السلطان من هوارة الى قسنطينة سنة ست عشرة كما قدمناه استبلغ فى جهاد حركة أخرى الى تونس فاحتشد وقسم العطاء وأزاح العلل واعترض الجنود على طبقاتهم من زناتة والعرب وسدويكش واستخلف على قسنطينة الحاجب محمد بن القالون وبعث الى حاجبه الاعظم أبى عبد الرحمن بن عمر بمكانه من امارة بجاية فى مدد المال للنفقات والاعطيات فبعث اليه منصور بن فضل مومزنى عامل الزاب وكان ابن عمر لما رأى من كفايته وانه جماعة للمال استضاف له عمل جبل أوراس والحضنة وسدويكش وعياض وسائر اعمال الضاحية فكانت اعمال الجباية كلها بنظره واموالها فى حساب دخله وخرجه فبعثه ابن عمر ليقيم انفاق السلطان واستخلفه على خطة حجابته وارتحل السلطان من قسنطينة فى جمادى سنة سبع عشرة يطوى المراحل ولقيه فى طريقه وفود العرب وانتهى الى باجة مستغشا حاميتها الى تونس وكان السلطان أبو يحيى اللحيانى قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف عليها أبا الحسن بن وانودين وبعث اليه بنهوض السلطان أبى بكر الى تونس وانه محتاج

الى المدافعة فاعتذر اليهم اللحيانى بما قبله من الاموال وأطلق يدهم فى الجيش والمال فركبوا واستلحقوا رئيس الديوان وأخرجوا ابنه محمدا ويكنى أبا ضربة فأطلقوه من اعتقاله ولقيهم الخبر باشراف السلطان أبى بكر الى باجة فخرجوا جميعا من تونس وخالفهم الى السلطان مولاهم ابن عمر بن أبى الليل كان مضطغنا على الدولة متربصا بها كما كان اللحيانى يؤثر عليه أخاه حمزة فلقى السلطان دون باجة فأعطاه صفقته واستحثه ووصل الى تونس فنزل روض السنافرة من رياض السلطان فى شعبان من سنة سبع عشرة وخرج اليه الملأ وترددوا فى البيعة بعض الشئ انتظارا لشأن أبى ضربة وأصحابه وكان من خبرهم ان السلطان لما أغذ السير من باجة بادر حمزة بن عمر الى بطانة اللحيانى وأوليائه بتونس فلقيهم وقد خرجوا عنها فأشار عليهم ببيعة أبى ضربة ابن السلطان اللحيانى ومزاحفة القوم به فبايعوه وزحفوا الى لقاء السلطان ودس حمزة الى أخيه مولاهم أن يرحف بالمعسكر فأجفل السلطان عن مقامته بروض السنافرة سبعة أيام من احتلاله قبل أن يستكمل البيعة وارتحل الى قسنطينة ورجع عنه مولاهم من تخوم وطنه وسرح منصور بن مزنى الى ابن عمر بباجة ودخل أبو ضربة بن اللحيانى والموحدون الى تونس منتصف شعبان من سنته وبويع بالحضرة البيعة العامة وتلقب المنتصر وأراد أهل تونس على ادارة سور بالارباض فيكون سياجا عليها فأجابوه الى ذلك وشرع فيه وأوهنه العرب فى مطالبهم واشتطوا عليه فى شروطهم الى أن عاود مولانا السلطان حركته كما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء السلطان أبى بكر على الحضرة وايقاعه بأبى ضربة وفرار أبيه من طرابلس الى المشرق)

لما قفل السلطان من تونس الى قسنطينة بعث قائده محمد بن سيد الناس بين يديه الى بجاية فارتاب لذلك ابن عمر بوصول أمره وتنكر له وشعر السلطان بذلك وأغضى له وطالبه فى المدد فاحتفل فى الحشد والآلة والابنية وبعث اليه سبعة من رجال الدولة بسبعة عساكر وهم محمد بن سيد الناس ومحمد بن الحكم وظافر السنان وأخوه مر موالى الامير أبى زكريا الاوسط ومحمد المديونى ومحمد المحرسى ومحمد البطوى وبعث له من فحول زناتة وعظمائهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بنى مرين كان ارتحل اليه من الاندلس كما نذكر فى خبره وأبا رشيد بن محمد بن يوسف من أعياص بنى عبد الواد فيمن كان معهم من قومهم وحاشيتهم وترادوا بعساكرهم عند السلطان بقسنطينة فاعتزم على معاودة الزحف الى تونس وكان قد اختبر أحوال افريقية وأحسن فى ارتياضها فخرج فى صفر من سنة ثمانى عشرة واستعمل على حجابته أبا عبد الله

ابن القالون ويرادفه أبو الحسن بن عمر ووافاه بالاندلس وفد هوارة وكبيرهم سليمان بن جامع وأخبروه بأن أبا ضربة بن اللحيانى انتقل من باجة بعد أن نازلها معتزما على اللقاء فارتحل مولانا السلطان مغذا ولقيه مولاهم ابن عمر فراجع الطاعة وارتحلوا فى اتباع أبى ضربة وجموعه حتى شارفوا القيروان فخرج اليه عاملها ومشيختها فألقوا اليه باليد وأعطوا الطاعة وارتحل السلطان راجعا عن اتباع عدوه الى الحضرة وقد نزل بها أبو ضربة بن اللحيانى من بطانة محمد بن الفلاق لتمانع ذويها فأخرج الرماة الى ساحتها وقفل العساكر ساعة من نهار ثم اقتحموها عليه واستبيح عامة أرباضها وقتل ابن الفلاق ودخل السلطان الى الحضرة فى ربيع من سنته فأقام خلالا انعقدت بين العامة وقدم على الشرطة ميمون بن أبى زيد واستخلفه على البلد ورحل فى اتباع أبى ضربة بن اللحيانى وجموعه فأوقع بهم بمصبوح من جهات بلاد هوارة وقتل من مشيخة الموحدين أبا عبد الله بن الشهيد من أهل البيت الحفصى وأبا عبد الله بن ياسين ومن ضبة كتاب أبى الفضل البجائى وتقبض على شيخ الدولة أبى محمد عبد الله بن يعمور وقيد الى السلطان فعفا عنه وقومه ليومه ثم أعاده الى خطته بعد ذلك ورجع السلطان الى تونس من سنته وكان السلطان أبو عيسى بن اللحيانى لما بلغه الخبر بنهوض السلطان الى تونس حركته الثانية سنة سبع عشرة وما كان من بيعة الموحدين والعرب لابنه أبى ضربة وارتحل من مقامه بقابس الى نواحى طرابلس ثم بلغه رجوع السلطان الى قسنطينة فأوطن طرابلس أبا عبد الله بن يعقوب قريب حاجبه ومعه حمزة بن مرغم كبير الجوازى من ذئاب فدوخ البلاد وفتح المعاقل وجبى الاموال وانتهى الى برقة واستخدم آل سالم وآل سليمان من حزب ذئاب ورجع الى سلطانه بطرابلس ووافاه الخبر بانهزام أبى ضربة ابنه فبعث حاجبه أبا زكريا ابن يعقوب ووزيره أبا عبد الله بن ياسين بالاموال لاحتشاد العرب ففرقوها فى علان وذئاب وزحف أبو ضربة الى القيروان وبلغ خبره الى السلطان أبى بكر فخرج من تونس آخر شعبان من سنة ثمان عشرة فأجفلوا عن القيروان ثم تذامروا وعقلوا رواحلهم مستميتين بزعمهم حتى أطلت عليهم العساكر بمكان فج النعام فانفضت جموعهم وشردت رواحلهم وارتحلوا منهزمين والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه ولجأ أبو ضربة فى فله الى المهدية وكانوا مقيمين على دعوة أبيه فامتنع منها الى أن كان من شأنه ما نذكره وبلغ خبره الى أبيه بمكانه من طرابلس فاضطرب معسكره وبعث الى النصارى فى اسطول يحمله الى الاسكندرية فوافده ستة أساطيل فاحتمل أهله وولده وركب البحر ومعه حاجبه أبو زكريا بن يعقوب الى الاسكندرية واستخلف على طرابلس أبا عبد الله بن أبى

عمران من ذوى قرابته وصهره فلم يزل بها الى أن استدعاه الكعوب ونصبوه للامر وأجلبوا به على السلطان مرارا كما نذكره بعد وركب السلطان أبو يحيى بن اللحيانى البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن قلاون من ملوك الترك بمصر والشام واستقدمه الى مصر فعظم من مقدمه واهتز للقائه ونوه من مجلسه وأسنى من جرايته واقطاعه الى أن هلك سنة ثمان وعشرين ورجع السلطان أبو بكر الى تونس بعد الواقعة على أبى ضربة وقومه بفج النعام فدخلها فى شوال من سنته واستقامت افريقية على طاعته وانتظمت أمصارها وثغورها فى دعوته الى المهدية وطرابلس كما ذكرناه الى أن كان ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك الحاجب بن عمر بجاية وولاية الحاجب محمد بن القالون عليها ثم الادالة منه بابن سيد الناس}

كان الحاجب بن عمر لما استبد بجاية سنة خمس عشرة انتقل السلطان الى قسنطينة ولم يراجعها بعد ثم لما رجع من تونس ثانية حركته سنة سبع عشرة صرف اليه منصور ابن فضل وبعث فى أثره قائده أبا عبد الله محمد ابن حاجب أبيه محمد بن سيد الناس يهيئ له قصوره بجاية للتحول اليها فردّه ابن عمر وتنكر له وطالبه السلطان فى المدد فبادر به أقطعه جانب الرضا وعقد له على بجاية وقسنطينة كما ذكرنا ذلك كله قبل فاستبد ابن عمر بالثغر وما اليه من الاعمال مقتصرا على ذكر السلطان فى الخطبة واسمه فى السكة وأقام على ذلك الى أن ملك السلطان تونس واستولى على جهاتها وبعث اليه بابن عمه على بن محمد بن عمر فعقد له أبو عبد الرحمن الحاجب على قسنطينة فمضى اليها وهو فى خلال ذلك كله يدافع عساكر زناتة عن بجاية وقد كان أبو حمو صاحب تلمسان بعد ظهوره على محمد بن يوسف واسترجاعه بلاد مغراوة وتوجين من يده كما قدمناه يسرب العساكر لحصارها وابتنى بالوادى على مرحلتين منها قلعة بكر يجهز بها الكتائب لحصارها ثم هلك أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين من بعده سنة ثمان عشرة فتنفس مخنق الحصار عن بجاية ريثما كانت حركة السلطان الى تونس وفتحها ثم خرج أبو تاشفين من تلمسان لتمهيد أعماله وقتل محمد بن يوسف بمعقله من جبل وانشريس كما نذكره فى أخبارهم ثم ارتحل من هنالك راجعا الى تلمسان وأصاب ابن عمر مرض فبعث عن على ابن عمه بمكان عمله بقسنطينة وعهد اليه بأمره والقيام بولاية بجاية الى أن يصل أمر السلطان وهلك لايام على فراشه فى شوال من سنة تسع عشرة وقام على بن عمر بأمر بجاية واتصل الخبر بالسلطان فأهمه شأن الثغر وطير ابن سيد الناس اليه مع قهرمانة داره لتحصيل خزينته والبحث عن ذخيرته فاستوفى من ذلك فوق الكثرة من الصامت والذخيرة وقدم معه

على بن عمر فأولاه السلطان من رضاه ما أحسب أمله وأقام بالحضرة الى أن كان منه خلاف مع ابن أبى عمران ثم راجع الطاعة وقد أحفظ السلطان بولايه عدوه فلما عاد الى تونس أوعز الى مولاه نجاح وهلال بقتله فاغتالوه خارجا من بستانه فأشووه وهلك من جراحته والله اعلم

{ الخبر عن امارة الامير أبى عبد الله على قسنطينة وأخيه الامير أبى زكريا على بجاية وتولية ابن القالون على حجابتها }

لما هلك ابن عمر أهم السلطان شأن بجاية لما كانت عليه من حال الحصار ومطالبة بنى عبد الواد فرأى أن يكشف الحامية بالثغور القريبة وينزل بها ابناءه للمدافعة والحماية وعقد على قسنطينة لابنه الامير أبى عبد الله وعقد على بجاية لابنه الآخر الامير أبى زكريا وجعل حجابتها لابى عبد الله بن القالون مستبدا عليهما لمكان صغرهما وأكثف له الجند وأمره بالمقام ببجاية للممانعة من العدو الملح على حصارها وارتحلوا من تونس فاتح سنة عشرين فى احتفال من العسكر والاصحاب والابهة وابقى خطة الحجابة خلوا ممن يقوم بها ابقاء على ابن القالون وبقى للتصرف فى الامور من رجالات السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الكردى الملقب بالمزوار وكان مقدما على بطانة السلطان المعروف بالدخلة وعلى الاشغال الكاتب أبو القاسم بن عبد العزيز وسنذكر أوليتهما بعد وانصرف الى بجاية نازلا فى حلل العز والتنويه الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{ الخبر عن استقدام ابن القالون والادالة منه بابن سيد الناس فى بجاية وبظافر الكبير فى قسنطينة }

لما انصرف أبو عبد الله بن يحيى بن قالون الى بجاية وخلا وجه السلطان فيه لبطانته عند ولايته ببجاية بثوا فيه السعايات ونصبوا له الغوائل وتولى كبر ذلك المزوار بن عبد العزيز بمداخلة أبى القاسم بن عبد العزيز صاحب الاشغال وعظمت السعاية فيه عند السلطان حتى داخلته فيه الظنة وعقد لمحمد بن سيد الناس على بجاية وقام بأمر حصارها وحجابة أميرها الى أن استقدم للحجابة وكان من أمره ما نذكره ومر ابن قالون بقسنطينة فى طريقه الى الحضرة فحدثته نفسه بالامتناع بها وداخل مشيختها فى ذلك فأبوا عليه فأشخصهم الى الحضرة نكالا بهم ونمى الخبر بذلك الى السلطان فاسرها لابن قالون وعزم على استضافة الحجابة بقسنطينة لابن سيد الناس فاستعفى مشيختها وأروه ان الامين قريبه وابن أخيه وذكروه نزوة أبيه فأقصر عن ذلك وصرف اعتزامه الى مولاه ظافر الكبير وذلك عند قدومه من المغرب وكان من خبره انه كان من موالى الامير

أبى زكريا وكان له فى دولة ابنه السلطان أبى البقاء خطوة ووزحت هو بالعسكر عند ما استراب السلطان أبو بكر فأقام بباجة وجاء المزدورى والعرب الى تونس فى مقدمة ابن اللحيانى فزحف اليهم ففضوه وتقبضوا عليه كما ذكرناه ذلك كله ثم لحق بعدها بمولانا السلطان أبى يحيى وأعاده الى مكانه من الدولة وولاه قسنطينة عند مهلك ابن ثابت سنة ثلاث عشرة ثم غص به ابن عمر وأغرى به السلطان فأشخصه فى السفين الى الاندلس وجاز الى المغرب ونزل على السلطان أبى سعيد الى أن بلغه الخبر بمهلك ابن عمر فكر راجعا الى تونس ولقاه السلطان مبرة وتكريما ووافق ذلك وصول الحاجب ابن قالون من بجاية فعقد السلطان لظافر هذا على حجابة ابنه بقسنطينة الامير أبى عبد الله فقدمها وقام بأمرها واستعمل ذويه وحاشيته فى وجوه خدمتها وصرف من كان هنالك من الخدام أهل الحضرة الى بلدهم وكان بها أبو العباس بن ياسين متصرفا بين يدى الامير أبى عبد الله والكاتب أبو زكريا بن الدباغ على أشغال الجباية وكانا قدما من الحضرة فى ركاب الامير أبى عبد الله فصرفهما القائد ظافر لحين وصوله واشتغل بأمره الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ظهور ابن أبى عمران وفرار ابن قالون اليه على عينه)

كان محمد بن أبى عمران هذا من أعقاب أبى عمران موسى بن ابراهيم ابن الشيخ أبى حفص وهو الذى ولى افريقية نائبا عن أبى محمد عبد الله ابن عمه الشيخ أبى محمد عبد الواحد كتب له بها من مراكش لاول ولايته فأقام واليا عليها ثمانية أشهر الى أن قدم آخر سنة ثلاث وعشرين وستمائة وأقام أبو عمران هذا فى جملتهم الى أن هلك ونشأ بنوه فى ظل دولتهم الى أن كان من عقبه أبو بكر والد محمد هذا فكان له صيت وذكر وكان السلطان أبو يحيى زكريا ابن اللحيانى قد رعى له ذمة قرابته ووصله بصهر عقده لابنه محمد على ابنته واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفينة الى الاسكندرية وكان أبو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان أبو بكر فامتنعت عليه وأقلع عنها على سلم عقده لابى ضربة وأقام حمزة ابن عمر فى سبيل خلافه على السلطان يتقلب فى نواحى افريقية حتى عظم زبونه على السلطان ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن أبى عمران من مكان ولايته لثغر طرابلس وزحف الى تونس مفاوضا الى السلطان وكمال تعبيته فخرج السلطان أبو بكر عن تونس فى رمضان من سنة احدى وعشرين ولحق بقسنطينة وصحبه اليها مولاهم ابن عمر وكان الحاجب محمد بن يحيى بن قالون قد غصته البطانة والحاشية بالسعاية فيه عند السلطان وتبين له انحرافه عنه وكان معن بن مطاع الفزارى وزير

حمزة بن عمر وصاحب شواره صديقا لابن قالون ومخالصا له فداخله فى الاجلاب بابن أبى عمران فلما خرج السلطان أمام زحفهم تخلف ابن قالون بتونس وركب من الغد فى البلد مناديا بدعوة ابن أبى عمران ودخل ابن أبى عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة وأقام بها بقية سنته وصدرا من أخرى ولحق السلطان بقسنطينة فجمع عساكره واحتشد جموعه وأزاح العلل واستكمل التعبية وزحف منها فى صفر سنة ثنتين وعشرين وخرج ابن أبى عمران للقائه مع حمزة بن عمر فى جموع ولقيهم السلطان أولى وثانية بالرحلة وأوقع بهم وقتل شيخ الموحدين أبا عبد الله بن أبى بكر وكان على مقدمتهم محمد بن أبى منصور بن مزنى وغيره وأثخن العساكر فيهم قتلا وأسرا وكان للسلطان فيها ظهور لا كفاء له ثم تقبض على مولاهم ابن عمر فكان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مقتل مولاهم ابن عمر وأصحابه من الكعوب)

لما أتيح للسلطان من الظهور على ابن أبى عمران واتباعه والظفر بهم ما أتيح وصنع لهم فيه رغم أنف مولاهم ابن عمر وظهرت من أصحابه كلمات أنبأت بفساد دخلتهم ثم نمى للسلطان أن مولاهم داخل فى الفتك به ابنه منصورا وربيبه جعدان ومعدان ابن عبد الله ابن أحمد بن كعب وسليمان بن جامع من شيوخ هوارة وتنى بذلك عنهم ابن عمهم عون ابن عبد الله بن أحمد بعد أن داخلوه فيها فتنصح بها للسلطان فلما عدوا على السلطان تقبض عليهم وبعثهم الى تونس فاعتقلوا بها ورجع هو الى الحضرة فدخلها فى جمادى من سنته وجدد البيعة على الناس وزحفت العرب فى اتباعه حتى نزلوا بظاهر البلد وشارطوا عليه اطلاق مولاهم وأصحابه فأنفذ السلطان قتلهم فقتلوا بمحبسهم وبعث باشلائهم الى حمزة فعظم عنده موقع هذا الحزن وصرخ فى قومه وتآمروا أن يثأروا بصاحبهم وأغذ السير الى الحضرة وابن أبى عمران معهم على حين افتراق وازاحة السلطان وظنوا أنهم ينتهزون الفرصة وخرج السلطان عن تونس لاربعين يوما من دخولهم ولحق بقسنطينة ودخل ابن أبى عمران الى تونس فأقام بها ستة أشهر خلال ما احتشد السلطان جموعه واستكمل تعبيته ونهض من قسنطينة وزحف اليه ابن أبى عمران وهزمه ابن عمر فى جموعه فأوقع السلطان بهم وأثخن فيهم وشردهم فى النواحى وعاد الى تونس فدخلها فى صفر سنة ثلاث وعشرين ومضى حمزة لوجهه الى أن كان من امره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن واقعة رغيس مع ابن اللحيانى وزناتة وواقعة الشقة مع ابن أبى عمران)

لما انهزم حمزة بن عمر وابن أبى عمران عن تونس مرة بعد أخرى ورأى حمزة ابن أبى عمران غير مغن عنه صرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الى أبى ضربة ابن السلطان

اللحيانى بمكانه من المهدية فداخله فى الصريخ بزناتة والوفود على سلطان بنى عبد الواد فرحل معه أبو ضربة ووفدوا على أبى تاشفين صاحب تلمسان ورغبوه فى الظفر ببجاية وأن يشغل صاحب تونس عن مددها بترديد البعوث وتجهيز العساكر اليه فسرح معهم السلطان آلافا من العسكر وعقد عليها لموسى بن على الكردى صاحب الثغر بتيمرزدكت وكثيرا الحاشية والرجالات وارتحلوا من تلمسان يغذون السير وبلغ السلطان خبر فصولهم بتلمسان فبرز للقائهم من تونس فى عساكره حتى انتهى الى رغيس بين بونة وقسنطينة ولما أطلت عساكر زناتة والعرب اختل مصاف السلطان وانهزمت المجنبات وثبت فى القلب وصدق العزيمة واللقاء فاختل مصافهم وانهزموا فى شعبان سنة ثلاث وعشرين وامتلأت أيدى العساكر من اسلابهم والسبايا من نساء زناتة ومن عليهم السلطان وأطلقهن ورجع أبو ضربة وموسى بن على الكردى فى فلهم الى تلمسان وعاد السلطان الى حضرته لايام من هزيمتهم ولقيه الخبر فى طريقه باجتماع العرب بنواحى القيروان فتخطى الحضرة اليهم ولقيهم بالشقة وأوقع بهم ورجع الى تونس فى شوال من سنة أربع وعشرين فاتبعه حمزة ومن معه الى تونس عند ما افترقت العساكر ومعه ابراهيم بن الشهيد الحفصى وسبق اليه بخبرهم عامر أبو على ابن كثير فخرج للقائهم من يومه فى خف من الجنود بعد أن بعث عن عسكر باجة وقائدها عبد الله العاقل مولاه فصبحه العرب بنواحى شاذلة فقاتلوه صدرها وحمى الوطيس ووصل عبد الله العاقل والناس متواقفون واشتدت الحرب ثم كانت الهزيمة على العرب واستبيحت حرماتهم وافترقت جموعهم ورجع السلطان الى البلد واستقر بالحضرة والله تعالى أعلم

(الخبر عن اجلاب حمزة بابراهيم بن الشهيد وتغلبه على الحضرة)

لما انهزم أبو ضربة بن اللحيانى وحمزة بن عمر وعساكر بنى عبد الواد لحق أبو ضربة بتلمسان فهلك بها ولقى حمزة بعده من الحروب مع السلطان مالقى ويئس الكعوب من غلابه وتذامروا الفتنة والاجلاب عليه فوفد حمزة ابن عمر على ابن تاشفين صريخا ومعه طالب بن مهلهل قرنه فى قومه ومحمد بن مسكين شيخ بنى حكيم من أولاد القوس وكلهم من سليم ومعهم الحاجب ابن قالون فاستحثوا عساكره لصريخهم فكتب لهم السلطان كتيبة عقد عليها لموسى بن على الكردى وأعاده معهم ونصب لهم لملك تونس من أعياص أبى حفص ابراهيم بن الشهيد منهم وأبوه الشهيد هو أبو بكر بن أبى الخطاب عبد الرحمن الذى نصب للامر عند مهلك السلطان ابى عصيدة وقتله السلطان أبو البقاء خالد كما ذكرناه وكان أبوهم هذا قد لحق بالعرب ونصبوه للامر وأجلبوا به

على تونس اثر واقعة رغيس وبرزت اليهم العساكر فانهزموا كما ذكرناه ولحق بتلمسان وجاء هذا الوفد على اثره فنصبه السلطان ابو تاشفين لهم واستعمل على حجابته محمد بن يحيى بن القالون وبعث معهم العساكر لنظر موسى بن على الكردى وزحفوا الى افريقية وخرج السلطان أبو بكر من تونس لمدافعتهم فى ذى القعدة من سنة أربع وعشرين وانتهى الى قسنطينة وعاجلوه قبل استكمال التعبية فنزل بساحتها وأقام موسى بن على على منازلتها بعساكر بنى عبد الواد وتقدم ابراهيم بن الشهيد وحمزة بن عمر الى تونس فدخلها فى رجب سنة خمس وعشرين واستمكن منها وعقد على باجة لمحمد بن داود من مشيخة الموحدين وثار عامة فى بعض ليالى رمضان بعض بطانة السلطان كانوا بالبلد فى غيابات الاختفاء وكان منهم يوسف بن عامر بن عثمان وهو ابن أخى عبد الحق بن عثمان من اعياص بنى مرين وفيهم القائد بلاط من وجوه الترك المرتدفة بالحضرة وابن حسان نقيب الشرفاء فانعقدوا واجتمعوا من وجوه الليل وهتفوا بدعوة السلطان وطافوا بالقصبة فامتنعت عليهم فعمدوا الى دار كشلى من الترك المرتدفة وكان بطانة لابن القالون فقاتلوها وامتنعت عليهم ثم أعجلهم الصباح عن مرامهم وتتبعوا بالقتل وفرغ من شأنهم وكان موسى بن على ومن معه من العساكر لما تخلف عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة أقام عليها أياما ثم أقلع عنها لخمس عشرة ليلة من منازلته ورجع الى صاحبه بتلمسان وخرج السلطان من قسنطينة فاستكمل الحشد والتعبية ونهض الى تونس فأجفل منها ابن الشهيد وابن القالون ودخلها السلطان فى شوال سنة خمس وعشرين واستولى على دار ملكه وأقام بها الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حصار بجاية وبناء تيمرزدكت وانهزام عساكر السلطان عنها)

كان أبو تاشفين منذ خلاله الجو وتمكن فى الامر من القوم يلح على بجاية بترديد البعوث ومطاولة الحصار والسلطان أبو بكر يدفع لحمايتها والممانعة دونها من رجالات دولته وعظماء وزرائه الاول فالاول من أهل الكفاية والاضطلاع بما يدفع اليه من ذلك ويسرب اليهم المدد من الاموال والاسلحة والجنود وتعهد اليهم بالصبر والثبات فى المواطن ونظراؤه من وراء ذلك وكان أبو تاشفين كلما أحس من السلطان أبى بكر بنهوضه الى المدافعة عنها أو عزم على غزو كتائبه المجهزة عليها رماه بشاغل يوهن من عزمه ويسكن عنان بطشه وكانت فتنة ابن عمر من أدهى الشواغل فى ذلك بما كان يجنب العرب عن الطاعة ويجمع الاعراب للاجلاب على الحضرة وينصب الاعياص يطمعهم فيما ليس لهم من نيل الخلاف كان ذلك ديدنا متصلا أزمان تلك المدة ولما سرح

أبو

أبو تاشفين العساكر سنة خمس وعشرين الى ابراهيم بن الشهيد وحمزة بن عمر وأوليائهم من أهل افريقية وعقد عليها لموسى بن على من رجالاته نازل قسنطينة ثم أقلع عنها وعاود حصارها سنة ثمان وعشرين وشن الغارة فى نواحيها واكتسح الاموال ورجع الى وادى بجاية فاختط مدينة بسكلات على مرحلة منها وعلى فارعة الطريق الشارع من الغرب الى الشرق بما كانت بجاية رائغة عنه الى البحر فاختطوا تلك المدينة وشيدوها وجمعوا الايدى عليها وقسموها مسافات على جيوشهم فاستتمت لاربعين يوما وسموها تيمرزدكت باسم حصنهم الاقدم بالجبل قبالة وجدة حيث امتنع يغمراسن على السعيد ونازله وهلك عليه كما ذكرناه فى أخباره وشحنوا هذه المدينة بالاقوات والعدد وعمروها بالمقاتلة من الرجل والفرسان والقبائل وأخذت بمخنق البلد وقلق السلطان بمكانها فاوعز الى قواد عساكره وأصحاب عمالاته من مواليه وصنائعه أن يفروا بعساكرهم الى صاحب الثغر محمد بن سيد الناس ويزحفوا معه الى هذا البلد المخروب ويستميتوا دون تخريبه فنهض ظافر الكبير من قسنطينة وعبد الله العاقل من هوارة وظافر السنان من بونة وتوافوا ببجاية سنة سبع وعشرين وبلغ موسى بن على خبرهم فاستنفر من عساكر بنى عبد الواد وخرجت العساكر جميعا من بجاية تحت لواء ابن سيد الناس وزحف الى العدو بمحلهم من بسكلات فكانت الدبرة عليه وعلى أصحابه وقتل ظافر الكبير ورجع فلهم الى بجاية وداخلت ابن سيد الناس فيهم الظنة كما تداخل موسى بن على ابن زبون كل واحد منهما بصاحبه على سلطانه فنعهم من دخول البلد ليلتئذ وأسحروا قافلين الى أعمالهم وعقد السلطان على قسنطينة لابى القاسم بن عبد العزيز أياما ثم استقدمه الى الحضرة ليستعين به محمد بن عبد العزيز المزوار فى خطة حجابته بما كان غفلا من الادوات التى تحتاج اليها الحجابة وعقد على حجابة الامير أبى عبد الله بقسنطينة لمولاه ظافر السنان الى ان كان من تحويل شأنه ما نذكره اه

(الخبر عن مهلك الحاجب المزوار وولاية ابن سيد الناس مكانه ومقتل ابن القالون)

هذا الرجل محمد بن القالون المعروف بالمزوار لا أدرى من أوليته أكثر من أنه كردى من الاكراد الذين وفد رؤساؤهم على ملوك المغرب أيام اجلاهم التتر عن أوطانهم بشهرزور عند تغلبهم على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فمنهم من أقام بتونس ومنهم تقدم الى المغرب فنزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن جوارهم وصار قوم منهم الى بنى مرين وآخرون الى بنى عبد الواد حسبما نذكر فى أخبارهم ومن المقيمين بالحضرة كان سلف ابن عبد العزيز هذا الى أن نشأ هو فى دولة الامير أبى زكريا الاوسط صاحب الثغور الغربية تحت كنف من اصطناعه واختلط بأبنائه وقدم فى جملة ابنه السلطان أبى

بكر الى تونس مقدما فى بطانته ورئيسا على الحاشية المتسمين بالدخلة وكان يعرف بذلك بالمزوار وكان شهما وقورا امتد يناوله فى الدولة حظ من الظهور وهو الذى تولى كبر السعاية فى الحاجب بن القالون حتى ارتاب بمكانه ووفد الى أبى عمران سنة احدى وعشرين كما قدمناه وولاه السلطان الحجابة مكانه فقام بها مستعينا بالكاتب أبى القاسم بن عبد العزيز لخلوه هو من الادوات وانما كان شجاعا ذا همة ولم يزل على ذلك الى أن هلك فى شعبان سنة سبع وعشرين وأراد السلطان على الحجابة محمد بن خلدون جدنا الاقرب فأبى ورغب فى الاقالة فأجيب جنوحا لما كان بسبيله منذ سنين من الصاغية فى السكون والفرار من الرتب وأشار على السلطان بصاحب الثغر محمد بن أبى الحسين بن سيد الناس لتقدمة سلفه مع سلف السلطان وكثرة تابعه وحاشيته وقوة شكيمته فى الاضطلاع بما يدفع اليه أخبرنى بهذا الخبر أبى رحمه الله وصاحبنا محمد بن منصور بن مزنى قال لى حضرت لاستدعاء جدكم الى معسكر السلطان بباجة يوم مهلك المزوار وأدخله السلطان الى رواقه وغاب مليا ثم خرج وقد استفاض بين البطانة والحاشية أنه دعى الى الخطة فاستكره وأقام السلطان يومئذ فى خطة الحجابة الكاتب أبا القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم واستقدم خالصته محمد ابن حاجب أبيه أبى الحسين ابن سيد الناس فقدم فى محرم فاتح ثمان وعشرين وولاه حجابته فاضطلع بها وجدد له العقد على بجاية وحجابة ابنه بها فدفع اليها للنيابة عنه فى الحجابة صنيعته محمد بن فرحون ومعه كاتبه أبو القاسم بن المريد وجرى الحال على ذلك ببجاية وعساكر زناتة تجوس خلالها ومعاقلهم تأخذ بمخنقها وقدم ابن القالون دون مقدم ابن سيد الناس بشفاعة من نزيله على بن أحمد سيد الزواودة وطمع فى عوده الى الخطة وكان من خبره أنه لما تخلف عن السلطان بتونس فى خدمة ابن أبى عمران رأى ركوب السفن الى الاندلس فأعجلهم السلطان عن ذلك وخرج مع ابن أبى عمران فأجاب معه على الحضرة مرارا ولحق بتلمسان ثم جاء مع ابن الشهيد وفعل الافاعيل ثم انحل أمر ابن الشهيد ولحق هو بالزواودة من رياح ونزل على على بن أحمد رئيسهم لذلك العهد فأجاره وأنزله بطولقة من بلاد الزاب وخاطب السلطان فى شأنه واقتضى له الامان حتى أسعف ووفد على الحضرة مع أخيه موسى بن أحمد وفى نفس ابن القالون طمع فى الخطة وسبقه ابن سيد الناس الى السلطان فأشغل بها وجاء ابن القالون من بعده فأوصله السلطان الى نفسه واعتذر اليه ووعده وعقد له على قفصة فسار اليها وصحبه موالى السلطان من المعلوجين بشير وفارح وأوعز ابن سيد الناس الى مشيخة قفصة يتقبضون على حاشيته ليتمكن الموالى منه فلما نزل بساحة البلد قتل فى سككها فكانت لقتله هيعة تسامع الناس بعظمها من خارج

البلد وبرز ابن القالون من فسطاطه وقد كر فتقدم اليه الموالى الذين جاؤا معه وتناولوه طعنا بالخناجر الى أن هلك والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن ولاية الفضل على بونة)

كان السلطان عقد على بونة منذ أول دولته لمولاه مسرور المعلوجى فقام بأمرها فاضطلع بولايتها وكان من القبضة ومراسى الحروب بمكان وكان مع ذلك غشوما جبارا وخرج الى ولهاصة سنة [بياض بالاصل] فاضطرهم ونهضوا الى مدافعته عن أموالهم فحاربهم وبلغ خبر مهلكه الى السلطان فعقد على بونة لابنه أبى العباس الفضل وبعثه اليها وولى على حجابته وقيادة عسكره ظافر السنان من مواليه المعلوجين فقام بما دفع اليه من ذلك أحسن قيام الى أن كان من أمرهم ما نذكره

(الخبر عن واقعة الرياس وما كان قبلها من مقتل الامير أبى فارس أخى السلطان)

كان السلطان أبو بكر لما قدم الى تونس قدم معه اخوته الثلاثة محمد وعبد العزيز وعبد الرحمن وهلك عبد الرحمن منهم وبقى الآخران وكانا فى ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة فى الجاه وكان فى نفس الامير أبى فارس تشوف الى نيل الرتبة وتربص بالدولة وكان عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من فحول بنى مرين وأعياص ملكهم قدم على الحضرة نازعا اليها من الاندلس فنزل على ابن عمر ببجاية قبيل مهلكه سنة ثمان عشرة ثم لحق بالسلطان فلقاه مبرة ورحبا ووفر حظه وحظ حاشيته من الجرايات والاقطاع وجعل له أن يستركب ويستلحق وكان يستظهر به فى مواقف حروبه ويتجمل فى المشاهد بحركاته بما كان سيدا فى قومه وكان قد انعقدت له بيعة على أهل وطنه وكانت فيه غلظة وأنفة واباء وغدا فى بعض أيامه على الحاجب بن سيد الناس فتلقاه الاذن بالعذر فذهب مغاضبا ومر بدار الامير أبى فارس فحمله على ذات صدره من الخروج والثورة وخرجا من يومهما فى ربيع سنة سبع وعشرين وتدابيعض أحياء العرب فاعترضهما أمير الحى فعرض عليهما النزول فأما عبد الحق فأبى وذهب لوجهه الى أن لحق بتلمسان وأما الامير أبو فارس فأجاب ونزل وطيروا بالخبر الى السلطان فسرح لوقته محمد بن الحكيم من صنائعه وقواد دولته فى طائفة من العسكر والنصارى فصبحوه فى الحى وأحاطوا ببيت نزله بالبدو ودافع عن نفسه مستميتا فقتلوه قعصا بالرماح وجاؤا بشلوه الى الحضرة فدفن بها ونزل عبد الحق بن عثمان على أبى تاشفين حين نزل ورغبه فيما كان بسبيله من مطالبة الدولة الحفصية وتدويخ ممالكها ووفد على أثره حمزة بن عمر ورجالات سليم صريخا على عادتهم فأجاب أبو تاشفين صريخهم ونصب لهم محمد بن عمران وكان من خبره أنه تركه السلطان اللحيانى عاملا على طرابلس فلما

انهزم أبو ضربة وانحل أمره استقدمه العرب وأجلبوا به على الحضرة سنة احدى وعشرين فملكها سنة أشهر ثم أجفل عنها عند رجوع السلطان اليها ولحق بطرابلس الى أن انتقض عليه أهلها سنة أربع وعشرين وثاروا به وأخرجوه فلحق بالعرب وأجلبوا به على السلطان مرارا ينهزمون عنه فى كلها ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند أبى تاشفين فى خير جوار وكرامة وجراية الى أن وصل هذا الوفد اليه سنة تسع وعشرين فنصبه للامر بافريقية وامدهم بالعساكر من زناتة عليهم ليحيى بن موسى من بطانته وصنائع أبيه ورجع معهم عبد الحق بن عثمان بمن فى جملته من بنيه وعشيرته ومواليه وحاشيته وكانوا أحلاس حرب وفتيان كريهة فنهضوا جميعا الى تونس فزحف السلطان للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحى هوارة آخر سنة تسع وعشرين فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وفلت جموعه وأحيط به فأفلت بعد عصب الريق واصابته فى حومة الحرب جراحة وهن لها وقتل كثير من بطانته وحاشيته كان من أشهرهم محمد المديونى وانتهب المعسكر وتقبض على أحمد وعمر ابنى السلطان فاحتملا الى تونس حتى أطلقهما أبو تاشفين بعد ذلك فى مراسلة وقعت بينه وبين السلطان فاتحه فيها أبو تاشفين وجنح الى السلم وأطلق الابنين ولم يتم شأن الصلح من بعد ذلك وتقدم ابن أبى عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها فى صفر سنة ثلاثين واستبد عليه يحيى بن موسى قائد بنى عبد الواد وحجب التصرف فى شئ من أمره ثم عاد يحيى بن موسى الى سلطانه أبى بكر من قسنطينة الى تونس بعد أن استكمل الحشد والتعبية فأجفل ابن عمران عنها ودخل اليها السلطان فى رجب من سنته الى أن كان ما نذكره

{الخبر عن مراسلة ملك الغرب فى الاستجاشة على بنى عبد الواد وما يتبع ذلك من المصاهرة}

كان السلطان أبو بكر لما خلص من واقعة الرياس نجا الى بونة وركب منها البحر الى بجاية وقد ضاق ذرعه بالحاح بنى عبد الواد على ممالكه وتجهيز الكتائب على ثغره وترديد البعوث الى وطنه فأعمل نظره فى الوفادة على ملك المغرب السلطان أبى سعيد لما ذكره ما بين سلفه وسلفهم من السابقة وما لهم عند بنى عبد الواد فيأخذ بحجزتهم عنه ثم عين للوفادة عليه ابنه الامير أبا زكريا وبعث معه أبا محمد عبد الله بن تافراكين من مشيخة الموحدين لسان الخطابة ونجى الشورى وركبوا البحر من بجاية فنزلوا بمرسى غساسة واهتز صاحب المغرب لقدومه وأكرم وفادته واستبلغ فى القرى والاجازة وأجاب دعاءهم الى محاربة عدوهم وعدوه على شريطة اجتماع اليد عليها وموافاة السلطان أبى سعيد والسلطان أبى يحيى بعساكرهما تلمسان لموعد ضربوه لذلك وكان السلطان أبو

سعيد بعث سنة احدى وعشرين يحيى الرنداحى قائد الاسطول بسبتة الى مولانا السلطان أبى بكر فى الاصهار على احدى كرائمه وشغل عن ذلك ما وقع من شأن ابن أبى عمران فلما وفد عليه ابن السلطان وأولياؤه أعادا الحديث فى ذلك وعين للنيابة عنه فى الخطبة من السلطان ابراهيم بن أبى حاتم العزفى وصرفه مع الوفد فوافوا السلطان بتونس آخر سنة ثلاثين وقد أطرد عدوه وشفى نفسه فجاء بشقيقة الامير أبى زكريا بالسفر اليهم وزفها اليه فى أساطيله سنة احدى وثلاثين وانفذ لزفافها من مشيخة الموحدين أبا القاسم بن عتو ومحمد بن سليمان الناسك وقد مر ذكره فنزلت على وثير من الغبطة والعز وكان الشأن فى مهرها وزفافها ومشاهد أعراسها وولائمها وجهازها كله من المفاخر للدولتين ولم يزل مذكورا على الايام

(الخبر عن حركة السلطان الى المغرب وفرار بنى عبد الواد وتخريب تيمزدكت)

مات السلطان أبو سعيد على تفيئة ما قدمناه من الاخبار آخر سنة احدى وثلاثين وولى السلطان أبو الحسن من بعده فبعث الى أبى تاشفين يخاطبه فى القبض على عثمان عمه بلاد الموحدين وطغيانه عليها فلج واستكبر وأساء الرد فنهض اليه على سبيل الصريخ لهم سنة ثنتين وثلاثين وطوى البلاد طيا الى تلمسان وأفرجت عساكرهم عن بجاية الى سلطانهم وتقدم السلطان أبو الحسن عن تلمسان لمشارفة أحوال بجاية والاخذ بحجزة العدو لمحاصرتها وبعث عسكرا من قومه مددا لهم عقد عليهم لمحمد البطوى وأركبهم أساطيله من سواحل وهران فدخلوا اليها وقوبلوا بما يناسبهم من الكرامة والجراية واستنهض السلطان أبو الحسن أبا بكر لحصار تلمسان معه كما كان الشرط بين أبيه وبين ابنه الامير أبى زكريا فشرع السلطان فى جهاز حركته وازاحة علله وأقام السلطان أبو الحسن فى تاسالة فى انتظاره شهرا حتى انصرف فصل الشتاء وبلغه بعسكره من تاسالة أن أخاه السلطان أبا على صاحب سجلماسة انتقض عليه وخرج الى درعة فقتل عامله عليها بعد أن كان داخله وعقد له على المهادنة والتجافى عنه بمكانه من سجلماسة فلما بلغه هذا الخبر كر راجعا الى المغرب لاصلاح شأنه وكان السلطان أبو بكر قد خرج من تونس واحتفل فى الحشد والتعبية فانتهى الى بجاية وبعث مقدماته الى ثغور بنى عبد الواد المحيطة ببجاية فهزموا كتائبها ثم زحف بجملته الى تيمزدكت وفرت عنها الكتائب المجهزة بها فأناخ عليها حتى خربها وانتهب أموالها وأسلحتها ونسف آثارها وقفل عنها الى بلد المسيلة أختها فى الغى وموطن أولاد سباع من الزواودة كانت مشيختهم سليمان ويحيى ابنا على بن سباع وعثمان بن سباع عمهم وابنه سعيد قد تمسكوا بطاعة أبى تاشفين وحملوا عليها قومهم ونهجوا العساكره السبيل الى وطء بلاد

الموحدين والعيث فيها ومجاذبة حبلها وأقطعهم أبو تاشفين بلاد المسيلة وجبال مشنان ووانوغة وجبل عياض فأصاروها من أعماله فلما شرد السلطان عساكرهم عن بجاية وهدم ثغرهم عليها واسترجع أعمال بجاية اليها سار بجموعه الى هذا الوطن ليسترجع أعماله ويجدد به دعوته وزاد فى اغرائه بذلك على ابن أحمد كبير أولاد محمد لقتال أولاد سباع هؤلاء ونظرائهم وأهل أوتارهم ودخولهم فارتحل غازيا الى المسيلة حتى نزلها واصطلم نعمها وخرب أسوارها وبلغه بمكانه منها شأن عبد الواحد ابن السلطان اللحيانى واجلابه على تونس وكان من خبره أنه قدم من المشرق بعد مهلك أبيه السلطان أبى يحيى زكريا سنة تسع وعشرين فنزل على ذباب وبايع له عبد الملك بن مكى رئيس المشيخة بقابس وتسامع به الناس وافريقية شاغرة من الحامية والعساكر لنهوضهم مع السلطان فاغتنم حمزة بن عمر الفرصة واستقدمه فبايع له ورحل به الى الحضرة فنزل بساحتها ودخل عبد الواحد بن اللحيانى بصحابة ابن مكى الى البلد فأقاموا بها ريثما بلغ الخبر الى السلطان فقفل من الحضرة وبعث فى مقدمته محمد بن البطوى من بطانته فى عسكر اختارهم لذلك فأجفل ابن اللحيانى وجموعه عن تونس لخمس عشرة ليلة من نزوله ودخل البطوى اليها وجاء السلطان على أثره أيام عيد الفطر سنة ثنتين وثلاثين

الخبر عن نكبة الحاجب ابن سيد الناس وولاية ابن عبد العزيز وابن عبد الحكم من بعده

قد قدمنا أولية هذا الرجل وان أباه أبا الحسن كان حاجبا للامير أبى زكريا بجاية ولما هلك سنة تسعين وستمائة خلف ابنه محمدا هذا فى كفالة السلطان ومرعى نعمته فاشتمل كرسيهم عليه وآواه الى حجره وأرضعه مع الكثير من بنيه ونشأ فى كنفه وكان الحجاب للدولة من بعد أبيه مثل ابن أبى حى والرخامى صنائع لابيه فكانوا يعرفون حقه ويؤثرونه على أنفسهم فى التجلة ولم يدرأ فى سن الرجولية والسعى فى المجد الا أيام ابن عمر آخرهم فكان له منه مكان حتى اذا ارتحل السلطان أبو يحيى الى قسنطينة لطلب تونس وجهز له ابن عمر الآلات والعساكر وأقام له الحجاب والوزراء والقواد كان فيمن سرح معه محمد بن سيد الناس قائدا على عسكر من عساكره وكان سفير السلطان فكانت له عنده أثرة واختصاص وعقد له من بعد مهلك ابن عمر على بجاية لما عزل عنها ابن القالون كما قدمناه فاستبد بها على السلطان وحماها دون عساكر زناتة ودفع فى صدورهم عنها وكان له فى ذلك كله مقامات مذكورة وكانت بينه وبين قائد زناتة موسى بن على بن زبون مداخلة كل واحد منهما فى مكان صاحبه على سلطانه وفطن لامرهما وقلده حجابته سنة سبع وعشرين كما قدمناه واستخلف على مكانه بجاية صنيعته محمد بن فرحون

وأحمد بن مزيد للقيام بما كان يتولاه من مدافعة العدو وكفالة الامير أبى زكريا ابن السلطان وقدم هو على السلطان وأسكنه بقصور ملكه وفوض اليه أمور سلطانه تفويض الاستقلال فجرى فى طلق الاستبداد عليه وأرخى له السلطان حبل الامهال واعتد عليه فلتات الدالة على ما كانت الظنون ترجم فيه بالمداهنة فى شأن العدو والزبون على مولاه باستغلاظهم وأمهله السلطان لمكانه من حماية ثغر بجاية والاشتغال به دونه حتى اذا تجلت غمامتهم وأطل أبو الحسن عليهم من مرقبه ونهض السلطان أبو بكر الى بجاية وخرب تيمرزدكت فأغراه البطانة حينئذ بالحاجب محمد بن سيد الناس وتنبه له السلطان فأحفظ له استبداده وتقبض عليه مرجعه من هذه الحركة فى ربيع سنة ثلاث وثلاثين واعتقله ثم امتحنه بأنواع العذاب لاستخراج المال منه فلم ينبس بقطرة ومازال يستغيث ويتوسل بسوابقه من الرضاع والمربى وسوابق أبيه عند سلفه حتى لدغه العذاب فأفحش ونازل من السلطان وانخدع فقتل شدخا بالعصا وجرشلوه فأحرق خارج الحضرة وعفا رسمه كان لم يكن والى الله عاقبة الامور ولما تقبض السلطان على ابن سيد الناس ومحا أثر استبداده قلد حجابته الكاتب أبا القاسم بن عبد العزيز وقد كان قدم من الحج عند مبايعة ابن مكى لعبد الواحد بن اللحيانى فلحق بالسلطان فى طريقه الى تيمرزدكت فلم يزل معه الى أن دخل حضرته وتقبض على ابن سيد الناس فولاه الحجابة وكان مضعفا لا يقوم بالحرب فعقد السلطان على الحرب والتدبير لصنيعته وكبير بطانته يومئذ محمد بن الحكيم وفوض له فيما وراء الحضرة وهو محمد بن على بن محمد بن حمزة بن ابراهيم بن أحمد اللخمى ونسبه فى بنى العزفى الرؤساء بسبتة وجده أحمد هو أبو العباس المذكور بالعلم والدين والرأى ابن القاسم المستقل برياسة سبتة من بعد الموحدين وكان من خبر أوليته فيما حدثنى به محمد بن يحيى بن أبى طالب العزفى آخر رؤساء العزفيين بسبتة والمنقضى أمرهم بها بانقضاء رياسته وحدثنى أيضا بها حسين ابن عمه عبد الرحمن بن أبى طالب وحدثنى بها أيضا الثقة عن ابراهيم ابن عمهما أبى حاتم قالوا جميعا ان أبا القاسم العزفى كان له أخ يسمى ابراهيم وكان مسرفا على نفسه وأصاب دما فى سبتة وحلف أخوه أبو القاسم ليقتادن منه ففر ولحق بديار المشرق هذا آخر خبرهم وأن محمدا هذا من بنيه وبقية الخبر عن أهل هذا البيت من سراتهم أن ابراهيم أنجب محمدا وأنجب محمد حمزة ثم أنجب حمزة عليا فكلف بالقراءة واستظهر علم الطب فى ايالة السلطان أبى بكر بالثغور الغربية وأصاب السلطان وجع فى بعض أزمانه وأعياه دواؤه فجمع له الاطباء وكان فيهم على هذا فحدس على المرض وأحسن المداواة فوقع من السلطان أحسن المواقع واستخلصه لنفسه وخلطه بخاصته وأهل

خلوته وصار له من الدولة مكان لا يجاريه أحد فيه وكان يدعى في الدولة بالحكيم وبه عرف ابنه من بعده وأصهر الى احد بيوت قسنطينة فزوجوه وخلط أهله بحرم السلطان وولده محمد ابنه بقصره ووضع مع الامير أبى بكر ابنه ونشأ في حجر الدولة وكفالتها على أحسن الوجوه من تربيتها ولما بلغ الحد وصرف اليه رئيس الدولة يعقوب بن عمر وجه اقباله واختصاصه فكان له منه مكان اكسبه ترشيحا للرياسة فيما بعد من بين خواص السلطان وخلصائه ولما نهض السلطان الى افريقية قلده قيادة بعض العساكر ثم عقد له بعد مهلك ابن عمر على عمل باجة حين رقى ابن سيد الناس عنها الى بجاية وكان عمل باجة من أعظم الولاية في الدولة فاضطلع به ثم لما آمر السلطان بطانته في نكبة ابن سيد الناس دفعه لذلك فولى القبض عليه وكبله في عصبة من البطانة في بعض الحجر من رياض رأس الطابية واستدعى ابن سيد الناس الى السلطان ومر بمكانهم فلما انتهى اليهم توثبوا به وشدوه كتافا وتلوه الى محبسه بالبرج المعد لعقاب أمثاله بالقصبة وتولى ابن الحكيم من امتحانه وعذابه ماذكرناه الى أن هلك وعقد له السلطان مكانه على الحرب والتدبير من خططه وفوض اليه فيما وراء الحضرة كما قلناه وجعل تنفيذ الاموال والكتب على الاوامر لابن عبد العزيز فكان عدله في حمل الدولة الآن ابن عبد الحكيم كان أشف فيه لما كان اليه من التدبير في الحرب والرياسة على الكتابة لرياسة السيف على القلم فاضطلع برياسته وأحسن الغناء والولاية الى أن كان من خبره وخبر الدولة ماذكر

(الخبر عن فتح قفصة وولاية الامير أبى العباس عليها)

كان أهل الجريد منذ تقلص عنهم ظل الدولة عند انقسام الملك بين الثغور الغربية والحضرة وما اليها وصار أمرهم الى الشورى من المشيخة الا في الاحايين يؤثلون الاستبداد كما كانوا عليه من قبل الموحدين فقدم عبد المؤمن الى افريقية وبنى الدند على قفصة وقسنطينة وابن واطاس على توزر وابن مطروح على طرابلس فأتلوا فتكها وشغل مولانا السلطان أبو بكر عنهم بعد استقلاله بالامر وانفراده بالدعوة الحفصية شأن الفتنة مع آل يغمراسن بن زيان واجلاب عساكرهم مع حمزة بن عمر على أوطانه حتى اذا أخذ السلطان أبو الحسن بحجزتهم وأطل عليهم من مراقبه فعادوا الى أوكارهم بعد أن استبدوا وتنفس مخنق الثغور الغربية من حصارهم وزال عن كاهل الدولة اصرها فاهتم وسكن اضطراب الخوارج على الدولة وخفت أصوات المرجفين في مهالكها وصرف السلطان نظره الى اعطاف الذئاب الغاوية والكلاب العاوية زعماء أمصارها واعراب فلاتها فنهض الى قفصة سنة خمس وثلاثين وقد كان استبد

بشوارها يحيى بن محمد بن على بن عبد الجليل بن العابد الشريدى من بيوتاتها فنازلها أياما والعساكر تلح عليها بأنواع القتال ونصب عليها المجانيق فامتنعوا ثم جمع حتى قطع نخيلهم وامتناع صرائحهم فنادوا بالامان فأمنهم وخرج اليه ابن عبد الجليل رئيسهم الآخر من سنته فأشخصه الى الحضرة وأنزله بها ورجالات من قومه بنى العابد وفر سائرهم الى قابس فنزل في جوار ابن مكى ودخل أهل البلد في حكمه وتفيؤا بعد أن كانوا ضاحين من الملك ظله فأحسن التجاوز عنهم وبسط المعدلة فيهم وأحسن أمل ذوى الحاجات منهم بالاسهام والاقطاع وتجديد ما بأيديهم من المكتوبات السلطانية ثم آثرهم بسكنى بلده المخصوص بعديد لعهد الامير أبى العباس وأنزله بين ظهرانيهم وأوطأه بهم وعقد له على قسنطينة وما اليها وجعل معه على حجابته أبا القاسم ابن عتو من مشيخة الموحدين وقفل الى حضرته فدخلها في رمضان من سنته والله أعلم

{الخبر عن ولاية الاميرين أبى فارس عزوز وأبى البقاء خالد على سوسة ثم اضافة المهدية اليهما}

لما نكب السلطان حاجبه ابن سيد الناس وولى محمد بن فرحون على حجابة ابنه الامير أبى زكريا وقرب ذلك ما نزل بآل يغمراسن من عدوهم تفرغ السلطان للنظر في ملكه وتمهيد أحواله وأن يرسى قواعد أعماله بنجباء أبنائه فعقد على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الاميرين عزوز وخالد شريكين في الامر وأنزلهما بسوسة وأنزل معهما محمد بن طاهر من صنائع الدولة ومن بيوت أهل الاندلس القادمين في الجالية ورياسة سلفهم بمرسية معروفة في أخبار الطوائف وكان أخوه أبو القاسم صاحب الاشغال بالحضرة فأقاما كذلك ثم هلك محمد بن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من بجاية معه باستبداد البدو وأن يولى من شاء على حجابته وأنزل ابن فرحون مع هذين الاميرين لصغرهما سنة خمس وثلاثين ثم استدعاه الامير أبو زكريا فرجع اليه وأقام هذان الاميران بسوسة حتى اذا نكب السلطان قائده محمد بن الحكيم واستنزل قريبه محمد بن الزكزاك من المهدية كان أنزله بها ابن الحكيم لما افتتحها من يد المتغلب عليها من أهل رجيس ويعرف بابن عبد الغفار سنة واتخذها حصنا لنفسه وأنزل بها قريبه هذا وشحنها بالعدد والاقوات فلم يغن عنه ولما هلك استنزل ابن الزكزاك وبعث السلطان عليهما ابنه الامير أبا البقاء وأفرد الامير أبا فارس بولاية سوسة فأقاما كذلك الى ان كان من خبر مهلكهما مانذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن ولاية الامير أبى عبد الله صاحب قسنطينة من الابناء وولاية بنيه من بعده}

البياض في الموضعين بالاصل

كان الامير أبو عبد الله مخصوصا من أبيه من بين ولده بالاثرة والعناية قد صرف اليه اقباله وأوقع عليه محبته لما كان يتوسم فى شواهده من الترشيح وما تحلى به من خلال الملك وكان الناس يعرفون له حق ذلك وذلك ان ابن عمر كان مستبدا بالثغور الغربية بجاية وقسنطينة ومدافعا عنها العدو من زناتة المطالبين لها فلما هلك ابن عمر سنة تسع عشرة كما قدمناه صرف السلطان نظره الى ثغوره فعقد على بجاية لابنه الامير أبى زكريا وعقد على حجابته لابن القالون وسرحه معه لمدافعة العدو وعقد على قسنطينة للامير أبى عبد الله ومعه أحمد بن ياسين وخرجوا جميعا من تونس سنة عشرين ونزل كل بعمله وقدم ظافر الكبير من الغرب فولاه السلطان حجابة ابنه بقسنطينة وأنزله بها الى أن هلك سنة سبع وعشرين على تيمرزدكت كما ذكرناه فجاء لحجابته من تونس أبو القاسم بن عبد العزيز الكاتب فأقام أربعين يوما ثم رجع الى الحضرة وأضاف السلطان حجابة قسنطينة لابن سيد الناس الى حجابة بجاية وبعث اليها نائبا عنه مولاه هلالا النازع اليه عن موسى بن على قائد بنى عبد الواد فقام بخدمة الامير أبى عبد الله الى ان كانت نكبة ابن سيد الناس عندما بلغ الامير أبا عبد الله أشده وجرى فى طلق استبداده ففوض له فى عمله السلطان وأطلق من عنانه وكان يؤامره فى شأنه ويناجيه فى خلوته وأنزل معه بقسنطينة نبيلا من المعلوجين يقيم له رسم الحجابة ثم استدعى ظافر السنان من تونس سنة أربع وثلاثين لقيادة الاعنة والحرب فقدم لذلك وأقام سنة ونصفها ثم رجع وقام نبيل لحجابته كما كان ودفع يعيش   من صنائع الدولة لقيادة العساكر وحماية الاوطان فقاسمه لذلك مراسم الخدمة ورتب الدولة واستمرت حال الامير أبى عبد الله على ذلك والايام تزيده ظهورا ومساعيه الملوكية تكسبه جلالا وترشيحا الى أن أسقط دون غايته واغتاله الاجل عن مداه فهلك رضوان الله عليه آخر سبع وثلاثين وقام بأمره من بعده كبير بنيه الامير أبو زيد عبد الرحمن فعقد له السلطان أبو بكر على عمل أبيه لنظر نبيل مولاهم لمكان صغره واستمرت حالهم على ذلك الى آخر الدولة وكان من أمره ما نذكر بعد والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

الخبر عن شأن العرب ومهلك حمزة ثم اجلاب بنيه على الحضرة وانهزامهم ومقتل معزوز بن همر وما قارن ذلك من الاحداث

لما ملك السلطان أبو الحسن تلمسان وأعمالها وقطع دابر آل زيان واجتث أصلهم وجمع كلمة زناتة على طاعته واستتبعهم عصابة تحت لوائه ودانت القبائل بالانقياد له ورجفت القلوب لرعبه ووفد عليه حمزة بن عمر يرغبه فى ممالك افريقية ويستحثه

لها ديدنه مع أبى تاشفين من قبله فكف بالباس من غلوائه وزجره عن خلافه على السلطان وشقاقه ونهج له بالشفاعة سبيلا الى معاودة طاعته والعمل برضاته فرجع حمزة الى السلطان عائذا بحلمه متوسلا بشفاعة صاحبه راغبا باذعانه وقلاعه مواد الخلاف من العرب باستقامته فتلقاه السلطان بالقبول واسعاف الرغبة على المناصحة والمخالصة ولم يزل حمزة بن عمر من لدن رضى مولانا السلطان عنه صحيح الطاعة خالص الطوية متأدبا بمؤامرة محمد بن الحكيم قائد عسكره   دولته على تدويخ افريقية وتدويخ أعمالها وحسم أدواء الفساد منها وأخذ الصدقة من جميع ظواعن البدو والنازعة فى أقطارها وجمع الطوائف المتعاصين بالثغور على القاء اليد للطاعة والكف عن أموال الجباية فكانت لهذا القائد آثار لذلك مهدت من الدولة وأرغمت أنوف المتعاصين بالاستبداد فى القاصية حتى استقام الامر وانمحت آثار الشقاق فاستولى على المهدية سنة سبع وثلاثين وغلب عليها   ابن عبد الغفار المنتزى عليها من أهل رجيس واستولى على سمعة وتقبض على صاحبها محمد بن عبدون من مشيختها وأودعه سجن المهدية الى أن أطلق بعد نكبته ونازل توزر من بعد ذلك حتى استقام ابن يملول على طاعته للعصبية واسترهن ولده ونازل بسكرة غير مرة يدافعه يوسف بن منصور من بنى مزنى بذمة يدعيها من السلطان أبى بكر وسلفه وبعطيه الجباية بدفع ما كان من الاعتلاق بخدمة السلطان أبى الحسن فتجافى عنه ابن الحكيم لذلك بعد استيفاء مغارمه وزحف الى بلاد ريغة فافتتح قاعدتها تغرت واستولى على أموالها وذخيرتها وسار الى جبل أوراس فافتتح الكثير من معاقله وعصفت ريح الدولة بأهل الخلاف من كل جانب وجاست عساكر السلطان خلال كل أرض وفى أثناء ذلك هلك حمزة بن عمر سنة ثنتين وأربعين على يد ابن عون بن أبى على من بنى كثير أحد بطون بنى كعب بطعنة طعنه غيلة فأشواه وقام بأمره من بعده بنوه وكبيرهم يومئذ عمر ودا خلتهم الظنة بأن قتله بأملاء الدولة فاعصوصبوا وتآمروا واستجاشوا بأقتالهم أولاد مهلهل فجيشوا معهم وزحف ابن الحكيم فى عساكر السلطان من زناتة والجند ففلوه واستلحموا كثيرا من وجوههم ورجع الى الحضرة فتحصن بها واتبعوه فنزل بساحتها وقاتلوا العساكر سبع ليال ثم اختلفوا ونزل طالب بن مهلهل الى طاعة السلطان فأجفلوا وخرج السلطان فى جمادى من سنته فى عساكره واحزابه من عرب هوارة فأوقع بهم برقادة من ضواحى القيروان ورجع الى حضرته آخر رمضان من سنته وذهبوا مفلولين الى القفر ومروا فى طريقهم بالامير أبى العباس بقفصة فرغبوه بالخلاف على أبيه وان يجلبوا به على الحضرة فأملى لهم فى ذلك حتى

البياض فى الموضعين بالاصل

ظفر بالمعز بن مطاع وزير حمزة وكان رأس النفاق والفرية فتقبض عليه وقتله وبعث برأسه الى الحضرة ونصب بها ووقع ذلك من مولانا السلطان أحسن المواقع ووفد بعدها على الحضرة فبايع لها بالعهد فى آخر سنته فى محفل شهده الملأ من الخاصة والكافة بايوان ملكهن وكانوا ما شهودا قرئ فيه العهد على الكافة وانفصلوا منه داعين للسلطان وراجع بنو حمزة الطاعة بعدها واستقاموا عليها الى أن كان من أمرهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك الحاجب ابن عبد العزيز وولاية أبى محمد بن
تافراكين من بعد وما كان على تفيئة ذلك من نكبة ابن الحكيم}

هذا الرجل اسمه أحمد بن اسمعيل بن عبد العزيز الغسانى وكنيته أبو القاسم وأصل سلفه من الاندلس انتقلوا الى مراكش واستخدموا بها للموحدين واستقر أبوه اسمعيل بتونس ونشأ أبو القاسم بها واستكتبه الحاجب ابن الدباغ ولما دخل السلطان أبو البقاء خالد الى تونس ونكب ابن الدباغ لجأ ابن عبد العزيز الى الحاجب ابن عمر وخرج من تونس الى قسنطينة واستقر ظافر الكبير هنالك فاستخدمه الى أن غرب الى الاندلس كما قدمناه واستعمله ابن عمر على الاشغال بقسنطينة سنة ثلاث عشرة فقام بها وتعلق بخدمة ابن القالون واستعمله على أشغال تونس ثم كانت سعايته فى ابن القالون مع المزوار بن عبد العزيز الى أن فر ابن القالون سنة احدى وعشرين وولى الحجابة المزوار بن عبد العزيز وكان أبو القاسم بن عبد العزيز هذا رديفه لضعف ادواته ولما هلك ابن عبد العزيز المزوار بقى أبو القاسم بن عبد العزيز يقيم الرسم الى أن قدم ابن سيد الناس من بجاية وتقلد الحجابة كما قدمناه فغص بمكان ابن عبد العزيز هذا وأشخصه عن الحضرة وولاه أعمال الحامة ثم استقدم منها عندما ظهر عبد الواحد اللحيانى بجهات قابس فلحق بالسلطان فى حركته الى تيمرزدكت وأقام فى جملة السلطان الى أن نكب ابن سيد الناس وولى الحجابة بالحضرة كما ذكرت ذلك كله من قبل الى أن هلك فاتح سنة أربع وأربعين فعقد السلطان على حجابته لشيخ الموحدين أبى محمد بن عبد الله بن تافراكين وكان بنو تافراكين هؤلاء من بيوت الموحدين فى تينملل ومن ايت الخمس وولى عبد المؤمن كبيرهم عمر بن تافراكين على قابس أول ما ملكها الموحدون سنة أربعين وخمسمائة الى أن فتحوا مراكش فكان عبد المؤمن يستخلفه عليها أيام مغيبه عنها على الامارة والصلاة ولما ثار بمراكش عبد العزيز وعيسى ابنا أو امغار اخوا الامام المهدى سنة احدى وخمسين كان مغيبه عنها على أول ثورتهم ان اعترضوا عمر بن تافراكين عند ندائه بالصلاة فقتلوه وفضحهم الصبح فاستلحمهم العامة ثم كان ابنه عبد

الله بن عمر من بعده من رجالات الموحدين ومشيختهم ولما عقد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على قرطبة لاخيه السيد أبى اسحق أنزله معه عبد الله بن عمر بن تافراكين للمشورة مع جماعة من الموحدين كان منهم يوسف بن وانودين وكان عبد الله المقدم فيهم وجاء ابنه عمر من بعده مشتغلا بمذهبه مرموقا بتجلته ولما ولى السيد أبو سعيد بن عمر بن عبد المؤمن على افريقية ولاه قابس وأعمالها الى أن استنزله عنها يحيى من عامه سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة ثم كان منهم بعد ذلك عظماء فى الدولة وكبراء من المشيخة آخرهم عبد العزيز بن تافراكين حليف الموحدين بمراكش لما نقضوا بيعة المأمون فاغتاله فى طريقه الى المسجد عند الاذان للصبح لما كان محافظا على شهود الجماعات ورعاها له المأمون فى أخيه عبد الحق وبنيه احمد ومحمد وعمر فلما استلحم الموحدون وعمهم الجزع ارتحل عبد الحق موريا بالحج ونزل على السلطان المستنصر فانزله بمكانه من الحضرة وسرحه بعض الاحايين الى الحامة لحسم الداء فيها وقد كان توقع الخلاف من مشيختها فحسن غناؤه فيها وقتل أهل الخلاف وحسم العلل وولاه السلطان أبو اسحق على بجاية بعد مقتل محمد بن أبى هلال فاضطلع بها ولما ولى ادعى ابن عمارة انه سرحه فى عسكر من الموحدين لقهر العرب وكف عداوتهم فأثخن فيهم ما شاء ولم يزل معروفا بالرياسة مرموقا بالتجلة الى أن هلك وكان بنو اخيه عبد العزيز وهم أحمد ومحمد وعمر جاؤا على أثره من المغرب فنزلوا بالحضرة خير منزل وغذوا بلبان النعمة والجاه فيها وكان أحمد كبيرهم وولاه السلطان أبو حفص على قفصه ثم على المهدية ثم استعفى من الولاية فعوفى وكان السلطان أبو عصيدة يستخلفه على الحضرة اذا خرج منها على ما كان لاوله الى أن هلك لاول المائة الثامنة سنة ثلاث ونشأ ابناه أبو محمد عبد الله وأبو العباس أحمد فى حجر الدولة وجو عنايتها وأصهر عبد الله منهما الى أبى يعقوب بن رزوتين شيخ الدولة فى ابنته فعقد له عليها وأصهر من بعده أخوه أحمد بن أبى محمد بن يعمور فى ابنته فعقد له أيضا عليها واستخلص أبو ضربة بن اللحيانى كبيرها أبا محمد عبد الله وآثره بصحبته فلم يزل معه الى أن كانت الواقعة عليه بمصوح وتقبض على كثير من الموحدين فكان فى جملتهم ومن عليه السلطان أبو بكر ورقاه فى رتب عنايته الى أن ولاه الوزارة بعد الشيخ أبى محمد بن القاسم ثم قدمه شيخا على الموحدين بعد مهلك شيخهم أبى عمر بن عثمان سنة ثنتين وأربعين وبعثه الى ملك المغرب مع ابنه الامير أبى زكريا صاحب بجاية صريخا على بنى عبد الواد فخل فى خدمة السلطان وعرض سفارته وتوجه للانبار بعدها اليه واختص بالسفارة الى ملك المغرب سائر أيامه وغص الحاجب ابن سيد الناس بمكانه وهم بمكروهه فكفح السلطان عنانه

عنه ويقال انه أفضى اليه بذات صدره من نكبته ولما انفسحت خطط الدولة من الحرب والتدبير ومخالصة السلطان وتنفيذ أوامره بين ابن عبد العزيز الحاجب وابن الحكيم القائد كان له هو القدح المعلى فى المشورة والتدبير وكانوا يرجعون اليه ويعولون على رأيه وكان ثالث أثافيهم ومصقلة آرائهم ولما ذهب الحاجب ابن عبد العزيز الى السلطان زعموا بين يدى مهلكه بالتحذير من ابن الحكيم وسوء دخلته وأنه فاوضه أيام نزول العرب عليه بساح تونس سنة ثنتين وأربعين كما قدمناه فى الادالة من السلطان ببعض من بنى أبى دبوس كانوا معتقلين بالحضرة ألقاها الغدر على لسانه نجوا من قعود السلطان عن الخروج بنفسه الى العرب وسآمة ماهو فيه من الحصار راعتدها عليه ابن عبد العزيز حتى ألقاها الى السلطان عند موته وبرئ منها اليه فأودعها اذنا واعية وكان حتف ابن الحكيم ولما هلك وولى شيخ الموحدين أبو محمد بن تافراكين فاوضه فى نكبة ابن الحكيم وكان يتربص به لما كان بينهما من المنافسة وكان ابن الحكيم غائبا عن الحضرة فى تدويخ القاصية وقد نازل جبل أوراس فاقتحمه واقتضى مغارمه وتوغل فى أرض الزاب واستوفى جبايته من عامله يوسف بن منصور وتقدم الى ريغة ونازل تغرت واقتحمها وامتلأت أيدى العساكر من مكاسبهم وخيلهم واتصل به خبر مهلك ابن عبد العزيز وولاية أبى محمد بن تافراكين الحجابة فنكر ذلك لما كان يظن أن السلطان لا يعدل بها عنه وكان يرشح له كاتبه أبا القاسم وازار ويرى أن ابن عبد العزيز قبله لم يتميز بها ايثارا عليه فبدا له مالم يحتسبه فظن الظنون وجمع أصحابه وأغذ السير الى الحضرة وقد آمر السلطان أبا محمد بن تافراكين فى نكبته وأعد البطانة للقبض عليه وقدم على الحضرة منتصف ربيع من سنة أربع وأربعين وجلس له السلطان جلوسا فخما فعرض عليه هديته من المقربات والرقيق والانعام حتى اذا انفض المجلس وشيع السلطان وزراؤه وانتهى الى بابه أشار الى البطانة فلحقوا به ونقلوه الى محبسه وبسط عليه العذاب لاستخراج الاموال فأخرجها من مكان احتجابها وحصل منها فى مودع السلطان أربعمائة ألف من الذهب العين أو مثالها أو ما يقاربها قيمة من الجوهر   الى أن استصفى ولما افتك عظمه ونفد ماله خنق بمحبسه فى رجب من سنته وذهب مثلا فى الايام وغرب ولده مع أمه الى المشرق وطوح بهم الاغتراب الى أن هلك منهم من هلك ورجع الحضرة على عبيد منهم فى آخرين من أصاغرهم بعد أيام وأحوال والله يحكم لا معقب لحكمه

بياض بالاصل

* (الخبر عن شأن الجريد واستكمال فتحه وولاية أحمد بن مكى على جزيرة جربة) *

كان أمر الجريد قد صار الى الشورى منذ شغلت الدولة بمطالبة زناتة بنى عبد الواد

ومانالها لذلك من الاضطراب واستبد مشيخة كل بلد بأمره ثم انفرد واحد منهم بالرياسة وكان محمد بن بهلول من مشيخة توزر هو القائم فيها والمستبد بأمرها كما سنذكره ولما نزعت الدولة الى الاستبداد وأرهف السلطان حده للثوار وعفى على آثار المشيخة بقفصة وعقد لابنه الامير أبى العباس على بلاد قصطيلة وأنزل بقفصة فأقام بها ممهدا لامارته ومرددا بعوثه الى البلاد اختبارا لما يظهرون من طاعته زحف حاجبه أبو القاسم من عتو سنة   بالعساكر الى نفطة ابتلاء لطاعة رؤسائها بنى مدافع المعروفين ببنى الخلف وكانوا اخوة أربعة استبدوا برياستها فى شغل الدولة عنهم فسامهم سوء العذاب ولاذوا منه بجدران الحصون التى ظنوا أنها مانعتهم وتبرأت منهم الرعايا فأدركهم الدهش وسألوا النزول على حكم السلطان فجذبوا الى مصارعهم وصلبوا على جذوعهم آية للمعتبرين وأفلت السيف عليا صغيرهم لنزوعه الى العسكر قبل الحادثة فكانت له ذمة وافية من الهالكة فانتظم الامير أبو العباس بلد نفطة فى مملكته وجدد له العقد عليها أبوه وتملك الكثير من نفزاوة ولما استبيحت نفطة ونفزاوة سمت همته الى ملك توزر جرثومة الشقاق وعش الخلاف والنفاق وخشى مقدمها محمد بن بهلول عيث حاله فذهب الى مصانعة قائد الدولة محمد بن الحكيم بذات صدره فتجافى عنه الى أن كان مهلكهما فى سنة واحدة واضطرب أمر توزر وتواثب بنوه واخوته وقتل بعضهم بعضا وكان أخوه أبو بكر معتقلا بالحضرة فأطلقه السلطان من محبسه بعد أن أخذ عليه المواثيق بالطاعة والجباية ومضى الى توزر فملكها وطالبه الامير أبو العباس صاحب قفصة وبلاد قصطيلة بالانقياد الذى عاهد عليه فنازعه ما كان فى نفسه من الاستبداد وصارت توزر شجى معترضا فى صدر امارته فخاطب أباه السلطان أبا بكر وأغراه به فنهض اليه سنة خمس وأربعين والتقى به ففر عنه وانتهى الى قفصة وصار الخبر الى أبى بكر بن بهلول رئيسها يومئذ فادركه الدهش وانفض من حوله الاولياء وجاهر بطاعة السلطان ولقائه ففر عنه كاتبه وكاتب أبيه المستولى على أمره على بن محمد المعمودى المعروف الشهرة ولحق ببسكرة فى جوار يوسف بن مزنى وأغذ السلطان السير الى توزر فخرج اليه أبو بكر بن بهلول وألقى اليه يده وخلط نفسه بجملته ثم ندم على ما فرط من أمره وأحس بالنكير من الدولة واندر بالهلكة فلحق بالزاب ونزل على يوسف بن منصور ببسكرة فتلقاه من الترحيب والقرى بما تحدث به الناس ولما استولى السلطان على توزر وانتظمها فى أعماله عقد عليها لابنه الامير أبى العباس وأنزله بها وأمكنه من رقبتها ورجع السلطان الى الحضرة ظافرا عزيزا واتصلت أيام ملكه الى ان هلك على فراشه

بياض بالاصل

كما نذكر واتصلت عمالة الامير أبى العباس فى بلاد الجريد وثاور أبو بكر بن يملول توزر مرارا تقلبت فى كلها من الهلكة الى ان مات ببسكرة سنة سبع وأربعين قبل مهلك الناس كما نذكر وأقام أبو العباس بمحل امارته ولم يزل يمهد الاحوال ويستنزل النوار وكان أبو مكى قد امتنع عليه بقابس وكان من خبره انه لما رجع عبد الملك من تونس مع عبد الواحد بن اللحيانى الذى كان حاجبا له وذهب ابن اللحيانى الى المغرب وأقام هو بقابس ثم استراب بمكان أمره مع السلطان حين ذهب ملك آل زيان فأوفد أخاه أحمد بن مكى على السلطان أبى الحسن متنصلا من ذنوبه متذمما بشفاعته منه الى السلطان أبى بكر فشفع له وأعاده السلطان الى مكان رياسته واستقام هو على الطاعة ونكب عن سنن العصيان والفتنة وكان لاحمد بن مكى حظ من المال والادوات ونفس مشغوفة بالرياسة والشرف وكان يقرض الشعر فكان يجيد ويرسل فيحسن وكان خط كتابته أنيقا ينحو به منحى الخط الشرقى شأن أهل الجريد فيمتع ما شاء فكانت لذلك كله فى نفس الامير أبى العباس صاغية اليه وكان هو مستريبا بالمخالطة لما شاء من آثاره السالفة ولم يزل الامير أبو العباس يفتل له فى الذروة والغارب الى ان جلبه الى مجلس السيدة أمه الواحدة أخت مولانا السلطان قافلة من حجها فسح ما كان بصدره وأحكم له عقد مخالصته واصطنعه لنفسه فخل من امارته بمكان غبطة واعتزاز وعقد له السلطان على جزيرة جربة واستضافها الى عمله وأنزل عنها مخلوف بن الكماد من صنائعه كان افتتحها سنة ثمان وثمانين وعقد له السلطان عليها فنزلها أحمد بن مكى واستقل عبد الملك أخوه برياسة قابس فقاما على ذلك وجردا عزائمهما فى ولاية أبى العباس صاحب أعمال الجريد فلم يزالوا كذلك الى أن كان من أمر الجميع ما نذكر ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن مهلك الوزير أبى العباس بن تافراكين) *

كان السلطان أبو بكر عند نكبة القائد بن الحكيم استعمل على حجابته شيخ الموحدين أبا محمد بن تافراكين كما ذكرناه وفوض اليه فيما وراء بابه وعقد على الوزارة لاخيه أبى العباس أحمد وكان أبو محمد جليس الباب لمكان الحجابة فرفع الى الحرب وقود العساكر وامارة الضاحية أخاه أبا العباس فقام بما دفع اليه من ذلك وكان بنو سليم بعد مهلك حمزة بن عمر نقموا ما كان عليه من الاذعان وسموا الى الخلاف والعناد فكان من أنباء حمزة فى ذلك من الاجلاب على الحضرة ما ذكرناه وكان سحيم بن من أولاد القوس بن حكيم بينه وبينهم غدر وخلاف وعناد وكان السلطان قد ولى على حجابة ابنه الامير أبى العباس فى أعمال الجريد أبا القاسم بن عتو من مشيخة

بياض فى الاصل

الموحدين

الموحدين وكان يناهض بنى تافراكين بزعمه فى الشرف وينفس عليهم ما آتاهم الله من الرتبة والحظ فلما ولى أبو محمد الحجابة ملئ منه حسدا وحقدا وداخل فيما زعموا سحيما هذا القرى فى النيل من أبى العباس بن تافراكين صاحب العساكر وشارطه على ذلك بما أداه اليه وتكاتموا أمرهم وخرج أبو العباس بن تافراكين فاتح سنة سبع فى العساكر لجباية هوارة فوفد عليه سحيم هذا وقومه وضايقوه فى الطلب ثم انتهزوا الفرصة بعض الايام وأجلبوا عليه فانفض معسكره وكابه فرسه فقتل وحمل شلوه الى الحضرة فدفن بها وجاهر سحيم بالخلاف وخرج الى الرمال فلم يزل كذلك الى مهلك السلطان كما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك الامير أبى زكريا صاحب بجاية من الانباء وما كان بعد ذلك من ثورة أهل بجاية بأخيه الامير أبى حفص وولاية ابنه الامير أبى عبد الله)

كان السلطان أبو بكر لما هلك الحاجب بن عمر عقد على بجاية لابنه الامير أبى زكريا كبير ولده وأنفذه اليها مع حاجبه محمد بن القالون كما ذكرناه وجعل أموره تحت نظره ثم رجع القالون الى تونس فأنزل معه ابن سيد الناس فلما استبد سيد الناس بحجابة الحضرة جعل على حجابته أبا عبد الله بن فرحون ثم لما تقبض على ابن سيد الناس وعلى ابن فرحون وقد استبد الامير أبو زكريا بأمره وقام على نفسه فوض اليه السلطان الامر فى بجاية وبعث اليه ظافرا السنان مولى أبيه الامير أبى زكريا الاوسط قائدا على عسكره والكاتب أبا اسحق بن علاق متصرفا فى حجابته فأقاما به مدة ثم صرفهما الى الحضرة وقدم لحجابته أبا العباس أحمد بن أبى زكريا الرندى كان أبوه من العمل وكان ينتحل مذهب الصوفية العلات ويطالع كتب عبد الحق بن سبعين ونشأ أحمد هذا ببجاية واتصل بخدمة السلطان وترقى فى الرتب الى أن استعمله الامير أبو زكريا كما قلناه ثم هلك وقد أنف السلطان أبو بكر من الامراء هؤلاء على حجابة ابنه فأنفذ لها من حضرته كبير الموحدين يومئذ وصاحب السفارة أبا محمد ابن تافراكين سنى أربعين وسبعمائة فأقام أحوال ملكه وعظم أبهة سلطانه وجهز العساكر لسفره وأخرجه الى أعماله فطاف عليها وتفقدها وانتهى الى تخومها من المسيلة ومقرة ولم يستكمل الحول حتى سخطه المشيخة من أهل بجاية لما نكروا من الابهة والحجاب حتى استغلظ عليهم باب السلطان وتولى كبر ذلك القاضى ابن يوسف تعساوملالا واستعفى هو من ذلك فأعفى وعاد الى مكانه بالحضرة ثم استقدم الامير أبو زكريا حاجبه الاول بعهد ابن سيد الناس وهو أبو عبد الله محمد بن فرحون وقد كان

السلطان بعثه فى غرض الرسالة الى ملك المغرب فى الاسطول الذى بعثه مددا للمسلمين عند اجازة السلطان أبى الحسن الى طريف وكان أخوه زيد بن فرحون قائد ذلك الاسطول بما كان قائده بحر بجاية فلما رجع أبو عبد الله بن فرحون من سفارته تلك أذن له فى المقام عند الامير أبى زكريا واستعمله على حجابته الى أن هلك فولى من بعده فى تلك الخطة ابن القشاش من صنائع دولته ثم عزله وولى عليها أبا القاسم بن علناس من طبقة الكتاب واتصل بدار هذا الامير وترقى فى ديوانه الى أن ولاه خطة الحجابة ثم عزله وولى يحيى بن محمد بن المنت الحضرمى كان أبوه وعمه قدما على جالية الاندلس وكانا ينتحلان القرا آت وأخذ أهل بجاية عن عمه أبى الحسن علم القرا آت وكان خطيبا بجامع السلطان ونشأ على ابن أخيه واستعمل فى الديوان وكان طموحا للرياسة واتصل بحظية كانت للمولى أبى زكريا تسمى أم الحكم قد غلبت على هواه فرسمت على ابن المنت هذا بخطة الحجابة واستعمله فيها فقام بها وأصلح معونات السلطان وأحوال مقاماته فى سفره وجهز له العساكر وجال فى نواحى أعماله وهلك هذا الامير فى احدى سفراته وهو على حجابته بتاكرارت من أعمال بجاية من مرض كان أزمن به فى ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكان ابنه الامير أبو عبد الله فى حجر مولاه فارح بن معلوجى بن سيد الناس وكان اصطنعه فألفاه قابلا للترشيح فأقام مع ابن مولاه ينتظر أمر الخليفة وبادر حاجبه الاول أبو القاسم بن علناس الى الحضرة وأنهى الخبر الى الخليفة فعقد على بجاية لابنه الامير أبى حفص كان معه بالحضرة وهو من أصاغر ولده وأنفذه اليها مع رجاله وأولى اختصاصه وخرج معه أبو القاسم بن علناس فوصل الى بجاية ودخلها على حين غفلة وحمله الاوغاد من البطانة على ارهاف الحد واظهار السطو فخشى الناس البوادر وائتمروا ثم كانت فى بعض الايام هيعة تمالأ فيها الكافة على التوثب بالامير القادم فطافوا بالقصبة فى سلاحهم ونادوا بامارة ابن مولاهم ثم تسوروا جدرانها واقتحموا داره وملكوا أمره وأخرجوه برمته بعد أن انتهبوا جميع موجودهم وتسايلوا الى دار الامير أبى عبد الله محمد بن أميرهم ومولاهم بعد أن كان معتزما على التقويض عنهم واللحاق بالخليفة جده وأذن له فى ذلك عمه القادم فبايعوه بداره من البلد ثم نقلوه من الغد الى قصر القصبة وملكوه أمرهم وقام بأمره مولاه فارح ولقبه باسم الحجابة واستمر حالهم على ذلك ولحق الامير أبو حفص بالحضرة آخر جمادى الاولى من سنته لشهر من يوم ولايته الى أن كان من شأنه بعد مهلك مولانا السلطان ما نذكره وتدارك السلطان أمر بجاية وبعث اليهم أبا عبد الله بن سليمان من كبار الصالحين ومشيخة الموحدين يسكنهم ويؤنسهم وبعث معه كتاب العقد عليها لحافده الامير أبى زكريا طالبا

مرضاتهم فسكنت نفوسهم وأنسوا بولاية ابن مولاهم وجاءت الامور الى مصايرها كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق

(الخبر عن مهلك مولانا السلطان أبى بكر وولاية ابنه الامير أبى حفص)

بينما الناس فى غفلة من الدهر وظل ظليل من العيش وأمن من الخطوب وتحت سرادق من العز وذمة وافية من العدل اذ ريع بالسرف وتكدر الشرق وتقلصت ظلال العز والامن وتعطل فناء الملك ونعى السلطان أبو بكر بتونس فجأة من جوف الليل ليلة الاربعاء ثانى رجب من سنة سبع وأربعين وسبعمائة فهب الناس من مضاجعهم متسايلين الى القصر يستمعون نبأة النعى وأطافوا به سائر ليلتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى وبادر الامير أبو حفص عمر من داره الى القصر فملكه وضبط أبوابه واستدعى الحاجب أبا محمد بن تافراكين من داره ودعوا المشيخة من الموحدين والموالى وطبقات الجند وأخذ الحاجب عليهم البيعة للامير أبى حفص ثم جلس من الغد جلوسا فخما على الترتيب المعروف فى الدولة أحكمه الحاجب أبو محمد لمعرفته لعوائدها وقوانين ترتيبها تلقنه عن أشياخه وانفض المجلس وقد انعقدت بيعته وأحكمت خلافته وكان الامير خالد ابن مولانا السلطان مقيما بالحضرة قدمها زائرا منذ أشهر وأقام متهنأ من الزيارة فلما سمع النعى فر من ليلته وتقبض عليه أولاد منديل من الكعوب وردوه الى الحضرة فاعتقل بها وقام أبو محمد بن تافراكين بخطة الحجابة كما كان وزيادة تفويض واستبداد الى أن كان بطانة السلطان يكثرون السعاية فيه ويوغرون صدره عليه يذكرون منافساته ومنافسة سابقة بين الحاجب والامير أيام أبيه واتصل ذلك منهم حطا لمكانه واندر الحاجب بذلك منهم فأعمل الحيلة فى الخلاص من صحابتهم كما يذكر بعد اه والله تعالى أعلم

(الخبر عن زحف الامير أبى العباس ولى العهد من مكان امارته بالجريد الى الحضرة وما كان من مقتله ومقتل أخويه الاميرين أبى فارس عزوز وأبى البقاء خالد)

كان السلطان أبو بكر قد عهد الى ابنه الامير أبى العباس صاحب أعمال الجريد كما ذكرناه سنة ثلاث وأربعين فلما بلغه خبر مهلك أبيه وما كان من بيعة أخيه حقد على أهل الحضرة ما جاؤا به من نقض عهده ودعا العرب الى مظاهرة أمره فأجابوه ونزعوا جميعا الى طاعته عن طاعة أخيه بما كان مرهفا حده فى الاستبداد والضرب على أيدى أهل الدولة من العرب وسواهم وزحف الى الحضرة ولقيه أخوه أبو فارس صاحب عمل

سوسة بالقيروان فآتاه طاعته وصار فى جملته وجمع السلطان أبو حفص عمر جموعه واستركب واستلحق وأزاح العلل وخرج غرة شعبان وارتحل عن تونس وحاجبه أبو محمد بن تافراكين قد انذر منه بالهلكة واعتمل فى أسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس فى بعض الشغل وركب الليل ناجيا الى المغرب وبلغ خبر مفره الى السلطان فأجفل واختل مصافه وأطلق أخاه أبا البقاء من معتقله ثم دخل الى قصره لسبع ليال من ملكه وصبحه الامير أبو حفص فى ثامنها فاقتحم عليه البلد لناغنة كانت له فى قلوب الغوغاء من غشيانه نساءهم وطروقه منازلهم أيام جنون الشباب وقضاء لذاته فى مرباه وفتك بأخيه الامير أبى العباس واسرعان ما نصب رأسه على القناة وداست شلوه هنالك العسكر وأصبح آية للمعتبرين وثارت العامة بمن كان بالبلد من وجوه العرب ورجالاتهم فقتلوا فى تلك الهيعة من كتب عليه القتل وتلوا كثيرا منهم الى السلطان فاعتقلهم وقتل أبا الهول بن حمزة بن عمر دون بنيهم وتقبض على أخويه خالد وعزوز فأمر بقطعهم من خلاف فقطعوا وكان فيه مهلكهم واستوسق ملكه بالحضرة واستعمل على حجابتها أبا العباس أحمد بن على بن رزين من طبقة الكتاب وكان كاتبا للضحشى الحاجب وبعده للقائد ظافر الكبير واتصل السلطان أبو بكر لأول ملكه بالحضرة فأسف على ابن عمر بولاية ابن القالون الحاجب فخاطب السلطان فيه ونكبه ثم أطلق من محبسه ومضى الى المغرب ونزل على السلطان ابن سعيد فأجل نزله ثم رجع الى الحضرة ولم يزل مشردا أيام السلطان كلها واستكتب الامير أبو حفص ولده محمدا وكانت له به وصلة فلما استوسق له الملك بعد مفر أبى محمد بن تافراكين كما ذكرناه وولى أباه أبا العباس هذا على حجابته وعقد على حربه وعساكره لظافر مولى أبيه وجده المعروف بالسنان واستخلص لنجواه وسره كاتبه أبا عبد الله محمد بن الفضل ابن نوار من طبقة الفقهاء والقضاة من أهل البيوت النابهة بتونس كان له بها سلف مذكور واتصل بدار السلطان وارتسم بها مكتبا لولده وقرأ عليه هذا الامير أبو حفص فيمن قرأ عليه منهم فكانت له من أجل ذلك يد ومزيد عناية ولما استبد بأمره كان هو مستبدا بشوراه وجرت الحال على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن استيلاء السلطان أبى الحسن على افريقية ومهلك الامير أبى حفص
وانتقال الابناء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وما تخلل ذلك من الاحداث﴾

كان السلطان أبو الحسن يحدث نفسه منذ ملك تلمسان وقبلها بملك افريقية ويتربص بالسلطان أبى بكر ويسرّ له حسدا فى ارتقاء فلما لحق به حاجبه أبو محمد بن تافراكين بعد

مهلكه رغبه فى سلطانها واستحثه بالقدوم عليها وجدد له الجوار فتنبهت لذلك عزائمه ثم وصل الخبر بهلك ولى العهد وأخويه وخبر الواقعة فأحفظه لذلك بما كان من رضاه بعهده وخطه بالوفاق على ذلك بيده فى سجله وذلك أن حاجب الامير أبى العباس وهو أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين كان سفر عن السلطان لآخر أيامه الى السلطان ابى الحسن بهدية وحمل سجل العهد فوقف عليه أبا السلطان الحسن وسأل منه امضاءه لمولاه وكتب ذلك بخطه فى سجله بخطه بيمينه وأحكم له عقده فلما بلغه مهلك ولى العهد تعلل بأن النقض أتى على ما أحكمه فأجمع غزو افريقية ومن بها فعسكر بظاهر تلمسان وفرق الاعطيات وأزاح العلل ثم رحل فى صفر من سنة ثمان وأربعين يجر الدنيا بما حملت وأوفد عليه ابناء حمزة بن عمر أمراء البدو بافريقية ورجالات الكعوب أخاهم خالدا يستصرخه لثأر أخيهم أبى الهول الهالك يوم الواقعة فأجابهم ونزع اليهم أيضا أهل القاصية من افريقية بطاعتهم فجاؤا فى وفد واحد مع ابن مكى صاحب قابس وابن عملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة ومولاهم ابن أبى عنان صاحب الحامة وابن الخلف صاحب نفطة فلقوه بوهران وآتوه بيعتهم رغبة ورهبة وأدوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس ولم يتخلف عنهم الامن بعد داره ثم جاء من بعدهم وعلى أثرهم صاحب الزاب يوسف بن منصور بن مزنى ومعه مشيخة الموحدين الزواودة وكبيرهم يعقوب بن على فلقيه بنو حسن من أعمال بجاية فأوسع النيل حباء وتكرمة وأسنى الصلات والجوائز وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث مع أهل الجزائر الولاة للجباية لنظر مسعود بن ابراهيم اليرناوى من طبقة وزرائه وأغذ السير الى بجاية فلما أطلت عساكره عليها تواقر أهلها فى الامتناع ثم أنابوا وخرج اميرها أبو عبد الله محمد ابن الامير أبى زكريا فآتاه طاعته وصرفه الى المغرب مع اخوانه وأنزله ببلد ندرومة وأقطع له الكفاية من جبايتها وبعث على جباية عماله وخلفائه وسار الى قسنطينة فخرج اليه ابناء الامير ابى عبد الله يقدمهم كبيرهم أبو زيد وآتوه طاعتهم وأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم جبايتها وأنزل بقسنطينة خلفاءه وعماله وأطلق القرابة من مكان اعتقالهم بها وفيهم أبو عبد الله محمد أخو السلطان أبى بكر وبنوه ومحمد ابن الامير خالد واخوانه وبنوه وأصارهم فى جملته حتى صرفهم الى المغرب من الحضرة من بعد ذلك ووفد عليه هنالك بنو حمزة بن عمرو مشايخ قومهم الكعوب فأخبروه باجفال المولى أبى حفص من تونس مع ظواعن أولاد مهلهل واستحثوه باعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر وسرح معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو العشرى من مواليه وسرح عسكرا آخر الى تونس لنظر يحيى بن سليمان من بنى عسكر ومعه

أبو العباس بن مكى وسارت العساكر لطلب الامير أبى حفص فأدركوه بأرض الحامة من جهات قابس وصبحوهم فدافعوا عن أنفسهم بعض الشئ ثم انفضوا وكبا بالامير أبى حفص جواده فى بعض نافقاء اليرابيع وانجلت الغيابات عنه وعن مولاه ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما قائد الكتائب بيده حتى اذا جن الليل وتوقع أن يفلتهما العرب من اساره قبل أن يصل بهما الى مولاه فذبحهما وبعث برؤسهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه بباجة وخلص الفل من الواقعة الى قابس فتقبض عبد الملك بن مكى على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر بن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة فبعث بهم ابن مكى الى السلطان فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف واعتقل الباقى وسبقت العساكر الى تونس ثم جاء السلطان على أثرهم ودخل الحضرة فى الزى والاحتفال فى جمادى الاخيرة من سنته وخفتت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدى أهل الفساد وانقرض أمر الموحدين الأذيالا فى بونة فانه عقد عليها للمولى الفضل ابن مولانا أبى بكر لمكان صهره ووفادته عليه بين يدى مهلك أبيه ثم ارتحل السلطان الى القيروان ثم الى سوسة والمهدية وتطوف على المعالم التى بها ووقف على آثار ملوك الشيعة وصنهاجة فى مصانعها ومبانيها والتمس البركة فى زيارة القبور التى تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء فى ساحتها وقفل الى تونس فدخلها آخر شعبان والله تعالى أعلم

(الخبر عن ولاية الامير أبى العباس الفضل على بونة وأولية ذلك ومصايره)

كان السلطان أبو الحسن قد أصهر الى السلطان أبى بكر قبيل مهلكه فى احدى كرائمه وأوفد عليه فى ذلك عريف بن يحيى كبير بنى سويد من زغبة وصاحب شواره وخالصة سره مع وفد من رجالات دولته فى طبقات الفقهاء والكتاب والموالى كان فيهم صاحب الفتيا بمجلسه أبو عبد الله السطى وكاتب دولته أبو الفضل عبد الله بن أبى مدين وأمير الحرم عنبر الخصى فأسعفه السلطان وعقد له على حظيته عزونة شقيقة ابنه الفضل وزفها اليه بين يدى مهلكه مع أخيها الفضل ومعه أبو محمد عبد الواحد بن الجماز من مشيخة الموحدين وأدركهم الخبر بمهلك السلطان فى طريقهم فلما قدموا على السلطان أبى الحسن تقبلهم بقبول حسن ورفع مجلس الفضل واستتب له ملكها فأعرض عن ذكر ذلك الا أنه رعى له ذمة الصهر وسابقة الوعد فأسعفه بالعقد على بونة مكان عمله منذ أيام أبيه وأنزله بها عندما رحل عنها الى تونس وانقمع المولى الفضل من ذلك حقدا لما يرجوه من تجافيهم له عن ملك آبائه لحق وفادته وصهره وأقام بمكان عمله منها يؤمل الكر

الى أن كان من أمره ما نذكر والله أعلم

(الخبر عن بيعة العرب لابن أبى دبوس وواقعتهم مع السلطان أبى الحسن بالقيروان وما قارن ذلك كله من الاحداث)

كان السلطان أبو الحسن لما استوسق له ملك افريقية اسف العرب بمنعهم من الامصار الى ملوكها بالاقطاعات والضرب على أيديهم فى الاتاوات فوجموا لذلك واستكانوا لغلبته وتربصوا الدوائر وربما كان بعض البادية يشن الغارات فى الاطراف فيعتدها السلطان على كبارهم وأغاروا بعض الايام فى ضواحى تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها وأظلم الجو بينهم وبينه وخشوا عاديته وتوقعوا بأسه ووفد عليه أيام الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة وأخوه أحمد من بنى كعب وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وخليفة بن بوزيد من رجالات حكيم وساءت ظنونهم فى السلطان لسوء أفعالهم فداخلوا عبد الواحد بن اللحيانى فى الخروج على السلطان وكان من خبر عبد الواحد هذا أنه بعد اجفاله من تونس سنة ثنتين وثلاثين كما ذكرناه لحق بأبى تاشفين فأقام عنده فى مبرة وتكرمة ولما أخذ السلطان أبو الحسن بمخنق تلمسان واشتد حصارها سأل عبد الواحد بن أبى تاشفين تخليته للخروج فودعه وخرج الى السلطان أبى الحسن فنزل عليه ولم يزل فى جملته الى أن احتل بافريقية فلما خشن ما بينه وبين الكعوب والتمسوا الاعياص من بنى أبى حفص فيصطفونهم للامر رجوا أن يظفروا من عبد المؤمن هذا بالبغية فداخلوه وارتاب لذلك وخشى بادرة السلطان فرفع اليه الخبر فتقبض السلطان عليهم وأحضرهم معه فأنكروا وبهتوا ثم وبخهم واعتقلهم وعسكر بساحة الحضرة لغزوهم وتلوم لبث الاعطيات وأزاح العلل وبلغ الخبر الى أحيائهم فقطع اليأس أسباب رجائهم وانطلقوا يحزبون الاحزاب ويلون للملك الاعياص وكان أولاد مهلهل أقيالهم وعديلة حملهم قد أيأسهم السلطان من القبول والرضا بما بالغوا فى نصيحة المولى أبى حفص ومظاهرته فلحقوا بالقفر ودخلوا الرمال فركب اليهم قتيبة بن حمزة وأمه ومعهم ظعائن أبنائهما متذممين لاولاد مهلهل بالعصبية والقرابة فأجابوهم واجتمعوا بقصطيلة وتحالفوا بالتراب والدماء وتذامروا وانما شملهم من رهب السلطان وتوقع بأسه وتفقدوا من أعياص الموحدين من ينصبونه للامر وكان بتوزر أحمد بن عثمان بن أبى دبوس آخر خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش وقد ذكرنا خبره وخروجه بجهات طرابلس واجلابه مع العرب على تونس أيام السلطان أبى عصيدة ثم انفضوا وبقى عثمان بجهات قابس وطرابلس الى أن هلك بجزيرة جربة واستقر بنو أبيه

عبد السلام بالحضرة بعد حين فاعتقلوا بها أيام السلطان أبي بكر ثم غربهم الى الاسكندرية مع أولاد ابن الحكيم عند نكبته كما ذكرنا ذلك كله فنزلوا بالاسكندرية وأقبلوا على الحرف لمعاشهم ورجع أحد هذا من بينهم الى المغرب واستقر بتوزر واحترف بالخياطة ولما تفقد العرب الاعياص دلهم على نكرته بعض أهل عرفانه فانطلقوا اليه وجاؤا به وجمعوا اليه الآلة ونصبوه للامر وتبايعوا على الاستماتة ورجع اليهم السلطان في عساكره من تونس أيام الحج من سنة ثمان ولقيهم بالثنية دون القيروان ففلهم وأجفلوا أمامه الى القيروان ثم تذامروا ورجعوا مستميتين ثانى محرم سنة تسع فاختل مصافه ودخل القيروان وانتهبوا معسكره بما اشتمل عليه وأخذوا بمخنقه الى أن اختلفوا فأفرجوا عنه وخلص الى تونس كما نذكر والله تعالى أعلم

(الخبر عن حصار القصبة بتونس ثم الافراج عن القيروان وعنها وما تخلل ذلك)

كان الشيخ أبو محمد بن تافراكين أيام حجابة السلطان أبي بكر مستبدا بأمره مفوضا اليه في سائر شؤنه فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على مألوفه لما كان قائما على أمره وليس التفويض للوزراء من شأنه وكان يظن أن السلطان أبا الحسن سيكل اليه أمر افريقية وينصب معه أفضل للملك وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة مرض وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والاجلاب فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان أبي الحسن وعساكره وأحاطوا به في القيروان تحيل ابن تافراكين في الخروج على السلطان لما تبين فيه من النكر منه ومن قومه وبعث العرب في لقائه وأن يحملوه حديث بيعتهم الى الطاعة فأذن له وخرج اليهم وقلدوه حجابة سلطانهم ثم سرحوه الى حصار القصبة وكان عند رحيله من تونس خلف بها الكثير من أبنائه ووجوه قومه واستخلف عليها عسكر السلطان على أنفسهم فلجأ من كان معهم من تونس الى قصبتها وأحاط بهم الغوغاء فامتنعت عليهم واتخذوا الآلة وفرقوا الاموال في الرجال وعظم فيها غناء بشير من المعلوجين الموالى فطار له ذكر وكان الامير أبو سالم ابن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب فوافاه الخبر دون القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم بالقصبة ولما فرج عن ابن تافراكين من هوة الحصار بالقيروان طمعوا في الاستيلاء على قصبة تونس وفض ختامها فدفعوه الى ذلك ثم لحق به سلطانه ابن أبي دبوس وعانى من ذلك ابن تافراكين صعبا لكثرة الرجل الذين كانوا بها ونصب المجانيق عليها فلم يغن شيأ وهو أثناء ذلك يحاول النجاء بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان من القيروان الى سوسة وكان من خبره أن العرب بعد

بياض بالاصل

ايقاعهم بعساكره أحاطوا بالقيروان واشتدوا في حصارها وداخل السلطان أولاد مهلهل من الكعوب وحكيما من بني سليم في الافراج عنه واشترط لهم على ذلك الاموال واختلف رأى العرب لذلك ودخل عليه قتيبة بن حمزة بمكانه من القيروان زعما بالطاعة فتقبله وأطلق اخويه خالدا وأحمد ولم يثق اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبي زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وأسرى معهم بعسكره الى سوسة فصبحها وركب منها في أساطيله الى تونس وسبق الخبر الى ابن تافراكين بتونس فتسلل من أصحابه وركب السفينة الى الاسكندرية في ربيع سنة تسع وأربعين وأصبحوا وقد فقدوه فاضطربوا وأجفلوا عن تونس وخرج أهل القصبة من أولياء السلطان فملكوها وخربوا منازل الحاشية فيها ونزل السلطان بها من أسطوله في ربيع الاخير فاستقلت قدمه من العثار ورجا الكرة لولا ما قطع أسبابها عنه مما كان من انتزاء أبنائه بالمغرب على ما نذكره في أخبارهم وأجلب العرب وابن أبي دبوس معهم على الحضرة ونازلوا بها السلطان فامتنعت عليهم فرجعوا الى مهادنتهم فعقد لهما السلم ودخل حمزة بن عمر اليه وافدا فحبسه الى أن تقبض على ابن أبي دبوس وأمكنه منه فلم يزل في محبسه الى أن رحل الى المغرب ولحق هو بالاندلس كما نذكره في أخباره وأقام السلطان بتونس ووفد عليه أحمد بن مكى فعقد لعبد الواحد بن اللحيانى على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجربة وسرحه مع ابن مكى فهلك عند وصوله اليها في الطاعون الجارف وعقد لابى القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وهو الذى كان قطعه باغراء أبي محمد بن تافراكين فلما ظهر خلافه أعاد ابن عتو الى مكانه وعقد له على بلاد قسطيلة وسرحه اليها وأقام هو بتونس الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن استيلاء الامير الفضل على قسنطينة
وبجاية ثم استيلاء أمرائهما بتمهيد الملك}

كان سنن السلطان أبي الحسن في دولته بالمغرب وفود العمال عليه آخر كل سنة لايراد جباياتهم والمحاسبة على أعمالهم فوفدوا عليه عامهم ذلك من قاصية المغرب ووافاهم خبر الواقعة بقسنطينة وكان معهم ابن مزنى عامل الزاب ووفد أيضا بجبايته وهديته وكان معهم ابن عمه تاشفين ابن السلطان أبي الحسن كان أسيرا من يوم واقعة طريف ووقعت المهادنة بين الطاغية وبين أبيه فأطلقه وأوفد معه جمعا من بطارقته وقدموا معه على أبيه ووفد معه أخوه عبد الله من المغرب وكان أيضا معهم وفد السودان من أهل مالى في غرض السفارة واجتمعوا كلهم بقسنطينة فلما اتصل بهم خبر الواقعة على السلطان كثر الاضطراب وتطلبت السفهاء من الغوغاء الى ما بأيديهم

وخشى الملأ من أهل البلد على أنفسهم فاستدعوا أبا العباس الفضل من عمله ببونة ولما أطل على قسنطينة ثارت العامة بمن كان هنالك من الوفد والعمال وانتهبوا أموالهم واستلحموا منهم وخلص ابناء السلطان مع وفود السلطان والجلالقة الى بسكرة مع ابن مزنى وفى خفارة يعقوب بن على أمير الزواودة فأوسع ابن مزنى قرى وتكرمة الى ان لحقوا بالسلطان أبى الحسن بتونس فى رجب من سنة تسع ودخل المولى الفضل الى قسنطينة واعاد ماذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعدله واحسانه وسوغ الاقطاع والجوائز ورحل الى بجاية لما آنس من صاغية أهلها الى الدعوة الحفصية فلما أطل عليها ثار أهلها بالعمال الذين كان السلطان أنزلهم بها واستباحوهم وأفلتوا من أيدى نكبتهم بجريفة الرفل ودخل الفضل الى بجاية واستولى على كرسى ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة فى ملكه وأعاد القاب الخلافة ورسومها وشاتها كما كانت واعتزم على الرحيل الى الحضرة وبينما هو يحدث نفسه بذلك اذ وصل الخبر بقدوم أمراء بجاية وقسنطينة من المغرب وكان من خبرها ان الامير أبا عنان لما بلغه خبر الواقعة بابيه وانتزاء منصور ابن أخيه الى ملكه بالبلد الجديد دار ملكهم وأحس بخلاص أبيه من هوة الحصار بالقيروان وثب على الامر ودعا لنفسه ورحل الى المغرب كما نذكره فى أخباره وسرح الامير أبا عبد الله محمد ابن الامير أبى زكريا صاحب بجاية والابناء الى عمله وأمده بالاموال وأخذ عليه المواثيق ليكونن له ردأ دون أبيه وليحولن بينه وبين الخلوص متى مر به وانطلق أبو عبد الله الى بجاية وقد سبقه اليها عمه الفضل واستولى عليها فنازله بها وطال حصارها ولحق بمكانه من منازلتها نبيل المولى ابن المعلوجى مولى الامير أبى عبد الله وكافل بنيه من بعده وتقدم الى قسنطينة وبها عامل من قبل الفضل فثار به الناس لحينه ودخل نبيل وملك البلد وأقام فيها دعوة الامير أبى زيد ابن الامير أبى عبد الله وكان الامير أبو عنان استصحبه واخوانه الى المغرب وبعد احتلاله بفاس سرحهم الى مكان امارتهم بقسنطينة بعد أن أخذ عليهم الموثق فى شأن ابيه بمثل موثق ابن عمهم فجاؤا على اثر نبيل مولاهم ودخلوا البلد واحتل أبو زيد منها بمكان امارته وسلطان قدمه كما قبل رحلتهم الى المغرب ولم يزل الامير أبو عبد الله منازل بجاية الى أن بيتها بعض ليالى رمضان من سنته بمداخلة بعض الاشياع من رجالها داخلهم مولاه وكافله فارح فى ذلك فسرب فيهم الاموال وواعدوه للبيات وفتحوا له باب البر من أبوابها واقتحمه وفاجأهم هدير الطبول فهب السلطان من نومه وخرج من قصره فتسنم الجبل المطل عليها وتسرب فى شعابه الى ان وضح الصباح وظهر عليه فجىء به الى ابن أخيه فمن عليه واستبقاه وأركبه السفينة الى بلد بونة فى شوال من سنة

تسع وأربعين ووجد بعض الاعياص من قرابته قد ثاروا بها وهو محمد بن عبد الواحد من ولد أبى بكر ابن الامير أبى زكريا الاكبر كان هو وأخوه عمر بالحضرة وكان لعمر منهما النظر على القرابة فلما كان هذا الاضطراب لحقوا بالفضل وتركهم ببونة عند سفره الى بجاية فحدثتهم أنفسهم بالانتزاء فلم يتم لهم أمر وثارت بهم الحاشية والعامة فقتلوا لوقتهم ووافى الفضل الى بونة وقد انجلت غمتهم ومحيت آثارهم فدخل الى قصره وألقى عصا تسياره واستقل الامير أبو عبد الله ابن الامير أبى زكريا ببجاية محل امارة أبيه الامير أبى زيد ابن الامير أبى عبد الله بقسنطينة محل امارة أبيه والامير أبو العباس الفضل ببونة محل امارته منذ عهد الامر والسلطان أبو الحسن بتونس الى ان كان من أمرهم مانذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن حركة الفضل الى تونس بعد رحيل السلطان أبى الحسن الى المغرب) *

كان العرب بعد ما قدمناه من طاعتهم واسلامهم سلطانهم الى أبى دبوس قد انفضوا عن السلطان أبى الحسن وأجلبوا عليه ثانية وتولى كبر ذلك قتيبة بن حمزة وخالف الى السلطان أخوه خالد مع أولاد مهلهل وافترق أمرهم وخرج كبيرهم عمر بن حمزة حاجا فاستقدم قتيبة وأصحابه الامير الفضل من مكان امارته ببونة لطلب حقه واسترجاع ملك ابائه فأجابهم ووصل الى أحيائهم آخر سنة تسع فنازلوا تونس وأجلبوا عليها ثم أفرجوا عن منازلتها أول سنة خمسين وأفرجوا عنها آخر المصيف واستدعاهم أبو القاسم بن عتو صاحب الجريد من مكان عمله بتوزر فدخل فى طاعة الفضل وحمل أهل الجريد كلهم عليها واتبعه فى ذلك بنو مكى وانقضت افريقية عن السلطان أبى الحسن من أطرافها فركب أساطيله الى المغرب أيام الفطر من سنة خمسين ومضى المولى الفضل الى تونس وبها أبو الفضل ابن السلطان أبى الحسن كان أبوه قد عقد له عليها عند رحيله الى المغرب تفاديا عن ثورات الغوغاء ومضرة هيعتهم وامن عليه بما كان عقده من الصهر مع عمر بن حمزة فى ابنته فلما أطلت رايات المولى الفضل على تونس أيام الحج نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية وأحاطت الغوغاء بالقصر ورجموه بالحجارة وأرسل أبو الفضل الى بنى حمزة متذمما بصهرهم فدخل عليه أبو الليل وأخرجه ومن معه الى الحى واستركب له من رجالات بنى كعب من أبلغه مأمنه وهداه السبيل الى وطنه ودخل الفضل الى الحضرة وقعد بمجلس آبائه من الخلافة وجدد ما طمسته بنو مرين من معالم الدولة واستمر أمره على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن مهلك الفضل وبيعة أخيه المولى أبى اسحق }
{ فى كفالة أبى محمد بن تافراكين وتحت استبداده }

لما دخل أبو العباس الفضل الى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لاحمد بن محمد ابن عتو نائبا عن عمه أبي القاسم ريثما يفيء من الجريد وعقد على جيشه وحربه لمحمد بن الشواش بطانته وكان وليه المطارد به أبو الليل قتيبة بن حمزة مستبدا عليه في سائر أحواله متنشطا في طلباته وأنف له بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له وأن يديل منه بولاية خالد أخيه وبعث عن أبي القاسم بن عتو وقد قلده في حجابته وفوض اليه أمره وجعل مقاد الدولة بيده فركب اليه البحر من سوسة واستألف له خالد بن حمزة ظهيرا على أخيه بعد أن نبذ اليه عهده وفاوضهم أبو الليل بن حمزة قبل استحكام أمورهم فغلب على السلطان وحمله على عزله قائده محمد بن الشواش فدفعه الى بونة على عساكرها واضطربت نار الفتنة بين أبي الليل بن حمزة وبين أخيه خالد وكاد شملهم ان يتصدع وبينما هم يحيشون نار الحرب ويجمعون الجموع والاحزاب اذ قدم كبيرهم عمر وأبو محمد عبد الله بن تافراكين من حجهم وكان ابن تافراكين لما احتل بالاسكندرية بعث السلطان فيه الى أهل المشرق وخاطبه ملوك مصر في التحكيم فيه فأجاره عليه الامير المستبد على الدولة يومئذ سقاروس وخرج من مصر لقضاء فرضه وخرج عمر بن حمزة لقضاء فرضه أيضا فاجتمعا في مشاهد الحاج آخر سنة خمسين وتعاقدا على الرجوع الى افريقية والتظاهر على أمرهما وقفلا فألفيا خالدا وقتيبة على الصغير فأشار عمر بن داية فاجتمعا وتوافقا ومسح الاحن من صدورهما وتواطآ جميعا على المكر بالسلطان وبعث اليه وليه قتيبة بالمراجعة فقبله واتفقوا على ان يقلد حجابته أبا محمد ابن تافراكين صاحب أبيه وكبير دولتهم ويديل به من ابن عتو فأبى ثم أصبحت ونزلت أحياؤهم ظاهر البلد واستحثوا السلطان للخروج اليهم ليكملوا عقد ذلك ووقف بساحة البلد الى ان أحاطوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم وأذنوا لابن تافراكين في دخول البلد فدخلها لاحدى عشرة من جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وعمد الى دار المولى أبي اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبي بكر فاستخرجه بعد أن بذل من العهد لامه والمواثيق ما رضيتها وجاء به الى القصر وأقعده على كرسي الخلافة وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز فانعقدت بيعته ودخل بنو كعب فآتوه طاعتهم وسيق اليه أخوه الفضل ليلتئذ فاعتقل وغط من جوف الليل بمحبسه حتى فاض ولاذ حاجبه ابو القاسم بن عتو بالاختفاء في غيابات البلد وعثر عليه للبال فاعتقل وامتحن وهلك في امتحانه وخوطب العمال في الجهات باخذ البيعة على من قبلهم فبعثوا بها واستقام ابن بهلول صاحب توزر على الطاعة وبعث بالجباية والهدية واتبعه صاحب نفطة وصاحب قفصة وخالفهم ابن مكي وذهب الى الاجلاب على ابن

تافراكين لما كان قد كفل السلطان وحجزه عن التصرف في أمره واستبد عليه الى أن كان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

{ الخبر عن حركة صاحب قسنطينة وما كان من حجابة أبي العباس بن مكي وتصاريف ذلك }

لما استولى أبو محمد بن تافراكين على تونس وبايع للمولى أبي اسحق بالخلافة واستبد عليه نقم عليه الامراء شأن استبداده ونقمه ابن مكي للسعي عليه لمنافسة كانت بينهما قديمة من لدن أيام السلطان أبي بكر واستعان على ذلك باولاد مهلهل مقاسمي أولاد أبي الليل في رياسة الكعوب ومجاذيهم حبل الامارة فلما رأوا صاغية ابن تافراكين الى أولاد أبي الليل أقتالهم أجمعوا الهواهم وحالفوا بني حكيم من قبائل علاق وأجلبوا على الضواحي وشنوا الغارات ثم وفد على الامير أبي زيد صاحب قسنطينة وأعمالها يستحثهم للنهوض الى افريقية واستخلاص ملك آبائه ممن استبد عليه واحتازه دونهم فسرح معهم عسكرين لنظر ميمون ومنصور الجاهل من مواليه وموالي أبيه وارتحلوا من قسنطينة وارتحل معهم يعقوب بن علي كبير الزواودة بمن معه من قومه وسرح أبو محمد بن تافراكين من الحضرة للقاسم عسكرا مع أبي الليل وقتل يومئذ أبو الليل قتيبة بن حمزة بيد يعقوب ابن سحيم من اولاد القوس شيوخ بني حكيم ورجع فلهم الى تونس وامتدت أيدي أولاد مهلهل وعساكر قسنطينة في البلاد وجبوا الاموال من أوطان هوارة وانتهوا الى ابدة ثم قفلوا راحلين الى قسنطينة وولي على أولاد أبي الليل مكان قتيبة أخوه خالد بن حمزة وقام بأمرهم وكان أبو العباس بن مكي أثناء ذلك يكاتب المولى أبا زيد صاحب قسنطينة من مكان ولايته بقابس ويعده من نفسه الوفادة والمدد بالمال والاحزاب والقيام باعطيات العرب حتى اذا انصرم فصل الشتاء ووفد عليه مع أولاد مهلهل لقاه مبرة وتكريما وعقد له على حجابته وجمع عساكره وجهز آلاته وأزاح علل تابعه ورحل من قسنطينة سنة ثلاث وخمسين في صفر وجهز أبو محمد بن تافراكين سلطانه أبا اسحق لما يحتاج اليه من العساكر والآلة وجعل على حربه ابنه أبا عبد الله محمد بن نزار من طبقة الفقهاء ومشيخة الكتاب كان يعلم أبناء السلطان الكتاب ويقرئهم القرآن كما قدمناه وفصل من تونس في التعبية حتى اذا تراءى الجمعان كر محمد وتزاحفوا فاختل مصاف السلطان أبي اسحق وافترقت جموعه وولوا منهزمين واتبعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بصاحبه أبي محمد بن تافراكين بتونس وجاؤا على اثره فنازلوا تونس أياما وطالت عليهم الحرب ثم امتنعت عليهم وارتحلوا الى القيروان ثم الى قفصة وبلغهم أن ملك المغرب

الاقصى السلطان أباعبد الله قد خالفهم الى قسنطينة بمداخلة أبى محمد بن تافراكين واستجاشته ونازل جهات قسنطينة وانتهب زروعها وشن الغارات عليها وفى بسائطها فبلغهم أنه رجع الى بجاية منكمشا من زحف بنى مرين واعتزم الامير أبو زيد على مبادرة ثغره ودار امارته يعنى قسنطينة ورغب اليه أبو العباس بن مكى وأولاد مهلهل أن يخلف بينهم من اخوانه من يجتمعون اليه ويزاحفون به فولى عليهم أخاه العباس فبايعوه وأقام فيهم هو وشقيقه أبو يحيى زكريا الى أن كان من شأنه ما نذكر وانصرف الامير أبو زيد عند ذلك من قفصة يغذ السير الى قسنطينة واحتل بها فى جمادى من سنته والله تعالى أعلم

الخبر عن وفادة صاحب بجاية على ابى عثمان واستيلائه عليه وعلى بلده ومطلبه قسنطينة

كان بين الامير أبى عبد الله صاحب بجاية وبين الامير أبى عنان أيام امارته بتلمسان ونزول الاعياص الحفصيين بندرومة ووجدة أيام أبيه كما ذكرناه اتصال ومخالصة أحكمها بينهما نسب الشباب والملك وسابقة الصهر فكان الامير أبو عبد الله من أجل ذلك صاغية الى بنى مرين أوجد بها السبيل على ملكه ولما مر السلطان أبو الحسن فى اسطوله عند ارتحاله من تونس كما قدمناه أمر أهل سواحله بمنعه الماء والاقوات من سائر جهاتها رعيا للذمة التى اعتقدها مع الامير أبى عنان فى شأنه وجنوحا الى تشييع سلطانه ولما أوقع السلطان أبو عنان ببنى عبد الواد سنة ثلاث وخمسين واستولى على المغرب الاوسط ونجا فلهم الى بجاية أوعز الى الامير أبى عبد الله باعتراضهم فى جهاته والتقبض عليهم فأجابه الى ذلك وبعث العيون بالمراصد فى ضواحى بجاية على محمد ابن سلطانهم أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن وعلى أخيه أبى ثابت الزعيم بن عبد الرحمن وعلى وزيرهم يحيى بن داود بن سليمان فأوثقوهم اعتقالا وبعث بهم الى السلطان أبى عنان ثم جاء على اثرهم فتلقاه بالقبول والتكرمة وأنزله بأحسن نزل ثم دس اليه من اغراه بالنزول له عن بجاية رغبة فيما عند السلطان ازاء ذلك من التجلة والادالة عنها بمكناسة المغرب والراحلة من زبون الجند والبطانة واخفافا مما سواه ان لم يعتمده فأجاب اليه على اليأس والكره وشهد مجلس السلطان والملا من بنى مرين بالرغبة فى ذلك فأسعف وانيفت جائزته واقتطعت له مكناسة من أعمال المغرب ثم انتزعها الايام قلائل ونقله فى جملته الى المغرب وبعث الامير أبو عنان مولاه فارحا المستبد عليه ليأتيه بأهله وولده وعقد أبو عنان على بجاية لعمر بن على ابن الوزير من بنى واطاس وهم ينتسبون بزعمهم الى على بن يوسف أمير لمتونة فاختصه أبو عنان بولايتها لمتانة هذا النسب

الصنهاجى بينه وبين أهل وطنها منهم وانصرفوا جميعا من المرية ولما احتلوا بجاية تآمر أولياء الدعوة الحفصية ومن بها من صنهاجة والموالى وهجست رجالاتهم فى قتل عمر بن على الوزير وأشياع بنى مرين وتصدى لذلك زعيم صنهاجة منصور بن ابراهيم بن الحاج فى رجالات من قومه باملاء فارح زعموا وغدوا عليه فى داره من القصبة فأكب عليه منصور يناجيه فطعنه وطعن آخر منهم القاضى ابن فركان بما كان شيعة لبنى مرين ثم أجهزوا على عمر بن على ومضى القاضى الى داره فمات واتصلت الهيعة بفارح فركب اليه وهتف الهاتف بدعوة صاحب قسنطينة المولى أبى زيد وطيروا اليه بالخبر واستحثوه للقدوم وأقاموا على ذلك أياما ثم تآمر الملأ من أهل بجاية فى التمسك بدعوة صاحب المغرب خوفا من بوادره فثاروا بفارح وقتلوه أيام التشريق من سنة ثلاث وخمسين وبعثوا برأسه الى السلطان بتلمسان وتولى كبر ذلك هلال صاحبه من موالى ابن سيد الناس ومحمد بن الحاجب أبى عبد الله بن سيد الناس ومشيخة واستقدموا العامل حواس من بنى مرين وهو يحيى بن عمر بن عبد المؤمن من بنى ونكاس فبادر اليهم وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبى عمر فى الكتائب فدخلها فاتح أربع وخمسين وذهبت صنهاجة فى كل وجه ولحق كبارهم وذوو الفعلة منه بتونس وتقبض على أعمال مولى ابن سيد الناس لما داخلته فيه من الظنة وعلى القاضى محمد بن عمر لما كان شيعة لفارح وعلى زعماء الغوغاء من أهل المدينة وأشخصهم معتقلين الى المغرب وصرف نظره الى تمهيد الوطن واستدعى كبراء العرب وأهل النواحى من أعمال بجاية وقسنطينة ووفد عليه يوسف بن مزنى صاحب الزاب ومشيخة الزواودة فاسترهن ابناءهم على الطاعة وقفل بهم الى المغرب واستعمل أبو عنان على بجاية موسى بن ابراهيم اليرنيانى من طبقة الوزراء وبعث اليها ولما وفدوا على السلطان جلس جلوسا فخما ووصلوا اليه ولقاهم تكرمة ومبرة وأوسعهم حباء واقطاعا وأنفذ لهم الصكوك والسجلات وأخذ على طاعتهم العهود والمواثيق والرهن وانقلبوا الى أهلهم وعقد لحاجبه ابن أبى عمر وعلى بجاية وأعمالها وعلى حرب قسنطينة من ورائها ورجعه اليها فدخلها فى رجب من سنته وأوعز السلطان الى موسى بن ابراهيم بالولاية على سدويكش والنزول ببنى ياورار فى كتيبة جهزها هنالك لمضايقة قسنطينة وجباية وطنها وكل ذلك لنظر الحاجب ببجاية وكان بقسنطينة أبو عمر تاشفين ابن السلطان أبى الحسن معتقلا من لدن واقعة بنى مرين وكان موسوسا فى عقله معروفا بالجنون عند قومه وكان الامراء بقسنطينة قد أسنوا اجرايته فى اعتقاله وأولوه من المبرة والكفاية كفاء نسبه فلما زحف كتائب بنى مرين الى بنى ياورار آخر عمل بجاية

ودانوا قسنطينة ومن بها من الحروب والحصار نصب المولى أبو زيد هذا الموسوس أبا عمر ليحاجي به رجالات بنى مرين أهل العسكر ببجاية وبنى ياورار وجهزله الآلة وتسامعوا بذلك ففزع اليهم الكبير منهم وخرج نبيل حاجب الامير أبى زيد الى أهل صنهاجة من بونة ومن كان على دعوته من سدويكش والزواودة فجمعهم وزحفوا جميعا الى وطن بجاية واتصل الخبر بالحاجب ببجاية فبعث فى الزواودة من مشاتيهم بالصحراء فأقبلوا اليه حتى نزلوا التلول ووفد عليه أبو دينار بن على بن أحمد واستحثه للحركة على قسنطينة فاعترض عساكره وأزاح عللهم وخرج من بجاية فى ربيع من سنة خمسين فكر أبو عمر ومن معه راجعين الى قسنطينة وزحف الحاجب فيمن معه من بنى مرين والزواودة وسدويكش ولقيهم نبيل الحاجب بمن معه فكانت عليه الدبرة واكتسحت أموال بونة ورجع ابن أبى عمر بعساكره الى قسنطينة فأناخ عليها أسبوعا ثم ارتحل عنها الى ميلة وعقد يعقوب بن على بين الفريقين صلحا على أن يمكنوه من أبى عمر الموسوس فبعثوا به الى أخيه السلطان أبى عنان فأنزله ببعض الحجر ورتب عليه الحرس وسار الحاجب فى نواحى أعماله وانتهى الى المسيلة واقتضى مغارمها ثم انكفأ راجعا الى بجاية وملكها افاتح سنة ست وخمسين وزحف الى قسنطينة فحاصرها وامتنعت عليه فرجع الى بجاية ثم زحف من العام المقبل سنة سبع وخمسين كذلك ونصب عليها المجانيق فامتنعت عليه وأرجف فى عسكره بموت السلطان فانفضوا وأحرق مجانيقه ورجع الى بجاية وعمر الكاتب بنى ياورار لنظر موسى بن ابراهيم اليرنيانى عامل سدويكش الى أن كان من الايقاع به وبعسكره مانذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن حادثة طرابلس واستيلاء النصارى عليها ثم رجوعها الى ابن مكى)

كانت طرابلس هذه ثغرا منذ الدول القديمة وكانت لهم عناية بحمايتها لما كان وضعها فى البسيط وكانت ضواحيها قفرا من القبائل فكان النصارى أهل صقلية كثيرا ما يحدثون أنفسهم بملكها وكان ميخاييل الانطاكى صاحب أسطول زجار قد تملكها من أيدى بنى خزرون من مغراوة آخر دولتهم ودولة صنهاجة كما ذكرنا ثم رجعها ابن مطروح ودخلت فى دعوة الموحدين ومرت عليها الايام الى أن استبد بها ابن ثابت ووليها من بعده ابنه فى أعوام خمسين وسبعمائة منقطعا عن الحضرة ومقيما رسم الدعوة وكان تجار الجويين يترددون اليها فاطلعوا على عوراتها وائتمروا فى غزوها واتعدوا المرساها فوافوه سنة خمس وخمسين وانتشروا بالبلد فى حاجاتهم ثم بيتوها ذات ليلة فصعدوا أسوارها وملكوها عليهم وهتف هاتفهم بالحرب وقد لبسوا السلاح فارتاعوا وهبوا من مضاجعهم فلما رأوهم بالاسوار لم يكن همهم الا النجاة

بانفسهم

بأنفسهم ونجا ثابت بن محمد مقدمهم الى حلة الجوارى اعراب وطنها من ذئاب احدى بطون بنى سليم فقتل لدم كان أصابه منهم ولحق أخويه بالاسكندرية واستباحها النصارى واحتملوا فى سفنهم ماوجدوا بها من الحرثى والمتاع والعقائل والاسرى وأقاموا بها وداخلهم أبو العباس بن مكى صاحب قابس فى فدائها فاشترطوا عليه خمسين ألفا من الذهب العين فبعث فيهم لملك المغرب السلطان أبى عنان يطرفه بمثوبتها ثم تعجلوا عليه فجمع ماعنده واستوهب مابقى من أهل قابس والحامه وبلاد الجريد فجمعوها له حسبة ورغبة فى الخير وأمكنه النصارى من طرابلس فملكها واستولى عليها وأزال مادنسها من وضر الكفر وبعث السلطان أبو عنان بالمال اليه وأن يرد على الناس ماأعطوه وينفرد بمثوبتها وذكرها فامتنعوا الا قليلا منهم ووضع المال عند ابن مكى لذلك ولم يزل ابن مكى أميرا عليها الى ان هلك كما نذكره فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

{الخبر عن بيعة السلطان أبى العباس أمير المؤمنين ومفتتح أمره السعيد بقسنطينة}

كان الامير أبو زيد قد ولى الامر من بعد أبيه الامير أبى عبد الله بولاية جده الخليفة أبى بكر وكان اخوته جميعا فى جملته ومنهم السلطان أبو العباس أمير المؤمنين لهذا العهد والمنفرد بالدعوة الحفصية من لدن مهلك أبيهم يرون أن الوراثة لهم وأن الامر فيهم حتى لقد يحكى عن شيخ وقته الولى أبى هادى المشهور الذكر وكان من أهل المكاشفة أنه قال ذات يوم وقد جاؤا لزيارته بأجمعهم على طريقهم وسنن أسلافهم فى التبرك بالاولياء فدعا لهم الشيخ ماشاء الله ثم قال البركة ان شاء الله فى هذا العش وأشار الى الاخوة مجتمعين وكان الحذاق والمنجمون أيضا يخبرون بمثلها ويحومون بوطنهم على أبى العباس منهم لما يتفرسون فيه من الشواهد والمخايل فلما كان من منازلة أخيه أبى زيد بتونس سنة ثلاث وخمسين ماقدمناه ثم ارتحل عنها الى نفطة وأراد الرجوع الى قسنطينة للارجاف يسائل السلطان أبا عثمان وانه زحف الى آخر عمله من تخوم بجاية رغب اليه حينئذ أولاد مهلهل أولياؤه من العرب وشيعته وصاحبه أبو العباس بن مكى صاحب عمل قابس وحرمه أن يستعمل عليهم من اخوته من يقيم معهم لمعاودة تونس بالحصار فسرح أخاه مولانا العباس فتخلف معهم لذلك وفى جملته شقيقه أبو يحيى فأقاما بقابس وكان صاحب طرابلس محمد بن ثابت قد بعث اسطوله لحصار جربة فدخل الامير ابو العباس بمن معه الجزيرة وخاضوا اليها البحر فأجفل عسكر ابن ثابت وأفرجوا عن الحصن ثم رجع السلطان الى قابس وزحف العرب أولاد مهلهل الى تونس وحاصروها أياما فامتنعت عليهم ورجع الى أعمال الجريد وأوفد أخاه أبا يحيى زكريا على السلطان

صريخا سنة خمس وخمسين فلقاه مبرة ورحبا وأسنى جائزته وأحسن وعده وانكفأ راجعا عنه الى وطنه ومر بالحاجب أبي عمر عند افراجه عن قسنطينة ولحق بأخيه بمكانه من قاصية افريقية واتصلت أيديهما على طلب حقهما وفي خلال ذلك فسد ما بين أبي محمد بن تافراكين صاحب الامر بتونس وبين خالد بن حمزة كبير أولاد أبي الليل فعدل عنه الى أقتاله وأولاد مهلهل واستدعاهم للمظاهرة فأقبلوا اليه وتحيز خالد الى السلطان أبي العباس وزحفوا معه الى تونس فنازلوها سنة ست وخمسين وامتنعت عليهم وأفرجوا عنها واستقدمه أخوه أبو زيد اثر ذلك لينصره من عساكر بني مرين عند ما تكالبوا عليه وضاق به الحصار فأجابه وقدم عليه بخالد وقومه وخرج الامير أبو زيد مع خالد الى منازلة تونس واستخلف على قسنطينة أخاه أبا العباس فدخلها ونزل بقصور الملك منها وأقام بها مدة وعساكر بني مرين قد ملأت عليه الضاحية فدعاه الاول الى الاستبداد وأنه أبلغ في المدافعة والحماية لما كانوا يتوقعون من زحف العساكر اليهم من بجاية فأجاب وبويع شهر من سنة ست وخمسين وانعقد أمره وزحف عبد الله بن علي صاحب بجاية الى قسنطينة من سنته وفي سنة سبع بعدها فحاصره ونصب المجانيق ثم أجفل آخرا للارجاف كما ذكرناه وتنفس مخنق الحصار عن قسنطينة وكان الامير أبو زيد أخوه لما ذهب مع خالد الى تونس ونازلها امتنعت عليه ورجع وقد استبد أخوه بأمر قسنطينة فعدل الى بونة وأرسل أبا محمد بن تافراكين في سكنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فأجابه ونزل عنها الامير أبو زيد لعمه السلطان أبي اسحق وتحول الى تونس فأوسعوا له المنازل وأسنوا الجرايات والجوائز وأقام في كفالة عمه الى ان كان من أمره ما نذكره والله أعلم

الخبر عن واقعة موسى بن ابراهيم واستيلاء أبي عنان بعد على قسنطينة وما تخلل ذلك من الاحداث

لما استبد السلطان أبو العباس بالامر وزحفت اليه عساكر بجاية وبني مرين فأحسن دفاعها عن بلده وتبين لاهل الضاحية مخايل الظهور فيه فداخله رجالات من سدويكش من أولاد المهدي بن يوسف في غزو موسى بن ابراهيم وكتائبه المجمرة ببني باورار ودعوا الى ذلك ميمون بن علي بن أحمد وكان منحرفا عن أخيه يعقوب ظهير بني مرين ومناصحهم فأجاب وسرح السلطان أخاه أبا يحيى زكريا بينهم عن في جملة من العساكر وصبحوهم في غارة شعواء فلما أشارفوهم ركبوا اليهم فتقدموا ثم أحجموا واختل مصافهم وأحيط بهم وأثخن قائد العسكر موسى بن ابراهيم بالجراحة واستلحم بنوه زيان وأبو القاسم ومن اليهم وكانوا أسود هياج وفرسان ملحمة في آخرين من أمثالها

وتبعوا بالقتل والنهب الى أن استبيحوا ونجا فلهم الى بجاية ولحقوا بالسلطان أبي عنان ولما بلغه الخبر قام في ركائبه وعقد وفتح ديوان العطاء وبعث وزراءه للحشد في الجهات وأعد من الجنود وأزاح العلل وشكا له موسى بن ابراهيم قعود عبد الله ابن علي صاحب بجاية عن قصده فسخطه ونكبه وعقد مكانه ليحيى بن ميمون بن مصمود وتلوم بعده أشهرا في تجهيز العساكر وبعث السلطان أبو العباس أخاه أبا يحيى الى تونس صريخا لعمه السلطان أبي اسحق فأعجله الامر عن الاياب اليه وارتحل أبو عنان في عساكره ثم بعث في مقدمته وزيره فارس بن ميمون بن ودرار وزحف على أثره في ربيع سنة ثمان وخمسين وأغذ السير الى قسنطينة وقد نازلها وزيره ابن ودرار قبله فلما رأوا ساحتها وقد طبقوا الارض الفضاء بجيوشه وعساكره وجم أهل البلد وأدركهم الدهش فانفضوا وتسللوا اليه وتحيز السلطان أبو العباس الى القصبة فامتنع بها حتى توثق لنفسه بالعهد ثم نزل اليه فلقاه تكرمة ورحبا وأسنى له الفساطيط في جواره ثم بدا له لايام قلائل فنقض عهده وأركبه السفن الى المغرب وأنزله بسبتة ورتب عليه الحرس وبعث خلال ذلك الى بونة فدخلت في طاعته وفرّ عنها عمال الحضرة ولما استولى عقد على قسنطينة لمنصور بن مخلوف شيخ بني بابان من قبيل بني مرين ثم بعث رسله الى أبي محمد بن تافراكين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم وأخرج سلطانه المولى أبا اسحق مع أولاد أبي الليل ومن اليهم من العرب بعد أن جهز اليه العساكر وما يصلح من الآلة والجند وأقام هو بتونس وأجمع أبو عنان النهوض اليه ووفد عليه أولاد مهلهل يستحثونه لذلك فسرح معهم عسكرا في البر لنظر يحيى بن رحو بن تاشفين معطى حشود بني تيربيعين من قبائل بني مرين وصاحب الشورى في مجلسه وسرح عسكرا آخر في الاسطول لنظر محمد بن يوسف المعروف بالابكم من بني الاحمر بني الملوك بالاندلس لهذا العهد فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقاتلوها يوما أو بعض يوم وأتيح لهم الظهور فخرج عنها أبو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بني مرين على تونس في رمضان سنة ثمان وخمسين وحق لهم الظهور فخرج عنها أبو محمد بن تافراكين ولحق يحيى بن رحو بعسكره فدخل البلد وأمضى فيها أوامر السلطان ثم دعاه أولاد مهلهل الى الخروج لمباغتة أولاد أبي الليل وسلطانهم فخرج معهم لذلك وأقام ابن الاحمر وأهل الاسطول بالبلد في خلال ذلك جاهر يعقوب بن علي بالخلاف لما تبين من نكر السلطان أبي عنان وارهاف حده للعرب ومطالبتهم بالرهن وقبض أيديهم عن الاتاوات ومسح أعطافه بالمداراة فلم يقبلها فلحق يعقوب بالرمل واتبعه السلطان فأعجزه فعدا على قصوره ومنازله بالبلد والصحراء فخربها وانتسفها ثم رجع الى قسنطينة وارتحل منها يريد

افريقية وقد نهض المولى أبو اسحق بمن معه من العرب للقائه وانتهوا الى حصن سبتة
ثم تمشت رجالات بنى مرين وائتمروا فى الرجوع عنه حذرا أن يصيبهم بافريقية
ما أصابهم من قبل فانفضوا متسللين الى المغرب ولما خف المعسكر من أهله أقصر عن
القدوم الى افريقية فرجع الى المغرب بمن بقى معه واتبع العرب آثاره وبلغ الخبر الى
أبى محمد بن تافراكين بمكان منجاته من المهدية فسار الى تونس ولما أطال عليها ثار أهل
البلد بمن كان عندهم من عسكر بنى مرين وعمالهم فنجوا الى الاسطول ودخل أبو محمد
ابن تافراكين الى الحضرة وأعاد ما طمس من الدولة ولحق به السلطان أبو اسحق بعد
أن تقدم الامير أبو زيد فى عسكر الجنود والعرب لاتباع آثار بنى مرين ومنازلة قسنطينة
فاتبعهم الى تخوم عملهم ورجع أبو زيد الى قسنطينة وقاتلها أياما فامتنعت عليه
فانكفأ راجعا الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى أن هلك عفا الله عنه وعنا آمين سنة
وكان أخوه يحيى بن زكريا قد لحق بتونس من قبل صريخه
كما قلناه فلما بلغهم أن قسنطينة قد أحيط بها تمسكوا به فلحق به الفل من مواليهم
وصنائعهم فكانوا معه الى أن يسر الله أسباب الخير والسعادة للمسلمين وأعاد السلطان
أبا العباس الى الامر من بعد مهلك أبى عنان كما نذكر ومر ايالته على الخلع فطلع على الرعايا
بالعدل والامان وشمول العافية والاحسان وكف أيدى العدوان ورفع الناس
والدولة فى ظل ظليل ومرعى جميل كما نذكر ان شاء الله

{الخبر عن انتقاض الامير أبى يحيى زكريا بالمهدية ودخوله}
{فى دولة أبى عنان ثم نزوله عنها الى الطاعة وتصاريف ذلك}

كان الحاجب أبو محمد عند رجوعه الى الحضرة صرف عنايته الى تحصين المهدية
يعده للدولة وزرا من حادث ما يتوقعه من المغرب وأهله فشيد من أسوارها وشحن
بالاقوات والاسلحة مخازنها وكان أحمد بن خلف من أوليائه وذويه مستبدا عليه
فأقام على ذلك حولا أو بعضه ثم ضجر الامير أبو يحيى زكريا من الاستبداد عليه
واستنكف من حجره فى سلطانه فوثب به أحمد بن خلف فقتله وبعث عن أبى العباس
أحمد بن مكى صاحب جربة وقابس ليقيم له رسم الحجابة لما كان مناويا لأبى محمد بن
تافراكين كافله فوصل اليه وطيروا بالخبر الى السلطان أبى عنان صاحب المغرب
وبعثوا اليه ببيعتهم واستحثوه لصريخهم واضطراب أمرهم وسرح أبو محمد
ابن تافراكين اليها العسكر فأجفلوا أمامه ولحق المولى أبو يحيى زكريا بقابس وولى
عليها أبو محمد بن تافراكين محمد بن الحكيم من قرابة ابن ثابت اصطنعه عندما وقعت
الحادثة على طرابلس ولحق به فاستعمله على المهدية ولما وصل الخبر الى أبى عنان بشأن

المهدية جهز اليها الاسطول وشحنه بالمقاتلة والرجال وعين الموالى والخاصة فألفوها
وقد رجعت الى ايالة الحضرة ووصل اليها ابن الحكيم وأقام بها وحسن غناؤه فيها الى
أن كان من أمره ما نذكر وأقام الامير زكريا بقابس وأجلب به أبو العباس بن مكى على
تونس ثم بعثوه بالزواودة ونزل على يعقوب بن على وأصهر اليه فى ابنة أخيه سعيد فعقد له
عليها ولما استولى أخوه أبو اسحق على بجاية استعمله على سدويكش والله تعالى أعلم

(الخبر عن استيلاء السلطان أبى اسحق على بجاية واعادة الدعوة الحفصية اليها)

لما رجع السلطان أبو عنان من قسنطينة الى المغرب أراح بسبتة وسرح عساكره من
العام المقبل الى افريقية لنظر وزيره سليمان بن داود فسار فى نواحى قسنطينة ومعه
ميمون بن على بن احمد اديل به من يعقوب على قومه من الزواودة وعثمان بن يوسف
ابن سليمان شيخ أولاد سباع منهم وحضر معهم يوسف بن مزنى عامل الزاب واوعز اليه
السلطان بذلك فدوخ الجهات وانتهى الى آخر وطن بونة واقتضى المغارم ثم انكفأ
راجعا الى المغرب وهلك السلطان أبو عنان اثر قفوله سنة تسع وخمسين واضطرب
المغرب ثم استقام على طاعة أخيه السلطان أبى سالم كما نذكره وكان أهل بجاية قد نقموا
على عاملهم يحيى بن ميمون من بطانة السلطان أبى عنان سوء ملكته وشدة سطوته
وعسفه فداخلوا أبا محمد بن تافراكين على البعد فى التوثب به فجهز اليهم السلطان ابو
اسحق ما يحتاج اليه من العساكر وتلقاهم يعقوب بن على وظاهرهم على امرهم وسار
أخوه ابو دينار فى جملتهم ولما أطلق على بجاية ثارت الغوغاء بيحيى بن ميمون العامل كان
عليهم منذ عهد السلطان أبى عنان فألقى بيده وتقبض عليه وعلى من كان من قومه
وأركبوا السفين الى الحضرة وأودعهم أبو محمد بن تافراكين سجونه تحت كرامة
وجراية الى أن من عليهم من بعد ذلك وأطلقهم الى المغرب ودخل السلطان ابو اسحق الى
بجاية سنة احدى وستين واستبدبها بعض الاستبداد وحاجبه وكافله أبو محمد يدبر أمره
من الحضرة ثم استقدم ابنه ونصب لوزارة السلطان أبى محمد عبد الواحد بن محمد بن
اكماقرى من مشيخة الموحدين فكان يقيم له رسم الحجابة وقام بأمر الرجل بالبلد من
الغوغاء على بن صالح من زعانفة بجاية واوغادها التفت عليه الثوار والدعار واصبحت
لهم به شوكة كان له بها تغلب على الدولة الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى
والله اعلم

(الخبر عن فتح جربة ودخولها فى دعوة السلطان ابى اسحق صاحب الحضرة)

هذا الجزيرة من جزر هذا البحر الذى هو قريب من قابس الى الشرق عنها قليلا

طولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا وعرضها من ناحية الغرب عشرون ميلا ومن ناحية الشرق خمسة عشر ميلا وبين فرضتيها فى ناحية الغرب ستون ميلا وشجرها التين والنخل والزيتون والعنب واختصت بالنسيج وعمل الصوف للباسهم فيتخذون منه الاكسية المعلمة للاشتمال وغير المعلمة للباس ويجلب منها الى الاقطار فتنتقيه الناس للباسهم وأهلها من البربر من كتامة وفيهم الى الآن سدويكش وصدغيان من بطونهم وفيهم أيضا من بعده وهوارة وسائر شعوب البربر وكانوا قديما على رأى الخوارج وبقى بها الآن فريقان منهم الوهبية وهم بالناحية الغربية ورياستهم لبنى سمرمن والنكارة وهم بالناحية الشرقية وجربة فاصلة بينهما والظهور والرياسة على الكل لبنى النجار من الانصار من جند مضر ولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين فقدم افريقية وفتح جربة سنة سبع بعدها وشهد الفتح حسين بن عبد الله الصنعانى ورجع الى برقة فمات بها ولم تزل فى ملكة المسلمين الى أن دخل دين الخوارج الى البربر فأخذوا به ولما كان شأن أبى زيد سنة احدى وثلاثين وثلثمائة فأخذوا بدعوته بعد أن دخلها عنوة وقتل مقدمها يومئذ ابن كلوس وصلبه ثم استردها المنصور بن اسمعيل وقتل أصحاب أبى زيد ولما غلبت العرب صنهاجة على الضواحى وصارت لهم أخذ أهل جربة فى انشاء الاساطيل وغزوا الساحل ثم غزاهم على بن يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس سنة تسع وخمسمائة باساطيله الى أن انقادوا وضمنوا قطع الفساد وصلح الحال ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وعشرين وخمسمائة عند تغلبهم على سواحل افريقية ثم ثار أهلها عليهم وأخرجوهم سنة ثمان وأربعين ثم غلبوا عليها ثانية وسبوا أهلها واستعملوا على الرعية وأهل العلم ثم عادت للمسلمين ولم تزل مترددة بين المسلمين والنصارى الى أن غلب عليها أيام عبد المؤمن بن على واستقام أمرها الى أن استبد أمراء بنى حفص بافريقية ثم افترق أمرهم بعد حين واستبد المولى أبو زكريا ابن السلطان أبى اسحق بالناحية الغربية وشغل صاحب الحضرة بشأنه كما قدمناه فتغلب على هذه الجزيرة أهل صقلية سنة ثمان وثمانين وستمائة وبنوا بها حصن القشتيل مربع الشكل فى كل ركن منه برج وبين كل ركنين برج ويجاوره حفير وسوران وأهم المسلمين شأنها ولم تزل عساكر الحضرة تتردد اليها كما تقدم الى أن كان فتحها أيام السلطان أبى بكر على يد مخلوف بن الكماد من بطانته سنة ثمان وثلاثين واستضافها ابن مكى صاحب قابس الى عمله فأضافها اليه وعقد له عليها فصارت من عمله سائر أيام السلطان ومن بعده واتصلت الفتنة بين أبى محمد بن تافراكين وبين ابن مكى وبعث الحاجب أبو محمد ابن تافراكين عن أبيه أبى عبد الله وكان فى جملة السلطان ببجاية كما قلناه ولما وصل

اليه سرحه فى العساكر لحصار جربة وكان أهلها قد نقموا على ابن مكى سيرته فيهم ودسوا الى أبى محمد بن تافراكين بذلك فسرح اليه ابنه فى العساكر سنة ثلاث وستين وكان أحمد بن مكى غائبا بطرابلس قد نزلها منذ ملكها من أيدى النصارى وجعلها دار الامارة فنهض العسكر من الحضرة لنظر أبى عبد الله بن الحاجب أبى محمد ونزلوا فى الاسطول فطلعوا بالجزيرة وضايقوا القشتيل بالحصار الى ان غلبوا عليه وملكوه وأقاموا به

الحضرة واستعمل عليه أبو عبد الله ابن تافراكين

بياض بالاصل.

كاتبه محمد بن أبى القاسم بن أبى العيون كان من صنائع الدولة منذ العهد الاول وكانت لابيه قرابة من أبى عبد العزيز الحاجب ترقى بها الى ولاية الاشغال بتونس مناهضا لابى القاسم بن طاهر الذى كان يتولاها يومئذ فكان رديفه عليها الى ان هلك ابن طاهر فاستبد هو بها منذ أيام الحاجب أبى محمد واتصل ابنه محمد هذا بخدمة ابن الحاجب واختص بكتابه الى ان استعمله على جربة عند استيلائه عليها هذه السنة وانكفأ راجعا الى الحضرة فلم يزل محمد بن أبى العيون واليا عليها ثم استبد بها على السلطان بعد مهلك الحاجب وقرار يده على السلطان الى ان غلبه عليها السلطان أبو العباس سنة أربع وسبعين كما نذكره ان شاء الله

بياض فى الاصل نحو نصف صحيفة.

(الخبر عن دعوة الامراء من المغرب واستيلاء السلطان أبى العباس على قسنطينة)

لما هلك السلطان أبو عنان قام بأمره من بعده وزيره الحسن بن عمر ونصب ابنه محمد السعيد للامر كما نذكره فى أخباره وكان يضطغن للامير أبى عبد الله صاحب بجاية فقبض عليه لاول أمره واعتقله حذرا من وثوبه على عمله فيما زعموا وكان السلطان أبو العباس بسبتة منذ أنزله السلطان أبو عنان بها ورتب عليه الحرس كما ذكرنا فلما انتزى على الملك المنصور بن سليمان من أعياص ملكهم ونازل البلد الجديد دار الملك ودخل فى طاعته سائر الممالك والاعمال بعث فى السلطان أبى العباس واستدعاه من سبتة فنهض اليه وانتهى فى طريقه الى طنجة ووافق فى ذلك اجازة السلطان أبى سالم من الاندلس لطلب ملكه وكان أول ما استولى عليه من أعمال المغرب طنجة وسبتة فاتصل به السلطان أبو العباس وظاهره على أمره الى أن نزع اليه قبيلة بنى مرين عن منصور بن سليمان المنتزى على ملكهم فاستوسق أمره واستتب سلطانه ودخل فاس وسرح الامير أبا عبد الله من اعتقال الحسن بن عمر كما قدمناه ورعى للسلطان أبى العباس ذمة سوابقه القديمة والحادثة فرفع مجلسه وأسنى جرايته ووعده بالمظاهرة على امره

واستقروا جميعا الى ايالته الى أن كان من تغلب السلطان أبي سالم على تلمسان والمغرب الاوسط ما نذكره في أخبارهم واتصل به ثورة أهل بجاية بعاملهم يحيى بن ميمون زرجالات قبيلهم فامتعض لذلك وحين قفل الى المغرب نفض يده من الاعمال الشرقية ونزل للسلطان أبي العباس عن قسنطينة دار امارته ومثوى عزه ومنبت ملكه فأوعز الى عاملها منصور بن مخلوف بالنزول له عنها وسرحه اليها وسرح معه الامير أبا عبد الله ابن عمه لطلب حقه في بجاية والاجلاب على عمه السلطان عبد الحق جزاء بما نال من بني مرين عند افتتاحها من المعرة وارتحلوا من تلمسان في جمادى من سنة احدى وستين واقتعد سرير ملكه منها وتباشرت بعودته مقاصر قصورها فكانت مبدأ سلطانه ومظهر السعادة ومطلع الدولته على ما نذكر بعد وأما الامير أبو عبد الله صاحب بجاية فلحق بأول وطنها واجتمع اليه أولاد سباع أهل ضاحيتها وتقرها من الزواودة ثم زحف اليها فنازلها أياما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بني ياورار واستخدم أولاد محمد بن يوسف والعزيز بين أهل ضاحيتها من سدويكش ثم نزعوا عنه الى خدمة عمه بجاية فخرج الى القفر مع الزواودة الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن وصول الامير أبي يحيى زكريا من تونس وافتتاحه بونة واستيلائه عليها)

كان الامير أبو يحيى زكريا منذ بعثه أخوه أبو العباس الى عمهما السلطان أبي اسحق صريخا لم يزل مقيما بتونس وبلغه استيلاء السلطان أبي عنان على قسنطينة وهو بتونس ثم لما كانت عودة مولانا أبي العباس من المغرب واستيلاؤه على قسنطينة تخشى الحاجب أبو محمد بن تافراكين بادرته وتوقع رجفه اليها وغلبه اياه على الامر ورأى أن يخفض جناحه في أخيه ويتوثق به فاعتقله بالقصبة تحت كرامه ورعى وبعث فيه السلطان أبو الحسن بعد مراوضة في السلم فأطلقه وانعقد بينهما السلم ولما وصل الامير أبو يحيى ابن أخيه بقسنطينة عقد له عن العساكر وأصاروها نجما العمله واستمرت حالها على ذلك الى أن كان من أمرها ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء الامير أبي عبد الله على بجاية ثم على تدلس بعدها)

لما قدم السلطان أبو عبد الله من المغرب ونزل بجاية فامتنعت عليه خرج الى أحياء العرب كما قدمناه ولزم صحابته أولاد يحيى بن علي بن سباع بعدتوا الى الوفاد بها وأقام بين ظهرانيهم وفي حللهم ومتعهدا في طلب بجاية برحلة الشتاء والصيف نفقة عياله ومؤنة حشمه وأنزلوه بتلك المسيلة من أوطانهم وطابوا له عن جبايتها وأقام على ذلك سنين خمسا ينازل بجاية في كل سنة منها مرارا وتحول في السنة الخامسة عنهم الى أولاد

علي بن أحمد ونزل على يعقوب بن علي فأسكنه بمقره من بلاده الى أن بدا لعمه المولى أبي اسحق رأيه في اللحاق بتونس لما توقع من مهلك صاحبه وكافله أبي محمد بن تافراكين أمره اليه بعض الجند فحذره مغبته ووقع من ذلك في نفوس أهل بجاية انحراف عنه وحرج أمره وراسلوا أميرهم الاقدم أبا عبد الله من مكانه بمقره وظاهره على ذلك يعقوب بن علي وأخذله العهد على رجالات سدويكش أهل الضاحية وارتحلوا معه الى بجاية ونازلها أياما ثم استيقن الغوغاء اعتزام سلطانهم على التقويض عنهم وسئموا ملكة علي بن صالح الذي كان عريفا عليهم فثاروا به ونبذوا عهده وانفضوا من حوله الى الامير أبي عبد الله بالحرسة من ساحة البلد ثم قاد اليه عمه أبا اسحق فمن عليه وخلى سبيله الى حضرته فلحق بها واستولى أبو عبد الله على بجاية محل امارته في رمضان سنة خمس وستين وتقبض على علي بن أبي صالح ومن معه من عرفاء الغوغاء أهل الفتنة فاستصفى أموالهم ثم امضى حكم الله في قتلهم ثم نهض الى تدلس لشهرين من مملكة بجاية فغلب عليها عمر بن موسى عامل بني عبد الواد ومن اعتاص قبلهم وتملكها في آخر سنة خمسين وبعث عني من الاندلس وكنت مقيما بها نزيلا عند السلطان أبي عبد الله بن أبي الحاج بن الاحمر في سبيل اغتراب ومطاوعة تغلب منذ مملك السلطان أبي سالم الجاذب بضبعي الى تقويمه والترقي في خطط كتابته من ترسيل وتوقيع ونظر في المظالم وغيرها فلما استدعاني هذا الامير أبو عبد الله بادرت الى امتثاله ولو شاء ربك ما فعلوه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير فاجزت البحر شهر جمادى من سنة ست وقلدني حجابته ودفع الي أمور مملكته وقت في ذلك المقام المحمود الى أن يأذن الله بانقراض أمره وانقطاع دولته ولله الخلق والامر وبيده تصاريف الامور

(الخبر عن مهلك الحاجب أبي محمد بن تافراكين واستبداد سلطانه من بعده)

كان السلطان أبو اسحق آخر دولته بجاية قد تخير ملك حاجبه المستبد عليه أبي محمد بن تافراكين لما كان أهل صنهاجة أهل التنجيم يحدثونه بذلك فأجمع الرحلة اليها وانفض عنه أهل بجاية الى ابن أخيه كما قدمناه واستولى عليه ثم أطلقه الى حضرته فلحق بها في رمضان سنة خمس وستين وتلقاه أبو محمد بن تافراكين ورآه مرهف الحد للاستبداد الذي ألفه بجاية فكايله بصاع الوفاق وصارفه نقد المصانعة وازدلف بأنواع القربات وقاد اليه النجائب ومنحه الذخائر والاموال وتجافى له عن النظر في الجباية ثم أصهر اليه السلطان في كريمته فعقد له عليها وأعرس السلطان بها ثم كان مهلكه عقب ذلك فاتح ست وستين فوجم السلطان لنعيه وشهد جنازته حتى وضع في لحده من المدرسة التي اختطها لقراءة العلم ازاء داره جوفي المدينة وقام على قبره باكيا وحاشيته يتناولون

التراب جثماً على جدثه فقرن فى الوفاة معه ماتحدث به الناس واستبد من بعده بأمره وأقام سلطانه لنفسه وكان أبو عبد الله الحاجب غائباً عن الحضرة وخرج منها بالعسكر للجباية والتمهيد فلما بلغه خبر مهلك أبيه داخلته الظنة وأوجس الخيفة فصرف العسكر الى الحضرة وارتفع مع حكيم من بنى سليم وعرض نفسه على معاقل افريقية التى كان يظن أنها خالصة لهم فصدّه محمد بن أبى العيون كاتبه عن عزمه فحمد الحكيم صنيعه وطاف بهم على المهدية وبعث اليه السلطان بما رضيه من الامان فاستصحب بعد النفور وبادر الى الحضرة فتلقاه السلطان بالبر والترحيب وقلده حجابته وأنزله على مراتب العز والشرف ونكر هو مباشرة السلطان للناس من رفعه للحجاب ولم يزل يريضه لما ألف من الاستبداد منذ عهد أبيه فاظلم الجو بينه وبين السلطان ودبت عقارب السعاية لمهاده الوثير فتنكر وخرج من تونس ولحق بقسنطينة ونزل بها على السلطان أبى العباس مرغباً له فى ملك تونس ومستحثاً فأنزله خير نزل ووعده بالنهوض معه الى افريقية بعد الفراغ من أمر بجاية لما كان بينه وبين ابن عمه صاحبها من الفتنة كما نذكرها بعد واستبد السلطان أبو اسحق بعد مفر ابن تافراكين عنه ونظر فى أعطاف ملكه وعقد على حجابته لأحمد بن ابراهيم المالقى مصطنع الحاجب أبى محمد من طبقة العمال وعلى العساكر والحرب لمولاه منصور سريحة والمعلوجى ورفع الحجاب بينه وبين رجال دولته وصنائع ملكه حتى باشر جبايات الخراج وعرفاء الحشم وأوصلهم الى نفسه وألغى الوسايط بينهم وبينه الى حين مهلكه كما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(الخبر عن استيلاء السلطان أبى العباس على بجاية وملك صاحبها ابن عمه)

لما ملك الامير أبو عبد الله بجاية واستقل بامارتها تنكر للرعية وساءت سيرته فيهم بارهاف الحد للكافة واحتياط الخاصة فنغلت الصدور ومرضت القلوب واستحكمت النفرة وتوجهت الصاغية الى ابن عمه السلطان ابى العباس بقسنطينة لما كان استفسد منه وأعان بلذاته وأقوم على سلطانه وكانت بينهما فتنة وحروب جرتها المنافسة فى تخوم العمالتين منذ عهد الآباء وكان السلطان أبو العباس أيام نزوله على السلطان أبى سالم محمود السيرة والخلال مستقيم الطريقة فى مثوى اغترابه وربما كان ينقم على ابن عمه هذا بعض النزغات المعترضة لصاحبها للملامة فاستقل بصحبته وشغل بذلك ضميره فلما استولى على بجاية علا آلى الفتنة فتنبه وشمر عزائمه لها فكان مغلباً فيها واعتلق منه يعقوب بن على بذمة فى المظاهرة على السلطان أبى العباس فلم يغن عنه وراجع يعقوب سلطانه ثم جهز هو العساكر من بجاية لمزاحمة تخوم قسنطينة وفيها مولانا

ابو

أبو العباس فنهض اليه ثانية بنفسه فى العساكر وتراجع العرب من أولاد سباع بن يحيى وجمع هو أولاد محمد وزحف فيهم وفى عسكر من زناتة والتقى الفريقان بناحية سطيف فاختل مصاف أهل بجاية وانهزموا واتبعهم السلطان أبو العباس الى تاكرارت وجال فى عمله ووطئ نواحى وطنه وقفل الى بلده ودخل الامير أبو عبد الله الى بجاية وقد استحكمت النفرة بينه وبين أهل بلده فدسوا الى السلطان أبى العباس بقسنطينة بالقدوم عليهم فوعدهم من العام القابل وزحف سنة سبع وستين فى عساكره وشيعته من الزواودة أولاد محمد وانضوى اليه أولاد سباع بشيعة بجاية بالجوار والسابقة القديمة لما نكروا من أحوال سلطانهم وعسكر الامير أبو عبد الله بلبزوا فى جمع قليل من الاولياء وأقام بها يرجو مدافعة ابن عمه بالصلح فبيته السلطان بعسكره من لبزوا وصبحه فى غارة شعواء فانفض جمعه وأحيط به وانتهب المعسكر وفر الى بجاية فأدرك فى بعض الطريق وتقبض عليه وقتل قعصاً بالرماح وأغذ السلطان أبو العباس السير الى بجاية فأدركها صلاة الجمعة تاسع عشر شعبان من سنة سبع وستين وكنت بالبلد مقيماً فخرجت فى الملا وتلقانى بالمبرة والتنويه وأشار الى بالاصطناع واستوسق له ملك جده الامير أبى زكريا الاوسط فى الثغور النبوية وأقمت فى خدمته بعض شهر ثم توجمت الحنقة فى نفسى واذنته فى الانطلاق فأذن لى تكرماً وفضلاً وسعة صدر ورحمة ونزلت على يعقوب بن على ثم تحولت عنه الى بسكرة ونزلت على ابن مزنى الى أن صفا الجو واستقبلت من أمرى ما استدبرت واستأذنته لثلاث عشرة سنة من انطلاقى عنه فى خبر طويل نقصه من شأنى فأذن لى وقدمت عليه فقابلنى بوجوه عنايته وأشرقت على أشعة نجعته كما نذكر ذلك من بعد ان شاء الله تعالى

{الخبر عن زحف حمو وبنى عبد الواد الى بجاية
ونكبتهم عليها وفتح تدلس من أيديهم بعدها}

كان الامير أبو عبد الله صاحب بجاية لما اشتدت الفتنة بينه وبين عمه السلطان أبى العباس مع ما كان بينه وبين بنى عبد الواد من الفتنة عند غلبه اياهم على تدلس يكابد حمل العداوة من الجانبين وصغا الى مهادنة بنى عبد الواد فنزل لهم عن تدلس وأمكن منها قائد العسكر المحاصر لها وأوفد رسله على سلطانهم أبى حمو بتلمسان وأصهر اليه أبو حمو فى ابنته فعقد له عليها وزفها اليه بجهاز أمثالها فلما غلبه السلطان أبو العباس على بجاية وهلك فى مجال حربه أشاع أبو حمو الامتعاض له لمكان الصهر وجعلها ذريعة الى الحركة على بجاية وزحف من تلمسان بجر الشوك والمدر فى آلاف من قومه وطبقات العساكر والجند وتراجع العرب حتى انتهى الى وطن حمزة فأجفل أمامه أبو الليل

موسى بن زغلى فى قومه بنى يزيد وتحصنوا فى جبال زواوة المطلة على وطن حمزة وبعث اليه رسله لاقتضاء طاعته فاوثقهم كتافا وكان فيهم يحيى حفد أبى محمد صالح نزع عن السلطان أبى العباس الى أبى حمو وكان عينا على غزاة أبى الليل هذا لما بينهما من الولاء والجوار والوطن وجاء فى وفد الوفادة عن أبى حمو فتقبض عليهم وعليه فقتله وبعث برأسه الى بجاية وامتنع على أبى حمو وعساكره فأجلبوا الى بجاية ونزل معسكره بساحتها وقاتلها أياما وجمع الفعلة على الآلات فى الحصار وكان السلطان أبو العباس بالبلد وعسكره مع مولاه بشير بتكرارت ومعهم أبو زيان بن عثمان بن عبد الرحمن وهو عم أبى حمو من أعياص بيتهم وكان من خبره أنه كان خرج من المغرب كما نذكره فى أخباره ونزل على السلطان أبى اسحق بالحضرة ورعى له أبو محمد الحاجب حق بعثه فأوسع فى كرامته ولما غلب الامير أبو عبد الله على تدلس بعث اليه من تونس ليوليه عليها وتكون ردأ بينه وبين حمو ويتفرغ هو للاجلاب على وطن قسنطينة فبادر الى الاجابة وخرج من تونس ومر السلطان أبو العباس بمكانه من قسنطينة فصده على سبيله واعتقله عنده مكرما فلما غلب على بجاية وبلغه الخبر بزحف أبى حمو أطلقه من اعتقاله ذلك واستبلغ فى تكرمته وحبائه ونصبه للملك وجهزله بعض الآلة وخرج فى معسكره مولاه بشير ليجأجئ به بنى عبد الواد عن ابن عمه أبى حمو لما سئموا من ملكه وعنفه وكان زغبة عرب المغرب الاوسط فى معسكر أبى حمو وكان على حذر من مغبة أمره معهم فراسلوا أبا زيان وائتمروا بينهم فى الارجاف بالمعسكر ثم تحينوا لذلك ان شب الحرب بين أهل البلد وأهل المعسكر فأجفلوا خامس ذى الحجة وانفض بالمعسكر واتصوا الى مضايق الطرقات بساح البلد فكظت بزحامهم وتراكموا عليها فهلك الكثير منهم وخلفوا من الاثقال والعيال والسلاح والكراع مالا يحيط به الوصف وأسلم أبو حمو عياله وأمواله فصارت نهبا واجتليت حظاياه الى السلطان فوهبها لابن عمه ونجا أبو حمو بنفسه بعد أن طاح فى كظيظ الزحام فؤاده فنزل له وزيره عمران بن موسى عن مركوبه فكان نجاؤه عليه ونزل بالجزائر ولحق منها بتلمسان واتبع ابو زيان اثره واضطرب المغرب الاوسط كما نذكره فى اخباره وخرج السلطان ابو العباس من بجاية على اثر هذه الواقعة فنازل تدلس وافتتحها وغلب عليها من كان بها من عمال بنى عبد الواد وانتظمت الثغور الغربية كلها فى ملكه كما كانت فى ملك جده الامير ابى زكريا الاوسط حين قسم الدعوة الحفصية بها الى ان كان ما نذكره بعده ان شاء الله تعالى

(الخبر عن زحف العساكر الى تونس)

كان

كان ابو عبد الله بن الحاجب ابى محمد بن تافراكين لما نزع عن السلطان ابى اسحق صاحب الحضرة لحق بحلل أولاد مهلهل من العرب ووفدوا جميعا على السلطان أبى العباس فاتح سنة سبع وستين يستحثونه الى الحضرة ويرغبونه فى ملكها فاعتذر لهم لما كان عليه من الفتنة مع ابن عمه صاحب بجاية وزحف اليها فى حركة الفتح وصاروا فى جملته فلما استكمل فتح بجاية سرح معهم أخاه المولى أبا يحيى زكريا فى العساكر فساروا ومعه الى الحضرة وابن تافراكين فى جملته فنازلوها أياما وامتنعت عليهم وأقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم وقفل المولى أبو يحيى بعسكره الى مكان عمله ولحق ابن تافراكين بالسلطان فلم يزل فى جملته الى أن كان من فتح تونس ما نذكره والله تعالى أعلم

(الخبر عن مهلك السلطان أبى اسحق صاحب الحضرة وولاية ابنه خالد من بعده)

لما نزل السلطان أبو اسحق بالحضرة على ما ذكرناه وتخلف عن المهادنة مع السلطان أبى العباس طورا بطور واستخلص لدولتهم منصور بن حمزة أمير بنى كعب يستظهر به على أمره ويستدفع برأيه وشوكته فخلص له سائر أيامه وعقد سنة تسع وستين لابنه خالد على عسكر لنظر محمد بن رافع من طبقات الجنود من مغراوة مستبدا على ابنه وسرحه مع منصور بن حمزة وقومه وأوعز اليهم بالنهوض الى نواحى بونة واكتساح نعمها وجباية ضواحيها فساروا اليها وسرح الامير أبو يحيى زكريا صاحب بونة عسكره مع أهل الضاحية فأغنوا فى مدافعتهم وانقلبوا على أعقابهم فكان آخر العهد بظهورهم ولما رجعوا الى الحضرة تنكر السلطان لمحمد بن رافع قائد العسكر فخرج من الحضرة ولحق معاوية بمكانهم من لحقه من أعمال تونس واستقدمه السلطان بعد أن استعتب له فلما قدم تقبض عليه وأودعه السجن وعلى اثر ذلك كان مهلك السلطان ليلة من سنة سبعين بعد أن قضى وطرا من محادثة السمر وغلبه النوم آخر ليله فنام ولما أيقظه الخادم وجده ميتا فاستحال السرور وعظم الاسف وغلب على البطانة الدهش ثم راجعوا بصائرهم ورفعوا الدهش عن أنفسهم وتلافوا أمرهم بالبيعة لابنه الامير أبى البقاء خالد فأخذها له على الناس مولاه منصور سريحة من المعلوجين وحاجبه أحمد ابن ابراهيم اليالقى على هذا الامير المنصوب للامر فلم يكن له تحكم عليهما وكان أول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على القاضى محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء كان نزع الى السلطان من بلده نفطة مغاضبا لمقدمها عبد الله بن على بن الخلف فرعى له نزوعه اليه واستعمله بخطة القضاء بتونس عند مهلك أبى على عمر بن عبد الرفيع ثم ولاه قود العساكر الى بلاد الجريد وحربهم فكان له منها عناء واستدفعوه مرات بجباياتهم يبعثون

البياض فى الموضعين بالأصل

بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكره وكان ابن البالقى بغص بمكانه عند السلطان فلما اشتد على ابنه أعظم فيه السعاية وتقبض عليه وأودعه السجن مع محمد بن على بن رافع ثم بعث عليهما من داخلهما فى الفرار من الاعتقال حتى دبروه معه وظهر على أمرهما فقتلهما فى محبسهما خنقا والله متولى الجزاء منه وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ثم أظهر ابن البالقى من سوء سيرته فى الناس وجوره عليهم وعسفه بهم وانتزاع أموالهم واهانة سبال الاشراف منهم ما نقموه وضرعوا الى الله فى انقاذهم من ملكته فكان ذلك على يد مولانا السلطان أبى العباس كما نذكر ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن فتح تونس واستيلاء السلطان عليها واستبداده }
{ بالدعوة الحفصية فى سائر عمالات افريقية وممالكها }

لما هلك السلطان أبو اسحق صاحب الحضرة سنة سبعين كما قدمنا وقام بالامر مولاه منصور سريحة وصاحبه البالقى ونصبوا ابنه الامير خالد اللامر صبيا لم يناهز الحلم غرا فلم يحسنوا تدبير أمره ولا سياسة سلطانه واستخلصوا الوقتهم منصور بن حمزة أمير بنى كعب المتغلبين على الضاحية ثم أطمعوه بسوء تدبيرهم فى شركته لهم فى الامر ثم قلبوا له ظهر المجن فسخطهم ولحق بالسلطان أبى العباس وهو مطل عليهم برقبة من الثغور الغربية مستجمع للتوثب بهم فاستحثه لملكهم وحرضه على تلافى أمرهم ورم ما تثلم من سياج دولتهم وكان الاحق بالامر لشرف نفسه وجلالته واستفحال ملكه وسلطانه وشياع الحديث على عدله ورفعته وجميل سيرته ولما أن أهل مملكته نظروا لعقب نظره فيهم واستبداد سواه عليهم فأجاب صريخه وشمر للنهوض عزمه وكان أهل قسنطينة قد بعثوا بمثل ذلك فسرح اليهم أبا عبد الله بن الحاجب أبى محمد بن تافراكين لاستخبار طاعتهم وابتلاء دخلتهم فسار اليهم واقتضى سمعهم وطاعتهم وسارع اليها يحيى ابن علول مقدم توزر والخلف بن الخلف مقدم نفطة فآتوها طواعية وانقلب عنهم وقد أخذوا بدعوة السلطان وأقاموها فى أمصارهم ثم خرج السلطان من بجاية فى العساكر وأغذ السير الى المسيلة وكان بها ابراهيم ابن الامير أبى زكريا الاخير فأجابه أولاد سليمان بن على من الزواودة من مثوى اغترابه بتلمسان ونصبوه لطلب حقه فى بجاية من بعد أخيه الامير أبى عبد الله وكان ذلك بمداخلة من أبى حمو صاحب تلمسان ومواعيد بالمظاهرة مختلفة فلما انتهى السلطان الى المسيلة نبذوا الى ابراهيم عهده وتبرؤا منه ورجعوا من حيث جاؤا وانكفأ السلطان راجعا الى بجاية ثم نهض منها الى الحضرة وتلقته وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى البلد فخيم بساحتها

أياما يغاديها القتال ويراوحها ثم كشف عن مصدوقته وزحف الى أسوارها وقد ترجل أخوه والكثير من بطانته وأوليائه فلم يقم لهم حتى تسنموا الاسوار برياض رأس الطابية فنزل عنها المقاتلة وفروا الى داخل البلد وخامر الناس الدهش وتبرأ بعضهم من بعض وأهل الدولة فى مراكبهم وقوف بباب الغدر من أبواب القصبة فلما رأوا أنهم أحيط بهم ولوا الاعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكبروا اقباله وثار أهل البلد جميعا بهم فاصروا بساحتهم من البلد بعد عصب الريق ومضى الجند فى اتباعهم فأدرك أحمد بن البالقى فقتل وسيق رأسه الى السلطان وتقبض على الامير خالد واعتقل ونجا العلج منصور سريحة برأس طمرة وخام وذهل عن القتال دون الاحبة ودخل السلطان القصر واقتعد أريكته وانطلقت أيدى العيث فى ديار أهل الدولة فاكتسحت ما كان الناس يضطغنون عليهم بتحاملهم على الرعية واغتصاب أموالهم واضطرمت نار العيث فى دورهم ومخلفهم فلم تكد أن تنطفئ ولحق بعض أهل العافية معرات من ذلك لعموم النهب وشموله حتى أطفأه الله ببركات السلطان وجميل نيته وسعادة أمره ولاذ الناس منه بالملك الرحيم والسلطان العادل وتهافتوا عليه تهافت الفراش على الذبال يلثمون أطرافه ويجهدون بالدعاء له ويتنافسون فى انتفاس مجيده الى أن غشيهم الليل ودخل السلطان قصوره وخلا بما ظفر من ملك آبائه وبعث بالامير خالد فى الاسطول الى قسنطينة فعصفت به الريح وانخرقت السفينة وترادفت الامواج الى أن هلك واستبد السلطان بأمره وعقد لاخيه الامير أبى يحيى على بجايته ورعى لابن تافراكين حق انحياشه اليه ونزوعه فجعله رديفا لاخيه واستمر الامر على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن انتقاض منصور بن حمزة واجلابه بالعم أبى يحيى }
{ زكريا على الحضرة وما كان عقب ذلك من نكبة ابن تافراكين }

كان منصور بن حمزة هذا أمير البلد من بنى سليم بما كان [بياض بالاصل] بنى كعب وكان السلطان أبو يحيى يؤثره بمزيد العناية ويجعل له على قومه المزية وكان بنو حمزة هؤلاء منذ غلبوا على السلطان أبى الحسن على افريقية وأزعجوه منها قد استطالت أيديهم عليها وتقسموها أوزاعا وأقطعهم أمراء الحضرة السهمان فى جبايتها زيادة لما غلبوا عليه من ضواحيها وأمصارها استئلافا لهم على المصاهرة واقامة الدعوة والحماية من أهل الثغور الغربية فملكوا الاكثر منها وضعف سهمان السلطان بينهم فيها فلما استولى هذا السلطان ابو العباس على الحضرة واستبد بالدعوة الحفصية كبح أعنتهم عن التغلب والاستبداد وانتزع ما بأيديهم من الامصار والعمالات التى كانت من قبل

بياض بالاصل

خالصة السلطان وبدالهم مالم يكونوا يحتسبونه فاحفظهم ذلك وأهمهم شانه وتنكر منصور بن حمزة وقلب ظهر المجن ونزع يده من الطاعة وغمسها فى الخلاف وتابعه على خروجه على السلطان أبو معنونة أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين شيخ حكيم وارتحل باحيائه الى الزواودة صريخا مستجيشا بالامير أبى يحيى بن السلطان أبى بكر القيم بين ظهرانيهم من لدن قفلته من المهدية وانتزائه بها على أخيه المولى أبى اسحق كما ذكرناه فنصب للامر وبايعوه وارتحل معهم وأغذوا السير الى تونس ولقيهم منصور بن حمزة فى احياء بيته فبايعوا له وأوفدوا مشيختهم على يحيى بن علول شيطن الغواية المراد على الخلاف يستحثونه للطاعة والمدد بداخله كانت بينهم فى ذلك سوّل لهم فيها بالمواعد وأملى لهم حتى اذا غمسوا أيديهم فى النفاق والاختلاف سوفهم عن مواعيد حمايته بماله فاسرها منصور فى نفسه واعتزم من يومئذ على الرجوع الى الطاعة ثم رحلوا للاجلاب على الحضرة وسرح السلطان أبو العباس أخاه الامير أبا يحيى زكريا فلقيهم فى العساكر وتزاحفوا فأتيح لمنصور وقومه ظهور على عساكر السلطان وأوليائه

بياض بالاصل

ثم يستكمله وأجلبوا على البلاد أياما ونمى الى السلطان أن حاجبه أبا عبد الله بن تافراكين داخلهم فى تبييت البلد فتقبض عليه وأشخصه فى البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى أن هلك سنة ثمان وسبعين ثم سرب السلطان أمواله فى العرب فانتقض على المنصور قومه وخشى معه حاله وسوغه السلطان جائزته فعاود الطاعة ورهن ابنه ونبذ الى السلطان زكريا العم عهده ورجعه على عقبه الى الزواودة والتزم طاعة السلطان والاستقامة على المظاهرة الى أن هلك سنة ست وسبعين قتله محمد بن أخيه قتيبة فى مشاجرة كانت بينهما طعنه بها فاشواه ورجع جريحا الى بيته وهلك دونها وأواخر يومه وقام بأمر بنى كعب بعده صولة بن أخيه خالد وعقد له مولانا السلطان على أمرهم واستمرت الحال الى أن كان من أمره ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فتح سوسة والمهدية)

كانت سوسة منذ واقعة بنى مرين بالقيروان وتغلب العرب على العمالات فأقطعها السلطان أبو الحسن لخليفة بن عبد الله بن مسكين فيما سوغ للعرب من الامصار والاقطاعات مما لم يكن لهم فاستولى عليها خليفة هذا ونزلها واستقل بجبايتها وأحكامها واستبد بها على السلطان ولم يزل كذلك الى أن هلك وقام بأمره فى قومه عامر بن عمه محمد ابن مسكين أيام استبداد أبى محمد بن تافراكين فسوغها له كذلك مفضلا مرهبا من قتله ثم قتله بنو كعب وأقام بأمر حكيم من بعده أحمد الملقب أبو صعنونة بن محمد أخى خليفة بن عبد الله بن مسكين فاستبد بسوسة على السلطان واقتعد دار امارته وربما

كان

كان ينتقض على صاحب الحضرة فيجلب عليها من سوسة ويشن الغارات فى نواحيها حتى اقدأ وقع فى بعض أيامه بمنصور سريحة مولى السلطان أبى اسحق وقائد عسكره فتقبض عليه واعتقله بسوسة أياما ثم من عليه وأطلقه وعاود الطاعة معه ولم يزل هذا دأبهم وكانت لهم فى الرعايا آثار قبيحة وملكات سيئة ولم يزالوا يضرعون الى الله فى انقاذهم من أيدى جورهم وعسفهم الى أن تأذن الله لاهل افريقية وهبت ريح العز على المغرب فى جميع النواحى فتنكر أهل سوسة لعاملهم أبى صعنونة هذا وأحس بتنكراتهم فخرج عنهم وتجافى للسلطان عن البلد وثارت عامتها بعماله وجهضوهم ونزل عمال السلطان بها ثم كانت من بعد ذلك حركة المولى أبى يحيى الى نواحى طرابلس وردوخ جهاتها واستوفى جباية أعمالها وكان بالمهدية محمد بن الحكيمالى استعمله عليها الحاجب أبو محمد بن تافراكين أيام ارتجاعه اياها من أيدى أبى العباس بن مكى والامير أبى يحيى زكريا المنتزى بها ابن مولانا السلطان أبى بكر كما مر وأقام ابن الحكيمالى أميرا عليها بعد موت الحاجب فلما وخزته شوكة الاستطالة من الدولة وطلع نحوه قتام العساكر فرق من الاستيلاء عليه وركب أسطوله الى طرابلس ونزل على صاحبها أبى بكر بن ثابت لذمة صهر قديم كان بينهما وبادر مولانا السلطان الى تسليم المهدية وبعث عليها عماله وانتظمت فى ملكيته واطردت أحوال الظهور والنجح وكان بعد ذلك ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فتح جربة وانتظامها فى ملك السلطان)

كان محمد بن أبى القاسم بن أبى العيون منذ ولاه أبو عبد الله محمد بن تافراكين على هذه الجزيرة قد تقبل مذاهب جيرانها من أهل قابس وطرابلس وسائر الجريد فى الامتناع على السلطان ومصارفة الاستبداد وانتحاله مذاهب الامارة وطرقها ولبوس شؤنها وقد ذكرنا سلفه من قبل وان والده كان صاحب الاشغال بالحضرة أيام الحاجب أبى محمد بن تافراكين وانه اعتلق بكتابة ابنه أبى عبد الله مولاه على جربة عند افتتاحه اياها سنة   وانه قصده عند مفره عن المولى أبى اسحق لينزل جربة معوّلا على قديم اصطناعه اياه فمنعه ثم داخل شيوخ الجزيرة من بنى

بياض بالاصل

فى الامتناع على السلطان والاستبداد بأمرهم فأجابوه وأقام ممتنعا سائر دولة مولانا السلطان وابنه من بعده ولما استولى مولانا السلطان أبو العباس على تونس داخله الروع والوحشة وصار الى مكاثرة رؤساء الجريد فى التظاهر على المدافعة بزعمهم فأجرى فى ذلك شأوا بعيدا مع تخلفه فى مضماره بقديمه وحديثه وصارف السلطان سوء الامتثال واتيان الطاعة ومنع الجباية فاحفظ ذلك ولما افتتح أمصار الساحل

ونغوره سرح ابنه الامير أبا بكر فى العساكر الى جربة ومعه خالصة الدولة محمد بن على ابن ابرهيم من ولد أبى هلال شيخ الموحدين وصاحب بجاية لعهد المستنصر وقد تقدم ذكره وأمده فى الاسطول فى البحر لحصارها ونزل الامير بعسكره على مجازها ووصل الاسطول الى حراسها فأطاف بحصن القشتيل وقد لاذ ابن أبى العيون بجدرانه وافترق عنه شيوخ الجزيرة من البربر وانحاش معه بطانته من الجند المستخدمين معه بها وللمارأوا ما لا طاقة لهم به وان عساكر السلطان قد أحاطت بهم برا وبحرا نزلوا الى الاسطول واستولوا على داره وولوا على الجزيرة وارتحلوا قافلين الى السلطان ووصل محمد بن أبى العيون الى الحضرة ونزل بالديوان فأركب القصبة على جمل وطيف به على أسواق البلد اظهارا العقوبة الله النازلة به وأحضره السلطان فوبخه على مرتكبه فى العناد ومداخلته أهل الغواية من امراء الجريد فى الانحراف عنه ثم تجافى عن دمه وأودعه السجن الى أن هلك سنة تسع وسبعين

(الخبر عن استقلال الامراء من الابناء بولاية الثغور الغربية)

كان السلطان عندما استجمع الرحلة الى افريقية باستحثاث أهلها الذلك ووفادة منصور ابن حمزة شيخ الكعوب مرغبا فيها أهمه لذلك شأن الثغور الغربية وأحال اختياره فى بنيه يسبر أحوالهم ويعيش على الاكفاء لهذه الثغور منهم فوقع نظره أولا على كبير ولده المخصوص بعناية الله فى القاء محبته عليه الامير أبى عبد الله فعقد له على بجاية وأعمالها وأنزله بقصور الملك منها وأطلق يده فى مال الجباية وديوان الجند واستعمل على قسنطينة وضواحيها مولاه القائد بشير سيف دولته وعنان حربه وناشئ قصده وتلاد مرباه وكانت لهذا الرجل نخوة من الصرامة والبأس ودالة بالقديم والحادث وخلال لقيها أيام التغلب فى أواوين الملك وكان ملازما ركاب مولاه فى مطراح اعتزامه وأيام تمحيصه ودعا لق عند الورود على قسنطينة من المحنة والاعتقال الطويل ما أعاضه الله عنه بجميل السرور وعود العز والملك الى مولاه على أحسن الاحوال فظفر من ذلك بالبغية وحصل من الرتبة على الامنية وكان السلطان يثق بنظره فى العسكر ويبعثه فى مقدمة الحروب وكان عند استيلائه على بجاية وصرف العناية اليها ولاه أمر قسنطينة وأنزله بها وأنزل معه ابنه الامير أبا اسحق وجعل اليه كفالته لصغره ثم استنفره بالعساكر عند النهوض الى افريقية فنهض فى جملته وشهد معه الفتح ثم رجعه الى عمله بقسنطينة بمزيد التفويض والاستقلال فلم يزل قائما بما دفع اليه من ذلك الى أن هلك وكان السلطان قد أوفد ابنه أبا اسحق على ملك بن مقرب والسلطان عبد العزيز عندما استولى على تلمسان مهنئا بالظفر ملقيا لغراس

الود وأنفذ معه شيخ الموحدين ساسة أبا اسحق بن أبى هلال وقد مر من قبل ذكر أخيه فتلقاهما ملك بن مقرب بوجوه المبرة والاحتفاء ورجعهما بالحديث الجميل عنه سنة ثلاث وسبعين ونزل الامير أبو اسحق بقسنطينة دار امارته وعقد له السلطان عليها وألقاب الملك ورسومه مصروفة اليه والقائد بشير مولى أبيه مستبد عليه لمكان صغره الى أن هلك بشير سنة ثمان وسبعين عندما استكمل الامير أبو اسحق الحال واستجمع الامارة فجدد له السلطان عهده عليها وفوض اليه فى امارتها فقام بما دفع اليه من ذلك أحسن قيام وأحواله تصدق الظنون وتومى اليه وشهادة المخايل التى دلت عليه فاستقل هذان الاميران بعهد بجاية وقسنطينة وأعمالها مفوضا اليهما الامارة مأذونا لهما فى اتخاذ الآلة واقامة الرسوم الملوكية والشارة وكان الامير أبو يحيى زكريا الاخ الكريم مستقلا أيضا بتونة وعملها منذ استيلائه عليها سنة

بياض بالاصل

قد أضافها السلطان وأصارها فى سهمانه فلما ارتحلوا الى افريقية عام الفتح وتبقن الاخ أبو يحيى طول مغيبه واغتباط السلطان أخاه لكونه معه عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الله محمد وأنزله بقصره منها وفوض اليه فى امارته لما استجمع من خلال التشريع والذكر الصالح فى الدين واستمر الحال على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة والله مدبر الامور سبحانه

(الخبر عن فتح قفصة وتوزر وانتظام أعمال قسنطينة فى طاعة السلطان)

كان أمر هذا الجريد قد صار شورى بين رؤساء أمصاره فيما قبل دولة السلطان أبى بكر لاعتقال الدولة حينئذ بانقيادها كما مر فلما استبد السلطان أبو بكر بالدعوة الحفصية وفرغ عن الشواغل صرف اليهم نظره وأوطأهم عساكره ثم نهض بنفسه فجاء اثر الشورى منها وعقد لابنه أبى العباس عليها كما قلناه فلما كان بعد مهلكه من اضطراب افريقية وتغلب الاعراب على نواحيها ما كان منذ هزيمة السلطان أبى الحسن وتنازع رؤسائهم بعد أن كانوا سوقة فى انتحال مذاهب الملك ومساربه يقتعدون الارائك ويتفقدون فى المشى بين السكك المراكب ويهيئون فى ايوانهم سبال الاشراف ويتخذون الآلة أيام المشاهد آية للمعتبرين فى تقلب الايام وأضحوا كاثل الشامات حتى اقدحت بهم أنفسهم بالقاب الخلافة وأقاموا على ذلك أحوالا والدولة فى التياثها فلما استبد السلطان أبو العباس بافريقية وعمالاتها وأتيح منه بالحضرة البازى المطل من مرقبه والاسد الخادر فى عرينه وأصحاب الخلاف والنفاق يفتلون بذلك فى عزائمه وأرخى هو لهم حبل الامهال وفسح لهم مجال الايناس بالمعاونة والوعد رجاء الفيئة الى الطاعة المعروفة والاستقامة على الجادة فأصروا وازدادوا عنادا ونفاقا فشمر لهم عن

عزائمه ونبذ اليهم عهدهم على سواء ونهض من الحضرة سنة سبع وسبعين فى عساكره من الموحدين وطبقات الجند والموالى وقبائل زناتة من استألف اليه من العرب أولاد مهلهل وحكيم وأصهاراً أولاد أبى الليل على المدافعة عن أهل الجريد ووافقوا السلطان أياماً ثم أجفلوا أمامه وغلبهم السلطان على رعاياهم من تحيزه وكانوا من بقايا بنى يفرن عمروا ضواحى افريقية مع ظواعن هوارة ونفوسة ومغراوة وكانت للسلطان عليهم مغارم وجبايات وافرة فلما تغلب المغرب على بسائط افريقية وتنافسوا فى الاقطاعات كانت ظواعن من تحيز هؤلاء فى اقطاع أولاد حمزة فكانت جباياتهم بهم [بياض بالأصل] موفورة ومالهم دائراً بما صاروا امده اليهم بالمال والكراع والدروع والادم وبالفرسان منهم يستظهرون بهم فى حروبهم مع السلطان ومع قومهم فاستولى السلطان عليهم فى هذه السنة واكتسح أموالهم وبعث رجالهم اسرى الى سجون الحضرة وقطع بها عنهم أعظم مادة كانت تمدهم فخمد ذلك من عتوهم وقص من جناحهم الى آخر الدهر ووهنوا له ثم عاد السلطان الى حضرته وافترق أشياعه ونزع عنهم أبو صعنونة فتألف على أولاد أبى الليل وزحفوا الى الحضرة فاحتلوا بساحتها اياما وشنوا الغارات عليها ثم انفضوا عنها وخرج على اثرهم لاول فصل الشتاء وتساحل الى سوسة والمهدية فاقتضى مغارم الاوطان التى كانت لابى صعنونة ثم رجع الى القيروان وارتحل منها يريد قفصة وجمع أولاد أبى الليل للمدافعة عنها ومرتب فيهم صاحب توزر الاموال فلم تغن عنه وزحف السلطان الى قفصة فنازلها ثلاثا ولجوا فى عصيانهم وقاتلوه بجمع الايدى على قطع نخيلهم وتسايلت اليه الرعية من أماكنهم وأسلموا أحمد بن القائد مقدمهم وابنه محمد المستبد عليه لكبره ودخوله فخرج الى السلطان واشترط له ما شاء من الطاعة والخراج ورجع الى البلد وقد ماج أهلها بعضهم فى بعض وهموا بالخروج فسابقهم ابنه أحمد المستبد على ابيه وكان السلطان سرح أخاه أبا يحيى فى الخاصة والاولياء الى البلد فلقيه محمد بنواحى ساحتها فبعث به الى السلطان ودخل هو الى القصبة وتملك البلد وتقبض السلطان على محمد بن القائد لوقته وسيق اليه أبوه أحمد من البلد فجعل معه واستولى على داره وذخائره واجتمع المسند والكافة من أهل البلد عند السلطان وآتوه بيعتهم وعقد عليها لابنه أبى بكر وارتحل بعد السير الى توزر وقد سار الخبر بفتح قفصة الى ابن علول فركب لحينه واحتمل أهله وما خف من ذخائره ولحق بالزاب وطير أهل توزر بالخبر الى السلطان فلقيه أثناء طريقه وتقدم الى البلد فملكها واستولى على ذخيرتها ابن علول ونزل بقصوره فوجد بها من الماعون والمتاع والسلاح وآنية الذهب والفضة ما لا يعد لاعظم ملك من ملوك الارض وأحضر بعض الناس

ودائع كانت لهم عنده من نفيس الجواهر والحلى والثياب وبرؤا منها الى السلطان وعقد السلطان على توزر لابنه المنتصر وأنزله قصور ابن علول وجعل اليه امارتها واستقدم السلطان الخلف بن الخلف صاحب نفطة فتقدم عليه وآتاه طاعته وعقد له على بلده ولاية تجابة ابنه بتوزر وأنزله معه وقفل الى حضرته وقد كان أهل الخلاف من العرب عند تغلبه على أمصار الجريد الى التلول فلما قصد حضرته اعترضوه دونها فأوقع بهم وفل من عزمهم وأجفلوا الى الجهات الغربية يؤملون منها ظفراً لما كان ابن علول قد جاءهم الى خدمة صاحب تلمسان والاستجاشة به فوفد عليه بتلمسان منصور بن خالد منهم ونصر ابن عمه منصور وصريخهم به على عادة صريخهم بابى تاشفين فلقيه فدافعهم بالمواعدة وتبينوا منها عجزه وانكفؤا راجعين ووفد صولة على السلطان بعد أن توثق لنفسه فاشترط له على قومه ما شاء ورجع اليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة فى العساكر والاولياء من العرب وأجفلوا أمامهم فأتبعهم وأوقع بهم ثلاث مرات وافقوه فيها ثم أجفلوا ولحقوا بالقيروان وقدم وفدهم على السلطان والاشتراط له كما يشاء فتقبل ووسعهم عفوه وصاروا الى الانقياد والاعتمال فى مذاهب السلطان ومرضاته وهم على ذلك لهذا العهد

(الخبر عن ثورة أهل قفصة ومهلك ابن الخلف)

لما استقل الخلف بن على بن الخلف بحجابة المنتصر ابن السلطان وعقد له مع ذلك على عمله بنفطة فاستخلف عليها عامله ونزل بتوزر مع المنتصر ثم سعى به أنه يداخل ابن علول ويراسله فبث عليه العيون والارصاد وعثر على كتابه بخط كاتبه المعروف الى ابن علول والى يعقوب بن على أمير الزواودة يحرضهما على الفتنة فتقبض عليه وأودعه السجن وبعث عماله الى نفطة واستولى على أمواله وذخائره وخاطب أباه فى شأنه فأمهله بعد أن تبين نقضه الطاعة وسعيه فى الخلاف وكان السلطان قبل فتح نفطة قد نزع اليه من بيوتاتها أحمد بن أبى يزيد وسار فى ركابه اليها فلما استولى على البلد رعى له ذمة نزوعه اليه وأوصى به ابنه أبا بكر فاستولى على مشورته وحله وعقده وطوى على البيت ثم حدثته نفسه بالاستبداد وتحين له المواقيت واتفق أن سار الامير أبو بكر من نفطة لزيارة أخيه المنتصر بتوزر وخلف بالبلد عبد الله الترمكى من مواليهم وكان السلطان أنزله معه وولاه حجابته فلما توارى الامير عن البلد داخل ابن أبى يزيد عنفة من الاوغاد وطاف فى سكك المدينة والمهاتفة معه ينادى بالثورة ونقض الطاعة وتقدم الى القصبة فأغلقها القائد عبد الله دونه وحاربها فامتنعت عليه وقرع عبد الله الطبل بالقصبة واجتمع اليه أهل القرى فأدخلهم من باب كان بالقصبة يفضى الى الغابة فكثروا ومنع

ابن أبي يزيد وانسلل عنه الناس فلاذ بالاختفاء وخرج القائد من القصبة فقبض على كثير من أهل الثورة وأودعهم السجن واستولى على البلد وسكن الهيعة وطار الخبر الى المولى أبي بكر فأغذ السير منقلبا الى قفصة ولحين دخوله ضرب أعناق المعتقلين من أهل الثورة وأمر الهاتف ينادي في الناس بالبراءة من ابن أبي يزيد وأخيه ولأيام من دخوله عثر بهما الحرس في مقاعدهم بالباب مستترين بزي النساء فتقبضوا عليهما وتلوهما الى الامير فضرب أعناقهما وصلبهما في جذوع النخل وكانا من المترفين فأصبحا مثلا في الايام وقد خسر ادينهما ودنياهما ذلك هو الخسران المبين وارتاب المنتصر صاحب توزر حينئذ بابن الخلف وحذر مغبة حاله فقتله بمحبسه وذهب في غير سبيل مرحمة وانتظم السلطان أمصار الجريد كلها في طاعته واتصل ظهوره الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فتح قابس وانتظامها في ملكة السلطان)

هذه البلد لم تزل في هذه الدولة الحفصية لبني مكي المشهور ذكره في هذه العصور ونما اليها وسيأتي ذكر أخبارهم ونسبهم وأوليتهم في فصل نفرده لهم فيما بعد وكان أصل رياستهم فيها اتصالهم بخدمة الامير أبي زكريا الاول أيام ولايته قابس سنة ثلاث وعشرين وستمائة فاختصوا به وداخلهم في الانتقاض على أخيه أبي محمد عبد الله عندما استجمع لذلك فاجابوه وتابعوه فرعى لهم هذه الوسائل عندما استبد بافريقية وأفردهم برياسة الشورى في بلدهم ثم سموا الى الاستبداد عندما فشل الدولة عن العاصية بما حدث من الفتن وانفراد الثغور الغربية بالملك ولم يزالوا جانحين الى هذا الاستبداد ورامقين اليه بنظر العين والانتقاض على السلطان ومداخلة الثوار والاجلاب بهم على الحضرة والدولة أثناء ذلك في شغل عنهم وعن سواهم من أهل الجريد منذ أحقاب متطاولة بما كان من انقسام الدولة والحاح صاحب الثغور الغربية على مطالبة الحضرة ثم استبد مولانا السلطان أبو بكر بالدعوة الحفصية في سائر عمالات افريقية وشغله عن شاغل الفتنة مع صاحب تلمسان ومنازلتهم ثغر بجاية وتسريبه جيوش بني عبد الواد مرة بعد أخرى مع الاعياص من بني أبي حفص والعرب الى افريقية وكان المتولي الرياسة بقابس يومئذ عبد الملك بن مكي بن أحمد بن عبد الملك ورديفه فيها أخوه أحمد وكانا يداخلان أبا تاشفين صاحب تلمسان في الاجلاب على الحضرة مع جيوشه والثوار القادمين معهم وربما خالفوا السلطان الى الحضرة أزمان مغيبه عنها كما وقع لهم مع عبد الواحد بن اللحياني وقد مر ذكر ذلك فلما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان وانمحى أثر بني زيان فزع السلطان أبو بكر لهؤلاء الثوار الرؤساء

بالشريد الدائنين بالانتقاض سائر أيامهم وزحف الى قفصة فملكها فذعروا ولحق أحمد ابن مكي بالسلطان أبي الحسن متذمما بشفاعته بعد أن كان الركب الحجازي من المغرب مر بقابس وبه بعض كرائم السلطان فأوسعوا احباءهم وسائر الركب قرى وحباء وقدموا ذلك وسيلة بين يدي وفادته فقبل السلطان وسيلتهم وكتب الى مولانا السلطان أبي بكر شافعا فيهم لذمة السلطان والصهر فتقبل شفاعته وتجاوز عن الانتقام منهم بما اكتسبوه ثم هلك مولانا السلطان أبو بكر وماج بحر الفتنة وعادت الدولة الى حالها من الانقسام وانسدت على صاحب الحضرة وجوه الانتصاف منهم فعاد بنو مكي وسواهم من رؤساء الجريد الى حالهم من الاستبداد على الدولة وقطع أسباب الطاعة ومنع المغارم والجباية ومشايعة صاحب الغربية ركونا على صاحب الحضرة فلما استبد مولانا السلطان أبو العباس بالدعوة الحفصية وجمع الكلمة واستولى على كثير من الثغور المنتقضة تراسل أهل هذه العصور الجريدية وتحدثوا بعادهم وطلبوا وجه الخلاص منه والامتناع عليه وكان عبد الملك بن مكي أقعدهم بذلك لطول مراسلة الفتن وانحياشه الى الثوار وكان أحمد أخوه ورديفه قد هلك سنة خمس وستين وانفرد هو برياسة قابس فراسلوه وراسلهم في الشأن وأجمعوا جميعا على تجييش العرب على السلطان وتسريب الاموال ومشايعة صاحب تلمسان بالترغيب في ملك افريقية فانتدبوا الذلك من كل ناحية وبعثوا البريد الى صاحب تلمسان فأطمعهم من نفسه وعللهم بالمواعيد الكاذبة والسلطان أبو العباس مقبل على شأنه يفتل لهم في الذروة والغارب حتى غلب أولاد أبي الليل الذين كانوا يغزونهم بالمدافعة عنهم وافتتح قفصة وتوزر ونفطة وتبين لهم عجز صاحب تلمسان عن صريخهم فحينئذ بادر عبد الملك الى مراسلة السلطان يعده من نفسه الطاعة والوفاء بالجباية ويستدعي لاقتضاء ذلك منه بعض حاشيته فأجابه الى ذلك وبعث أمره اليه ورجع الى الحضرة في انتظاره فطاوله ابن مكي في العرض ورده بالوعد ثم اضطرب أمره وانتقض عليه أهل ضاحيته بنو أحمد احدى بطون ذباب وركبوا اليه فحاصروه وضيقوا عليه واستدعوا المدد لذلك من الامير أبي بكر صاحب قفصة فأمدهم بعسكر وقائد فنازلوه واشتد الحصار واتهم ابن مكي بعض أهل البلد بمداخلتهم فكبسهم في منازلهم وقتلهم وتنكرت له الرعية وساءت حاله ودس الى بعض المفسدين من العرب من بني علي في تبييت العسكر المحاصرين له واشترط لهم على ذلك ما رضوه من المال فجمعوا الهم وبيتوهم فانفضوا ونالوا منهم وبلغ السلطان خبرهم فاحفظه وأجمع الحركة على قابس وعسكر بظاهر الحضرة في رجب سنة احدى وثمانين وتلوم أياما حتى استوفى العطاء واعترض العساكر وتوافت أحياء أوليائه من أولاد مهلهل وحلفائهم من سائر

سليم ثم ارتحل الى القيروان وارتحل منها يريد قابس وقد استكمل التعبية وبادر الى لقيه والاخذ بطاعته مشيخة ذياب أعراب من بنى سليم ووفد منهم خالد بن سباع بن يعقوب شيخ المحاميد وابن عمه على بن راشد فيمن اليهم يستحثونه الى منازلة قابس فأغذ السير اليها وقدم رسله بين يديه بالاعذار لابن مكى وانتهوا اليه فرجعهم بالانابة والانقياد الى الطاعة ثم احتمل رواحله وعبى ذخائره وخرج من البلد ونزل على أحياء ذياب هو وابنه يحيى وحافده عبد الوهاب ابن ابنه مكى مالك لها منذ سنين من قبل واتصل الخبر بالسلطان فبادر الى البلد ودخلها فى ذى القعدة من سنته واستولى على منازل ابن مكى وقصوره ولاذ اهل البلد بطاعته وولى عليها من حاشيته وكان أبو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث الى السلطان بالطاعة والانحياش وواقته رسله دون قابس فلما استكمل فتحها بعث اليه من حاشيته لاقتضاء ذلك فرجعهم بالطاعة وأقام عبد الملك بن مكى بعد خروجه من قابس بين أحياء العرب ليالى قلائل ثم بغتته الموت فهلك ولحق ابنه وحافده بطرابلس فمنعهم ابن ثابت الدخول اليه فنزلوا بزنزور من قراها فى كفالة الجوارى من بطون ذياب ولما استكمل السلطان الفتح وشؤنه انكفأ راجعا الى الحضرة فدخلها فاتح ثنتين وثمانين ولحق اليه رسوله من طرابلس بهدية ابن ثابت من الرقيق والمتاع بما فيه الوفاء بمغارمه بزعمه ووفد عليه بعد استقراره بالحضرة رسل أولاد أبى الليل متطارحين فى العفو عنهم والقبول عليهم فأجابهم الى ذلك ووفد صولة بن خالد شيخهم وقبله ابو صعنونة شيخ حكيم ورهنوا ابناءهم على الوفاء واستقاموا على الطاعة واتصل النجح والظهور والامر على ذلك لهذا العهد وهو فاتح ثلاث وثمانين وسبعمائة والله مالك الامور لا رب غيره

(الخبر عن استقامة ابن مزنى وانقياده وما اكتنف ذلك من الاحوال)

كان هؤلاء الرؤساء المستبدون بالجريد بالزاب منذ فرغ السلطان لهم من الشواغل واستراب المغبة حالهم معه ومراوغتهم له بالطاعة يرون استحداث الشواغل ويؤملون لها سلطان تلمسان لعهدهم أبا حمو الاخير وأنه يأخذ بحجزته عنهم ان وصلوا به أيديهم واستحثوه لذلك لا يلافهم مثلها من سلف قومه وأبى حمو بن تاشفين من قبله قياسا متورطا فى الغلط بعيدا من الاصابة لما نزل بسلطان بنى عبد الواد فى هذه العصور من الضعف والزمانة وما أصاب قومهم من الشتات بأيديهم وأيدى عدوهم وتقدمهم فى هذا الشأن أحمد بن مزنى صاحب بسكرة لقرب جواره واشتهار مثلها من سلفه فاتبعوه وقلدوه وغطى هواهم جميعا على بصيرتهم وقارن ذلك نزول الامير أبى زيان ابن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو على ابن يملول بتوزر عند منادمة سالم

ابن

ابن ابراهيم الثعلبى اياه وكان طارده أياما ثم راجع أبو حمو ودفه سنة ثمان وسبعين فخرج من أعمال تلمسان وأبعد المذهب عنهم ونزل على ابن يملول بتوزر وطير الخبر الى امامه فى تلك الفتنة أحمد بن مزنى واغتبطوا بمكان أبى زيان وأن تمسكهم به ذريعة الى اعتمال أبى حمو فى مرضاتهم واجابته الى داعيهم وركض بريدهم الى تلمسان فى ذلك ذاهبا وجائيا حتى أعيت الرسل وانتهبت المذاهب ولم يحصلوا على غير المقاربة والوعد لكن على شرط التوثق من أبى زيان وبينما هم فى ذلك اذ هجم السلطان على الجريد وشرد عنه أولاد أبى الليل الذين تكفل الرؤساء به بالمدافعة وافتتح قفصة وتوزر ونفطة ولحق يحيى بن يملول ببسكرة واستصحب الامير أبا زيان فنزل على ابن مزنى وهلك لايام قلائل كما ذكرناه واستحكمت عند ها استرابة يعقوب بن على شيخ رياح بأمره مع السلطان لما سلف منه من مداخلة هؤلاء الرهط وتمسكهم بحقويه والمبالغة فى العذر عنهم ثم غدرته أنصاره من مشيخة الزواودة وانحاشوا الى السلطان فأفاض عليهم عطاءه واختصهم بولايته فحدث لذلك منه نفرة واضطراب وارتحل الى السلطان أبى العباس ليتمسك بذلك طرق التوثب من أبى زيان وربما دس لهم بمشارطة اعتقاله والقائه فى غيابات السجون وفى مغيب يعقوب هذا طرق السلطان طائف من المرض أرجف له المفسدون بالجريد ودس لشيع ابن يملول بتحيزه الى صبى من أبناء يحيى مخلف ببسكرة فذهل ابن المزنى عن النسب لهاذها بامع صاغية الولد وأوليائه وجهزهم لانتهاز الفرصة فى توزر مع العرب المشارطين فى مثلها بالمال وأغذوا السير الى توزر على حين غفلتهم من الدهر وخف من الجند فخلى المنتصر وأولياؤه فى الامتناع وصدق الدفاع وتمحضت بهذه الانالة طاعة أهل توزر ومخالصتهم وانصرف ابن يملول باخفاق من السعى واليم من الندم وغلك للمكاره ووافق ببسكرة قدوم يعقوب بن على فرجعه من المغرب فبالغ فى تغنيهم بالملامة على ما أحدثوا بعده من هذا الخرق المتسع الغنى عن الراقع وكان السلطان لاول بلوغ الخبر باجلابهم على توزر ومما لاة ابن مزنى على ابنه وأوليائه أجمع النهوض الى بسكرة وعسكر بظاهر الحضرة وفتح ديوان العطاء وجهز آلات الحصار وسرى الخبر بذلك اليهم فخلصوا نجيا ونقضوا عنه آراءهم فتمحض لهم اعتقال أبى زيان الكفيل لهم بصريخ أبى حمو على زعمه فتعللوا عليه ببعض النزغات وتورطوا فى اخفار ذمته وطيروا بالصريخ الى أبى حمو وانتظروا فارعهم الا وافده بالعذر عن صريخهم والاعاضة بالمال فتبينوا عجزه ونبذوا عهده وبادروا عليه السبيل لابى زيان والغدر به لما كان السلطان نكر عليهم من أمرهم فارتحل عنهم ولحق بقسنطينة وحاجهم يعقوب بن على البادى بالطاعة وأوفد ابن عمه متطارحا وشافعا فتقبل السلطان منه

وسيلته وأغضى لابن مزنى عن هناته وأسعفهم بكبير دولته وخالصة سرته أبى عبد الله ابن أبى هلال ليتناول منه المخالصة ويسكن له الالفة ويمسح عنه هواجس الارتياب والمخافة وكان قد انتهى اليهم من الجباة فنصل عن الحضرة وارتحل السلطان فى ذى القعدة آخر سنة ثنتين وثمانين لتفقد عماله واستلاء الطاعة من أهل أوطانه ولما وصل وافد السلطان الى أبى مزنى ألقى زمامه اليه وحكمه فى ذات يده وقبله ومحا أثر المراوغة واستجد لبوس الانحياش والطاعة وبادر الى استجادة المقربات وانتقاء صنوف التحف وبعث بذلك فى ركاب الوافد فدفع الذى عليه من الضريبة المعروفة محملا أكاد جياده وظهور مطاياه ووصلوا الى معسكر السلطان بساح تبسة فاتح سنة ثلاث وثمانين فجلس لهم السلطان جلوسا فخما واقاهم قبولا وكرامة فعرضوا الهدية وأعربوا عن الانحياش والطاعة وحسن موقع ذلك من السلطان وشملهم احسان السلطان فى مقاماتهم وجوائزه على الطبقات فى انصرافهم وانقلبوا عاملا صدورهم احسانا ونعمة وظفروا برضا السلطان وغبطته وحسبهم بها أمنية وبيد الله تصاريف الامور ومظاهر الغيوب

(الخبر عن انتقاض أولاد أبى الليل ثم مراجعتهم الطاعة)

قد ذكرنا ما كان من رجوع أولاد أبى الليل هؤلاء الى بل طاعة السلطان اثر منصرفه من فتح قابس وانهم وفدوا عليه بالحضرة فتقبلهم وعفا عن كبائرهم واسترهن على الطاعة أبناءهم واقتضى بالوفاء على ذلك أيمانهم وخرج الاخ الكريم أبو يحيى زكريا فى العساكر لاقتضاء المغارم من هوارة التى استأثروا بها فى مدة هذه الفتن وارتحل معه أولاد أبى الليل واحلافهم من حكيم حتى استوفى جبايته وجال فى أقطار عمله ثم انكفأ راجعا الى الحضرة ووفدوا معه على السلطان يتوسلون به فى أفعالهم بالعسكر الى بلاد الجريد لاقتضاء مغارمهم على العادة واستيفاء اقطاعاتهم فسرح السلطان معهم لذلك ابنه أبا فارس وارتحلوا معه بأحيائهم وكان ابن مزنى وابن يملول من قبله ويعقوب بن على كثيرا ما يراسلونهم ويستدعونهم لمثل ما كانوا فيه من الانحراف ومشايعة صاحب تلمسان ولما اعتقلوا أبا زيان ببسكرة كما ذكرناه وتوقى بصريخ أبى حمو ومظاهرته فنبضت عروق الخلاف فى أولاد ابن أبى الليل وفزعوا الى العلاق بيعقوب ابن على رجاء فيما توهموه من استغلاظ أمرهم بصاحب تلمسان ويأسا من معاودة التغلب الذى كان لهم على ضواحى افريقية ففارقوا الامير أبا فارس بعد أن بلغوه مأمنه من قفصة وساروا بأحيائهم الى الزاب فلم يقعوا على الغرض ولا ظفروا بالبغية

ووافوا يعقوب وابن مزنى وقد جاءهم وافد ابى حمو بالقعود عن نصرتهم والامير أبو زيان قد انطلق لسبيله عنهم فسقط فى أيديهم وعاودهم الندم على ما استدبروا من أمرهم وحملهم يعقوب على مراجعة السلطان وأوفد ابنه محمدا فى ذلك مع وافد العزبن أبى عبد الله محمد بن أبى جلال فتقبلهم وأحسن التجاوز عنهم وبعث أبا يحيى أخاه لاستقدامهم أمانا لهم وتأنيسا وبذل لهم فوق ما أملوه من مذاهب الرضا والقبول واتصل النجح والظهور والحمد لله

(تغلب ابن ابن يملول على توزر وارتجاعها منه)

قد كان تقدم لنا أن يحيى بن يملول لما هلك ببسكرة خلف صبيا اسمه أبو يحيى وذكرنا كيف اجلب على توزر سنة ثنتين وثمانين مع لفيف الاعراب ورياح مرداس فلما كان سنة ثلاث وثمانين بعدها وقعت مغاضبة بين السلطان وبين أولاد مهلهل من الكعوب وانحدروا الى مشاتيهم بالصحراء فبعث أميرهم يحيى بن طالب عن هذا الصبى أبى يحيى من بسكرة فنزل بأحيائه بساح توزر ودفع الصبى الى حصارها واجتمع عليه شيعته من نواحى البلد وأشراف من أعراب الصحراء وأجلبوا على البلد وناوشوا أهلها القتال وكان بها المنتصر ناجيا بنفسه الى بيت يحيى بن طالب واستذم به فأجاره وأبلغه الى مأمنه بقفصة وبها عامله عبد الله التريكى واستولى ابن ابن يملول على توزر واستنفد ما معه وما استخرجه من ذخائر توزر فى عطيات العرب وزادهم جباية السنة من البلد بكمالها ولم يحصل على رضاهم وبلغ الخبر الى السلطان بتونس فشمر عزائمه وعسكر بظاهر البلد واعترض الجند وأزاح عللهم وارتحل الى ناحية الاربس وهو يستألف الاعراب ويجمع لقتال أولاد مهلهل أمثالهم وأعداءهم أولاد أبى الليل وأولياءهم وأحلافهم يستكثر بهم حتى نزل على محصن بسبتة فأراح بهم أياما حتى توافت أمداده من كل ناحية ونهض يريد توزر ولما احتل بقفصة قدم أخاه الامير أبا يحيى وابنه الامير المنتصر فى العساكر ومعهما صولة بن خالد بقومه أولاد أبى الليل وسار على اثرهم فى التعبية ولما انتهى أخوه وابنه الى توزر حاصروها وضيقوا عليها أياما ثم وصل السلطان فزحف اليها العساكر من جوانبها وقاتلوها يوما الى المساء ثم باكروها بالقتال فخذل ابن ابن يملول أصحابه وأفردوه فذهب ناجيا بنفسه الى حلل العرب ودخل السلطان البلد واستولى عليه وأعاد ابنه الى محل امارته منه وانكفأ راجعا الى قفصة ثم الى تونس منتصف أربع وثمانين

(ولاية الامير زكريا ابن السلطان على توزر)

ثم عاد ابن يملول الى الاجلاب على توزر من السنة القابلة وخرج السلطان فى عساكره فكر راجعا الى الزاب ونزل السلطان قفصة ووافاه هنالك ابنه المنتصر وتظلم أهل توزر من أبى القاسم الشهرزورى الذى كان حاجبا للمنتصر فسمع شكواهم وأبلغ اليه الخاصة سوء دخلته وقبح أفعاله فتقبض عليه بقفصة واحتمله مقيدا الى تونس وغضب لذلك المنتصر وأقسم لايلى على توزر وسار مع السلطان الى تونس وولى السلطان على توزر الامير زكريا من ولده الاصاغر لما كان يتوسم فيه من النجابة فصدقت فراسته فيه وقام بأمرها وأحسن المدافعة عنها وقام باستئلاف الشارد من أحياء العرب وأمرائهم حتى تم أمره وحسنت ولايته والله متولى الامور بحكمته لا اله الا هو

(وفاة الامير أبى عبد الله صاحب بجاية)

كان السلطان لما سار الى فتح تونس وولى على بجاية ابنه محمدا كما مر وأقام له حاجبا وأوصاه بالرجوع الى محمد بن أبى مهدى زعيم البلد وقائد الاسطول المتقدم على أهل الشطارة والرجولية من رجل البلد ورماتهم فقام هذا الامير أبو عبد الله فى منتصف الملك بجاية أحسن قيام واصطنع ابن مهدى أحسن اصطناع فكان يجرى فى قصوره واغراضه ويكفيه مهمه فى سلطانه ويراقب مرضاة السلطان فى أحواله والامير يعرف له ذلك ويوفيه حقه الى أن أدركته المنية أوائل خمس وثمانين فتوفى على فراشه آنس ما كان شربا وآمن ذرعا مشيعا من رضا ابيه ورعيته بما يفتح له أبواب الرضا من ربه وبلغ نعيه الى أبيه بتونس فبادر بانفاذ العهد لابنه أبى العباس أحمد بولاية بجاية مكان ابنه وجعل كفالة أمره لابن أبى مهدى مستبدا عليه واستقامت الامور على ذلك

(حركة السلطان الى الزاب)

كنت أنهيت بتأليف الكتاب الى ارتجاع توزر من أيدى ابن يملول وأنا يومئذ مقيم بتونس ثم ركبت البحر منتصف أربع وثمانين الى بلاد المشرق لقضاء الفرض ونزلت بالاسكندرية ثم بمصر ثم صارت أخبار المغرب تبلغنا على ألسنة الواردين فمن أول ما بلغنا وفاة هذا الامير ابن السلطان بجاية سنة خمس وثمانين ثم بلغنا بعدها حركة السلطان الى الزاب سنة ست وثمانين وذلك أن أحمد بن مزنى صاحب بسكرة والزاب لعهده كان مضطرب الطاعة متحيزا على السلطان وكان يمنع فى أكثر السنين المغارم معولا على مدافعة العرب الذين هلكوا بضواحى الزاب والتلول دونه وأكثر ثوقه فى ذلك بيعقوب بن على وقومه الزواودة وقد مر طرف من أخباره مثبوتا فى أخبار الدولة

وكان ابن يملول قد أوى الى بلده واتخذ وكرا فى جوه وأجلب على توزر مرارا برأيه ومعونته فاحفظ على ذلك السلطان ونبه له عزائمه ثم نهض سنة ست وثمانين يريد الزاب بعد أن جمع الجموع واحتشد الجنود واستألف العرب من بنى سليم فساروا معه وأوعبوا ومر على فحص تبسة ثم خرج من طرف جبل أوراس الى بلد بهودا من أعمال الزاب واعصوصب الزواودة ومن معهم من قبائل رياح على المدافعة دون بسكرة والزاب غيرة من بنى سليم أن يطرقوا أوطانهم أو يردوا مراعيهم الا بنى سباع من شبل من الزواودة فانهم تحيزوا الى السلطان وانفرا ابن مزنى حماة وطنه ورجالة قومه من الاثبج فغصت بسكرة بجموعهم وتواقف الفريقان وأنالهم السلطان القتال أياما وهو يراسل يعقوب بن على ويستحثه لما كان يطمعه به من المظاهرة على ابن مزنى ويعقوب يخادعه بانحراف قومه عنه وائتلافهم على ابن مزنى ويرغبه فى قبول طاعته ووضع أوزار الحرب مع رياح حتى يتمكن له فرصة حرب فتقبل السلطان نصيحته فى ذلك وأغضى لابن مزنى ولرياح عنها وقبل طاعته وضريبته المعلومة وانكفأ راجعا ومر بجبل أوراس ثم الى قسنطينة فأراح بها ثم ارتحل الى تونس فوصل اليها منتصف سنة ثمانين اه

(حركة السلطان الى قابس)

كان السلطان قد فتح مدينة قابس سنة احدى وثمانين وانتظمها فى أعماله وشرد عنها بنى مكى فذهب الى نواحى طرابلس وهلك كبيرهم عبد الملك وعبد الرحمن ابن أخيه أحمد وذهب ابنه يحيى الى الحج وأقام عبد الوهاب فى توزر ثم رجع الى جبال قابس يحاول على ملكها واستتب له ذلك بوثوب جماعة من أهل البلد بعاملها يوسف بن الابار من صنائع السلطان بقبح ايالته وسوء سيرته فداخلوا جماعة من شيعة ابن مكى فى ضواحى قابس وقراها وواعدوهم فجاؤا لميعادهم وعبد الوهاب معهم واقتحموا باب البلد وقتلوا البواب وقصدوا ابن الابار فقتلوه فى مسكنه سنة ثنتين وثمانين وملك عبد الوهاب البلد واستقل بها كما كان سلفه وجاء أخوه يحيى من المشرق فأجاب عليه مرارا يروم ملك البلد منه فلم يتهيأ له ذلك ونزل على صاحب الحامة وأقام عنده يحاول أمر البلد منها فبعث عبد الوهاب الى صاحب الحامة وبذل له المال على أن يمكنه منه فبعث به اليه فاعتقله بعض العروسيين وأقام يراوغ السلطان على الطاعة ويبذل ماله فى أعراب الضاحية من ذئاب وغيرهم للمدافعة عنه ومنع الضريبة التى كانوا يؤدونها للسلطان أيام طاعتهم والسلطان مشغول عنهم بهمه فلما فرغ من شواغله بافريقية والزاب نهض اليه سنة تسع وثمانين بعد أن اعترض عساكره واستألف من العرب

أولياءه وسرب فيهم عطاءه ونزل على قابس وقد استعدلها وجمع الآلات لحصارها فاكتسح نواحيها وجثم عليها بعساكره يقاتلها ويقطع نخيلها حتى أعاد الكثير من ألفافها براحا وموّج الهوى فى ساحتها فصح اذ كانوا يستوخمونه لاختفائه بين الشجر فى مكاثف الظلال وما يلحقه فى ذلك من التعفن فذهب عنها ما كان يعهد فيها من ذلك الوخم رحمة من الله أصابتهم من عذاب هذا السلطان * وربما صحت الاجسام بالعلل * ولما اشتد بهم الحصار وضاق الخنق وظن ابن مكى أنه قد أحيط به استعتب للسلطان واستأمن فأعتبه وأمنه ورهن ابنه على الطاعة وايتاء الضريبة وأفرج عنه السلطان وانكفأ راجعا الى تونس واستقام ابن مكى حتى كان من تغلب عمه يحيى عليه مانذكره

(رجوع المنتصر الى ولايته بتوزر وولاية أخيه زكريا على نفطة ونفزاوة)

كان العرب أيام ولاية المنتصر بتوزر قد حمدوا سيرته واصفقوا على محبته والتشيع له فلما رجع السلطان عن قابس وقفوا اليه فى طريقه الى أن تولى المنتصر على بلاد الجريد كما كان ورده الى عمله بتوزر وتولى ذلك بنو مهلهل وأركبوا نساءهم الظعن فى الهوادج واعترضوا بهن السلطان سافرات مولولات دخلاء عليه فى اعادة المنتصر الى توزر عمالهم فيه من المصالح فقبل السلطان وسيلتهن وأعاده الى توزر ونقل ابنه زكريا الى نفطة وأضاف اليها عمل نفزاوة فسار اليها واستعمل بعمله وأظهر من الكفاية والاضطلاع ماتحدث به الناس عنه وكانت ولايته أول سنة تسعين

{فتنة الامير ابراهيم صاحب قسنطينة مع الزواودة ووفاة يعقوب بن على ثم وفاة الامير ابراهيم مثلها}

كان للزواودة بقسنطينة عطاء معلوم مرتب على مراتبهم زيادة لما بأيديهم من البلاد فى التلول والزاب بانقطاع السلطان وضاق نطاق الدولة لهذه العصور فضاقت الجباية وصارت العرب يزرعون الاراضى فى بلادهم بالمسيل ولا يحتسبون بغمارها فضيق الدخل عنهم العطاء من أجل ذلك فتفسد طاعتهم وتنطلق بالعيث والنهب أيديهم ولما رجع الامير ابراهيم من حركته فى ركاب أبيه الى قابس وكان منذ أعوام ينقص من عطائهم لذلك ويعللهم بالمواعيد فلما قفل من قابس اجتمعوا اليه وطلبوا منه عطاءهم فتعالى عليهم وجاءه ابن على مرجعه من الحج وأشار عليه بانصاف العرب من مطالبهم فاعرض عنه وارتحل لبعض مذاهبه وتركه ونادى فى العرب بالفتنة معه يروم استئلاف أعدائه فأجابه الكثير من أولاد سباع بن شبل وأولاد سباع بن يحيى

وباديتهم من ذوبان ورياح وخرج يعقوب من التل فنزل على نقاوس فأقام بها وانطلقت أيدى قومه على تلول قسنطينة بالنهب وانتساف الزرع حتى اكتسحوا عامتها ولحقوا به مائى البدمشقلى الظهر ثم طرقه المرض فهلك سنة تسعين ونقلوا اشلوه الى بسكرة فدفنوه بها وقام مكانه فى قومه ابنه محمد واستمر على العصيان وصعد الى التل فى منتصف احدى وتسعين واستألف الامير ابراهيم أعداءه من الزواودة وزحف اليه أبو ستة بن عمر أخو يعقوب بن على بجامعه من أولاد عائشة أم عمر وخالذه أخوه صميت الى محمد بن يعقوب وتحاربوا مع الامير ابراهيم فهزموه وقتل ابو ستة ثم جمع السلطان لحربهم ودفع عن التلول ومنعهم من المصيف عامهم ذلك وانحدروا الى مشاتيهم وعجزوا بعدها عن الصعود الى التلول وقضوا مصيفهم عامهم ذلك بالزاب وانحدروا منه الى المشاتى فلما رجعوا من مشاتيهم وقد فقدوا الميرة انطلقت أيديهم على نواحى الزاب فانتسفوا زروعه وكاد أن يفسد ما بينهم وبين ابن مزنى مظاهرهم على تلك الفتنة ثم ارتحلوا صاعدين الى التلول وقد جمع الامير ابراهيم لدفاعهم عنه وبينما هو فى ذلك ألم به طائف من المرض فتوفى سنة ثنتين وتسعين وافترقت جموعه وأغذ محمد بن يعقوب السير الى نواحى قسنطينة فاحتل بها مظهرا للطاعة متبرئا من الخلاف ونادى فى أهل البلاد بالامان والامارة فصلحت أحوال الرعايا والسابلة وبعثوا الى السلطان بتونس مستأمنين مستعتبين فأمنهم وأعتبهم وأقام بقسنطينة مكان ابراهيم ابنه وبعث من حضرته محمد ابن مولاه بشير لكفالته والقيام بدولته فقام بأمرها وصلحت الاحوال والله بيده تصاريف الامور

(منازلة نصارى الافرنج المهدية)

كانت أمة الفرنج وراء البحر الرومى فى الشمال قد صار لهم تغلب ودولة بعد انقراض دولة الروم فملكوا جزائره وسردانية وميورقة وصقلية وملأت أساطيلهم فضاءه وتخطوا الى سواحل الشأم وبيت المقدس فملكوها وعادت لهم سورة الغلب فى هذا البحر بعد أن كانت سورة المسلمين فيه لا تقاوم الى آخر دولة الموحدين بكثرة أساطيله ومراكبه فغلبهم الفرنج وعادت السورة لهم وزاحتهم أساطيل المغرب أياما ثم فشل ريح الفرنجة واختل مركز دولتهم بافرنسة وافترقت طوائف فى أهل برشلونة وجنوة والبنادقة وغيرهم من أمم الفرنجة النصرانية وأصبحوا دولا متعددة فتنبهت عزائم كثيرة من المسلمين بسواحل افريقية لغزو بلادهم وشرع فى ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجتمع النفير والطائفة من غزاة البحر ويصطنعون الاسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ثم يركبونه الى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة

فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبى والاسرى حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلاد بضجة السلاسل والاغلال عندما ينتشرون فى حاجاتهم ويغالون فى فدائهم بما يتعذر منه أو يكاد فشق ذلك على أمم الفرنجة وملأ قلوبهم ذلا وحسرة وعجزوا عن الثأر به وصرخوا على البعد بالشكوى الى السلطان بافريقية فصم عن سماعها وتطارحوا سهمهم ونكالهم فيما بينهم وتداعوا لنزول المسلمين والاخذ بالثار منهم وبلغ خبر استعدادهم الى السلطان فسرح ابنه الامير أبا فارس يستنفر أهل النواحى ويكون رصدا للاسطول هنالك واجتمعت أساطيل جنوة وبرشلونة ومن وراءهم ويجاورهم من أمم النصرانية واقلعوا من جنوة فحطوا بمرسى المهدية منتصف ثنتين وتسعين وطرقوها على حين غفلة وهو على طرف البر داخل فى البحر كأنه لسان دالع فأرسوا عندها وضربوا عند أول البر سورا من الخشب بينه وبين البر حتى صار المعقل فى حكمهم وعالوا عليه بالابراج وشحنوها بالمقاتلة ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من بلد المسلمين وصنعوا برجا من الخشب من جهة البر يشرف على أسوار المعقل لعظم نكايتهم وتحصن أهل البلد وقاتلوهم صابرين محتسبين وتوافت اليهم الامداد من نواحى البلد فخال بينهم الفرنجة وبلغ الخبر الى السلطان فأهمه أمرها وسرح العساكر تترا الى مظاهرتهم ثم خرج أخوه الامير أبو يحيى زكريا وسائر بنيه فيمن حضره من العساكر فانطلقوا بجهاد هذا العدو واستنفر المقاتلة من الاعراب وغيرهم فاجتمعت بساحتها بينهم وبين المسلمين جولة جلا فيها أبناء السلطان وكاد الامير أبو فارس منهم أن يتورط لولا حماية الله التى وقته ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط من أسوار البلد فاحترق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجموا لحريقه ثم ركبوا من الغد أسطولهم وأقلعوا الى بلادهم وخرج أهل المهدية يتباشرون بالنجاة ويتنادون بشكر الامراء على ما اعتمدوه فى نصرهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وأمر الامير أبو يحيى برم ما تثلم من أسوارها ولم ما تشعث منها وقفل الى تونس وقد أنجح الله قصدهم وأظهرهم على عدوه وعدوهم والله تعالى ينصر من يشاء وهو القوى العزيز

(انتقاض قفصة وحصارها)

كان السلطان أبو العباس قد ولى على قفصة عندما ملكها ابنه الامير أبا بكر وأقام فى خدمته من رجال دولتهم عبد الله التريكى من موالى جدهم السلطان أبى يحيى

فانتظم به أمره وأقام بها حولا ثم تجافى عن امارتها ولحق بأبيه بتونس سنة ثنتين وثمانين فجعل السلطان أمر قفصة لعبد الله التريكى وولاه عليها ثقة بغنائه واضطلاعه ولم يزل بها واليا الى أن هلك سنة أربع وتسعين وولى السلطان مكانه محمدا ابنه وكان له اخوة أعزاء معقلا فلم تطرقه النكبة كما طرقت قومه وأبقاه السلطان بالبلد فأغرى هؤلاء الاخوة بأخيهم ووثبوا به فاعتقلوه وأظهروا العصيان ثم حمله أعيان البلد على البراءة من بنى عبد الله التريكى استرابة بهم أن يراجعوا طاعة السلطان فتوثب بهم وأخرجهم واستصفاهم واستقل برياسة البلد كما كان قومه والسلطان فى خلال ذلك يرعد ويبرق ويواصل الاعذار والانذار وهم قد لجوا فى طغيانهم ثم جمع جنوده واحتشد واستألف الاعراب ووفر الاعطيات ونهض اليها حتى نزل بساحتها منتصف خمس وتسعين وقد استعدوا وتحصنوا فألح عليهم القتال وأذاقهم النكال وقطع عنهم الميرة فضيق مخنقهم ثم عدا على نخلهم يقطعها حتى صرع جذوعها وفسح المجال وضاق عليهم المخنق فخرج شيخهم الدنيدن الى السلطان يعقد معه صلحا على بلده وقومه فغدر به وحبسه رجاء أن يملك بذلك البلد وكان بعض بنى العابد واسمه عمرو بن الحسن قد انتبذ عن قفصة أيام نكبتهم وأبعد فى المغرب ثم رجع ونزل بأطراف الزاب ولما استقل الدنيدن بقفصة قدم عليه فأقام معه أياما ثم استراب به فتقبض عليه وحبسه فلما غدر به السلطان اجتمعت عليه المشيخة وعقدوا له الامرة وبعثوا الى العرب يسترحمونهم ويعطفونهم على ذخيرتهم فيهم وسربوا اليهم الاموال فتصدى الى الدفاع عنهم صولة ابن خالد بن حمزة أمير أولاد أبى الليل وزحف الى السلطان بعسكره من ظاهر البلد وكان أولياؤه من العرب قد أبعدوا عنه فى الجهات لانتجاع ابلهم فراعه الا اطلاق صولة براياته فى قومه فأجفل واتبعوه ومازال يكر عليهم فى بنيه وخواصه حتى ردهم على أعقابهم وأغذ السير الى تونس وهم فى اتباعه ولم يظفروا منه بعقال الا ما كان من طعن القنا ووقع السيوف حتى وصل الى حضرته ثم ندم صولة على ما كان منه وراسل السلطان بطاعته فلم يقبله وانحدر الى مشاتيه سنة ست وتسعين واستدعى ابن يملول الى صولة فأغراه بحصار توزر وأنزل معه عليها قومه فخلى الامير المنتصر ابن السلطان فى دفاعهم والامتناع عليهم حتى يئسوا واضطربت آراؤهم وأفرجوا عنها مفترقين وصعد صولة الى التلال للمصيف وعاود الرغبة من السلطان فى قبول طاعته وكان محمد الدنيدن لما أجفل السلطان عن قفصة تركه بتلك الناحية فلما وصل الى تونس أرسل أهل قفصة فى الرجوع اليهم فأجابه بعض أشياعه ودخل البلد فبدر به عمر بن العابد وكبسه بمكانه الذى نزل به وقتله واستبد بمشيخة قفصة وخشى أهل قفصة من

غائلة السلطان وسوء مغبة العصيان فبعثوا الى السلطان بطاعتهم وشرط عليهم نزول عامله عندهم وهذا آخر ما بلغنا عنهم والله مصرف الامور بحكمته

(ولاية عمر ابن السلطان على سفاقس واستيلاؤه منها على قابس وجزيرة جربة)

هذا الامير عمر ابن السلطان هو شقيق ابراهيم الذى كان أميرا بقسنطينة وكان فى كفالة أخيه ابراهيم فلما توفى كما مر لحق بالسلطان ابيه وأقام عنده ولما كان من وفاة أبى بكر ابن ثابت شيخ طرابلس ما قدمناه واضطرب قومه من بعده ونزع قائدهم ورئيسهم ابن خلف الى السلطان فبعث معه ابنه عمر هذا سنة ثنتين وتسعين لحصار طرابلس وأقام عليها حولا كريتا يحاصرها ويمنع الاقوات عنها حتى ضجر واوضجر من طول المقامة فدافعوه بالضريبة وانكسا راجعا الى أبيه سنة خمس وتسعين ووافاه حائما على قفصة عندما انتقضوا عليه وقد مر فى طريقه على جربة وأراد الدخول اليها فمنعه عامل أبيه بها من الموالى المعلوجين فأنف من ذلك وشكاه الى أبيه فولاه على سفاقس ووعده بولاية جربة فسار هو الى سفاقس وأجاز البحر الى جزيرة جربة وانضم اليه جميع من بها من القبائل وامتنع منصور العامل بحصنها المسمى بالقشتيل بلسان الفرنج حتى كاتب السلطان فأمره بتمكين ابنه من الحصن والافراج له عن الجزيرة أجمع فاستبد بها ثم ان الامير عمر سما الى ملك قابس فداخل أهل الحامة فى ذلك فأجابوه وساروا معه بجموعهم سنة ست وتسعين فبيتها وملكها وقبض على رئيسها يحيى بن عبد الملك مكى فضرب عنقه وانقرض أمر بنى مكى من قابس واستقل بها الامير عمر مضافة الى ما كان بيده والله وارث الامور

(وفاة السلطان أبى العباس وولاية ابنه أبى فارس عزوز)

كان السلطان أبو العباس أزمن به وجع النقرس حتى كان فى غالب أسفاره يحمل على البغال فى المحفة ثم اشتد به آخر عمره وأشرف فى سنة ست وتسعين على الهلكة وكان أخوه زكريا رديفه فى الملك والمرشح بعده للامر وابنه محمد والى على بونة فوضع امارته من قبل وكان للسلطان أولاد كثيرون يتطاولون على أبيهم ويغصون بعمهم زكريا ويخشون غائلته بعد أبيهم فلما قارب السلطان منيته اشتد جزعهم واشفاقهم من عمهم وبعث السلطان كبيرهم أبا بكر بعهده على قسنطينة فسار اليهم بين يدى موته واعصوصب الباقون على كبيرهم بعده الى أبى فارس عزوز فقبضوا على عمهم زكريا وقد دخل يعود أخاه وأودعوه فى بعض الحجر وكاوابه وهلك السلطان لثلاث بعدها فبايعوا أخاهم أبا فارس رابع شعبان سنة ست وثمانين وجاء أهل البلد الى بيعته

أفواجا من الاعيان والكافة فتمت بيعته وأمر بنقل ما فى بيوت عمه من الاموال والذخيرة الى قصره حتى استوعبها وضيق عليه فى محبسه وقام بتدبير ملكه وسياسة سلطانه وولى بعض اخوته على منابر عمله بافريقية على سوسة على المهدية وردف أخاه اسمعيل فى ملكه بتونس وأحل الباقين محل الشورى والمفاوضة وبلغ الخبر الى أخيه المنتصر بتوزر فاضطرب أمره ولحق بالحامة فأقام بها وكذلك أخوه زكريا بنفطة فلحق بالجبال بنفزاوة وكان أخوه أبو بكر لما سار الى قسنطينة لولاية أبيه قبل وفاته ومر ببونة فلقيه صاحبها الامير محمد ابن عمه زكريا بما شاء من أنواع الكرامة والمبرة ووافى قسنطينة فطلب منه القائمون بها كتاب السلطان بعهده عليها فأقرأهم اياه وفتحوا له الابواب فدخل واستولى على أمرها وكان خالصة السلطان أبى فارس عبد العزيز المتولى بالمغرب بعد وفاة أبيه السلطان أبى العباس ابن سالم فى صفر من شهور السنة وحمله من الهدايا والتحف ما يليق بامثالهما فسار فلما انتهى الى ميلة بلغه الخبر بوفاة السلطان مرسله وأوعز اليه الامير أبو بكر من قسنطينة بالرجوع اليه فرجع بهديته واستقر عنده هنالك (هذا آخر ما بلغنا) الا من خبار الصحيحة عنهم لهذه السنين وحالهم على ذلك لهذا العهد والملك بيد الله يؤتيه من يشاء لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو على كل شئ قدير

بياض بالاصل

أبو فارس عزوز السلطان أبو العباس بن أحمد بن محمد بن السلطان أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الواحد بن أبي حفص

الامير أحمد بن محمد

الامير أبو بكر

الامير أبو فريد عبد الرحمن

أبو فارس عبد العزيز

محمد أبو عبيدة بن المخلوع يحيى بن المنتصر محمد

ولى العهد زكريا

محمد بن ضربه بن زكريا

أبو الحسن بن أبي زيد

محمد بن أبي بكر بن عمران موسى بن ابراهيم بن أبي حفص

مزاحم السلطان أبي بكر

الشهيد

ابراهيم بن أبي بكر الشهيد ... السلطان أبي بكر

(الخبر عن بني مزني أمراء بسكرة وما اليها من الزاب)

هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالمغرب الى قصور رهولة وبادس في المشرق يتصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحصنة جبل حاجز من المغرب الى قبلة برقة ويعتمر بعض ذلك الجبل

بياض بالاصل

محاذاة الزاب من غربيه مقبلا عمرت من زناتة ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة المعترض في ذلك البسيط من القبلة الى الجوف وهو جبل مشهور الذكر يأتي الخبر عن بعض ساكنيه وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طلوقة ثم زاب مليان وزاب بسكرة وزاب لمبودة وزاب بادس وبسكرة أم هذه القرى كلها وكانت مشيختها في القديم بعد الاغالبة والشيعة لعهد صنهاجة ملوك القلعة من بني رسان من أهلها كثروا ساكنها وملكوا ضياعها كان يعفر بن أبي رسان منهم له صيت وشهرة وربما نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة في سني خمسين وأربعمائة وضبطوا البلد وامتنعوا وتولى كبر ذلك جعفر بن أبي رمانة ونازلهم جيوش صنهاجة لنظر خلف بن أبي حيدة من صنائع الدولة فاقتحمها عليهم واحتملهم الى القلعة فقتلهم بلكين جميعا وجعلهم عظة لمن بعدهم وأصار الشورى لبني سندي من أهلها وكان لعروس منهم بعد ذلك خلوص في الطاعة وانحياش الى الدولة على حين تقلص ظلها وفشل ريحها وألوى الهرم بشبابها وهو الذي فتك بالمنتصر بن خزون الزناتي بعد وصوله من المشرق واجتلابه على السلطان بقومه من مغراوة أغرى بالاثبج وبني عدي وبني هلال فكر به السلطان وأقطعه ضواحي الزاب وريغة أطمعه ودس الى عروس في الفتك به ففعل كما قدمناه ذكره في أخبار آل حماد وانقرضت رياسة بني سندي بانقراض امراء صنهاجة من افريقية وجاءت دولة الموحدين والذكرة والبيت لبني زيان وكان بنو مزني من لفائف الاعراب وصلوا الى افريقية أحلافا لطوالع بني هلال بن عامر في المائة الخامسة كما قدمناه ونسبهم بزعمهم في زيان من فزارة والصحيح أنهم في لطيف من الاثبج ثم من بني جزى بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة بن لطيف واسم أبيهم مزنة بن دنفل بن محيا بن جزى هكذا تلقيته من بعض الهلاليين وشهد لذلك الموطن فان أهل الزاب كلهم من أفاريق الاثبج عجزوا عن الظعن ونزلوا قراه على من كان بها قبلهم من زناتة وطوالع الفتح وانما ينزعون عن هذا النسب الى فزارة لما صار اليه اهل الاثبج بالزاب من المغرم والوضائع فيستنكفون لذلك ويتسبون الى غرائب الانساب وكان أول نزولهم بقرية من قرى بسكرة كانت تعرف بقرية حناس

ثم كثروا وتسايلوا وأخذوا مع أهل بسكرة بحظ وافر من ملك العقار والمياه ثم انتقلوا الى البلد واستمتعوا منها بالمنزل والظلال وقاسموا أهلها فى الحلو والمر وانتظم كبارهم فى أرباب الشورى من المشيخة ثم استنكف بنو زيان من انتظامهم معهم وحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله وحذروهم من أنفسهم فاضطرمت بينهم نار العداوة والاحن وكان أولها الكلام والترافع الى سدة السلطان بتونس على حين استقلال أبى حفص بافريقية ولعهد الامير أبى زكريا وابنه السلطان المنتصر ثم تناجزوا الحرب وتواقعوا بسكك المدينة وكانت صاغية الدولة مع بنى زيان لقيهم فى البلد ولما خرج الامير أبو اسحق على أخيه محمد المنتصر لاول بيعته ولحق بالزواودة من العرب وبايع له موسى بن محمد بن مسعود البلط أمير البدو يومئذ واعتمر به بسكرة وبلاد الزاب وأناخ عليها بكلكله كما قدمناه قام يومئذ فضل بن على بن أحمد بن الحسن بن على بن مزنى بدعوته وأعلن من أهل البلد بطاعته واتبعوه على كثرة ثم عاجلتهم عساكر السلطان وأجهضهم على الزاب فاعتلق فضل بن على واستمسك بذيله وصحبه فى طريقه الى الاندلس وبدار غربته منها الى ان هلك المنتصر أخوه وهيأ الله له من أمر الخلافة ما هيأ حسبما ذكرناه ولما تم أمره واقتعد بتونس كرسى خلافته عقد لفضل بن على على الزاب ولاخيه عبد الواحد على بلاد الجريد رعيا لأذمة خدمتهما وذكر الايلافهما فى المنزل الخشن وصحبتهما فقدم راعيا على الزاب ودخل بسكرة واستكان بنو زيان لصولته وانقادوا فى مرضاة الدولة الى أمره فلم ينبسوا بكلمة فى شأنه واضطلع بتلك الولاية ما شاء الله ثم كان شأن الداعى بن أبى عمارة وتلبسه وهلك السلطان أبو اسحق على يده ثم ثأر منه السلطان أبو حفص بأخيه واسترجع ما ضاع من ملكهم وكان يثق بعنايته ويعول فى أمر الزاب على كفايته وسما أعداؤه بنو زيان أيام ولايته فداخلوا أولاد حرمن اطيف احدى بطون الاثابج كانوا انزلوا بقرية باشاش لضيق المدينة حين عجزوا عن الظعن وخالطوا أهل البلد فى أحوالهم وامتزجوا معهم بالنسب والصهر فأغروهم بفضل بن على أن يكون التقدم لهم فى الفتك به وتناول الامر من يده وان يخربوا بيوتهم من قرية باشاش ليسكنوا اليهم ويطمئنوا الى ولايتهم حلفا عقدوه على المكر بهم ولما أوقعوا به بظاهر البلد فى بعض أيام ركوبه سنة ثلاث وثمانين وتولوا من أمر الزاب ما كان يتولاه تنكر لهم بنو زيان لحولين من ذلك الحلف ونابذوهم العهد فخرجوا عن البلد وفقدوا مالهم بها من قريب وتفرقوا فى بلاد ريغة واستبد بنو زيان بشورى بسكرة والزاب منتقض عليهم وعلى السلطان والزواودة قد تغلبوا عليه وعلى بلاد الحضنة من ورائه نقاوس ومقرة والمسيلة وكان منصور بن فضل بن على عند مهلك

ابيه بالحضرة فى بعض شؤنه فلما هلك أبوه واستبد بنو زيان بعده بنوا السعايات فيه الى السلطان بالحضرة وانجحت وتقبض عليه واعتقل أيام السلطان أبى حفص ولما تغلب المولى أبو زكريا يحيى ابن الامير أبى اسحق على بجاية وقسنطينة وبونة واستقل بأمرها وانقسمت دولة آل أبى حفص وفر منصور بن فضل بن على من محبسه من تونس ولحق بجاية بعد مهلك الحاجب القائم بالامر أبى الحسين بن سيد الناس وتولية السلطان أبى زكريا مكانه كاتبه أبو القاسم بن أبى يحيى سنة احدى وتسعين وستمائة فلازم خدمته وخف عليه وصانعه بوجوه التحف وتضمن له تحويل الدعوة بالزاب لسلطانه وتشريف أمواله وجبايته اليه واستماله بذلك فعقد له على الزاب وأمده بالعسكر فنازل بسكرة ووفد أهلها بنو زيان على السلطان بجاية ببيعتهم فرجعهم على الاعقاب الى عاملهم منصور وكتب اليه بقبول بيعتهم ودخل البلد سنة ثلاث وتسعين وكادهم فى بناء القصر لشيعته وتحصن العسكر بسوره ثم نابذهم العهد وثار بهم فأجلاهم عن البلد واستمكن فيها ورسخت قدم امارته فيها واستدر جباية السلطان واتسع له نطاق العمالة فاستضاف الى عمل الزاب جبل أوراس وقرى ريغة وبلد واركلى وقرى الحضنة مقرة ونقاوس والمسيلة فعقد له السلطان على جميعها ودفعه الى مزاحمة العرب فى جبايتها والتهاش لحومها اذ كانوا قد غلبوا على سائر الضواحى فساهمهم فى جبايتها حتى كاد يغلبهم عليها ووفر أموال الدولة وأنهى الخراج وصانع رجال السلطان فألقوا عليه بالمحبة وجذبوا بضبعه الى أقصى مراتب الاصطناع فأثرى واحتجز الاموال ورسخت عروق رياسته ببسكرة ورسخت منابت عزه وهلك المولى أبو زكريا الاوسط على رأس المائة السابعة وولوا مكانه ابنه الامير أبا البقاء خالدا كما قدمناه وقام بأمره صاحبه أبو عبد الرحمن بن عمرو وكان المنصور بن فضل هذا اختصاص به واعتلاق بيد حاجبه فاستنام اليه وعول فى سائر الضواحى من ممالك السلطان على نظره وعقد له على بلاد التل من أرض سدويكش وعياض فاستضافها الى عمله وجرد عن ساعد كفايته فى جبايتها فلقح عقيمها وتفجرت ينابيعها ثم حدثت بينه وبين الدولة منافرة وأجلب على قسنطينة بيحيى بن خالد ابن السلطان أبى اسحق حاجبه من تلمسان وبايع له واستألف الزواودة لمشايعته ونازل به قسنطينة ثم اطلع على مكامن عدوه فيه وما طوى عليه من التربص به فحل عقدته ولحق ببسكرة وراجع الطاعة ولحق يحيى بن خالد واعتقل الى ان هلك سنة عشرين وكانت بينه وبين المرابطين أهل السنة من العرب أتباع سعادة المشهور الذكر فتن وحروب وطالبوه بترك المغارم والمكس تخفيفا على الرعية وعملا بالسنة التى كانوا ملتزمين لطريقها ونازلوه من أجل ذلك ببسكرة مرارا ثم هلك سعادة فى بعض حروبه

على مليل كما مرّ فى ذكره سنة خمس وسبعمائة وجمع منصور بن مزنى للمرابطين
وبعث عسكره يقوده ابنه على بن منصور مع على بن أحمد شيخ الزواودة وعلى المرابط أبو
يحيى بن ادريس شيخ أولاد عساكر وعطية بن سليمان بن سباع وحسن بن سلامة شيخ أولاد
طلحة فهزموا عسكر ابن مزنى وقتلوا ابنه عليا وتقبضوا على على بن أحمد ثم منوا عليه
وأطلقوه ورجعوا الى بسكرة فنازلوها وقطعوا نخيلها ثم عاودوه ثانية وثالثة ولم يزل بينه
وبين هؤلاء المرابطين فتن سائر أيامه وكان الحاجب ابن عمر قد استخلصه لنفسه وأحله
محل الثقة بحلته واستقامه الى صنائعه ولما نهض السلطان أبو البقاء الى تونس
صاحبه الحاجب فى جملته حتى اذا أعمل المكيدة فى الانصراف على السلطان شاركه فى
تدبيرها الى ان تمت كما قدمناه ورجع الحاجب الى قسنطينة ورده الى مكان عمله من
الزاب وكان يتردد اليه بجاية للزيارة والمطالعة فى أعماله الى ان غدر به العرب فى بعض
طرقه اليها وتقبض من امراء الزواودة على أحمد بن عمر بن محمد بن مسعود وسليمان بن
على بن سباع بن يحيى بن مسعود على حين اجتمعا بالامارة من يد عثمان بن سباع بن سبل بن
موسى بن محمد واقتسما رياسة الزواودة قومهما فاستمكنا من هذا العامل منصور بن فضل
فى مرجعه من عمله بلاد سدويكش وأوثقوه اعتقالا وهموا بقتله فافتدى منهم بخمسة
قناطير من الذهب وصرفوا فى وجوه رياستهم ألفا منها وقبض منصور بن فضل عنانه
عن السفر بعدها وولى فى الاحايين بعد أخذ الرهن من العرب الى ان كانت حركة مولانا
السلطان أبى يحيى الى تونس سنة سبع عشرة أول حركاته اليها وطالب صاحبه يعقوب
ابن عمر وهو بثغر بجاية بالاموال للنفقات والاعطيات فبعث اليه بمنصور بن فضل
وأشار بعقده له على بجايته ليقوم بامره ويكفيه مهمات شؤنه واعتمدها منصور على
ابن عمر فساء ظنه وتنكر له ابن عمر وحالت صبغة وده وانكفأ السلطان من حركته تلك
مخفف السعى بعد أن نزل ظاهر تونس بعساكره كما قدمناه ولما احتل بقسنطينة بدت له
من يعقوب بن عمر صاحب الثغر مخايل الامتناع فأقصر عن اللحاق به وترددت بينهما
الرسل وبعث ابن عمر فى منصور بن فضل وندر منه بالشر فأجاب داعيه وصحب قائد
السلطان يومئذ محمد بن أبى الحسن بن سيد الناس اليه حتى اذا كان ببعض الطريق
عدل الى بلده وهم به القائد فأجاره أولياؤه من العرب عثمان بن الناصر شيخ أولاد حرب
ويعقوب بن ادريس شيخ أولاد خنفر ومن معهم من ذويهم ولحق ببسكرة وبلغ الخبر
الى ابن عمر فقرع سن الندم عليه وشايع منصور بن مزنى عدوهم صاحب تلمسان أبا
تاشفين ودخل فى دعوته وأوفد ابنه يوسف عليه بالطاعة والهدية وملك السلطان خلال
ذلك تونس وسائر بلاد افريقية وهلك ابن عمر سنة تسع عشرة ولم يزل منصور بن مزنى

ممتنعا

ممتنعا سائر أيامه على الدولة والعساكر من بجاية تتردد لمنازلته الى ان هلك سنة خمس
وعشرين وسبعمائة وقام بأمره من بعده ابنه عبد الواحد فعقد له السلطان على عمل
أبيه بالزاب واستضاف اليه ما وراءه من البلاد الصحراوية قرى ريغة وواركلى وكان
السلطان قد عقد على الثغر بعد مهلك ابن عمر لمحمد بن أبى الحسين بن سيد الناس وجعل
له كفالة ابنه يحيى ودفعه اليه فتجددت الوحشة بين عبد الواحد هذا وبين صاحب الثغر
فى سبيل المنافسة فى المرتبة عند السلطان بما كانوا جميعا صنائع وبطانة للحاجب ابن عمر
وبعث العساكر لحربه ومنازلة حصنه وناول عبد الواحد هذا الآل زيان الحائفين
الدولة طرفا من حبل طاعته فقبل فيها مذهب ابنه آخر عمره وصار يحرض الجيوش به الى
ان استخن منه عبد الواحد بصهر عقده له على ابنته واشترط المهادنة وتسليم الجباية
وتودع أمره الى ان اغتاله أخوه يوسف سنة تسع وعشرين بمداخلة بطانتهم من بنى
سماط وبنى أبى كواية ولما أحكم مداخلتهم فى شأنه آذنه عشاء للشورى معه فى بعض
المهمات وطعنه بخنجره فأشواه وهلك لحينه واستقل يوسف بن منصور بامارة الزاب
ووصله مرسوم السلطان بالتقليد والخلع على العادة واجرى الرسم فى الدعاء له على منابر
عمله وكان السلطان قد استدعى محمد بن سيد الناس من الثغر ببجاية وفوض له أمور
ملكه فهاجت نار العداوة والاحن القديمة بينه وبين يوسف بن منصور عامل الزاب
وهم به لولا ما أخذ بحجزته من الشغل الشاغل للدولة بحيف آل زيان وهلك الحاجب
سنة ثنتين وثلاثين فى نكبة السلطان اياه كما ذكرناه وعقد لمحمد بن الحكيم على القيادة
وجعل بيده زمام العساكر وفوض له فى سائر القرى والضواحى فاجرى رياسته وحكمه
فى دولته وتغلب على أمره على حين فرغ السلطان من الشغل بمدافعة عدوه وحط
ما كان من أمرهم على كاهل دولته ونهض السلطان أبو الحسن الى آل يغمراسن فقلم
اظفار اعتدائهم وقد شبا عزائمهم كما شرحناه قبل فأذكى القائد محمد بن الحكيم مع يوسف
ابن منصور نار العداوة وأثار له من السلطان كامن الحفيظة وصرف وجوه العزائم الى
حمله على الجادة وتقويمه عن المراوغة فى الطاعة وناهضه بالعساكر مرات
ثلاثا يدافعه فى كلها بتسليم الجباية اليه ثم كانت بينه وبين على بن أحمد كبير
الزواودة فتن وحروب دعا اليها منافسة على فى استئثاره على الجباية دونه فواضعه
الحرب ودعا العرب فى منازلته مموها بالدعاء على السنة وحشد أهل ريغة لذلك ونازله
وانحرف عنه ابنه يعقوب ودخل الى بسكرة فاصهر له ابن مزنى فى أخته بنت منصور
ابن فضل وعقد له عليها بالحسن دفاعه عنه وبعث ابن مزنى عن سليمان بن على
كبير أولاد سباع وقريع على بن أحمد فى شؤنه فكان عنده ببسكرة يغاديه القتال

ويراوحه الى ان امتنع ابن مزنى ورحل على بن أحمد عن بسكرة وصار مع ابن مزنى الى الاتفاق والمهادنة أعوام الاربعين من المائة الثامنة ثم كانت غزاة القائد بن الحكيم اليه نهض من افريقية بعد أن نازل بلاد الجريد واقتضى طاعتهم ومغارمهم واسترهن ولدا ابن يملول ثم ارتحل الى الزاب فى جنوده ومعه العرب من سليم فأجفل بالزاب ونزل بلد أوماش من قراه وفرت العرب من الزواودة وسائر رياح أمامه ودافعه يوسف بن مزنى بهدية دفعها اليه وهو بمكانه من أوماش وارتحل عنه الى بلاد ريغة فافتتح معقلهم واستباحها ودوّخ سائر أعمالها ورجع الى تونس ونكب السلطان قائده محمد بن الحكيم هذا سنة أربع وأربعين وولى ابنه أبا حفص عمر وخشى الحاجب أبو محمد بن تافراكين بادرته وسعاية بطانته فلحق بملك المغرب المرهوب الشبا المطل على الممالك يعسوب القبائل والعشائر أبى الحسن وأغراه بملك افريقية واستجره اليها فنهض فى الامم العريضة سنة ثمان وأربعين كما ذكرنا ذلك كله من قبل ووفد عليه يوسف بن منصور أمير الزاب بعسكره من بنى حسن فلقاه برا وترحيبا واستتبعه فى جملته الى قسنطينة ثم عقد له على الزاب وماوراءه من قرى ريغة وواركلى وصرفه الى عمالته واستقبل تونس وأمره برفع الجباية اليه مع العمال القادمين من أقصى المغرب على رأس العدل فاستعد لذلك حتى اذا سمع بوصولهم من المغرب لحقهم بقسنطينة وجاءهم هنالك جميعا الخبر بنكبة السلطان على القيروان كما ذكرناه ونذكره فاعتزم على اللحاق ببلده واعصوصب عليه يعقوب بن على بن أحمد أمير البدو بالناحية الغربية من افريقية لاذمة صهر كانت بينهما ومخالصة وتحيز اليهم من كان بقسنطينة من أولياء السلطان وحاشيته وعماله ورسل الطاغية والسودان الوافدين مع ابنه عبد الله من أصاغر بنيه وآواهم يوسف بن منصور جميعا اليه وأنزلهم ببلده وكفاهم مهماتهم شهورا من الدهر حتى خلص السلطان من القيروان الى تونس ولحقوا به مع يعقوب بن على فكانت تلك يدا اتخذها يوسف بن منصور عند السلطان أبى الحسن ولقيه بها فى الايام ثم اتسع ذلك بمخالفة رؤساء النواحى من افريقية جميعا فى الانتقاض عليه وأقام مستمسكا بطاعته يسرب الاموال اليه بتونس وبالجزائر عند خلوصه اليها من النكبة البحرية كما سنذكره ويدعو له على منابره بعد تفويضه على الجزائر الى المغرب الاقصى لاسترجاع ملكه الى أن هلك السلطان أبو الحسن بجبل هنتانة من أقصى المغرب سنة ثنتين وخمسين واستقام أمر الدولة المرينية لابنه السلطان أبى عنان الجنة الذكر ولما استضاف الى ملكه ملك تلمسان ومحا ما جدده بنو عبد الواد بها من رسوم ملكهم وجمع كلمة زناتة وأطل على البلاد الشرقية سنة ثلاث وخمسين بادر يوسف بن

منصور بطاعته فأتاها طواعية وأوفد على السلطان رسله بكتاب بيعته ثم وفد عليه ثانيا مع حاجبه الكاتب أبى عبد الله محمد بن أبى عمر وبعثه بالعساكر لتدويخ افريقية وتمهيد ملكه ببجاية كما سنذكره ووفد عليه امراء القبائل والبدو ورؤساء النواحى سنة أربع وخمسين ووفد فى جملتهم يوسف بن منصور أمير الزاب ويعقوب بن على أمير البدو وسائر رؤساء الزواودة فلقاهم السلطان تكرمة ورعيا لاذمة خلوصهم لابيه وقومه من بين أهل افريقية وأسنى جوائزهم وعقد ليوسف بن مزنى على الزاب وما وراءه من بلاد ريغه وواركلى على عادتهم وانقلب مجبرا محبوا وقد ثبت له من ولاية السلطان ومخالصته حظ ورفع له بساطه مجلس ولما نهض السلطان الى افريقية لافتتاح قسنطينة سنة ثمان وخمسين كما سنذكره تلقاه يوسف بن منصور على قسنطينة فخلطه بأوليائه ونظمه فى طبقات وزرائه واستوحش يعقوب بن على يومئذ من مطالبته بالرهن له ولقومه وانتقض فأجفلت احياؤه الى بلاد الزاب وماوراءها من الصحراء وارتحل السلطان بعساكره فى طلبهم الى ان احتل ببلاد الزاب وخرب بلاد يعقوب بن على بالزاب والتل بقطع أشجارها وتغوير مياهها وهدم بنائها ونسف آثارها ودخل يعقوب باحيائه الرمل وعجزوا السلطان فانكفأ راجعا واحتل بظاهر بسكرة فتلوم بها ثلاثا لاراحة العساكر وازاحة عللهم من وعثاء السفر وشعث الصحراء فقرى يوسف بن منصور فى قرى عساكره أيام مقامه يشملهم فيها من العلوفة والحنطة واللحمان والادم بما أرغد عيشهم وكفاهم همهم وتحدثت بها الناس دهرا ورفع اليه جبايته لعامه قناطير من الذهب بعثه بيت المال بقفصة القهارمة من ثقاته وأجزل السلطان مثوبته وأسنى عطيته واختصه بكسوة ثيابه وعياله من كسا حرمه وثياب قصره وانكفأ راجعا الى حضرته ثم أوفد موسى بن منصور ابنه أحمد على السلطان بسدته من فاس عند منصرف وزيره سليمان بن داود من حركة افريقية سنة تسع وخمسين وأصحبه هدية من عتاق الخيل وفاره الرقيق وأقام أياما فى نزل كريم ومحل من المجلس رفيع الى أن هلك السلطان خاتمة تسع وخمسين فأرغد القائم بالدولة من بعده جائزته وأسنى صلته وصرفه الى عمله واستوصى به امراء النواحى والثغور فى طريقه ولم ينشب ان شبت نار الفتنة وانتزى الخوارج بالجهات بعد مهلك السلطان فخلص الى ابنه بعد عنائه وعلى يأس من النجاة بعد ان حصل فى قبضة أبى حمو سلطان بنى عبد الواد عند استيلائه على تلمسان وهو بها مع بنى مرين وقدم بهم مجتازا الى وطنه فأجازه عليه صغير بن عامر من زغبة رعيا لاذمة ابنه يوسف صاحب الزاب وتأميلا للعرب فيه وفى أعماله وبعد ان بذل له من ذات يده ومن طرف ما وصله به بنو مرين من ذخائرهم

بعث معه صغيروفادا من قومه أبلغوه مأمنه فكانت احدى الغرائب في نجاته واسترجع الموحدون ثغورهم بجاية وقسنطينة من يد بني مرين وأزعجوا عنها العساكر المجمرة بها من قبائلهم كما قدمناه فراجع يوسف بن منصور طاعته المعروفة لهم الى أن هلك سنة سبع وستين يوم عاشوراء وقام بأمره ابنه أحمد وجرى على سننه وهو لهذا العهد أميرعلى الزاب بمحل أبيه من امارته متنقل في مذهبه وطريقه الا أن خلق أبيه كان سجية وخلق هذا تقليد لما فيه من التخلق وربك يخلق ما يشاء ويختار وله أولاد كبيرهم أبو يحيى من بنت محمد بن علول أخت يحيى وهو لهذا العهد مرشح بمكانه ولما حلت بأهل الجريد الفاقرة ونزل به يحيى بن علول الشؤم على وطنه توجس الخيفة من السلطان وتوقع المطالبة بطاعته من طاعته المعروفة فسرب الاموال في العرب ومد يده الى حبل صاحب تلمسان ليستمسك به فوجده قاصرا عنه وأقام يقدم في أمره رجلا ويؤخر أخرى ثم قرب اليه نور الهداية في قلبه وأراه سند رشده وبادر الى الاستقامة في الطاعة والعدول عن المراوغة ووصله فأوفد السلطان أبو العباس شيخ الموحدين أبا العباس ابن أبي هلال وكشف له قناع المخالصة والانحياش وبعث معه وفده بهديته واستقامته وتقبله السلطان وأعاده الى أحسن الاحوال ورضي عنه والله متولي الامور سبحانه لا رب سواه ولا معبود الا اياه

يحيى
علي بن عبد الواحد على الجريد
عبد الواحد
أبو يحيى بن أحمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن

(الخبر عن رياسة بني علول بتوزر وبني الخلف بنفطة وبني أبي المنيع بالحامة)

زعيم هؤلاء الرؤساء ابن علول صاحب توزر لاتساع بلده وتمدن مصره واحتلاله منها بأم القرى من قطره وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن علول ونسبهم بزعمهم في طوالع العرب من تنوخ استقر اوليه بهذا الصقع منذ أول الفتح وتأثلوا وشجت به عروقهم

نسبا

نسبا وصهرا حتى انتظموا في بيوتات الشورى المتقدمين للوفادة على الملوك وتلقي العمال القادمين من دار الخلافة والنظر في مصالح الكافة أيام آل حماد بالقلعة وآل عبد المؤمن بمراكش وآل أبي حفص بتونس مثل بني واطاس وبني فرقان وبني مارة وبني عوض وكان التقدم فيهم أيام عبد الله الشيعي لابن فرقان وهو الذي أخرج أبا يزيد حين شعر به انه يريد القيام على أبي القاسم القائم وأيام آل حماد ليحيى بن واطاس وهو النازع بطاعة أهل قسنطينة اليهم عن آل بلكين ملوك القيروان حين انقسمت دولة آل زيري وافترق أمرهم ثم عادت الرياسة لبني مروان لاول دولة الموحدين ومنهم كان الذي لقي عبد المؤمن وآتاه الطاعة عن نفسه وعن أهل بلده توزر فتقبله ووصله وصار الامر للموحدين فمحوا منها آثار المشيخة والاستبداد ونشأ أحمد هذا الجد متراميا الى الرياسة بهذا القطر يدافع عنها بالراح ويزاحم بالمناكب من وجوه البلد واشراف الوطن وسعي به الى شيخ الموحدين وقائد العسكر أيام السلطان أبي حفص محمد الفازازي فنكبه وصادره على مال امتحنه عليه كانت أول نكباته التي أورت من زناده وأوقدت من جمره وتخلص الى الحضرة يؤمل اعتقال مظنته وثبوت مركزه من دار الخلافة فأوطنها أياما يباكر أبواب الوزراء والخاصة ويلثم أطراف الاولياء والحاشية وينزل كرائم ماله فيما يزلفه لديهم ويؤثره بعنايتهم حتى استعمل بديوان البحر فقعد العمال بمرفأ السفن لجباية الاعشار من تجار دار الحرب ثم استضاف بما كان من غنائه فيها واضطلاعه سائر أعمال الحضرة فتقلدها زعيما بامضاء الجرايات وادرار الجباية واستمرت على ذلك حاله وتضاعفت فائدته فأثرى واحتجن المال واستخرج الذخيرة قاطعا الالسنة الساعية بالمصانعة والاتحاف بطرف ما يجلبه الروم من بضائعهم حتى أبطره الغنى ودلت على مكانه الثورة ورفع أمره الى الحاجب فخرج التوقيع بالقبض عليه واستصفاء ماله لعهد السلطان أبي يحيى اللحياني فنكب الثانية وصودر على مئين من آلاف الدنانير وامتحن لها وباع فيها كسوته حين قرأ الكتاب وخلص من النكبة مسلوب الامانة ممزق الاديم الى ما يستنكفون عنه من خدمة العمال ومباكرة أبوابهم والامتحان في ضروراتهم وأنجده في ذلك بخت جذب بضبعه وكان في خلال ذلك شغل الحضرة شأن الثغور الغربية وامرائها فتقلص ظل الدولة عن هؤلاء بعض الشيء وحملت الرعايا بالبلاد الجريدية وصار أمرها الى الشورى التي كانت عليها قبل فلما أدرك أحمد هذه الشورى التي كان يسمو لها اسموه حباب الماء ثلج صدره وأنجح سعيه واستبد بمشيخة توزر وهلك في أعوام ثماني عشرة فخلفه من بعده في سبيله ثلاث ولده يحيى طموحا الى المرتبة منافسا في الاستقلال ومزاحما بيوتات المصر بمناكب استوطأها بسائر

عمره من الدعار والاوغاد بمعاقرة الخمر والمجاراة فى فنون الشباب لسير أمره والاستعلاء على نظائره حتى تطارحوا فى هوة الهلاك بين قتيل ومغرب وتخيب العمران لم يعطفه عليه عواطف الرحم ولا زجره وازع التقوى والسلطان حتى خلاله الجو واستوسق الامر واستقل من أمر البلد والحل والعقد بأوفى من استبداد أبيه وكان مهلكه قريبا من استبداده لخمس سنين متلقيا الكرة من يده أخوه محمد تربه فى الرياسة ومجاريه فى مضمارها فأجرى الى الغاية واقتعد كرسى الرياسة وعفى على آثار المشيخة واستظهر على أمره بمصانعة امراء البدو وأولاد أبى الليل والمنات اليهم بصهر كان عقده أبوه أحد لابى الليل جدهم على أخته أو عمته فكانوا ردأله من الدولة فنفذ صيته وعظم استيلاؤه واستدت أيامه وعنى الملوك بخطابه واسناد الامور فى تلك البلاد اليه خلال ما توعد الكرة وتهب ريح الدولة وزحف اليه القائد محمد بن الحكيم وتقبل طاعته من عذره استنامة لما ابتلاه من خلوصه وأقام على ذلك الى أن هلك لعام أربع وأربعين من المائة الثامنة وتصدى ولده عبد الله للقيام بالامر فوثب عليه عمه أبو زيد بن أحمد فقتله على جدث أبيه فلم يوارثه بعد ان كان الرضا به والتسليم فثارت به العامة لحينه وكان مصرا على سفك الدماء واستباحة الحرم واغتصاب الاموال حتى كان ينسب الى الجنون مرة والى الكفر أخرى فرج أمرهم واستولى الضجر على نفوسهم وكان أخوه أبو بكر معتقلا بالحضرة فراسله أهل توزر سرا وأطلقه السلطان من محبسه بعد ان أخذت عليه المواثيق بالطاعة والوفاء بالجباية فصمد اليها بمن فى الفه من الاعراب وحشد نفزاوة والمجاورين لها فى القرى الظاهرة المقدرة السير وأجلب عليهم ثم بيتها فاقتحمها وبادر الناس الى القبض على علول أخيه وأمكنوه منه فاعتقله بداره وتبرأ من دمه وأصبح لثالثة اعتقاله ميتا بمحبسه وكانت قفصة من قبل ذلك لما صار امر الجريد الى الشورى قد استبد بها يحيى بن محمد بن على بن عبد الجليل بن العابد من بيوتها ونسبهم بزعمهم فى بلى ولهم حلف بزعمهم فى الشريد من بطون سليم والله أعلم بأولية نزولهم بقفصة حتى التحموا بأهلها وانتظموا فى أمر بيوتاتها وكانت البيوت بها أيام بنى أبى حفص لعهد الامير أبى زكريا الاعلى كان يستعمله على جباية أموال الجريد ثم سعى به أنه أصاب منها فنكبه وصودر على آلاف من المال فأعطاها وأقامت رياستهم متفرقة فى هذه البيوتات ولما حدثت العصبية بالبلد أيام صار امر الجريد الى الشورى كان بنو العابد هؤلاء أقوى عصبية من سائرهم واستبد بها كبيرهم يحيى بن على فلما فرغ السلطان من شغله بزناتة وخيم السلطان أبو الحسن على تلمسان فحاصرها وأقبل السلطان على النظر فى تمهيد ملكه واصلاح ثغوره وافتتح أمره بغزو قفصة ونهض اليها

سنة خمس وثلاثين فى عساكر من الموحدين وطبقات الجند والاولياء من العرب فحاصرها شهرا أو نحوه وقطع نخيلها فضاق مخنقهم بالحصار وتلاوموا فى الطاعة واستبقوا بها الى السلطان دفر الكثير من بنى العابد فلحقوا بقابس فى جوار ابن مكى ونزل أهل البلد على حكم السلطان فتقبل طاعتهم وأحسن التجاوز عنهم وبسط المعدلة فيهم وأحسن أمل ذوى الحاجات منهم وانكفأ راجعا الى حضرته بعد ان آثرهم بسكنى ولده المخصوص بولاية عهده الامير أبى العباس وأنزله من ظهرانيهم وعقد له على بلاد الجريد واحتمل مقدم روضة يحيى بن على الى الحضرة فلم يزل بها الى ان هلك سنة أربع وأربعين واستبد الامير أبو العباس بأمر الجريد واستولى على نفطة كما قدمناه وقيل لبنى الخلف وهم مدافع وأبو بكر عبد الله ومحمد وابنه أحمد بن محمد اخوة أربعة وابن أخيهم بنو الخلف من مدافع ونسبهم فى غسان من طوالع العرب انتقل جدهم من بعض قرى نفزاوة الى نفطة وتأثل بها وكان لبنيه بها بيت واستبد هؤلاء الاخوة الاربعة ازمان الشورى كما قدمناه ولما استولى السلطان أبو بكر على الجريد وأنزل ابنه أبا العباس بقفصة وعقد له على سائر امصاره وأمضى طاعتهم وامتنعوا فسرح اليهم وزيره أبا القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وجهزت له العساكر من الحضرة ونازلها وقطع نخلها ولاذ أهلها بالطاعة وأسلموا بنى مدافع المتغلبين فضرب أعناقهم وصلبهم فى جذوع النخل آية للمعتبرين وأفلت السيف منهم علي أصغرهم لذمة اعتقدها له أبو القاسم بن عتو لنزوعه اليه قبل الحادثة فكانت واقيته من الهلكة واستولى الامير أبو العباس على نفطة واستضافها الى عمله ثم مرض أبو بكر بن علول فى طاعته فنهض اليه السلطان أبو بكر من تونس سنة خمس وأربعين وكان الفتح كما قدمنا ولحق أبو بكر بن علول ببسكرة فلم يزل بها الى ان أجلب على توزر فنبذ اليه يوسف بن مزنى عهده وانتقل الى حصون وادى ابن علول المجاورة لتوزر وهلك سنة ست وأربعين ثم كان مهلك السلطان وابنه أبو العباس صاحب الاعمال الجريدية اثر ذلك سنة سبع وأربعين ورجع الى كل مصر من الجريد مقدموه فرجع أحمد بن عمر ابن العابد الى قفصة من مكانه فى جوار ابن مكى واستولى على بلده فى مكان ابن عمه يحيى ابن على ورجع على بن الخلف الى نفطة واستبد بها ورجع يحيى بن محمد بن أحمد بن علول الى توزر من مثوى اغترابه ببسكرة ارتحل اليها مع عمه أبى بكر طفلا فلما خلا الجريد من الامارة ودرج يحيى هذا من عشه فى جوار يوسف بن منصور بن مزنى وأطلقه مع أولاد مهلهل من الكعوب بعد أن وصلهم وشاركهم واسترهن فيه ابناءهم فأوصلوه الى محل رياسته بتوزر ونصبه شيعته وأولياء أبيه وقاموا بأمره ورجع أمر الجريد كله الى

رياسة مقدمه كما كان ثم وفدوا على السلطان أبي الحسن عند رجعته الى افريقية ولقوه بوهران فلقاهم مبرة وتكرمة ورجع كل الى بلده وحمل رياسته بعد ان امتحن الجزيرة ووفر الاسهام والاقطاع وأنفذ الصكوك والكتب فرجع الى توزر يحيى بن محمد ابن أحمد بن يملول صبيا مغتلما والى نفطة علي بن الخلف والى قفصة أحمد ابن عمه ابن العابد ونزل كل واحد من هذه الامصار عاملا وحامية وعقد على الجريد كله لمسعود بن ابراهيم ابن عيسى اليرناني من طبقة وزرائه واستوصى بهؤلاء الرؤساء خيرا في جواره حتى اذا كانت نكبة السلطان بالقيروان سنة تسع وأربعين وارتحل عامل الجريد مسعود بن ابراهيم ونزل المغرب بمن معه من العمال والحامية ونمى خبره الى الاعراب من كرفة فصبحوه في بعض مراحل سفره دون أرض الزاب فاستلحموه ومن كان معه من الحامية واستولوا على أقنيتهم وذخيرتهم وكراعهم واستبد رؤساء تلك البلاد بامصارهم وعادوا الى ديدنهم من التمريض وآذنوا بالدعاء لصاحب الحضرة بمنابرهم واستمروا على ذلك فأما يحيى بن محمد بن يملول فنزع الى مناغاة الملوك في الشارة والحجاب واتخاذ الآلة والبيت المعمور للصلاة واقتعاد الاريكة وخطاب السمر بل وفسح للمجون والعكوف على اللذات مجالا يرى ان جماع السياسة والملك في ادارة الكاس وافتراش الآس والحجبة عن الناس والتأله على الندمان والجلاس وفتح مع ذلك على رعيته وأهل ايالته باب العسف والجور وزعم بيت المشاهير منهم غيلة فأتلفت نفوسهم وامتد أمره في ذلك الى أن استولى السلطان أبو العباس على افريقية وكان من أمره ما نذكره وأما جاره الجنب علي بن الخلف فلم يلبث لما استبد برياسته أن حج سنة أربع وستين والتزم مذاهب الخير وطرق الرضا والعدالة وهلك سنة خمس بعد وولي مكانه ابنه محمد جاريا على سننه ثم هلك لسنة من ولايته وقام بأمره أخوه عبد الله بن علي فاذكى سياسته وأرقع حزمه وأرهف للناس حده فنقموا عليه سيرته وتسموا عنقه واستمكن مناهضهم في الشرف ومجاذبهم في رياسة البلد القاضي محمد بن خلف الله من صاحب الحضرة بذمة كانت له في خدمته قديما واستعمله لرعيها في خطة القضاء بحضرته وآثره بالمكان منه والصحبة فسعى بعبد الله هذا عند الخليفة ودله على مكامن هلكته وبصره بعورات بلده واقتياد عساكر السلطان اليه في زمامه ولما احتل بظاهر البلد وعبد الله رئيسها أشد ما كان قوة وأكثر جمعا وأمضى عزما استألف أخوه الخلف بن علي بن الخلف جماعة المشيخة دونه وحرضهم عليه وداخل القاضي بتبييتها وأنه بالمرصاد في اقتحامها حتى اذا كانت البيعة دس الى بعض الاوغاد في قتل أخيه عبد الله ومكر بالقاضي والعسكر وامتنع عليهم واعتصم دونهم واستقل برياسة بلده وأقام على ذلك يناغي ابن يملول في سيره

ويطارحه الكثير من مذاهبه ويجري في الشأو الذي بلغ الى غايته وأولى على بنيته وأما أحمد بن عمر بن العابد فلم يزل من لدن استبداده ببلده قفصة سالكا مسالك الخمول منحطا عن رتبة التكبر منتحلا مذاهب أهل الخير والعدالة في شارته وزيه ومركبه جانحا الى التقلل فلما أوفى على شرف من العمر استبد عليه ابنه محمد وترفع عن حال أبيه بعض الشيء الى مناغاة هؤلاء الرؤساء المترفين فبينما هؤلاء المتقدمون في هذه الحالة من الاستبداد على السلطان انتحلوا باخلاق الملوك والتثاقل عن الرعايا بالعسف والجور واستحداث المكوس والضرائب اذ طالما خصهم السلطان أبو العباس بالحضرة مستبدين بدعوته صارفا سهم عزائمه فوجموا وتوجسوا الخيفة منه وائتمروا في المظاهرة واتصال اليد بعد ان كانوا يستحثونه الى الحضرة ويبعثون اليه بالانحياش على البعد زلوقا على صاحب الحضرة ونزوعا على مصدوقية الطاعة فلما استبد السلطان أبو العباس بالدعوة استرابوا في أمرهم وسربوا أموالهم في الاعراب المخالفين على السلطان من الكعوب يؤملون مدافعتهم عنهم فشمرلها أولاد أبي الليل بما كان وقع بينهم وبين السلطان من النفرة ونهض اليهم السلطان فغلبهم على ضواحي افريقية على الطواعن التي كانت جبايتها لهم منذ حين كما قلناه واستحلم فأوهن ذلك من قوتهم ثم زحف الثانية الى أمصار الجريد فلاذوا بالامتناع وأناخ السلطان بعساكره وأوليائه من العرب أولاد مهلهل على قفصة فقابلها يوما أو بعض يوم وعدا في ثانية على نخيلهم يقطعها فكأنما يقطع بذلك أمعاءهم وتبرأ من مقدمهم وشعر بذلك فبادر الى السلطان ونزل على حكمه فتقبض عليه وعلى ابنه شهر ذي القعدة من سنة ثمانين وتملك البلد واستولى على ديار ابن العابد بما فيها وكان استيلاء لا يعبر عنه لطول أيامه في الولاية وكثرة احتجانه للاموال وعقد السلطان على قفصة لابنه أبي بكر وارتحل يريد توزر فقوض عنها بأهله ونزل على أحياء مرداس وسرب فيهم المال فرحلوا معه الى الزاب ولحق ببسكرة مأوى نكباته ومنتهى مفره فنزل بها على أحمد بن يوسف بن مزني وأقام هنالك على بلغة من توقع مطالبة السلطان له ولجاره ابن مزني من خسارة أموالهم في لفوف العرب وسوء المغبة الى ان هلك لسنة أو نحوها بعد تقويضه عنهم بعثوا الى السلطان فلقيه في أثناء طريقه وتقدم الى البلد فنزل بقصور يملول واستولى على ذخيرته وتبرأ اليه أهل البلد من ودائع كانت له عندهم من خاص الذخيرة فدفعوها الى السلطان وعقد لابنه المنتصر على توزر واستقدم الخلف بن الخلف من نفطة وكان يخالف أصحابه الى الطاعة حتى نقضوها على ابن يملول وسالفه من العداوة بنقلها فلما أحيط بهم أدركه الدهش وبادر الى السلطان بطاعته فأتاه

بياض بالأصل

وقدم عليه فتقبل السلطان ظاهره وأعطى له عن غيرها طمعا فى استصلاحه وعقد عن
حجابة ابنه المنتصر وأزله معه بتوزروأمره باستخلافه ببلدة نفطة وعقد له على ولايتها
وانكفأ راجعا الى حضرته وقدم ابن الخلف على أمره ورأى انه قد تورط فى الهلكة
فراسل ابن يملول بمكانه من توزروعثرأولياء السلطان عن كتابه الى يعقوب بن على شيخ
رياح ومدره حروبهم يحرضه على صريخ ابن يملول ومعونته فعلموا انكشفه ومداجاته
وبادروا الى القبض عليه وولوا على نفطة من قبله وخاطبوا السلطان بالثأر وأقام
فى ارتحاله الى ان كانت حادثة قفصة فبادر الامير المنتصر الى قتله وكان من خبر قفصة
أن ابن أبى زيد من مشيختها كان ينزع الى السلطان قبل فتحها هو وأخوه لمنافسة
بينهما وبين ابنى العابد وهما محمد وأحمد بن عبد العزيز وابن عبد الله بن أحمد بن على
ابن عبد الله بن على بن عمر بن أبى زيد وقد ذكر أوليتهم واستعمال سلفهم أيام الامير زكريا
الاعلى فى جباية الجريد فلما استولى السلطان على البلاد رعى لهما تشيعهما وبدوهما
الى طاعته مع قومهما فأمر لهما مع ابنه بقفصة وكبيرها رديف لحاجبه عبد الله
من الموالى الاتراك ومدبر لامور البلد فى طاعة السلطان ثم نزغ الشيطان فى صدره
وحدثته نفسه بالاستبداد وأقام يتحين به وذهب الامير أبو بكر الى زيارة
أخيه بتوزر فكاده بالتخلف عنه وجمع أوباشا من الغوغاء والزعانف وتقدم
بهم الى القصبة وبعث بالصريخ للفتك بعبد الله التركى ونذر بذلك فاغلق أبواب
القصبة وبعث الصريخ فى أهل القرى وقاتلهم ساعة من نهار حتى وافى اليه المدد
فلما استغلظ بمدده أدركهم الدهش وانفض الاشرار من حوله ونجوا الى الاختفاء
فى بيوت البلد وتقبضوا على الكثير ممن داخلهم فى الثورة ووصل الخبر الى الامير
أبى بكر بتوزر فبادر الى مكانه وقد سكن جأشه واستلحم جميع من تقبض عليه حاجبه
ونادى فى الناس بالبراءة من ابن أبى زيد فتبرؤا منه وعثر الحرس عليه وعلى أخيه
خارجين من أبواب البلد فى زى النساء فقادوهما اليه فقتلهما بعد ان مثل بهما
واستبد السلطان بالجريد ومحا منه آثار المساءة .... بياض بالأصل
عليهما وانتظمه فى عمالات السلطان وأما بلد الحامة وهى من عمالة قصطيلة وتعرف
بحامة قابس وحامة مطماطة نسبة الى أهلها الموطنين كانوا بها من البربر وهم فيما
يقال الذين اختطوها ففيها الآن ثلاث قبائل من توجروبنى ورناجن وهم فى العصبية
فرقتان أولاد يوسف ورياستهم فى أولاد أبى منيع وأولاد دحاف ورياستهم فى أولاد
وشاح ولا أدرى كيف سبب الفرقتين فأما أبو منيع فالحديث فى رياستهم فى قومهم
أن جدهم رجاء بن يوسف كان له ثلاثة من الولد وهم بوشبالك وأبو محمد وملالة وان

رياسته بعده كانت لابنه بوشبالك ثم ابنه أبى منيع من بعده ثم لابنه حسن بن أبى منيع
ثم لابنه محمد بن حسن ثم أخيه موسى بن حسن ثم لاخيهما أبى عنان الى ان كان
ما نذكر وأما أولاد دحاف فكانت أول رياستهم لمحمد بن أحمد بن وشاح وقبله خاله
القاضى محمد بن كامى وكان العمال من الحضرة يتعاقبون فيهم الى ان أسقط السلطان
عنهم الخراج والمغارم بأسرها وكان مقدمهم لاول دولة السلطان أبى بكر من أولاد
أبى منيع وهو موسى بن حسن وكان المديونى والد السلطان واليا عليهم وارتاب بهم
بعض الايام وأحسوا الثورة به فدس بها الى السلطان فى بعض حركاته وغزاهم بنفسه
ففروا وأدركوا سبعة من أولاد يوسف هؤلاء وتقبض عليهم فقتلوا ثم رجع الامير وولى
موسى بن حسن ولما هلك تولى بعده أخوه أبو عنان وطال أمد ولايته عليهم وكان منسوبا
الى الخير والعفاف وهلك سنة ثنتين وأربعين وولى بعده ابنه الاخر أبو زيان ثم بعدهما
ابن عمهما مولاهم ابن محمد ووفد على السلطان أبى الحسن مع وفد أهل الجريد كما مر ثم
هلك وولى بعده من بنى عمهم حسان بن هجرس وثار به محمد بن أحمد بن وشاح من أولاد
دحاف المذكور فعزله وأقام فى ولايته الى سنة ثمان وسبعين فثار به على الحامة وقتلوا
عمر بن كامى العاصى وولوا عليهم حسان بن هجرس وثار به يوسف واعتقله وهو يوسف بن
عبد الملك بن حجاج بن يوسف بن وشاح وهو .... بياض بالأصل .... يقدمهما يعطى طاعة معروفة
ويستدعى العامل بجاية ويراوغ عن الصدوقية والغلب والاستيلاء قد أحاط به من
كل جهة وأملى على بعض نسابتهم أن مشيخة أهل الحامة فى بنى بوشبالك ثم فى بنى تامل
من بوشبالك وان تامل رأس عليهم وان وشاحا من ولد تامل على فرقتين بنو حسن وبنو
يوسف وحسان بن هجرس ومولاهم وعمر أبو علان كلهم من بنى حسن ومحمد بن أحمد بن
وشاح من بنى يوسف وهذا مخالف للاول والله أعلم بالصحيح فى أمرهم وأما نفزاوة
وأعمال قصطيلة فتنسب لهذا العهد الى توزر وهى القرى العديدة المعروفة السبر
يعترض بينها وبين توزر الى القبلة عنها التماسيح المشهورة المبالغة فى الاعتساف ولها
معالم قائمة من الخشب يهتدى بها السالك وربما يضل فتبتلعه ويسكن هذه
القرى قوم من بقايا نفزاوة من البرابرة الذين بقوا هنالك بعد انقراض جمهورهم
ولحوق العرب بسائر بطون البربر ومعهم معاهدون من الفرنجة ينسبون الى سردانية
نزلوا على الذمة والجزية وبها الآن أعقابهم ثم نزل عليهم من اعراب الشريد وزغب
من بنى سليم كل من عجز عن الطعن وملكوا بها العقار والمياه وكثرت نفزاوة وهم لهذا
العهد عامة أهلها وليس فى نفزاوة هذه رياسة لمقرها ورجوعها فى الغالب الى اعمال
توزر ورياستها هذا حال المتقدمين ببلاد الجريد فى الدولة الحفصية أوردنا أخبارهم فيها

لانهم من صنائعها وفى عداد ولاتها ومواليها والله متولى الامور اه

أحمد بن يحيى بن محمد بن أبى على بن عبد الجليل بن العابد

أبو يحيى بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يعلول

الخلف بن على بن خلف بن مدافع

يوسف بن عبد الملك بن حجاج بن يوسف بن حجاج بن يوسف

محمد بن أحمد بن وشاح بن حجاف

بن زيان

مولاهم ابن محمد بن حسن بن محمد بن أبى منيع بن بوشباك بن رجاء بن يوسف

* (الخبر عن بنى مكى رؤساء قابس وأعمالها) *

كانت قابس هذه من ثغور افريقية ومنتظمة فى عمالتها وكان ولاتها من القيروان

أيام الاغالبة والعبيديين وصنهاجة من لدن الفتح ولما دخل الهلاليون افريقية واضطربت أمورها واقتسمت دولة صنهاجة الطوائف انتزى بقابس وصنهاجة المعز ابن محمد الصنهاجى وأدال منه يونس بن يحيى الصنبرى من مرداس رياح بأخيه ابراهيم الى أن هلك وولى أخوه القاضى ابن ابراهيم ثم نازله أهل قابس فقتلوه أيام تميم بن المعز بن باديس فبايعوا لعمر بن المعز بن باديس كان مخالفا على أخيه وذلك سنة تسع وثمانين وأربعمائة ثم غلبه عليها أخوه تميم وكان معتلقا للعرب وكانت قابس وضواحيها فى قسم زغبة من عرب هلال ثم غلبتهم رياح عليها ونزل دكن بن كامل بن جامع من بنى دهمان وأخوه مادع وهما معا من بنى على احدى بطون رياح فاستحدث بها ملكا لقومه بنى جامع وأورثه بنيه الى ان استولى الموحدون على افريقية وبعث عبد المؤمن عساكره الى قابس فنزع عنها مدافع بن رشيد آخرهم وانتظمها كما ذكرناه فى أخبارهم وملكها وانقرض ملك بنى جامع وصارت قابس وأعمالها للموحدين وكان ولاة افريقية من السادة يولون عليها من الموحدين الى أن تغلب بنو غانية وقراقش على طرابلس وقابس وأعمالها وكان ماذكرناه فى أخبارهم ثم غلب الموحدون يحيى بن غانية عليها وأزالوا بها عمالهم ولما دعا بنو أبى حفص الى افريقية المرة الثانية بعد مهلك الشيخ أبى محمد عبد الواحد وعقد العاقل على افريقية لابنه أبى محمد عبد الله عقد معه على قابس للامير أبى زكريا أخيه فنزلها أميرا ثم كان من شأن استبداده وخلعه لاخيه ولطاعة بنى عبد المؤمن ماذكرناه وكان مشيخة قابس لذلك العهد فى بيت من بيوتاتها وهم بنو مسلم لم يحضرنى ممن نسبهم وبنو مكى ونسبهم فى لواتة وهو مكى بن فرح بن زيادة الله ابن أبى الحسن بن محمد بن زيادة الله بن الحسين اللواتى وكان بنو مكى هؤلاء خالصة للامير أبى زكريا ولما اعتزم على الاستبداد دخل أبو القاسم عثمان بن أبى القاسم بن مكى وتولى له أخذ البيعة على الناس وكان له ولقومه بذلك مكان من المولى أبى زكريا رعى لهم ذمتها ورفع من شأنهم بسببها ورموا بنى سليم نظراءهم فى رياسة البلد بضغائنهم الى ابن غانية فأخذوا أموالهم بماله ومحوا آثارهم واستقلوا بشورى بلدهم وأقاموا على ذلك أيام المولى أبى زكريا الاول وابنه المستنصر ثم كان ما قدمناه من مهلك الواثق بن المستنصر وبنيه على يد عمهم السلطان أبى اسحق وكان من أمر الداعى بن أبى عمارة وكيف شبه على الناس بالفضل بن المخلوع بحيلة من مولاه نصير رام أن يثأر بها من قاتلهم فتمت مكيدته فى ذلك لما أراده الله ولما أظهر نصير أمره وتسايلت العرب الى بيعته خطب لاول أمره رئيس قابس لذلك العهد من بنى مكى عبد الملك بن عثمان بن مكى فسارع الى طاعته وحمل الناس عليها وكانت له بذلك قدم فى الدولة معروف

رسوخها ولما ألقى الداعي بن أبي عمارة جدا على كرسي الخلافة سنة احدى وثمانين قلده خطة الحجابة بالحضرة مستقلا فيها بالولاية والعزل والفرض والتقدير والحسبان بعد ان أجزل من بيت المال عطاءه وجرايته وأسنى رزقه وأهدى الجوارى من القصر اليه ولما هلك الداعي واستقلت قدم الخلافة من عثارها كما قدمناه سنة ثلاث وثمانين لحق عبد الحق بن مكي ببلده وامتنع بها على حين ركود ريح الدولة وفشلها ومرض في طاعته ودافع أهل الدولة بالدعاء للخليفة على منابره ثم جاهر بالخلعان سنة ثلاث وتسعين وبعث بطاعته الى صاحب الثغور المولى أبي زكريا الاوسط وهلك ابنه أحمد ولي عهده سنة سبع وتسعين ثم هلك هو من بعده على رأس المائة السابعة وتخلف حافده تكما فبصوه للملك بعقبه وكفله ابن عمه يوسف بن حسن وقام بالامر مستبدا عليه الى أن هلك وخلفه في كفالة أحمد بن ليدان من بيوت أهل قابس واصبهان وبني مكي وأشاب أمرهم بمهلك يوسف فنقب لهم السلطان الآن اللحياني الى الحضرة وأقاموا بها أياما ثم ردهم الى بلدهم أيام مجافاته عن تونس وخروجه الى ناحية قابس ثم هلك خلال ذلك مكي وخلف صبيين يافعين عبد الملك وأحمد فكفلهما ابن ليدان الى ان شبا واكتهلا ولهما من الامتناع على الدولة والاستبداد بأمر القطر والاقتصار على الدعاء للخليفة مثل ما كان لابيهما وأكثر لتقاص ظل الملك عن قطرهم وشغل السلطان بمدافعة يغمراسن وعساكرهم عن الثغور الغربية واجلائهم بالاعزاز واعتياص من أهل البيت على الحضرة ولما هلك السلطان أبو يحيى اللحياني بمصر قدم ابنه عبد الواحد الى المغرب يحاول أسباب الملك ونزل بساحتهم على ما كان من صنائع أبيه اليهم فذكروا العهد وأوجبوا الحق وآتوا بيعتهم كبيرهم عبد الملك بأمره ودعا الناس الى طاعته وخالف السلطان أبا يحيى عند نهوضه الى الثغور لحمايته سنة ثلاث وثلاثين كما قدمناه فدخل الحضرة ولبث بها أياما لم تبلغ نصف شهر وبلغ خبرهم الى السلطان فانكفأ راجعا وفروا الى مكانهم من قابس والدولة تنظرهم الشزر ويتربص بهم الدوائر الى ان غلب السلطان أبو الحسن على تلمسان ومحا دولة آل يغمراسن وفرغت الدولة من شأنهم الى

بياض بالأصل

ومد عمر يده الى صفاقس فتناولها وتغلب عليها سنة سبع وخمسين وهلك السلطان أبو عنان وقد شرق صدر ابن تافراكين الغالب على الحضرة بعداوتهما فردد عليهما برا وبحرا الى أن تخلص جزيرة جربة من أيديهما أعوام أربعة وستين وعقد عليهما

لولده

لولده محمد فاستخلف بها كاتبه محمد بن أبي القاسم بن أبي العيون من صنائع الدولة كما ذكرناه وهلك أحمد بن مكي سنة ست وستين على تفيئة مهلك الحاجب بن تافراكين بالحضرة فكأنهما كانا على موعد الهلكة توافياه وتخلف ابنه عبد الرحمن بطرابلس في كفالة مولاه ظافر العلج وهلك ظافر اثر مهلكه فاستبد عبد الرحمن بطرابلس وساءت سيرته فيها الى أن نازله أبو بكر بن محمد بن ثابت في اسطوله كما ذكرناه سنة ثنتين وسبعين وأجلب عليه بالبرابرة والعرب من أهل الوطن فاستنقض عليه أهل البلد وثاروا به وبادر أبو بكر بن ثابت لاقتحامها عليه وأسلموه الى أمير من أمراء ذئاب فأجاره الى أن أبلغه مأمنه من محلة قومه وايالة عمه عبد الملك بقابس الى أن هلك سنة تسع وسبعين ولم يزل عبد الملك لهذا العهد وهو سنة احدى وثمانين واليا على عمله بقابس وابنه يحيى مستبد بوزارته وحافده عبد الوهاب لابنه مكي رديف له وقد تراجعت أحوالهم عما كانت وخرجت من أيديهم الاعمال التي كانت في عمالتهم لعهد أخيه أحمد مثل طرابلس وجزيرة جربة وصفاقس وما الى ذلك من العمالات حتى كان التخت انما كان لاخيه واليمن انما استقر لجنابه وسيرتهما جميعا من العدالة وتحري مذاهب الخير والسمت والاتسام بسمات أهل الدين حملة الفقه معروفة حتى كان كل واحد منهم انما يدعى بالفقيه علما بين أهل عصره حرصا على الانغماس في مذاهب الخير وطرقه وكان لاحمد حظ من الادب وكان يقرض من الشعر فيجيد عفا الله عنه وله في الترسيل حظ ووساع بلاغة وينحو في كتابه منحى أهل المشرق في أوضاع حروفهم وأشكال رسومهم ولاخيه عبد الملك حظ من ذلك شارك به جهابذة أهل عصره ولما انتظم السلطان أبو العباس أمصار افريقية في ملكه واستبد بالدعوة الحفصية على قومه داخل أهل الجريد منه الروع وفزعوا اليه للمعارضة في الامتناع فداخلهم في ذلك وأشاروا الى صاحب تلمسان بالترغيب في افريقية فعجز عنهم والحوا عليه فخام عن العداوة وزحف مولانا السلطان خلال ذلك الى الجريد فملك قفصة وتوزر ونفطة فبادر ابن مكي الى التلبس للاستقامة وبعث اليه بالطاعة ثم رجع السلطان الى الحضرة فرجع هو عن المصدوقة وأتاهم أهل البلد بالحمل الى السلطان فتقبض بعضهم وفر آخرون وانتقض عليه بنو أحمد أهل ضواحيه من ذئاب فنازلوه وبعثوا الى الامير الاكبر بقفصة في العسكر لمنازلته فبعث اليهم وأحاطوا به ثم انتهز الفرصة ودخل بعض العرب من بني علي في تبييت المعسكر وبذل لهم في ذلك المال فبيتوه وانفض وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته سنة احدى وثمانين ونزل القيروان وتوافت الفئتان وبعث رسله للاعتذار بين يديه فردهم ابن مكي بالطاعة

ثم احتمل رواحله ونزل باحياء العرب وأغذ السلطان السير الى البلد فدخلها واستولى على قصورها ولاذ أهل البلد بالبيعة فآتوها واستعمل عليهم من بطانته وانكفأ راجعا الى تونس وهلك عبد الملك لايام قلائل بين أجيال العرب وهلك ابنه عبد الرحمن وابن أخيه أحمد الذى كان صاحب طرابلس بعد أبيه ولحق ابنه يحيى وحفيده عبد الوهاب بطرابلس فمنعهم ابن ثابت من النزول ببلده لما كان متمسكا بطاعة السلطان فنزلوا بزنزور من بلاد ذئاب التى بضواحيها وأقاموا هنالك واستقامت النواحى الشرقية على طاعة السلطان وانتظمت فى دعوته والله مالك الملك ثم ذهب يحيى بن عبد الملك الى المشرق لقضاء فرضه وأقام عبد الوهاب بين أحياء البرانس بالجبال هنالك وكان الوالى الذى تركه السلطان بقابس قد ساء أثره فى أهلها فدس شيعتهم الى عبد الوهاب بذلك وجاء الى البلد فبيتها وثاروا بالوالى فقتلوه سنة ثلاث وثمانين وملك عبد الوهاب قابس وجاء أخوه يحيى من المشرق بعد قضاء فرضه فأجلب عليه مرارا يروم ملكها

بياض بالاصل

وأوثقه كتافا وبعث به اليه واعتقله بقصر العدو سنين فمكث فى السجن أعواما ثم فر من محبسه ولحق بالحامة على مرحلة من قابس مستجدا ابن وشاح صاحبها فأنجده وما زال يجلب على نواحى قابس الى أن ملكها وتقبض على عبد الوهاب ابن أخيه مكى فقتله أعوام تسعين وسبعمائة ولم يزل مستبدا ببلده الى سنة ست وتسعين وكان عمر ابن السلطان أبى العباس قد بعثه أبوه لحصار طرابلس نخر بها هؤلاء كما نذكره حتى استقام أهلها على الطاعة وأعطوا الضريبة فأفرج عنها ورجع الى أبيه فولاه على صفاقس وأعمالها فاستقل بها ثم دخل أهل الحامة فى ملك قابس فأجابوه وساروا معه فبيتها ودخلها وقبض على يحيى بن عبد الملك فضرب عنقه وانقرض أمر ابن مكى من قابس ولله الامر من قبل ومن بعد وهو خير الوارثين

(تم طبع الجزء السادس ويليه الجزء السابع أوله الخبر عن زناتة من قبائل البربر)

